محمد بن أحمد العقيلي

أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

محمد بن أحمد العقيلي



أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
جدة - المملكة العربية السعودية

طباعة دار العلم للطباعة والنشر - جدة
ص.ب : ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية

الإخراج الفني والتنفيذ
سيد حفني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الطاهر الأمين

وبعـــد:

عني الكُتَّاب وحفلت كتب المؤرخين بأحداث شبه الجزيرة العربية من بعد نهاية الحرب العظمى الأولى، التي انجلت عن انسحاب الأتراك عن الأراضي التي تكونت عليها امبراطوريتهم عامة، وفي شبه الجزيرة خاصة، وجاءت معاهدة (لوزان) تؤيد شرعية ذلك الجلاء، وأصبح للجزيرة أمراء عرب مستقلون وغير مستقلين.

وقـد زار شبـه الجـزيـرة الرحالة المعروف أمين الريحاني في سنة ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢٢م، وسجـل في كتابه المعروف (ملوك العرب) أوضـاعهـا، ورسم خريـطة تاريخيـة بمـا تشمله سلطة تلك الحكـومات والإمارات، وضعها في بداية الكتاب، كما أورد لكل إمام أو أمير ترجمة ضافية وسيرة شبه كاملة، وهم على ترتيب الكتاب:

١ ـ الملك حسين بن علي في الحجاز.
٢ ـ الإمام يحيى في القسم الأعلى من اليمن.
٣ ـ الإمارة الإدريسية في تهامة عسير وقسم من تهامة اليمن.
٤ ـ سلطنة نجد.
٥ ـ المحميات البريطانية (عدن والمحميات وحضرموت).
٦ ـ سلطنة عمان.
٧ ـ مشيخة الخليج (تحت الحماية البريطانية).
٨ ـ الكويت.
٩ ـ بلاد نجران.

فخطط للتاريخ صورة لأوضاع شبه الجزيرة في تلك الفترة المهمة من سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م إلى ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م.

وبعد ذلك، أي في سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م، نشر متصرف عسير السابق (سليمان شفيق باشا) مذكراته في جريدة الأهرام، بتعريب محب الدين الخطيب الكاتب العربي المعروف، وبدأ بنشر أول حلقة منها في العدد ١٤٠١٩ بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٣٤٣هـ ـ ٦ نوفمبر ١٩٢٤م.

ومما ورد في حلقات تلك المذكرات ما نصه حرفيا:

(إن في جزيرة العرب اليوم من الإمارات:

١ ـ إمارة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن.
٢ ـ الإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير.
٣ ـ السلطنة السعودية في جميع نجد وفي إقليم عسير.
٤ ـ الحكومة الهاشمية التي انحصرت بين أسوار ثغر جدة.
٥ ـ إمارة آل الصباح في الكويت عند نهاية الخليج.
٦ ـ مشيخة حضرموت تحت الحماية الإنجليزية.
٧ ـ سلطنة عمان المستقلة.
٨ ـ قبائل يام التابعين لإمامة المذهب الإسماعيلي[١]).

تلك هي الأوضاع للجغرافيا السياسية لشبه الجزيرة في كل من خارطة كتاب ملوك العرب للريحاني ومذكرات سليمان شفيق.

والجغرافيا السياسية كما يشهد التاريخ وتسجل الأحداث منذ ما بدأ الإنسان يرسم الخرائط إلى ما قبل هذا التاريخ عرضة للتغيرات السياسية والعسكرية على مختلف العصور وتقلبات الأزمنة.

---

(١) مذكرات سليمان شفيق تحقيق وتعليق العقيلي.

إن أحداث العالم تتأثر ببعضها على البعد فضلا عن القرب، وأوضاع شبه جزيرة العرب تتأثر بما يجري في المحيط الدولي، وبالأخص في ذلك التاريخ، فبريطانيا التي لها مصالحها الحيوية وطرق مواصلاتها للهند، وإيطاليا التي هي الأخرى لها مصالحها في البحر الأحمر، الذي على شواطئه الغربية مستعمرتيها أريتريا والصومال، فضلا عن فرنسا التي لها مستعمراتها في جيبوتي والصومال الفرنسي، وغيرها.

إن شبه الجزيرة قبل الحرب العظمى الأولى كانت إحدى التوابع التي تدور في فلك الامبراطورية التركية، حيث كانت جزءاً من امبراطوريتها التي استمرت خمسمائة سنة ـ تقريبا ـ وإذا كانت هناك فترات تخلص من قوة جاذبيتها أمراء عرب قاموا في الشمال والجنوب بثورات تحررية، وأزاحوا الأتراك عن البلاد، إلا أنه من وجهة الشرعية الدولية والارتباطات القانونية ـ كانت حتى في تلك الفترة ـ تعتبر دولياً من البلاد العثمانية، ولم تستنشق نسيم التخلص، ورسيس دبيب الشفاء والصحة إلا بعد جلاء الأتراك، وقيام إمارات عربية في الشمال والجنوب والشرق والغرب ـ هي الآن موضع دراستنا وإلقاء الأضواء على أوضاع شبه الجزيرة في أثناء الحرب العظمى الأولى وبعدها إلى سنة ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م.

واستمرت تلك الإمارات والدويلات ـ التي أشرنا إليها قبله ـ حتى أسفرت التصفية النهائية والحساب الختامي لكل ذلك برسوخ كيان حكومتين عربيتين مسلمتين في أغلب شبه الجزيرة هما:

١ ـ المملكة العربية السعودية.
٢ ـ المملكة المتوكلية اليمنية.

وكشأن كل دولتين مهما شدهما ويشدهما من روابط الدين والأصل واللغة والتاريخ المشترك، حصل بينهما ما يحصل بين المتجاورين من اختلاف وتباين في الآراء والسياسة، مما أدى ـ مأسوفاً عليه ـ إلى امتشاق الحسام وإسالة الدم العربي، وإنما كان في حكمة الإمامين

عبدالعزيز ويحيى بن حميد الدين ما أعاد الصفاء وأنهى مسائل الخلاف، فكانت معاهدة الطائف التي داوت الكلوم وأعادت الصفاء والوئام إلى الشعبين الشقيقين اللذين هما الأمل والرجاء للعروبة والإسلام، وعسى في الماضي عبرة وفي الحاضر عصمة من الاختلاف والزلل.

وقد سميت الكتاب (أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث) وقسمته إلى فصول كما يأتي:

١ـ **الفصل الأول**: أضواء على الجزيرة العربية من عام ١٣٣٢هـ إلى ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٤م إلى ١٩١٨م.
٢ـ **الفصل الثاني**: الحالة السياسية في المخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ ١٣٤٢هـ إلى ١٣٥١هـ ـ ١٩٢٣م إلى ١٩٣٢م.
٣ـ **الفصل الثالث**: السعودية واليمن ١٣٤٥هـ إلى ١٣٤٩هـ ـ ١٩٢٦م إلى ١٩٣٠م.
٤ـ **الفصل الرابع**: الاختلاف بين الشقيقتين ١٣٥١هـ إلى ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٢م إلى ١٩٣٣م.
٥ـ **الفصل الخامس**: المطامع الاستعمارية في جنوب الجزيرة العربية.
٦ـ **الفصل السادس**: امتشاق الحسام.
٧ـ **الوثائق والمعاهدات**.

وبعد: فما أسجله لا يعدو أن يكون إلقاء الأضواء على ما مر من تلك الفترة، وعسى في ذلك بصيص من النور للأجيال الصاعدة.

ومن ذلك المنطلق القومي والحضور العربي قمت بما قمت به مستندا في كل ما أوردته على المصادر المذكورة في حواشي الكتاب وفي آخره.

وختاماً أقول: إن البلاد العربية من الخليج إلى المحيط جزء لا يتجزأ وكل لا يتوزع، ومن أجل الحاضر وتطلعات المستقبل الحافل، علينا أن ننير الدروب ونرسل الأضواء الكاشفة لتبديد ما قد يعلق بالأذهان ممن لا ينظرون إلى المستقبل ووحدة هذه الأمة العربية بنظرة متفائلة.

هذه الأمــة التي يخيـل لي أنها ستكون بحكم مساحتها الجغرافية ووضعها الاستراتيجي وسكانها الذين هم من خلاصة العرب وأبناء حملة رايــة الفتوح، يخيل لي أنها ستكون دولة موحدة بحوله تعالى متى ما اتحدت اتحادا حقيقيا.

إن كل وحدة لا تتهيأ ولا تتم إلا بعد أهوال ومخاض، فلا ألمانيا ولا إيطاليا ولا أمريكا، تجمعوا في وحدة كما هم عليه الآن في يسر وهناء بل بعد تمزقات ومباينات واختلافات، وإنما المثابرة والعزم هما مفتاح النجاح والطريق اللاحب للوصول إلى الغاية.

وما توفيقي إلا بالله،،،

محمد بن أحمد العقيلي

الفصل الأول

أضواء على الجزيرة العربية

١٣٣٢هـ - ١٣٣٦هـ

١٩١٤م - ١٩١٨م



عناصر البحث

الأوضاع الإدارية والسياسية والاجتماعية - ابن سعود والإدريسي - عسير والإدريسي - الحديدة - الإنجليز والإمام يحيى - المؤامرة - أسر واطلاق البعثة - الإنجليز والحصار البحري - الاختلافات المذهبية في اليمن - أقوال المؤرخين عن البلاد التى جنوب الحجاز - المخلاف السليماني في التاريخ - تهامة فى التاريخ - المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الثاني عشر - فتح تهامة - حملة شريف مكة - توضيح - ابن سعود والحسين - فتح الطائف ثورة الإمامين - الإمارة الإدريسية - الدعوة السلفية وآل سعود - فتح الأحساء .

شبه الجزيرة
وأوضاعها السياسية والاجتماعية
قبل الحرب العظمى وأثناءها

من ١٣٣٢هـ إلى ١٣٥٢هـ

١٩١٤م إلى ١٩٣٣م

في أثناء المخاض العالمي الذي نتج عن الحرب العظمى الأولى كانت الأوضاع في شبه الجزيرة موزعة في كيانات، يحكم كل شبه «كيان» حاكم له مزايا الزعامة وقوة الشخصية والمجد الموروث، والقديم المعترف به، وكانت تشمل تلك الكيانات السيادة التركية اسميا أو فعليا ـ كما يأتي:

١ـ نجد التي كانت إمارة آل سعود تحت سلطان أميرها البطل الشاب عبدالعزيز، وليس للأتراك ـ في الحقيقة ـ سلطان فعلي، وإن كان يعتبر من الناحية السياسية مما تشمله السيادة التركية أو بالأصح السلطنة العثمانية.

٢ـ حائل التي كان أميرها الحليف الأثير للأتراك، وكان نفوذهم أكبر مما في الإمارة السابقة.

٣ـ الحجاز الذي كان تحت إدارة والي تركي تسنده حامية عسكرية وإدارات حكومية، وإن كان للشرافة أمور البادية والقبائل فهو ـ تقريبا ـ تحت حكمهم المباشر.

٤ـ اليمن التي تحت إدارة والي تركي في صنعاء كالآتي:

أ ـ في تهامة: محافظات ومديريات ونواح يدير إدارتها متصرفون ومأمورون من قبل الوالي التركي بصنعاء.

ب ـ في القسم الجبلي (اليمن الأعلى): بموجب معاهدة «دعان»[١] سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م التي خولت للإمام يحيى حق النظر في الشؤون الدينية والشرعية[٢] وماعدا ذلك تحت إدارة الوالي بصنعاء

(١) سميت المعاهدة باسم بلدة «دعان» التي عقدت تلك الاتفاقية بها.

(٢) كتاب تاريخ اليمن للواسعي ص٣٢٠.

(تشبه الأوضاع في تهامة).

٥ـ عسير تحت سلطة متصرف تجتمع في يده السلطتان المدنية والعسكرية.

٦ـ في المخلاف السليماني: قائمقام في صبيا وحامية هزيلة لا يتعدى نفوذها خارج مدى النظر، مما سهل (للسيد) محمد الإدريسي نجاح ثورته التي قام بها ضد الأتراك وآلت إلى استقلاله بالمنطقة.

٧ـ في عدن والمحميات وحضرموت وبعض شواطىء الخليج العربي حكام محليون تحت الحماية البريطانية.

وكان التنافس بين أولئك الزعماء والأمراء تحركه وتؤججه وتؤرثه السياسة البريطانية، وإن كان في أولئك الزعماء بعض المتفوقين فكرياً وسياسياً، لا تجوز عليهم اللعبة، وإنما يؤتون من نواح أخرى، بخلق الأضداد وزرع المنافسين أو إيجاد أشخاص لا تخلو منهم أمة مهما تحصنت بدينها ومثالياتها، لذلك نجد:

١ـ احتواءهم آل الرشيد لمنافسة آل سعود الذين قاموا بالإمارة والدعوة السلفية والنهضة العربية من القرن الثاني عشر.

٢ـ إيجاد التنافس بين أمير قطر وأخيه حمد.

٣ـ المنافسة وإضرام التحاسد وإثارة الفتن بين أشراف مكة واحتوائهم للفاشل أو المهزوم، وأخذه إلى الأستانة «للتدجين» وليكون ورقة في يدها تستغلها متى استدعت الحاجة، ويكون في إقامته تلك قد دجنته، وقد تنجح العملية، فيعود عليها التدجين بمردود، وقد يأتي بعكس النتيجة كما كانت الحال مع الشريف حسين.

ولنقف هنا هنيهة ونقفز قفزة خفيفة إلى الأمام أربع سنوات ـ أي إلى عام ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢م بعد الحرب العظمى الأولى، لنشرف من نافذة التاريخ على الأوضاع السياسية، واقعاً وجغرافيا، من خلال ما سجله رجل أجنبي اشتغل بالسياسة والإدارة والقيادة، في قسم من جزيرة العرب، ألا وهو «سليمان شفيق باشا» متصرف عسير من سنة ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م إلى سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٢م ونشر مذكراته في القاهرة في

سنة ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢م، حيث قال: (إن في جزيرة العرب اليوم - أي في سنة ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م ـ من الإمارات ما يأتي:

١ـ إمارة الزيدية في القسم الأعلى من اليمن.
٢ـ الإمارة الإدريسية في الأراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض عسير.
٣ـ السلطنة السعودية في جميع نجد وفي إقليم عسير.
٤ـ الحكومة الهاشمية التي انحصرت بين أسوار ثغر جدة.
٥ـ إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخليج.
٦ـ مشيخة حضرموت تحت الحماية الإنجليزية.
٧ـ سلطنة عمان المستقلة.
٨ـ قبائل يام التابعون للمذهب الإسماعيلي ـ لا سلطان ولا سلطة لأحد على بلادهم نجران[١]).

هذه هي الأوضاع الجغرافية والسياسية لشبه الجزيرة في عام ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م والجغرافيا السياسية كما يشهد التاريخ عرضة للتغيرات السياسية والعسكرية على مختلف العصور والأزمنة، مثل ما طرأ على خريطة آسيا الصغرى التي لم تكن تركية، فأصبحت بعد فتح القسطنطينية وإلى غاية نهاية الحرب العظمى الأولى وإلى تاريخنا الحاضر بلادا تركية، وغير ذلك من الشواهد على تغير الجغرافيا السياسية للبلدان.

وقد تغيرت خريطة أوروبا بعد الحرب العظمى كما يعرف كل مطلع، كما تغيرت خريطة أفريقية ـ كما هو معروف ـ بعد الحرب العظمى الأولى والثانية، وأقرب شاهد بعد ذلك هو التغير في الجغرافية السياسية لشبه القارة الهندية التي كانت على مر العصور بوضعها الطبيعي فتغيرت إلى ثلاث دول:

---

(١) كتاب مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، تحقيق وتعليق العقيلي ص١٥.

١ـ الهند التي لازالت تحتفظ باسمها التاريخي في حال أن مصورها الجغرافي ينحصر في وضعها الحاضر.
٢ـ باكستان التي كانت شرقية وغربية والآن انحصر مصورها الجغرافي في باكستان الغربية فقط.
٣ـ وأخيرا بنجلاديش.

هذا ما أصبحت عليه الجزيرة العربية في عام ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م ثم ما طرأ بعد ذلك من توحيد المملكة العربية السعودية واندماج الحجاز وشمال نجد ـ إمارة آل الرشيد ـ ومرتفعات عسير ـ المخلاف السليماني[١]. وأصبحت المملكة العربية السعودية بوضعها الحالي التي قررت حدودها الجنوبية والجنوبية الشرقية معاهدة الطائف حسب ما سنورده موضحا في الفصل الخاص بـ «الحدود» السعودية اليمنية.



(١) هو ما يطلق عليه اسم مقاطعة جازان ـ جيزان.



المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود



سيادة الإمام محمد بن علي الإدريسي

ابن سعود والإدريسي

لقد قامت الحرب العظمى واستقطبت بعض أمراء العرب وفي مقدمتهم الإدريسي وشريف مكة الحسين بن علي وغيرهم، وفضَّل البعض الحياد مثل عظمة سلطان نجد عبدالعزيز والإمام يحيى في اليمن الأعلى، وكان الإدريسي أول أميـر عربي استجاب لدعوة بريطانيا لدخول الحرب في جانبها ضد تركيا وكان كما قال الكاتب العربي أمين الريحاني:

(إن من فضائله ثباته منذ بداية أمره على مبدأ واحد فقد كان عربيا صميماً جسوراً في سبيل ما يبغيه، يحالف أية دولة كانت على أعدائه الترك ومن حالفهم من أمراء العرب عليه. حارب الأتراك وحليفهم الشريف حسين وصديقهم الإمام يحيى فكان في الغالب منتصرا ودائما عزيزا)[١].

كانت العلاقات حسنة جدا بين الإدريسي وابن سعود منذ بداية قيام ثورته ومع بعد المسافة فإن الإدريسي قد تغلغلت ثورته إلى غامد وزهران وإلى مشارف بيشة وبوادي الحجاز[٢].

ومن هناك كان اتصاله بابن سعود وتطورت تلك الاتصالات إلى صداقة وطيـدة، وفـي عام ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م ولد للإدريـسـي ابـن فسمـاه عبـدالعـزيـز[٣]، وللسمـايـة عند العرب مكانة معروفة قديما وحديثا[٤]،

---

(١) أمين الريحاني: كتاب ملوك العرب ص٢٩٩ .

(٢) مذكرات سليمان شفيق باشا ص١٦٨ .

(٣) المخلاف السليماني ص٧٥٧ ج٢ الطبعة الثالثة.

(٤) السماية معروفة عند العرب وهي تكون إعرابا عن إعجاب وتقدير، فعبيد الله بن جعفر بن أبي طالب سمى ابنه معاوية باسم معاوية بن أبي سفيان.

ورود أنه جاء رجل من الأنصار إلى عبيد الله بن عباس فقال له: إنه ولد لي في هذه الليلة مولود وإني سميته باسمك وإن أمه ماتت فقال عبيدالله: بارك الله لك في الهبة وأجزل لك الأجر =

وللسماية في جهتنا المخلاف السليماني شأن خاص تربط أسرة المسمى والمسمى به بروابط تقارب رابطة القرابة والرحم.

لذلك ولما تقتضيه سياسة ذلك الوقت نرى عندما هزم جيش الإدريسي على مشارف أبها انسحب متراجعا إلى بلدة الشعبين، وبما أنه كان للشريف حسين بن علي يد في تلك الهزيمة. وعسير تتنازعها الميول والنزعات:

(أ) فابن سعود يطالب بحقه التاريخي لأنها مما شملها ملك آل سعود في عهد الدولة الأولى.
(ب) والحسين يدَّعي بتبعيتها للحجاز فإنها كانت مرتبطة بمكة.
(ج) والإدريسي يدّعي بها بولاء القبائل له أثناء حصاره لأبها ولأنها الأقرب إليه مسافة.

كان الإدريسي أقرب إلى نفسية ابن سعود فهو - أي الإدريسي - سُنّي العقيدة شافعيّ المذهب، عربيّ النزعة، بعيد عن الغلو والتشيع، وإذا كان للصوفية في أسرته مكان فهو متحرر بحكم اتساع مداركه وغزارة علمه، فهو ممن حاز الشهادةِ العالمية من الأزهر بعد أن درس بمسقط رأسه «صبيا»، أولا على يد والده ثم على يد غيره من علماء المخلاف، وأخيرا درس على يد الشيخ إسماعيل عاكش في مدينة أبي عريش، وفي نفس الحال هو معجب بابن سعود ومقدر لعظمته ونرى أنه بعكس ذلك مع

= على المصيبة، ثم دعى بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية وادفع إليه مائتي دينار نفقة..

أنظر كتابنا الأدب الشعبي تحت عنوان «السماية» ص٣٦ ج١.

وقد كتب الإدريسي رسالة لتلك السماية لابن سعود وكان من جملة ما ورد في تلك الرسالة، حسب ما ذكره لي شخصيا خادم الإدريسي الخاص منصور يامي المتوفى سنة ١٣٧٩هـ. وقد أثبت ذلك في كتابي «المخلاف السليماني» الطبعة الأولى ص١٤٨ ج٢ سنة ١٣٧٩هـ، وفي الطبعة الثانية ص٧٥٧ ج٢، وكذا في الطبعة الثالثة، وقد أيد الراوي ما ذكره عن الرسالة بأنها مسجلة في سجل ديوان الإدريسي بصحيفة ١٣ لسنة ١٣٣٨هـ -، وإن جملة ما سطر في تلك الرسالة: (إني أجلت النظر في أرجاء الجزيرة فلم أجد أهلًا للثقة ورعاية عهد الإخاء سواكم، إن ابن آدم رهن المنون فإن توفاني الله فأنتم المكلفون بالوصاية على عائلتي وأهل بيتي).

الشريف حسين والإمام يحيى.

فالإمام يحيى معروف ما كان بينه وبين الإدريسي من التنافس والعداء لأنه كان يعتبره منافسا خطرا على نفوذه الموروث منذ قيام الإدريسي بثورته، ولذلك كان ينبزه بكلمة «دخيل» - أي على المنطقة - والحقيقة أن الإدريسي ليس دخيلا كما يعتبره الإمام يحيى بل هو عربي أصيل قدم جده الأول أحمد بن إدريس إلى مكة في عام ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م ومكث بها مرتين نحو ١٥ سنة ثم توجه إلى زبيد ومنها وفد إلى المخلاف السليماني سنة ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م يصحبه ابنه محمد الذي تزوج في صبيا وأولد بها ابنه عليا، كما أن عليا تزوج في صبيا وأولد محمدا.

والعربي عربي أينما حلَّ، حَلَّ في وطنه، وأصله الهاشمي «المعروف» من الحجاز مثل الإمام يحيى نفسه وكسائر الهاشميين، فإن جده الأول إدريس الذي تنتسب إليه الأسرة رحل من الحجاز إلى المغرب وأسس بها ملكا، كما رحل أحد أبناء عمومته يحيى بن الحسين الرسي - أو طلب إلى صعدة - وأسس بها إمامته المعروفة، وقبله نزح صقر قريش «عبدالرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان» إلى الأندلس، وأعاد أمجاد البيت الأموي والعظمة الإسلامية في الغرب، وغير ذلك من الشواهد الكثيرة حتى في عصرنا الحاضر.

ابتدأت الاتصالات بين ابن سعود والإدريسي فيما بين سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م وظلت مستمرة بينهما إلى سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م وتطورت إلى الأحسن والأوثق.

ففي جمادي الآخرة سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م تبلغ متصرف عسير محيى الدين باشا بواسطة الإدريسي - أمر التسليم من الدولة العثمانية عن طريق بريطانيا، فَزَمَّ معداته الخفيفة وسلم بلاد عسير لمعاونه حسن بن عائض ونزل من أبها إلى بلدة الشعبين الإدريسية - آنذاك - فاستقبله ومرافقيه رجال الإدريسي واستصحبوهم إلى ميناء الشقيق حيث تنتظرهم البواخر البريطانية، وهناك استلم منهم رجال الإدريسي سلاحهم وسلمهم

لقائد الأسطول الذي أقلهم إلى حيث ينتظرهم الأسر.

واختيار بريطانيا وساطة الإدريسي لإبلاغ أوامر التسليم لمحيى الدين باشا متصرف عسير، تخويل ضمني لملء ذلك الفراغ في عسير، وإن كان مضمون الأمر تسليم البلاد إلى أهلها.

ومرتفعات عسير بموقعها الاستراتيجي الهام وجبالها المطلة على تهامة - الإمارة الإدريسية آنذاك - تمثل أحصن موقع دفاعي لحماية الحدود الشمالية الإدريسية، إضافة إلى أن الإمارة الإدريسية محصورة بين حكومة الإمام يحيى في المرتفعات الجبلية الجنوبية والمملكة الهاشمية الحجازية، وليس أمام الإدريسي فرصة للتوسع على حساب أحدهما، وهو أمر محفوف بالمخاطر والصعاب، وعسير حينذاك ليست لأحد منهما.

والملك حسين في ذلك التاريخ منتشي بنشوة تحرير الحجاز من الأتراك الذي ختم باستلام المدينة المنورة في ١١/٤/١٣٣٧هـ - ١٥/١/١٩١٨م.

إن عسير بموقعها الذي أشرنا إلى أهميته أشبه بسويسرا في أوروبا بالنسبة للجزيرة العربية فهى تطل على تهامة وتشرف على الحجاز ونجد.



عسير والإدريسي

حسب الأمر الوارد من الأستانة عن طريق بريطانيا وبواسطة الإدريسي - كما أسلفنا - سلم المتصرف محيى الدين مرتفعات عسير[1] وعاصمتها أبها لمعاونه حسن بن عائض الذي وقف - بعد استلامه البلاد - في خواء وعلى مشارف هاوية عميقة تتجاذبه المطامع من الشمال والجنوب والشرق والغرب.

فأزيز عاصفة الزحف السعودي تتقدمه طلائع الإصلاح الديني ووهج النهضة الإصلاحية الإسلامية، وتجذب أهله مغناطيس الذاكرة التاريخية بعلاقاتهم وصلاتهم القديمة بالدولة السعودية الأولى.

والدعوة السلفية الإصلاحية التي أبرزت على الأفق الدولي - سابقا - اسم أسطع شخصية عسيرية بعد «صرد بن عبدالله» في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ألا وهي شخصية عبدالوهاب أبي نقطة، في الوقت الذي كان الزحف السعودي الجديد وشيكا صوب قبائل قحطان وأطراف شهران، ومع كل ذلك والمرتكزات التاريخية تشدّهم لآل سعود في قوة جاذبية الدعوة السلفية التي متى مست شعلتها الروح القبلية تكهربت عواطفها واتجهت نحو مصدر الدعوة في الرياض أراد ذلك رؤساؤها أم لم يريدوا.

وفي الغرب الشمالي تيارات السياسة الهاشمية ومغريات الوعود «الحسينية» والمواقف الشخصية للحسين نفسه مع آل عائض قبل وبعد

---

(١) كما هو الواقع فإن منطقة عسير لم تكن في ذلك التاريخ جميعها تحت تصرف متصرفها محيي الدين، بل أن قسما منها كرجال ألمع وقاعدته بلدة الشعبين والقبائل التابعة لرجال ألمع ومحائل وخميس مشيط وبعض بلاد قحطان الجنوب كانت تابعة للإدريسي.

فك حصار أبها[١].

وهتافات الدعاية الهاشمية المتضمنة فكرة سياسية تهضمها الخاصة المثقفة ولا تعيها الجماهير ولا عامة الناس، فضلا عن القبائل الذين هم القوى الحقيقة والأكثرية العددية.

وتنحصر تلك الفكرة السياسية في إقامة حكومة عربية من طوروس في الشمال إلى باب المندب في الجنوب، في حال أن الإنجليز الذين تظاهروا أو وعدوا الحسين بتحقيق تلك الفكرة قد عقدوا مع فرنسا معاهدة «سايكس بيكو» تجعل سوريا والعراق منطقة نفوذ لكل منهما كما أن الإنجليز أنفسهم قد أعطوا لليهود الوعد المشؤوم على لسان وزير خارجيتهم «بلفور» بإعطائهم فلسطين كوطن قومي بزعمهم.

كما أعطت بريطانيا وعوداً وأبرمت معاهدات مع عبدالعزيز آل سعود والإدريسي وغيرهما باستقلال بلادهم.

وعلى ذلك السراب الذي لا ينقع غُلة ولا يروي ظمأً راح الحسين يتكلم باسم العرب الذين لم يعترفوا له لا بالإمارة في الحجاز ولا بالملك على العرب.

وتأتي بعد كل ذلك السياسة الإدريسية السخية الناعمة بأسلوبها الصوفي السلس التي شدت إليها القبائل ـ قبل وبعد.

في تلك الدوامات التي لفت عسير وذلك التجاذب الذي كاد أن يحتويهم لكل جهة من الجهات ـ السالفة ـ رأى آل عائض أن ينفلتوا من جاذبية المطامع التي تحيط بهم فيتجه:

١ ـ حسن بن محمد بن عائض إلى الإدريسي في صبيا.
٢ ـ محمد بن عبدالرحمن بن عائض إلى الحسين في مكة.

---

(١) الحسين هو الذي رشح بعد وصوله الحجاز عبدالله بن عائض ليكون مساعدا للمتصرف في أبها ووافقت الأستانة على ذلك (مذكرات سليمان شفيق) ص٣١ .

وانتهت وفادة الأول في احتواء السياسة الإدريسية له والدخول في نفـوذ الحضرة الإدريسية وإبرام معاهدة عرفت بمعاهدة صبيا تضمنت الشروط أو بالأصح القيود الآتية:

١ـ أن تدفع له الخزينة الإدريسية مقررات له وللأسرة العائضية خمسة آلاف ريال في الشهر.
٢ـ أن يقوم بإدارة عسير بالنيابة عن الإدريسي.
٣ـ أن يكون للإدريسي لدى ابن عائض مندوب سام.
٤ـ أن تسلم مخلفـات الأتراك من السلاح والعتاد للإدريسي أو تكون تحت نظره وبعـد التـوقيع على تلك المعاهدة عاد إلى أبها يرافقه المندوب السامي الإدريسي إبراهيم الشوكاني العداوي.

فإذا بـ (محمد بن عبدالرحمن) قد عاد من مكة يحمل اتفاقية مع الملك حسين عرفت بمعاهدة مكة، على نفس طريقة المعاهدة الإدريسية ـ تقريبا ـ مع كمية من الذهب الأصفر[١].

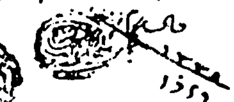
ولم يتمالك حسن بن عائض أمام تأثير قريبه وفعل أثر الذهب والمواعيد الهاشمية المغرية أن أعلن نقض معاهدة صبيا، بطرد المندوب السامي الإدريسي.

وبعد أخذ ورد بينه وبين الإدريسي لم تسفر عن نتيجة جهز الإدريسي جيشا لإخضاعهم فأرتد مهزوما إلى قاعدته في بلدة الشعبين من رجال ألمع.

عرف الإدريسي بعـد هزيمة جيشه ما كان لدور الحسين وذهبه في مساعدة آل عائض على هزيمته واحتوائه لمرتفعات عسير وآل عائض ورأى بثاقب نظره أن ليس هناك وسيلة إلا صديقه سلطان نجد عبدالعزيز بن سعود فكتب له بالواقع موضحا له ما كان من آل عائض ودور الحسين ـ خصم الطرفين ـ في احتوائه آل عائض ومساعدتهم.

---

(١) المخلاف السليماني ص٧٤٠ ـ الطبعة الثالثة.



بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز [illegible] سعود [illegible] الى السيد مصطفى [illegible] النعمي سلمه الله [illegible] وهداه آمين السلام عليكم

ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك لا يخفى علومكم ان قطعة عسير في سابق الأيام قبل تغلب الدول وكذلك غالب اليمن في ملك

آل سعود وسيرتهم فيه معلومة من اقامة الدين [illegible]

[illegible] على دين الله ودين رسوله والسمع والطاعة [illegible] ما ترى

[illegible] من ضعفاء العقول [illegible] يزعمون ان ملك آل سعود [illegible] اليمن [illegible]

حيث انه ما [illegible] سيرتهم المرضية في سابق الامر وغاية القصد [illegible] اقامة الدين واجتماع الكلمة فبهذا السبب

صار لهم بعض الالتفات اليكم [illegible]

[illegible] فهو باق على حاله في ولاية ابن سعود [illegible]

[illegible] لهم كلام ومن صار [illegible]

رسالة من الأمير عبدالعزيز بن مساعد مؤرخة في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ.

(راجع الفصل الخاص بعنوان ابن سعود والإدريسي)

وبوصول الرسالة للرياض واتخاذ اللازم نشط أنصار السعوديين في عسير وشعر آل عائض بما يهز مكانتهم فشمروا للبطش والتنكيل بهم ففر من فر إلى الرياض فقام آل عائض بإحراق منازلهم فكتب ابن سعود لآل عائض يذكرهم بالعلاقات التاريخية ويتشفع للفارين بالعفو والعودة إلى وطنهم، فرأى آل عائض أن ذلك تدخلا في شؤونهم، والحقيقة أن تصرفاتهم تلك كانت كما دبرها الحسين أو أوعز بها لهم.

عند ذلك لم ير ابن سعود فائدة، فتقدم الجيش السعودي فاستقبله الأنصار الظاهرون والمخفيون استقبال المنقذ ودخل بلدة الخميس ومنها تجهز لخوض معركة (حجلة) التي انتهت بهزيمة آل عائض وضم بلاد عسير إلى الرياض فالتحمت الحدود الجغرافية بين الإمارة الإدريسية ونجد، واتصل القائد السعودي عبدالعزيز بن مساعد[1]، وتم التنسيق السياسي والعسكري والإداري بين الإدريسي وقائد الجيش السعودي ابن مساعد وتقدم الجيش الإدريسي للقضاء على صاحب محائل سليمان الخالد[2] الذي غدر بحامية الإدريسي، ثم انسحب منها ليحتلها الجيش السعودي.

ونزل من أبها وفد سعودي إلى صبيا برئاسة عبدالله بن راشد بعد أن أصبحت الحدود متلاحمة والصداقة متأكدة، وصل إلى صبيا لتحديد الحدود وتعريف القبائل التابعة لكل من الطرفين كما أشارت الاتفاقية على تخلي عبدالعزيز ابن سعود لمحمد بن علي الإدريسي عن قبائل ومدن إمارة الإدريسي في المخلاف السليماني وتهامة اليمن التي كانت خاضعة في الماضي لآل سعود - مما يفهم منه أن ذلك اعتراف ضمني من الإدريسي بالحق التاريخي لابن سعود - وانتهت مهمة الوفد بالمعاهدة المؤرخة في ١٢/١٦ سنة ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م وأن يكون الإدريسي وابن سعود يداً

---

(١) أنظر رسالة ابن مساعد قبله.

(٢) المخلاف السليماني ص٧٥٨ الطبعة الثالثة ج٢

واحدة على العدو واتفق الحال بين الإمامين المذكورين على التعاون والتعاضد[1].

(فصار للإمام عبدالعزيز من القبائل جميع يام وودعان ومن تبعهم من بني جمـاعة وشهران وبني شهر وغامد وعسير وجميع قضى[2] محائل منهم بنو ثوعة وأهل بارق وترقش وأهل الريش وغيرهم ممن تبعهم وجميع قبائل حلي المذكورين في ولاية الإمام عبدالعزيز).

(وصار للإمام محمد الإدريسي تهامة وغير ذلك مما هو تحت يده وله رجال ألمع من عسير خاصة، ولا يعارض كل منهما من تحت يد الآخر).

(وما ذكر لعبدالعزيز من القبائل في السراة وتهامة ويام وغيرهم فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل).. إلخ.

لقـد ضمنت تلك المعـاهدة تأمين حدود الإدريسي الشمالية ووجود الصديق الذي يعتمد عليه ويجد فيه العضد القوى ضد خصمين هما الإمام يحيى في الجنوب والملك الحسين بن علي في الشمال.

ومن هذه الاتفاقية يفهم للقاريء الكريم أن يام - نجران - كانت في ذلك التاريخ بموجب المعاهدة من ضمن القبائل التابعة لابن سعود.

وتلت هذه الاتفاقية اتفاقية بين الإدريسي وابن سعود بتاريخ ١٠/٢ عام ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م التي ورد فيهـا ما تضمنته تلك المعاهدة في المادة الأولى من معاهدة مكة مؤخرا بين الحسن الإدريسي وابن سعود والتي تنص المـادة الأولى على: (يعترف الإمام السيد حسن بن علي الإدريسي بأن الحـدود القـديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للإدارة الإدريسية في هذا التاريخ

(١) المخلاف السليماني ص٧٥٧ الطبعة الثالثة ج٢.
(٢) مصطلح التقسيم الإداري للبلدان.

تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية)[1].

وإذا رجعنا إلى كتاب «ملوك العرب» للريحاني نجده يورد ما نصه: (أما حدود الإمارة الإدريسية في ذلك التاريخ ١٣٤٠هـ ـ ١٩٣٩م ـ فهي ـ غربا البحر الأحمر وشمالا «أبو متنة» ـ شمال بلدة البرك ـ بل امتدت حدود الإمارة الإدريسية في أول أمرها إلى وادي حلي وما بعده شمالا إلى القنفذة وجهاتها، فشكى الحسين بن علي شريف مكة للإنجليز بدعوى أنها حجازية فطلب الإنجليز من صديقهم الإدريسي إعادتها للحسين ففعل، لأن الحسين قد جرب حظه مع الإدريسي غير مرة فكانت التجارب مريرة ـ وشرقا جبل «برع» للإدريسي وأول جبال، جبال بني سعد المجاورة لجبل «صعفان» للسيد الإدريسي)[2].

وصارت الأمور على أحسن ما يرام حتى قبيل وفاة محمد بن علي الإدريسي وكأن آل عائض بعد اكتساح جيش سمو الأمير فيصل لعسير كتبوا إلى الإدريسي مظهرين أسفهم لما سبق وجرى منهم نحوه ملوحين باختيارهم للانضمام تحت لوائه، فيما إذا استطاع استعطاف ابن سعود في الإبقاء له على عسير فخامر الإدريسي الطمع اعتمادا على الصداقة العتيدة بينهما فكتب لابن سعود رسالة في الموضوع فأجابه ابن سعود بالرسالة الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود. إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم حضرة الأخ السيد محمد بن علي الإدريسي.

بعد إهداء مزيد السلام ورحمة الله وبركاته.....

قد وردنا كتابكم المكرم المؤرخ غرة الحجة عام ١٣٤٠هـ فأخذناه بيد التكريم وتلوناه مسرورين بدوام صحتكم غير أنا فهمنا من فحواه ومنطوقه

(١) المخلاف السليماني ص٧٦١ ـ الطبعة الثانية.
(٢) ملوك العرب للريحاني ص٢٢٠ ج١.



سمو الأمير فيصل ولي العهد المعظم

بعض الأماني الخيالية، التي لا نؤملها من مثلكم، كنزع أيدينا عن بعض أملاكنا التي ورثناها عن آبائنا، ومؤكدة بالعقود والمواثيق المقررة بالأيمان والعهود من جنابكم، برابط الصداقة المبنية على تقوية هذه الكلمة المطهرة.

حسب ما أعتقدناه في حسن نواياكم ومحبتكم لذلك ودعواكم لقبوله كما تشهد به التحريرات الكائنة بأيدينا وأيديكم. ولم يخطر ببالنا أن يتخيل عندكم عكس ذلك فضلا عن تصوره. لا ظاهرا ولا باطنا:

اللهم إلا أنه قد كان استفزكم ما أحدثه هؤلاء الأشقياء من (عسير) ومحركوهم بقول أو فعل أو رضا. كما لا نعده لدينا إلا استحكام عقوبة عليهم، وإظهارا لما في بواطن كل منافق. كما هي عادة الحوادث في كشفها الغطاء وترجمتها عما في قلب العدو أو الصديق كما قيل:

جزى الله النوائب كل خير وإن كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها حبا ولكن عرفت بها عدوي من صديقي

ثم تعود الحال على ما كتبه الله من كونه مع جنده.. كما قال تعالى: ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون**﴾.

ولا شك أن جنده هم القائمون بأمره.. ومع هذا الاحتمال يلزمنا شرعا صرفه إلى ما هو أحسن عملا بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تحمل كلمة تخرج من أخيك على سوء وأنت تجد لها محمل خير ومحبة). رجا بذلك المصلحة العامة.

ولم نشك أن الأمر سوء تفاهم فقط. ليس لاختلاف فيه، ولكن أخي حفظك الله الواجب على حضرتكم مراعاة الحقوق، والثبات على الاتفاق والمعاهدة، وعدم التغير في الأوقات الحرجة، لأن الأحوال غير مأمونة. ودائما الأسباب تظهر على غير ما يؤمله الناس. كما جرى بالأمس على أهالي (عسير) الطائفة الخارجة عن الطاعة صاروا سببا لهلاكهم. وخرابا على محركيهم والمشوقين لهم لذلك.

فالآن أبين لحضرتكم أننا ما نأخذ الصاحب على أول زلة بل إن شاء الله مستقيمون على ما سبق بيننا وبينكم. اللهم إلا أن يكون وَضْعِيَّة على غير فكرنا. أو غرض غير غرضنا. فبينوا لنا ذلك، والخير في الواقع. فإن كان الأمر باق على موجب رأينا فكن واثقا بالله أننا لا نجعل الأمر الفائت على البال. بل أجريناه على مجرى حسن ورجونا أن الماضي معلم المستقبل. فلا توهم ما أشرنا إليه من العبارات المؤذية بالعتاب زيادة ولا نقصان كما قيل (ويبقى الود ما بقى العتاب).

ولا بد من مراجعة بينكم وبين الابن «فيصل»، ونحن عرّفناه بما فيه الكفاية هذا ما لزم تعريفه والسلام على الأولاد الكرام ومنا الأولاد يسلمون عليكم ودمتم محروسين. في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ.

(الختم)[١]

وبعد موت الإدريسي الذي لم تطل مدته بعد تلك الفترة ظل ابن سعود يقوم بالرعاية وحق الوصاية للأسرة الإدريسية والإشراف عن كثب على أمورها بدون أن يتدخل في أمرها حتى بعد أن اعتراها الضعف في عهد الأمير علي ثم في أوائل عهد عمه الحسن، وإلحاق الإمام يحيى نصف تلك الإمارة الجنوبي لإمامته وهي من الحدود الموضحة قبله من جبل برع وبلاد بني سعد شرقا والحديدة جنوبا إلى مدينة ميدي شمالا.

ولم يطمع ابن سعود في ضم النصف الشمالي من تلك الإمارة الذي يمتد من شمال ميدي مباشرة إلى رجال ألمع شمالا مع الجبال التابعة لتلك الإمارة كجبال شدا ومنبه والعر وما سامتها شمالا وشرقا.

وعندما أزاح الحسن الإدريسي ابن أخيه الأمير علي الإدريسي وخشى أن يلحق الإمام يحيى النصف الشمالي بالنصف الجنوبي الذي قد سبق استيلاؤه عليه، طلب الحسن الحماية من ابن سعود للمتبقي من إمارته فتم ذلك بموجب معاهدة مكة.

(١) المخلاف السليماني ص٧٥٩، ص٧٦٠ ج٢ ـ الطبعة الثانية.

الحالة الاجتماعية

كانت الحالة الاجتماعية متردية جدا في شبه الجزيرة أمنيا واقتصاديا:

١- ففي نجد: استطاع عبدالعزيز في إمارته الفتية أن ينشىء الهجر ويستقطب البدو الرحل لسكناها بحيث يتعودون على الاستقرار الذي لم يألفوه قط وينشىء لهم المزارع الصغيرة حول تلك الهجر بعد حفر الآبار ويبعث إلى كل هجرة مطوع (مرشد وموجه) ويبني لهم مسجدا للصلاة والتعليم الديني فكانت بداية خَيِّرَة لقوم منذ ما قبل العصر الأول ألفوا الترحال وتتبع مساقط الغيث والغزو على بعضهم والانفلات من كل انضباط فكان في تلك الخطوة الخيرة والفكرة النيرة:

١ ـ الاستقرار بعد الترحال.

٢ ـ تعليم مباديء الدين القويم على مستوى الهجرة.

٣ ـ الإيمان بعد الشرك والمعرفة بعد الجهل والقيام بالعبادة بعد التعطيل.

٤ ـ الانضباط بعد التفلت.

٥ ـ العمل بدل البطالة.

٦ ـ تكوين مجتمع إسلامي موحد يضحي بالنفس والنفيس في سبيل معتقداته.

فالهجرة في نفس الوقت سكن ومزرعة ومدرسة تكوّن نواة للمجتمع الإسلامي الصالح.

وكانت الحالة الاقتصادية متردية جدا ـ كما أسلفنا ـ فالتجارة محدودة في البلدان والتعليم فيها كتاتيب فلا مدارس كما نعرف في الوقت الحاضر، ولا توجد مواصلات سريعة ولا حركة عمران ـ وكان هَمُّ ذلك الشاب العبقري هو السير بتلك الإمارة الصغيرة والفقيرة في خطوات جادة نحو تكوين ـ بعد مشيئة الله ـ هذه المملكة حتى حقق الله الآمال.

وكان من أحسن ما تتمتع به تلك الإمارة مع كل تلك الأحوال هو الأمن الذي يشمل أرجاؤها وترابط أبنائها والعدل بين الناس بتطبيق الشرع في حزم وصرامة.

٢ـ الحجاز من أكرم بلاد الله على خلقه بوجود الحرمين الشريفين في أرجائه والدولة العثمانية لا هم لها إلا أن تكون الخطبة للخليفة على منبري الحرمين وإيجاد حاميات هزيلة في أمهات المدن التي يوجد بها حركة اقتصادية لا بأس بها بالنسبة إلى ذلك العصر وتعليم في مدارس الفلاح التي انشأها المحسن «زينل رضا» فأهلت جيلا للوظائف الكتابية والحسابية ونواة لنهضة أدبية كان لها ثمرتها فيما بعد وفي أول العهد السعودي.

أما البادية فالجهل المطبق والفقر المقفر والانفلات من كل انضباط ولا مرتزق لأكثريتهم إلا الرعي أو الاشتغال بتأجير جمالهم في موسم الحج الذي يعود عليهم وعلى المدن خاصة وعلى بعض المشتغلين من البدو بالمردود اليسير.

أما الأمن فلا يعدو أسوار المدن لا في العهد التركي ولا في عهد الحسين وإن كان أفضل من العهد الذي قبله نسبيا.

فالمواصلات على الحمير والجمال لأهل الحاضرة، أما البادية فالمواصلات على الأقدام مع حمل السلاح وتبادل الغزو والفتن التي لا يخمد أوارها إلا فيما قرب من المدينة، فلا طرق معبدة ولا سيارات إلا سيارة خاصة أو سيارتين للحسين نفسه وغالبا ما يصل من جدة إلى مكة على بغلته الفارهة مع حرسه الخاص مشاة وركبانا.

أما الصحة فالمعروف أن كل ما يوجد هو مستشفى بسيط في باب شريف وما لا يقل عن مستواه في مكة.

هذه ملامح، وفي الرجوع إلى تاريخ مكة للسباعي وتاريخ جدة لـ (عبدالقدوس الأنصاري) ما يفي بالمقصود.

٣- عسير: لم يكن للدولة العثمانية وجود لا في أبها ولا في ضواحيها فالطرق مخوفة والجهل سائد والأعمال معدومة ما عدا الزراعة التي لا تكاد أن تسد الحاجة الملحة المحلية.

وهناك شبه مستشفى في أبها مختص بالحامية التركية إلا فيما ندر مع غيرهم.

والفتن والحروب بين القبائل موجودة والتجارة منحصرة في أشخاص معدودين يتبادلون السلع والحاجيات الضرورية ويجلبونها من صبيا أو من عدن عن طريق القنفذة أو القحمة.

أما التعليم فينحصر في مدرسة آل الحفظي أو بعض بيوت العلم القليلة ولا وجود للمدارس إلا مدرسة أنشئت في عهد سليمان شفيق أو قبله بقليل ابتدائية لتعليم اللغة التركية وبعض مبادئها الميَّسرة.

ومع كل ذلك فالعسيريون محتفظون بشخصيتهم، وقبائلهم محافظون على عروبتهم وأصالتهم.

٤- المخلاف السليماني: قام الإدريسي بثورته والبلاد في حالة سيئة والفتن قائمة بين القبائل:

أ - بين أهل صبيا والجعافرة.
ب - بين المسارحة وبني شبيل.
ج - بين أهل أبو عريش والمسارحة.
د - بين أهل أبو عريش وضمد.
هـ - بين أهل الحسيني وعبس.
و - بين أهل بيش والسادة وبين أهل بيش والحقو.
ز - بين الحرث وسفيان وبين الحرث والمسارحة.
ح - بين الحرث وأهل الدغارير.
ط - بين أهل الشقيق والمنجحة.

وقطع الطرقات والتعرض للسابلة حاصل في كل جهة وكل قبيلة تكون

كيانا مستقلا تنطوي على نفسها، وجمال الماء لأهل مدينة جازان تتعرض في بعض الأحيـان للنهب من القبـائل، والمواصلات للقلة على الجمال والحمير، والباقون كالشباب النشيط على الأقدام.

أمـا الزراعـة فكـان لا بأس بها تكفي الاستهلاك المحلي والتجارة محصورة في أشخاص معدودين يجلبون السلع من عدن ويصدرون إليها جلود الأنعام.

والتعليم محصور في بيوت العلم المشهورة يقومون بتعليم علوم الدين والنحو والصرف والقواعد ونحو ذلك للقلة من أبناء البلاد النجباء.

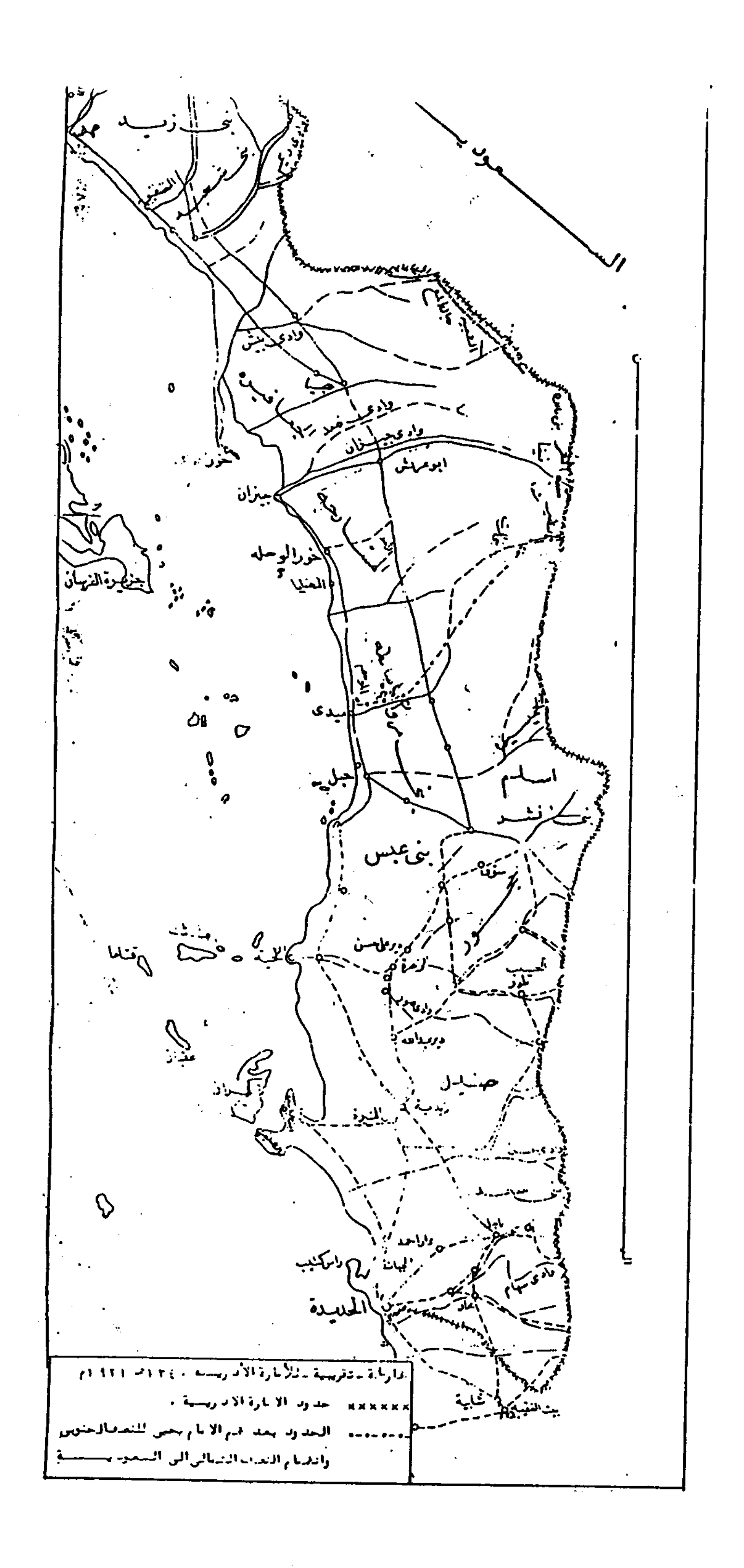
فاستطاع الإدريسي أن يقوم بثورته، فنشط العلم في المنطقة نوعا ما ونشطت التجارة البدائية وأمنت الطرق، وطبق حكم الشرع بقتل القاتل وقطع يد السارق، وأصبح من أبناء المنطقة - بعد أن كانوا لا شغل لهم إلا في الفـلاحـة - جنود يقاتلون الأتراك في الشمال والجنوب يؤدون الخدمة العسكرية في سبيل تحرر وطنهم، ووزراء يديرون أمور الإمارة، وقـادة أثبتوا كفاءتهم في غير ميدان، وعمال في تهامة وعسير وقضاة شرعيون وغير ذلك، إلا أن تلك الإشراقة كانت محصورة بحياة الإدريسي المـؤسس، الذي بعـد موتـه في سنـة ١٣٤١هـ أخـذت في التلاشي التدريجي، وفي الرجوع إلى كتابنا المخلاف السليماني ما يوضح الحال ويشبع فهم الراغب في الاطلاع.

٥- وفي اليمن الشقيق لم تكن الحـال في القسم الجبلي وجهة المخا وموزع وزبيد وتلك النواحي التي لم يشملها الأمر الإدريسي هي نفس الحالة - على وجه التقريب - التي في بقية مناطق الجزيرة، وإن كان للتعليم الديني على مذهب الإمـام زيد بيوت علم وهجر يدرس فيها الطالبون للهداية ما هو معروف في التاريخ.

وفي الرجوع إلى تواريخ اليمن الشقيق كل ما يتطلبه المطلع عن تلك الفترة، وكل ما قصدنا من هذه الدراسة الموجزة إعطاء ملامح بسيطة ورسوم باهتة.

فأين الحالة الماضية في تلك الفترة من الحالة الحاضرة والأوضاع الموجودة حاليا في المملكة العربية السعودية التي وحدها المغفور له الملك عبدالعزيز وما هي عليه من النهضة العلمية والصناعية والاقتصادية والعمران الزاخر والمواصلات السريعة والطرق المسفلتة والمطارات الحديثة والمستشفيات الكبيرة على أحدث طراز في أمهات المدن الكبرى في الشمال والجنوب، والمستوصفات في القرى والبادية والمدارس المنتشرة في كل مدينة وبلدة وقرية في السهول والجبال والعمران الزاخر والنهضة العلمية والحركة الاقتصادية التي تتعامل مع الشرق والغرب، والموانيء الكبيرة التي تستقبل أكبر البواخر، وحركة الطيران التي لا تهدأ قادمة ورائحة ليلا ونهارا، وسهولة الاتصالات لا بالداخل فقط بل بالقارات الخمس هاتفيا سلكيا ولاسلكيا ، والأمن والرخاء الشامل والشيء الملموس المشاهد لا يحتاج إلى برهان ولا دليل. والله على ما أقول شهيد.





جيزان
ابو عريش
خور الوحله
جزيرة الفرسان
ميدى
بني عبس
اسلم
الحديدة
حدود الامارة الادريسية .
الحدود بعد ضم الامام يحيى للنصف الجنوبي
وانضمام النصف الشمالي الى السعودية

مدينة الحديدة

الحديدة: هي المدينة اليمنية الساحلية، بل أهم مدنها وأكبرها على الإطلاق.

وإذا رجعنـا إلى تاج العـروس في شرح القاموس نجده يقيد اسم (الحديدة) ـ بضم الحاء وفتح الدال ـ مصغرا مخففا، وقد أكده المؤرخ الوشلي في كتابه «ذيل نشر الثناء الحسن» ـ مخطوط ـ بقوله (الحديدة) بضم الحاء المصغرة، وقاعدة التصغير معروفة من تصغير شجرة على شجيرة، وتمرة على تميرة، فيما يليه تاء التأنيث أو الألف المقصورة كـ «حُبلى» ـ حبيلة، حمـراء حميرة، وعلى ذلك فاسم الحديدة هو مصغر مخفف كما ضبطه شارح القاموس وأكده الوشلي [(١)].

جاء في كتاب «ملوك العرب» للريحاني عن الحديدة واحتلالها من قبل «الإنجليز» ـ لأن الريحاني زارها في السنة الثانية أو الثالثة من تسليمها للإدريسي من الإنجليز ـ إذن فكل شيء كان طريًّا ـ فقال ما نلخصه: (الحديدة كانت من أجمل البلاد العربية وأكبرها تجارة، ترى نفسها بين عوامـل.. سيـاسيـة ودينيـة تتجاذبها بين الإنجليز والإدريسي والإمام، والحسد فيما بينهم يفوق الحب والإخلاص، فلا تركن إلى أحد منهم وهي تخشى إذا ما أظهرت ميلها أن تفقد الثلاثة.

الشوافع لا يميلون إلى الإمام، ولكن لا يرون في حكم الإدريسي ما يعيد للبلد شيئا من بهائها، والإنجليز لا يتدخلون في غير ما فيه حفظ

---

(١) كتاب مخطوط موسوم باسم «ذيل نشر الثناء الحسن بمعرفة أهل الفضل والكمال في اليمن» لإسماعيل الوشلي في مكتبتي الخاصة نسخة منه في أربعة مجلدات بخط المؤلف، وهي ضمن مكتبتي الخاصة التي أهديتها لجامعة الملك سعود في الرياض.

الأمن والنظام، وهناك فئة من التجار يبغون إمام الزيود ، ولا شك أن وجع الرأس في دار الاعتماد بعدن أشد منه في الحديدة وفي جيزان.

وبين جيزان وعدن وصنعاء قلب مدينة يحترق، وبعد أن غيرت الحكومة الإنجليزية في سنة واحدة ثلاثة قناصل في الحديدة، غير التجار والأهالي رأيهم في الإنجليز، ولما سُئلُوا: من تريدون أن يحكمكم؟ أجابوا بصوت واحد: الترك، فقال القنصل: هذا مستحيل، فقال الأهالي: إذن نبغى الحكومة المصرية العربية.

ثم جاء قنصل آخر، أحد أعوان المعتمد في عدن يمثل آخر فصل في الرواية، فاستدعى تجار المدينة وأعيانها، وكرر عليهم السؤال السابق، فأعادوا عليه الجواب السابق فأفهمهم بألا رجوع للترك وكذلك انضمامهم إلى مصر.

(وقبل انتهاء المسرحية دخل المدينة معتمد الإدريسي واحتل المدينة، وحول المدينة قبيلة الزرانيق وهم لا يطيقون الإمام يحيى ولا الإدريسي، هم مستقلون من كل حكم من أيام الترك، عصاة عتاة يأخذون المشاهرات.. ويقطعون الطرق)[1].

هذا الذي أوردناه عن الريحاني هو ملخص الحالة في الحديدة التي سلمها الإنجليز للإدريسي، فهي من ضمن البلاد التي جلا عنها الترك أو تركة الرجل المريض التي توزعت بين الورثة.. وورثة الدولة العثمانية في البلاد العربية هم زعماؤها البارزون الأقوياء حينئذ:

١ ـ السلطان عبدالعزيز آل سعود.
٢ ـ الملك حسين بن علي ملك الحجاز.
٣ ـ الإمام يحيى حميد الدين.
٤ ـ الإمام محمد بن علي الإدريسي.

---

(١) ملوك العرب للريحاني ص٢٦٠ ج١ .

والإمام الإدريسي هو الشخصية التي أضحت مدينة الحديدة ضمن البلاد التهامية التي استولى عليها من الأتراك:

ولم تفترق عنه الأسنة رحمة ولم يترك الشام الأعادي له حبا

المعروف في ذلك التاريخ أن (باجل) تابعة للإدريسي ومقر قائد جيوش الإمارة الإدريسية في المنطقة الجنوبية، وفي نفس الوقت القائد هو حاكم المنطقة الجنوبية من وادي مور إلى جبال عبال[1].

ومدينة (باجل) نفسها قاعدة قبائل القحرى وبها مقر شيخهم العام، وقبيلة القحراء نفسها تابعة للإدريسي في ذلك التاريخ. والعداء بين الإمام يحيى والإدريسي على أشد ما يكون حرارة إلى قرب درجة الغليان.

(١) أنظر ص٣١ قبله.

المعركة السياسية

في تلك الفترة الساخنة كان كل من الإنجليز والإمامين يحيى والإدريسي يعمل جاهداً لمصلحة نفسه:

١- الإنجليز يرغب في توطيد قدمه في تهامة اليمن ويلحقها بمستعمرة عدن، فإن لم يتسهل هذا فتسلم الحديدة لمن يجزل الفائدة آنيا ومستقبلا.
٢- الإدريسي قد طوقت جيوشه مدينة الحديدة وأكثر القبائل التهامية تميل إليه لقربه إلى نفوسهم كشافعي المذهب مثلهم.
٣- الإمام يحيى يغزل غزله ويتفاوض ويضغط على الإنجليز سياسيا وعسكريا في نواحي المحميات التابعة لعدن ويتصل ببعض المشايخ من القحرى في تهامة وغيرهم وهم عنه صادون.

لقد كان الإدريسي على اطلاع وعلم بالمفاوضات بين الإمام يحيى والإنجليز، وكان التنسيق الحربي مع الإدريسي جاريا بصفته حليفهم ضد الأتراك، وكان هجومه على الأتراك في تهامة يعاضده الأسطول البريطاني كما جرى في ضرب الأسطول لمدينة (اللحية) بحيث أصبحت الحامية التركية هدفا سهلا بين رصاص الجيش الإدريسي، وقنابل الأسطول البريطاني، وبعكس الإمام يحيى الذي كان في جانب الأتراك في القسم الأعلى بعيدا عن تهامة بحكم مواصلة ذلك العهد.

لقد أعلنت الهدنة واهتمت بريطانيا باسم الحلفاء في إخراج الأتراك من بعض أقسام تهامة التي كانت لا تزال في حكمهم وكذلك في اليمن الأسفل[١] والمحميات، ولحج، فاستسلم من كان من الأتراك في تهامة

---

(١) تعز وجهاتها.

للإدريسي، ومن كان في جهة لحج والمحميات للإنجليز مباشرة ماعدا الحامية التركية في مدينة الحديدة، كما استسلمت الحاميات التي في المرتفعات العليا وفي زبيد والمخا للإمام يحيى.

وتخاطب قائد الأسطول البريطاني الراسي في ميناء الحديدة مع متصرفها العثماني في التسليم فمنع، فاتصل بقيادته بميناء عدن فصدر أمر القيادة بضرب الحديدة وإنزال الجنود لاحتلالها وتم الأمر فعلا.



حضرة الإمام يحيى

تصوير أمين الريحاني من كتاب ملوك العرب للريحاني

الإنجليز والإمام يحيى

لقد كان الإمام يحيى يضغط على الإنجليز من نواحي المحميات أملا في أن يسلم الإنجليز له مدينة الحديدة، ولكن الإنجليز ـ تحت الظروف التي أشرنا إليها قبلا ـ لا يرغبون أن يقاتلوا الإدريسي التي أصبحت الحديدة ضمنا داخل المنطقة التي قد احتلتها جنوده، وكما هي السياسة الإنجليزية، أخذ الإنجليز يســوف ويســاوم الإمام يحيى، ورأى المعاون الأول الكلونيل جاكوب أن يقترح على حكومة الهند البريطانية أن تبعث بعثة سياسية إلى الإمام يحيى فوافقت، فمهد السبيل مع الإمام يحيى فوافق، وسارت البعثة من الحديدة في طريقها إلى صنعاء ولم تعلم ماذا قد خبأه القدر بما دبره الإدريسي لاصطيادها ـ مما سنوضحه بعد هذا ـ.

البعثة السياسية الإنجليزية

توجه الكلونيل جاكوب على رأس البعثة إلى الحديدة، ومنها أخذ طريقه إلى صنعاء، وكان قبلها قد أوعز الإدريسي إلى قبائل القحرى[1] التي هي تحت طاعته بمهاجمة الحديدة، فتمكنت من الدخول وترويع الإنجلين، ونهب بعض الممتلكات، في غارة قبلية سريعة، وانسحبت، مما استوجب على الإنجليز تطويق المدينة بأسلاك شائكة، ويقال: إن.. الإنجليز احتج على الإدريسي فاعتذر بأن هؤلاء من بعض جهلة قبيلة القحرى وأنهم تسللوا بدون علم قائده وإنه أمر بتأديبهم بما يكفل عدم عودتهم لمثل ذلك.

لقد كانت الحديدة كالجزيرة في البحر، قد طوقتها الجيوش الإدريسية من الشمال والشرق، فالقائد الإدريسي محمد طاهر قد احتل مدينة باجل

---

(١) القحرى: هكذا سجلها المؤرخ الوشلي في كتابه «نشر الثناء الحسن».

على بعد ثلاثين ميلا والتي هي شرق الحديدة. كما احتل ما هو شرقها وجنوبها الشرقي من الجبال إلى جبال ريمة، وجنوب الحديدة حتى بلاد الزرانيق القبيلة العاتية، التي لم تخضع للإدريسي ولا للإمام في القسم الجبلي بعيدا عن تهامة، والجبال التي قد استولى عليها الإدريسي تفصل الإمام يحيى عن الزرانيق.

ومع ذلك استطاع القائد الإدريسي بدهائه احتواء قبيلة الزرانيق أدبيا وأخذ من بعضهم رهائن[1]، وإن كانت القبيلة برمتها غير داخلة في طاعته، في تلك الأثناء، احتج الإمام يحيى الذي قد نزل من معقله العتيد في «شهارة» إلى صنعاء، وسلمه الوالي العثماني محمود نديم زمام الأحكام في القسم الجبلي، فأخذ الإمام في الاحتجاج على الإنجليز في احتلالهم الحديدة، في حال أنه يعلم أن الحديدة هي في داخل أملاك الإدريسي، الذي طوقها داخل حدوده الشرقية بنحو ستين كيلا، فأجاب الإنجليز على احتجاج الإمام يحيى بقولهم: إننا دخلنا الحديدة لنحفظ فيها الأمن والنظام، ويعدونه بمواعيد عرقوب[2]، فكيف يمكن تسليمها لو فرضنا ذلك عبثا، وهي ضمن ما قد استولى عليه الإدريسي من الأتراك، فهل يشق إليها الإمام يحيى طريقه عبر ستين كيلا غاصة بالجنود الإدريسية أو من جهة المخا التي استولى عليها من الأتراك وبينه وبين الحديدة قبيلة الزرانيق الشافعية وغيرها من القبائل الموالية للإدريسي، فستقاومه تلك القبيلة وغيرها.

---

(١) ملوك العرب للريحاني ص٢٥٤ .

(٢) ملوك العرب للريحاني ص١٩٢ .



من محفوظات المكتبة العقيلية

المؤامرة الإدريسية الناجحة

أشرنا قبله إلى سفر البعثة الإنجليزية من الحديدة إلى صنعاء، وعين الإدريسي اليقظة تراقب الحالة في سرية وحزم، وما هي إلا أن توغلت البعثة في مواطن قبيلة القحرى حتى صدرت الإشارة المتفق عليها من عامل الإدريسي محمد طاهر رضوان لأبالسة تلك القبيلة بالقبض على البعثة وأسرها، وإلا فكيف يمكن لقبيلة ضمن بلاد الإدريسي أن تقوم بمثل ذلك العمل.

وهنا أراد الإمام يحيى أن يقوم ببعض ما يثبت وجوده في إنقاذها فلم يستطع، واستمرت البعثة في الأسر أربعة شهور وبالرغم عما بذله الإمام يحيى من جهود سياسية وإغراءات ورشاو مالية، فلم تثمر كل جهوده ولا سياسته لأن السياسة المرسومة للإدريسي هى منع تلك البعثة من الوصول إلى صنعاء لأمرين:

أولا: رغبته في عدم عقد تلك البعثة اتفاقا مع الإمام يحيى.

ثانيا: ليري للإنجليز أن الإمام يحيى لا يستطيع أن يفك ما عقدته السياسة الإدريسية.

وكما يقول أمين الريحاني: (لو قبلت البعثة أن ترجع إلى الحديدة في الأسبوع الثاني من الأسر لأذن لها بذلك[1]، فلما وصلت الحالة إلى ما وصلت عليه ولم تنجح الوسائل التي ركن عليها الإنجليز في إنقاذ بعثته من التهديد والوعد والوعيد، وبعث طائرات للتخويف على مكان أسر البعثة، واتصل بالإدريسي الذي عرف كيف يعمل على إنقاذ البعثة باصطناعِ ما دبره، تلك هي من الظروف التي رجحت لبريطانيا تسليم مدينة الحديدة للإدريسي).

---

(١) ملوك العرب ص١٩٦ .

كيف كان إطلاق البعثة

موضوع أسر البعثة وإطلاقها ـ كما فهمت من بعض من أدركتهم على قيد الحياة من رجال العهد الإدريسي هي خطة مدبرة رسمها الإدريسي نفسه عن طريق قائده وعامله على مدينة باجل محمد طاهر رضوان، التي تم بها أسر البعثة وإحكام القبض عليها إحكاما لا يفك عقدته إلا من عقد العقدة نفسه بما يأتي:

(أ) أن تتوقف مهمة البعثة بحيث تعود إلى مركز انطلاقها مدينة الحديدة.
(ب) أن يستنفذ الإنجليز جميع الوسائل في سبيل إنقاذها ومنها مجهودات الإمام يحيى نفسه.
(ج) أن يطلب من الإدريسي العمل على إنقاذ البعثة فيعود إليه الفضل في فك أسرها.

وفعلا بعد ما سبق طلب الإنجليز من الإدريسي رجاء العمل على سلامة البعثة وإطلاق سراحها فأوعز الإدريسي لعامله محمد طاهر بأن يوعز لمشايخ القحرى بتمثيلية صورية فريق يؤيد بقاء أسر البعثة وفريق يطالب بفتح الطريق لعودة البعثة للحديدة، بحيث يتوسط القائد الإدريسي بينهم وبين الإنجليز في الحديدة، وساطة كانت نتيجتها أن يذهب وفد من الفريقين إلى الحديدة للمفاوضة مع الوكيل البريطاني، والنتيجة معروفة، استلام الفدية وإطلاق سراح البعثة. وبذلك يكون يفهم الأسر وكأنه وقع من بعض قبائل القحرى التي أنشقت عن الطاعة في حال أن البعض الذين لا يرون ذلك وإنهم على رأي الإدريسي وتحت طاعته يرغبون في إطلاق سراح البعثة.

لقد فهمت كل ذلك ممن أدركتهم على قيد الحياة من رجال ذلك العهد الذين لهم الاطلاع الكامل على خفايا السياسة الإدريسية.

لقد كان هم الإدريسي من كل ذلك هو ما وضحناه من الإثبات للإنجليز أنه الرجل الذي يمكن الاعتماد عليه، هذا من ناحية ومن الأخرى العمل على عرقلة المفاوضة التي كانت من مهمة البعثة ومنع البعثة من الوصول إلى صنعاء، وفعلا تم ما كان يريده، وأفهم الإنجليز ضمنا بأنه الذي أنقذ بعثتهم التي لم يستطع الإمام يحيى إنقاذها، وأنه هو الرجل الذي يستحق أن تسلم له الحديدة.

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم

في ذلك العمل ما أوحى إلى الإنجليز بما للإدريسي من مكانة ونفوذ لا على قبيلة القحرى بل وعلى غيرها، ويضمن حاجتهم إليه.



الإدريسي وبريطانيا

سطع اسم الإدريسي وتجاوز محيط الجزيرة العربية إلى الغرب في:

١ـ الحـرب بين إيطاليا والأتراك سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م وتحالفه مع إيطاليا ضد الأتراك.

٢ـ عنـدمـا اشتـرك مع بريطانيا في الحرب العظمى سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م فقد حارب الأتراك بجد وجد، وكما يقول الكاتب العربي أمين الريحاني: (... كان خصم الأتراك اللدود والحليف الذي لا ينقض العهود).

الإنجليز والحصار البحري على المواني‌ء العثمانية

رأى الإنجليز في نشاط الأتراك الحربي ـ على ضآلته ـ جزءاً من نشاط حلفائها دول الائتلاف، كان الجنرال «اللنبي» قد زحف زحفه المعروف على فلسطين، فكان ضرب بريطانيا للمواني‌ء التي تحت سلطة الأتراك وتشديد الحصار جزءاً من خطة هجوم الحلفاء العام في عموم ميادين القتال.

وفي الوقت الذي اشتدت وطأة الحصار على الأتراك في تهامة اليمن كانت البضـائـع والأرزاق تنثـال وتتـدفق على المواني‌ء الإدريسية في المخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ.

مما جعل الأرزاق والسلع في غاية الشح، والبلاد العثمانية في غاية الضيق، فرأت القيادة العليا التركية وحلفاؤها أن عدن هي أفضل هدف لحملة حربية تقوض نفوذ الإنجليز وتهدد طريق مواصلاتهم إلى الهند، فـ «عدن» لا تقل أهمية في الشرق عن جبل طارق في الغرب وكانت الخطة

تهـدف إلى الاستيـلاء على عدن واحتلال جزيرة (يريم) ـ أيضا ـ في مضيق باب المنـدب، فأسنـدت قيـادة الحملة إلى سعيـد باشا القائد العثماني المعروف في اليمن، فوصلت الحملة إلى الضالع في ١٢ ربيع الأولى سنـة ١٣٣٣هـ ـ فبراير سنة ١٩١٥م وكانت تتألف الحملة من القوات التركية النظامية ومن المجندين اليمنيين من الصبيحة والحجرية والمقاطرة وغيرهم من الشوافع الذين يعتمد عليهم لأنهم سنيون مثلهم ومثل قبائل المحميات في عدن.

والشوافع في اليمن لا ينحصر وجودهم في تهامة فقط، بل إن النصف الجنوبي من اليمن الشمالي سكانه شوافع ابتداء من جبل ريمة وبرع وملحان وحفاش وما يطلق عليه اصطلاحا ـ اليمن الأسفل ـ مثل وصاب و«بعدان» واب وعتمه وتعز وجبل صبر والحجرية والمقاطرة وقدس وغيرهم، كما أن أهل اليمن الجنوبي ـ منطقة عدن ـ شوافع، والاختلافات بين الطائفتين أخذت حيزا في التاريخين السياسي والأدبي، وسوف نوردهما للحقيقة والتاريخ ـ أنظر بعده الفصل الخاص بما كان من الاختلاف بين الطائفتين.





صورة تاريخية لسعيد باشا القائد التركي في جهة عدن
ومحمود نديم والي صنعاء وبعض مرافقيهما «عن كتاب ذيل نشر الثناء الحسن»

الاختلافات المذهبية بين الشافعية والزيدية

لا ينحصر الاختلاف والتنافر بين شوافع تهامة والزيدية في المرتفعات الشمالية بل يتعداها إلى إخوتهم شافعي المرتفعات الجنوبية من اليمن نفسه، والشوافع على وجه العموم هنا وهناك يشكلون أكثرية توازي ٦٥٪.

وأخال أن هذا الاختلاف وجد منذ الربع الأخير من القرن الثالث الهجري بوجود زيدية وشافعية في صعده[١] إلى أن جعل إمام الزيدية مذهبها هو المذهب الرسمي وطبقها تشريعا وشعارا ورسوما، وقاتل في سبيل نشرها وترسيخ معتقدها، مما حدا بالسُنَّة إلى اتخاذ مواقف مضادة.

وهذا الاختلاف واقع في كل مكان لا في اليمن فقط بل معروف وحاصل في كثير من البلاد الإسلامية بين حنابلة بغداد وغيرهم - أيضا - وبين الشيعة والسنة في العراق، مع أن المذاهب الإسلامية يجمعها قوله تعالى: ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾.

ولم يكن الاختلاف في المذاهب وقفا على المسلمين بل إنه موجود بين أهل الدين الواحد من غيرهم من أهل الكتب السماوية وغيرهم من أهل الملل الأخرى الوثنية، ففي أوروبا الاختلاف بين المسيحيين البروتستانت والكاثوليك أدى إلى القتال والمذابح التي أسالت الدماء في ألمانيا وانجلترا وفرنسا، والأخيرة من أشهر مذابحها مذبحة برتلمى في ٢٤/٨/١٥٧٢م - ٩٨١هـ، وكان حصاد تلك المذبحة (٢٥,٠٠٠ نسمة)، وغير ذلك من الاختلافات المذهبية بين أبناء الدين الواحد في أنحاء العالم.

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ص٩٦ .

ولم يكن التنافر والاختلاف في اليمن يقف عند حد المجادلة والمحاورة والمناظرة بل تعداه إلى القتال والمذابح وتبادل أشعار الهجاء وتحت أيدينا نصان يؤيدان ما ذكرناه وهما:

جاء في كتاب العقيق اليماني ـ مخطوط ـ في حوادث سنة ٧٩٣هـ ما نورده باختصار: (وفيها توفى الفقيه أحمد بن زيد الشاوري، وكان فقيها عالما إماما كاملا زاهدا شديد الورع، شافعي المذهب، ومسموع الكلمة، مطاعا في قومه وأهل بلده وهي ـ منطقة ـ منيعة تعرف بمخلاف «حجة» وكان باذلاً نفسه لطلبة العلم، قائما بكفايتهم وكانت بلاده متاخمة لبلاد الزيدية، وكان صاحبها يومئذ الإمام محمد بن علي الهدوي، وكان الفقيه الشاوري يذمهم ويقبح مذهبهم، وألف مختصرا في ذلك فقصده الإمام وهجم على بيته وقتله هو وولده وجماعة من أهل بيته وأصحابه ونهب البلدة، وكان فيها أموال جليلة مودوعة عند الفقيه، وقد رثاه الشيخ إسماعيل المقري بقصيدة منها:

لقد أطفأت للإسلام نورا	يضيء العلم منه والصلاح
فتكت بأولياء الله بغيا	وعدوانا ولج بك الجماح
فتكت بأحمد فهدمت ركنا	من الإيمان وانقرض السماح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد	فما يرجى لقاتله صلاح[1]

وهكذا كانت الخصومة المذهبية تصدع الوحدة العربية وتفرق الجامعة الإسلامية بين أبناء هذه الأمة الكريمة، فعسى أن يكون في الماضي عبرة وعظة، ونحن نحمد الله تعالى في عصر نضج فيه الوعي وارتقت المدارك واتحدت الغايات وتوحدت الميول، وقد أصبح شعار أبناء هذه الأمة الكريمة الوحدة العربية والإخوة الإسلامية فوق الجميع.

وفي العهد الحاضر أصبحت اليمن في ظل حكومتها في وحدة وإخاء، لا تفرقة بين سيد ومسود، ولا شافعي وزيدي، وقد استطاعت بحكمتها ترسيخ الوحدة الحقيقية وإزالة الفوارق والطبقية.

---

(١) العقيق اليماني ـ مخطوط ـ راجع كتابنا «التصوف في تهامة» الطبعة الثانية ص٨٨ .

أما النص الثاني فهو أدبي ذو قيمة تاريخية وأدبية نورده ملخصا عما أورده الزحيف في شرح البسامة ـ مخطوط:

شكى أحد فقهاء اليمن من رعايا الدولة الرسولية في عهد الملك الأفضل الرسولي سنة ٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ إلى الناصر محمد بن علي صلاح ما يلاقيه من جفوة الأفضل الرسولي، وضَمَّنَ شكواه في قصيدة وبالطبع أن المجافاة بين الإمام في جهة صعدة والملك الأفضل ملك اليمن ـ أو بالأحرى بين المملكة أو رعايا المملكة الرسولية التي تقلد الإمام الشافعي، وبين رعايا القسم الشمالي الأعلى الإمامي الذي يقلد الإمام زيد ـ جعل من تلك الشكوى معركة (قلمية) جال في ميدانها الشعر السياسي، هذه الجولة.

وبورود تلك القصيدة إلى الإمام الناصر، أمر أحد أفراد أسرته المقربين «المطهر بن الواثق»، بالإجابة على ذلك الشاكي، بقصيدة على لسانه يعد الشاكي للتدخل لإنصافه ويتوعد الدولة الرسولية ويعرض بالملك الأفضل.

تناقل الناس القصيدة وجوابها حتى بلغت البلاط الرسولي. وكان للرسوليين غرام بالأدب وعطف وتشجيع للشعراء والأدباء، فهب أحد المقربين من الملك الأفضل، المدعو ابن الداعي بالإجابة على قصيدة المطهر بالقصيدة الآتية:

قفي قبل التفرق يا (أماما) نطارحك التحية والسلاما

فبي شوق إليك ولي (فؤاد) مذاب قد غدا بك مستهاما

أكلفه التصبر والتعزي وليس يزيده إلا غراما

عدمت الصبر عنك فلا سلو ولا وصل لها يروي الأواما

ومما أضرم الأحشاء... آتٍ حكى لي عن أخي حمق كلاما

كلاما من أجال الفكر فيه رآه عند رؤيته حراما

لمعتوه تخبَّل من (أصاب) أراد بدينه يعطى الحطاما

فلم يحظ بما قد قال شيئا ولم يسلم بما فعل (الأثاما)

* * * * *

تبصـر في أمـورك واختبـرهـا ... وسـل إن شئت، وارتفد الكراما
فأمـا من سألت، فغيـر شـيء ... «إمـام» الجـوع لم يشبع طعاما
أتـسـأل سائـلا.. أبـدا ملحا ... ولا فضـل لديـه ولا احتشـامـا
وكيف يجود من عَضّتْ (عصـاه) ... كلابُ الحيِّ أو يعـطي المـراما
لعـمـرك ما حذوت على مثـال ... وقـد أحــرزت في الدارين ذاما
وأعجب منك أن حركت شخصـا ... يريـد لنـفسـه منـا الذمـامـا
تخـر له (بعتمـة) أو (أصـاب) ... تبـلغـه أمـانـيـكـم بهـامـا
وكيف يطيق، أم من ذاك يقـوى ... يمس بكـفـه منـا خطـامـا
وفـي أقـطارهـا ملـك كريـم ... حمـاهـا أن تُنَـال وأن تُضَـامـا
على الأقصى يحـامـي بالمواضي ... ومـن قد رام عنـه لا يحـامى
وقـلت، الشـافعيين اقتـطعهـم ... وأوسعـهم ذمـامـا واحتـرامـا
أبـى الرحـمـن إلا أن ترانـا ... لأهـل (الملـة) الغـرا سنامـا
فولى من أردنـاه بخـيـر ... وفـيـنـا الله قد وهـب الإمـامـا

* * * * *

وأرضـك قلت قد شردت عنـهـا ... ودمـع العين ينسجم انسجـامـا
وأنـك ترتجـي بهم انتصـارا.. ... لقـد أيقـظـت أمـواتـاً رمـامـا
وقـال (مـطهـر) لمـا أتـاه.. ... جواب بالكـلام جـزى كلامـا
ومـا عنـا، بنصـرك صاهـلات.. ... وعن مضمـون شرحـك قد تعامى
نفخت فكـان نفخـك في (رمـاد) ... غررت به ولم تنـفـخ ضرامـا

* * * * *

ألم تر أن في (ثعبـات)[1] ملكا ... لصـرح الشـافعيـة قد أقـامـا
رسـولي له في المـلك أصـل ... أصـيـل، لا يرام ولا يسـامى
حمـى الدنـيـا وأهلك معتـديهـا ... وأمـنَّ أهـلهـا يمـنـا وشـامـا
فنـحن بملكـه في خيـر حـال ... نود له على الدنـيـا الدوامـا

---

(١) ثعبات: اسم القصر الملكي الرسولي في جبل «صبر».

رجوناه فأولانا جميلا وإحسانا وإنعاما تؤاما
وهبنا، من مواهبه مئينا فأغنينا الأرامل واليتامى
ومن مدح الملوك ينال عزا ويلقى الذل، من مدح الإماما
وما كـ(الأفضل العباس) تلقى مليكاً لا وراء ولا أماما
وكل متوج وعظيم قوم يود بأن يكون له غلاما
تراهم عند ساحته وقوفا يرومون السلامة والذماما

فقل لي للإمام (..) قولا يكون وراءه (العضب) الحساما
(عدمنا خيلنا إن لم تروها على أبواب (صعدتكم) قياما
عليها ـ الصيد[1] ـ، لابسة دلاصا تعانق في الهياج ولا ترامى
تسير أمام (ملك) شافعي يقود الخيل والجيش اللهاما
ينقط بالرماح السمر صدرا ويشكل بالمواضي البيض هاما
وكل جدوده لكم استباحوا وسوف يكون في هذا لزاما

وقد أجاب على قصيدة ابن الداعي، عن لسان حال الإمام الناصر، يحيى بن حسن العرشي:

أتت تهدي إلى (البدر) الملاما وتستدعي من البحر الخصاما
مثلمة الجوانب خط فيها جنونا كان في ظني مناما
تدل على وضاعة مبتديها وتكشف عن حماقته اللثاما
وتحمل نحونا منه خطابا يقول لسان قارئه سلاما
مناثرة الفصول كتبت فيها خبالا مثل عقلك لا نظاما
تمنى المستحيل بها ضلالا وتكذب لا حياء ولا احتشاما
وما نفع الكلام لقائليه إذا لم يتبع الفعل الكلاما
متى سار الثرى إلى الثريا متى قد سامت الخف السناما
متى أتت الرياح إلى (ثبير) فنالت منه أو هزت شماما
متى أبصرت كلبا أو حمارا أخاف بصوته البدر التماما
متى أشبهت يابن (حمار) طي بفسقك أو حماقتك الإماما

(١) كلمة غير معروفة ولا واضحة في الأصل وضعنا مكانها كلمة «الصيد» بين شرطتين تمييزا لها بأنها ليست في الأصل ـ جرى التنبيه.

وتـنهض أن تسـاميـه جنـونـا ... يجـل وحـقـه من أن يسـامـى
هو (البـدر) المنيـر بلا محـاق ... إذا ما كنـت يا غمـر الظلامـا
هو المـلك المحكم في البـرايـا ... إذا ما كنـت للأهـوا غلامـا
هو الحتف المبـاح على الأعادي ... فلن يجـد لمـا صدع التئـامـا
هو المعـطي إذا الأنـواء ضنّت ... كأن ببـطن راحـتـه الغمـامـا
فتى فاق الورى فضـلا وفخـرا ... وسـادهـم ومـا بلغ الفـطامـا
له فضـل يقـر به الأعـادي ... وود لا يرون به انـكـتـامـا
فيـابن (التـركمـان) بأي فضـل ... تحـوز الفضـل خلفـا أو أمـامـا
ويـاتـرب السـفـالة والمخـازي ... متـى أمـسـكت للعليـا زمـامـا
تفـاخـرني وبـاعـك في المعـالي ... قصـيـر ما بلغـت به مرامـا
أنـا تاج المـعـالي وهـي رأس ... ومضـربهـا إذا كانت حسـامـا
أنـا السـيف المهنـد قد علمتم ... إذا طاح الظلال إليَّ هامـا
أنـا بدر الظلام إذا تعـامى ... أنـا بحـر العـلوم إذا تطامى
أنـا للمـجـد والعليـاء فخـري ... إذا ما كان مفخـرك الحـطامـا
أنا الداعي إلى التقوى احتسابا ... برانـي الله للتـقـوى إمـامـا؟
لقـد أمـعنت في الأحـلام حتى ... إذا استيقـظت أمعنت اهتـزامـا
جهـلت حقيقتي فسعيت نحـوي ... كما جهل (الطلي) الليث الهماما
ومـا (للشمس) في العميان ذنب ... إذا ما أبصـر (الدنيـا) ظلامـا
بفيـك التـرب، كيف طمعت فينـا ... ويـأبى مجـدنـا من أن يرامـا
ونحن الضـاربـون الهـام شعثـا ... ومـوج الحـرب يلتـطم التـطامـا
وكنـا فوق هام المجـد (تـاجـا) ... وكـنـا في محـيـاه ابـتسـامـا

* * * * *

وقـلتـم نرتـجـي الزكـوات منكم ... فلا فعـلا صدقـت ولا كلامـا
عن الزكـوات نزهـنـا فكـانـت ... على حتـى مواليـنـا حرامـا
وبـالتشييـع تنبـزنـا انتقـاصـا ... ولم نعـلم بهـذا الاسـم ذامـا
فهـبـوا للقـاء ولا تحـيـدوا ... فإن لنـا بلقـيـاكـم غرامـا
سنصبحكم بهـا شعث النواصي ... معـودة فوارسـهـا الصـدامـا

فكـم من وقـعـة دارت عليـكـم   تركنـا (المحصنـات) بهـا أيـاما
فكـنـتـم بيـن أيـدينـا ظهـورا   وكـنـا نحـن خلفـكـم سـهـامـا
ويـوم (زبـيـد) خيـمنـا عليهـا   وأعقـدنـا معـاقلهـا القتـامـا
دعـوا هذا التـجـلد واستعـدوا   نراكم عن مقـاصـدنـا نيـامـا
وخـذهـا تحمـل الأعـذار منـا   إليـكـم لا التـحيـة والسـلامـا

* * * * *

الإمامة القاسمية في اليمن

... بدأت ثورة القاسم بن محمد في جبل قارة في ولاية الوالي التركي حسن باشا الذي استمرت من سنة ٩٨٩هـ ـ ١٥٨١م إلى سنة ١٠١٧هـ ـ ١٦٠٨م، وكانت تلك الثورة تبرز تارة وتختفي أخرى، وقد تولى بعد حسن باشا جعفر باشا واستمر في ولايته على اليمن حتى سنة ١٠٢٠هـ ـ ١٦١١م وخلفه إبراهيم باشا الذي توفي إثر وصوله لمدينة زبيد، وبقي جعفر باشا على ولايته في صنعاء، وتولى غيره اليمن وظلت ثورة الإمام القاسم تتأرجح حتى أرغم الأتراك على الاعتراف بإمامته في بعض الجهات الجبلية وعقد اتفاقية هدنة لمدة معروفة إلى أن أدركته الوفاة فخلفه ابنه المؤيد في ثورته، وأمضى الهدنة إلى انتهاء أمدها ثم استأنف القتال مع الأتراك حتى أرغمهم على إخلاء القسم الجبلي والتجمع في مدينة زبيد التي ضرب عليها نطاق الحصار.

وبقي حكم الأتراك ـ في تلك الفترة ـ على تهامة والمخلاف السليماني حتى اتفق الإمام محمد بن القاسم مع أهل المخلاف السليماني[1]، وبذلك قطعت طريق إمداداتهم من الحجاز، فاضطر الأتراك في تهامة إلى الاستسلام والانسحاب إلى الحجاز.

تَمَّ ذلك في العهد العثماني الذي استمر خمسمائة عام، وإذا كان قد ثار الإمام القاسم في اليمن ضد الأتراك، وظل في قتال معهم ـ كما أسلفنا قبله ـ حتى توفى ـ فخلفه ابنه المؤيد ـ وأمضى المدة الباقية في معاهدة الصلح، ثم أثارها حربا ضروسا على الأتراك، إلى أن أرغمهم على الجلاء عن البلاد فاكتفوا بمركزهم في الحجاز.

---

(١) كتاب العقيق اليماني ـ مخطوط ـ .

ومع ذلك فالأتراك من الناحية السياسية والقانونية ظلت لهم السيادة السياسية الاسمية على اليمن، كسائر البلاد العربية، وكان واليهم في الحجاز يتربص بأئمة اليمن القاسميين الدوائر، بصفة أن أولئك الأئمة ثائرون على الخلافة العثمانية وأن بلادهم جزء من امبراطوريتها، وبعد ذلك قامت الدولة السعـودية الأولى بنهضتها الإصلاحية واستولت على أغلب الجزيرة العربية من شمال سوريا إلى باب المندب فرأى العثمانيون أن ثورة الإمامة القاسمية لم تتعد اليمن وتهامة، وإنما الدولة السعودية الأولى عم سلطانهـا أغلب الجـزيرة وسلبتها لقب خادم الحرمين الذي يستقطب ولاء عموم المسلمين في أنحاء العالم فأمرت محمد علي بالقضاء على تلك النهضـة العـربيـة، وسـاعـدت على ذلك الدول الاستعمـارية وبالأخص بريطانيا، التي كانت من سياستها ألا تستولى أية دولة أجنبية أو محليـة قويـة على سواحل البحر الأحمر والخليج، فقضي على تلك النهضة، واستولى جيش محمد علي باسم الخلافة العثمانية على نجد والحجاز وعسير والمخلاف السليماني وتهامة اليمن، وفرض على الإمام المتـولي في القسم الجبلي شيئا من المال ـ الخراج ـ، وبعد معاهدة لندرة، التي قضت بإعادة التابع للمتبوع ـ أي محمد علي للدولة العثمانية ـ انسحبت قوات محمد علي من الحجاز، والمخلاف السليماني، وتهامة اليمن، وأعادت البلاد إلى الحكم العثماني، فَسُلِّم المخلاف السليماني وتهامة اليمن إلى الحسين بن علي بن حيدر نيابة عن العثمانيين في سنة ١٢٨٩هـ ـ ١٨٧٢م[1]، ثم بعـد ذلك استعـادوا سلطتهم على القسم الجبلي، في العهد التركي الثاني، وظل في حكمهم المباشر، وإن كانت تتخلله بعض الثـورات المحلية، كثورة الإمام المنصور، ثم ولده الإمام يحيى سنة ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م، وتلاها ثورة الإدريسي سنة ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م، وإنما ثورة الإمام يحيى تَمَّ استقطابها بمعاهدة «دعان» التي عقدت بينه وبين عزت باشا والتي قضت بمنحه شبه الحكم الذاتي في منطقة نفوذه المذهبي في القسم الجبلي الشمالي، بينما الإدريسي واصل

---

(١) كتاب الديباج الخسرواني ـ مخطوط.

كفاحه وثورته إلى أن أجلى الأتراك عن الجبال الشمالية وتهامة اليمن والمخلاف السليماني وقسم من عسير.

وبـذلك تغيـرت الجغرافيا السياسية للجزيرة العربية، فبعد أن كانت تشملهـا خارطة الامبـراطوريـة العثمـانيـة أصبحت حكـومات وإمارات وسلطنات ـ كما سبق قبله ـ.



أقوال المؤرخين عن البلاد التي جنوب الحجاز

البلاد العربية بله شبه الجزيرة العربية كل لا يتجزأ وسكانها عرب مسلمون، ليس فيهم أجنبي ولا دخيل، دينهم الإسلام ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولغتهم العربية لغة القرآن الكريم وتاريخهم واحد، تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام.

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم والعرب فرق ومزق تحارب كل قبيلة أختها ويقتل الأخ أخاه، فوحدهم الله بالإسلام وفتحوا تحت رايته العالم القديم في أغلب قارتي آسيا وأفريقيا وبعض أوروبا، وعاش العرب في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والخلافتين الأموية والعباسية والمملوكية وحتى الخلافة العثمانية التركية أمة واحدة، لا حدود ولا تقسيم، وإن كانت هناك إمارات محلية فهي بالطبع ضمن المحيط العربي المسلم الواحد.

حتى انتهت الحرب العظمى فضرب الاستعمار الأسفينات بين أبناء الأمة الواحدة وقسمها إلى كيانات ودول محدودة الحدود، لكل كيان حدوده وهويته وشعاره، ولم يكتف الاستعمار بذلك بل غرس بذور الدعاوى والادعاءات حتى يطول أمد الشقاق وينعدم الوفاق بين أبناء الأمة الواحدة.

وإذا كان جغرافيو العرب وعلماء البلدان وضحوا أقسام الجزيرة فليس معنى ذلك أن تلك الأجزاء المقسمة أجزاء منفصلة مستقلة عن بعضها بل لأن تسميتها للتعريف فقط كأسماء الأحياء ـ جمع حي ـ و «الحارات» في المدينة الكبيرة الواحدة التي هي مدينة لجميع سكانها، لا دويلات وكيانات متفرقة مستقلة.

ومن تلك المسميات لأجزاء الجزيرة التي أوردها الرحالة والجغرافيون الأول، ما يأتي:

ذكر ابن خرداذبه ضمن مخاليف الحجاز منطقة نجران، أما ما يلي تهامة والساحل فقد ذكر ابن الأثير: (استعمل المأمون داود بن عيسى العباسي على مكة والمدينة وأضاف إليه ولاية عك)، وقال الفاكهي: (أما حدود الحجاز مما يلي تهامة والساحل فكان آخرها بلاد عك داخلا في اليمن إلى قريب من عدن[1]).

«المخلاف السليماني»
ـ منطقة جازان ـ

والمخلاف: «الكورة» يقدم عليها الإنسان ـ كذا في المحكم ـ واسم المخلاف ـ أيضا ـ من مترادفات اسم المنطقة والمقاطعة والكورة.

وفي حديث معاذ: من تخلَّف من مخلاف إلى مخلاف فعشره وصدقته إلى مخلاف عشيرته إذا حال عليه الحول.

وقال أبو عمرو: ويقال استعمل فلان على مخاليف الطائف، وهي الأطراف والنواحي. وقال خالد بن حنبه: في كل بلد مخلاف بمكة والمدينة والبصرة والكوفة، وكنا نلتقي بني نمير ونحن في مخلاف المدينة وهم من مخلاف اليمامة.

وقال الليث يقال فلان من مخلاف كذا أو كذا، وهو عند أهل اليمن كالرستاق، والجمع «مخاليف» وقال ابن بري: المخاليف عند أهل اليمن كالأجناد عند أهل الشام والكور عند أهل العراق والرساتيق لأهل الجبال والطسابج لأهل الأهواز[2].

---

(١) ابن الأثير في حوادث عام ١٩٧هـ، الفاكهي ص٥٠، والمسالك والممالك ص١٣٢ .

(٢) تاج العروس ص٩٧، ج٦ «مادة ت».

إذاً: «المخلاف» مصطلح على مستوى شبه الجزيرة العربية مشترك «وشائع» في معناه بين من ذكروا أعلاه ولا ينحصر في اليمن فقط، وإنما غلب استعماله لدينا وفي اليمن.

المخلاف السليماني قبل القرن الرابع الهجري

كان عبارة عن مخلافين اثنين:

١ ـ مخلاف حكم.
٢ ـ مخلاف عثر.

فوحدهما سليمان بن طرف الحكمي وأطلق عليه اسم المخلاف السليماني نسبة إلى شخصه وذلك في القرن الرابع الهجري.

وبعد معركة الزرائب التي دار رحاها بين فلول النجاحيين الذين التجأوا إلى ابن طرف وبين علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥١هـ بفترة غير معروفة ـ وصل إلى المنطقة حمزة بن وهاس السليماني الحسني وأسس إمارته في المنطقة على نفس الطريقة التي كان عليها النجاحيون مع ابن طرف في الانتماء إلى العباسيين ودفع مبلغ من المال إلى خزينة زبيد النجاحية واستمر الحال يتوارث السليمانيون ، ورثة حمزة بن وهاس المنطقة إلى أن قضى على إمارتهم ابن علي بن المهدي الخارجي بعد معركة حرض المعروفة ولجأ من بقي منهم إلى الخليفة العباسي فبعثهم إلى صلاح الدين الذي كان قد جهز جيشا بقيادة أخيه توران شاه للقضاء على إمارة ابن علي مهدي وتم فعلا القضاء على تلك الإمارة والاستيلاء على جنوب الجزيرة من الحجاز إلى حضرموت وذلك سنة ٥٧١هـ[١].

وأعاد توران شاه أسرة وهاس على إمارة المخلاف فكانوا بين ضعف

(١) مخطوطة قرة العيون في أخبار اليمن الميمون.

وقوة إلى أن انتهت سلطة الأيوبيين في سنة ٦٢٥هـ.

فقامت الدولة الرسولية وهي في حقيقة الأمر امتداد لسلطة الأيوبيين في جنوب الجزيرة حتى انتهت دولتهم بعد مائتي وخمسين سنة بعد أن امتد سلطانهم من الحجاز إلى ظفار عمان وكانت أوضاع أمراء المخلاف نفس أوضاعهم مع الدولة الزيادية والنجاحية والأيوبية والرسولية فإن تلك الإمارات والدول السُّنِيَّة كأهل المخلاف تدين بالولاء للخلافة العباسية في بغداد ثم في مصر.

وبانتهاء الدولة الرسولية قامت الدولة الطاهرية السُّنِيَّة المذهب فترة حتى قضى عليها الجراكسة المصريون في سنة ٩٢٢هـ، الذين شمل سلطانهم من الحجاز إلى عدن إلى سنة ٩٤٥هـ.

فاستولت الدولة التركية على كل ما كان تحت سلطة الجراكسة من الحجاز إلى حضرموت.

واستمر حكم الأتراك خمسمائة سنة على الجزيرة العربية وإن كان تخللها فترة ليست بالقصيرة حكم الإمامة القاسمية في اليمن واقتصر أمر الأتراك على الحجاز فقط.

كما شمل في فترة أغلب بلاد شبه الجزيرة سلطان الدولة السعودية الأولى من مشارف الشام إلى سفوح المرتفعات اليمنية وإلى باب المندب حتى سقوط الدرعية ثم استيلاء محمد علي على أغلب شبه الجزيرة العربية باسم الدولة العثمانية بما فيها إمامة صنعاء التي فرض عليها كمية من البن باسم المطبخ السلطاني.

وإنما من الوجهة السياسية يعتبر دوليا وقانونيا وسياسيا أن تلك البلاد في كل تلك الفترات ضمن سلطان الخلافة العثمانية بدليل أنها عندما شعرت في نفسها القدرة استعادت تلك المناطق باعتبار أنها ـ دوليا ـ من أملاكها.

وأخيراً لا آخرا عاد الأتراك واستولوا على ما انفرط عنهم أو خرج عن

طاعتهم مثل عسير ومرتفعات الجبال اليمنية حتى قيام الحرب العظمى الأولى.

إن المخـلاف السليماني قامت في ربوعه ثلاث إمارات لها أهميتها التاريخية بالنسبة إلى تاريخ الجنوب خاصة:

١- إمارة سليمان بن طرف الحكمي الذي وحد مخلافي (حكم) و (عثر) في ظل إمارة قوية موحدة - وكان قبله لكل مخلاف كيانه أو إمارته الخاصة.

٢- إمارة حمود بن محمد والذي تمكن وهو تحت التبعيَّة السعودية من التوسع في جنوب تهامة إلى أن بلغت سلطته إلى المخا وباب المندب.

٣- الحكومة الإدريسية في عهد مؤسسها محمد بن علي الإدريسي الذي شمل حكمها جبال برع والحجيلة ومدينة الحديدة وغيرها.

أما بعد ذلك فقد أصبح المخلاف السليماني جزءا من المملكة العربية السعودية التي وحد شملها وجدد للأمة العربية وحدتها في شبه الجزيرة العربية المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

وسيأتي بعده في القسم الخاص باسم تهامة، إيضاح وتوضيح أكثر لأن اسم تهامة يمتد على الأراضي المنبسطة ما بين المرتفعات وبين البحر والتي تمتد من العقبة في الشمال إلى باب المندب، بل إلى قرب عدن.



تهامة في التاريخ

لغة: ت هـ م ـ تهامة (منطقة) معروفة، والنسبة إليها تهامي وتهامي بالفتح والكسرة، إذا فتحت التاء لم تشدد، وقال سيبويه منهم من يقول تهامي ويماني وشامي بالفتح مع التشديد للياء. واتهم الرجل[1] سار إلى تهامة.

تهامة جغرافيا

قال أبو المنذر، تهامة تساير البحر منها مكة.

وقال الشرقي بن القطامي، تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الحجلة وذات عرق[2].

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة:

(تهامة: سهل ساحلي غربي جزيرة العرب ـ محصور بين جبال السراة والبحر، ضيق جدا في الشمال ويتسع كلما اتجهنا جنوبا، وينسب كل جزء إلى المناطق المجاورة (تهامة الحجاز ـ تهامة عسير ـ تهامة اليمن) وينحدر إليه عدد من الوديان منها: السر ـ المياه ـ رابغ ـ وادي فاطمة ـ جيزان ـ زبيد ـ الغيل..)[3].

ورد في وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة علي بن محمد التهامي الشاعر التهامي المعروف: (وهذه النسبة إلى تهامة، وهي تطلق على مكة، ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم التهامي، وتطلق أيضا على جبال

---

(١) مختار الصحاح مادة تهم.

(٢) معجم البلدان لياقوت حرف التاء.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ص٥٥٢ حرف التاء.

تهامة وهي خطة متسعة بين الحجاز واليمن)[1]. انتهى.

ورد في دائرة المعارف الإسلامية:

(تهامة: هي الغور الضيق الذي يساير البحر من شبه جزيرة سيناء بمحاذاة الجانب الغربي الجنوبي وأوسع موضع فيها هو ساحل جدة ثغر مكة، وقد جرى على أن جدة في تهامة، ومن نواحي مكة في تهامة [ضنكان] - غشم - بيش - عك - ضنكان وغشم وبيش، جميعها في المخلاف السليماني، أما بلاد عك فهي جنوب بلاد المخلاف السليماني).

تهامة تاريخيا

ورد اسم تهامة في الكتب الكلاسيكية بمناسبة تجارة الطيوب والأفاوية وغشيان اليونان شواطئها على البحر الأحمر.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ما يأتي:

(... ومهما يكن من شيء فإن الجغرافيين لم يقفوا عند استعمالها - أي اسم تهامة - بمعنى ساحل البحر أو الغور أو السافلة، بل تجاوز ذلك وجعل منها وحدة جغرافية وسياسية إلى جانب اليمن - اليمامة - العروض.

والحق أن تهامة كانت في عهود مختلفة من تاريخ اليمن ولاية قائمة بذاتها، وشاهد ذلك عهد الفتح الفارسي في نهاية القرن السادس الميلادي).

---

(١) وفيات الأعيان ص٣٧٨ جـ١ ط في بيروت.

(... وذكر في الخط المسند بأن الملك شرحيل بن يحصب. ومن ألقاب هذا الملك ملك سبأ وتهامة وأعرابهما، وفي مسند آخر وما بعدها أهل تهامة وطودم)[1].

وهذا يدل أنها كيان مستقل أضيف اسمها عندما توسع مُلْكُ مَلِكِ سبأ كما أضيف إلى اللقب نفسه ملك سبأ وذي ريدان وتهامة وحضرموت براً وطودم.

وعلى كل فجزيرة العرب هي الكل والمسميات منها هي الأجزاء من كل[2].

تهامة في الإسلام

كان عمال الرسول يرسلون إلى الجهات القريبة والبعيدة لينشروا دين الله ويعلموا الناس دين الإسلام وممن بعثهم صلى الله عليه وسلم إلى تهامة واليمن معاذ بن جبل وأوصاه وصيته المعروفة.

وفي السنة التاسعة التي تسمى عام الوفود وفد إلى المدينة:

١ ـ وفد كنده.
٢ ـ وفد الشحر.
٣ ـ وفد حمير.
٤ ـ وفد همدان.
٥ ـ وفد المعافر.
٦ ـ وفد الأشاعرة (أهل زبيد ونواحيها).

كما تلاهم وفد مخلاف حكم على رأسه عبدالجد الحكمي، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عماله إلى تلك الجهات، وهم الطاهر بن هالة على جهة عك من تهامة، وخالد بن سعد بن العاص على ما بين وادي زبيد

---

(١)، (٢) دائرة المعارف الإسلامية: حرف التاء مادة تهامة ص٥١٩، ج٥، وإضافة اسم الكيانات التي يضمها الملوك إلى ممالكهم معروفة في الامبراطوريات القديمة والحديثة.

ونجران، ويعلي بن أمية على الجند، وفيروز الديلمي من الأبناء على صنعاء.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبو بكر الصديق البعوث لإعادة من ارتد، إلى الإسلام، ثم بعث عماله:

١ ـ المهاجر بن أمية لصنعاء.
٢ ـ زياد بن لبيد لحضرموت.
٣ ـ أبو موسى الأشعري لزبيد ورمع.
٤ ـ عبدالله بن ربيعة المخزومي لـ «أبين».
٥ ـ معاذ بن جبل للجند.
٦ ـ سويد بن مقرن لتهامة.
٧ ـ جرير البجلي لنجران.
٨ ـ عبدالله بن ثور لجرش.
٩ ـ يعلي بن أمية لخولان.

وهكذا كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين ثم في عهد معاوية وبعدهم في خلافة عبدالملك بن مروان ولي الحجاج بن يوسف إمارة الحجاز واليمن، ومن مركز إمارته مكة المكرمة بعث عماله، أخاه محمد بن يوسف الثقفي على صنعاء، والحكم بن أيوب على حضرموت، وواقد بن سلمة الثقفي على الجند.

ومضت الأيام في العهد الأموي إلى أن ولي يوسف بن عمر الثقفي على (تبالة) وربط به اليمن، فأرسل عماله إلى تلك الجهات، فكانت البلاد العربية وحدة لا تتجزأ، تعين الخلافة ـ سواء كانت الأموية أو العباسية ـ عمالها للجهات لا على الطريقة الإقليمية الضيقة بل على ما تقتضيه مصلحة الإسلام والأمة العربية، فمثلا في خلافة المأمون وقيام الفتن في تهامة، بعث محمد بن زياد، وأسند إليه عموم أمر جنوب الجزيرة من حلي ابن يعقوب إلى مرباط في عمان، فاتخذ من زبيد عاصمة لإمارته ومقراً لحكمه وفرق عماله على تلك الجهات، ومن رأى من رؤساء البلاد فيه

السداد والغُنية أقره على إمارة جهته، فأقر (الحرامي) صاحب بلاد «حلي ابن يعقوب» على بلاده، كما أقر صاحب المخلاف السليماني على «المخلاف السليماني» وهو من آل عبدالجد، كما أقر صاحب نجران من آل عبدالمدان على إمارته، وكذا صاحب جرش، وصاحب المعافر، وصاحب أبين، وهكذا في سائر الجهات، ومن لم يجد فيه من رؤساء الجهات الكفاية بعث عاملا لجهته، وكانت تلك البلاد تخطب للخليفة العباسي وترسل الخراج إلى زبيد وهو يرسله بدوره إلى بغداد(١)، وهذا يدلنا على أن جنوب الجزيرة بأسرها هي تابعة للخلافة العباسية لا لابن زياد.

وقد استمر الحال بعده في أبنائه وأحفاده ثم في مواليه النجاحيين حتى بعد أن انفصل عنه آل يعفر في صنعاء، وغيرهم وارتبطوا ببغداد، ولم ينقطع ذلك إلا فترة في عهد الصليحي الذي كان بدوره مرتبط بالخلافة الفاطمية بمصر ولم تمهله الخلافة العباسية، فتربص به النجاحيون حتى قتلوه، فعادت الخطبة والإنتماء للخلافة العباسية، فإذا كان «العامل» في تبالة أو في مكة أو في الجند أو في زبيد أو في صنعاء فليس معنى ذلك أن بقية البلاد تابعة لتلك العاصمة بل هي تابعة للخلافة الشرعية السنية المتمثلة بعد الخلفاء الراشدين في بني أمية أولا ثم في بني العباس ثانيا. وهي الخلافة التي يتفق عليها إجماع أهل السنة والمسلمون ما عدا الشيعة.

أما بقية اليمن فقد كان على مذهب السنة والجماعة والإمارات والدول التي تولته كلها سنية مثل:

١ ـ الزيادية.	٣ ـ اليعفرية.	٥ ـ الأيوبية.	٧ ـ الطاهرية.
٢ ـ النجاحية.	٤ ـ الحاتمية.	٦ ـ الرسولية.	

وقد سجل الرحالة المقدسي الذي طاف في القرن الثالث أرجاء الجزيرة العربية ومنها اليمن فأعطانا فكرة واضحة عن المذاهب السائدة ـ آنذاك ـ حيث قال:

(١) تاريخ عمارة ص٣٩ .

١ ـ مكة ـ تهامة ـ صنعاء ـ قرح ـ: هم سُنَّةٌ على مذهب السُنَّة والجماعة.
٢ ـ سواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة غالية.
٣ ـ بقية الحجاز وأهل الرأي بعمان وهجر وصعدة شيعة.
٤ ـ أهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة.

والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم، وبالمعافر ـ في اليمن ـ مذهب ابن المنذر وفي نواحي نجد مذهب سفيان[١].

وإلى أوائل القرن الحادي عشر وأهل منطقة حجة وحراز سنية[٢]، ومن كبار علماء السنة في حجة في القرن السادس وحتى نهاية العاشر علماء سنيون أجلاء منهم:

١ـ الفقيه أبو الحسن علي بن مسعود السباعي ـ ذكر الأهدل في كتاب تحفة الزمن أنه إمام كبير انتشر عنه العلم بحجة وغيرها وكانت حلقته تجمع نحو ثمانين فقيها.
٢ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله زيد.
٣ـ أحمد بن زيد الشاوري المتوفى سنة ٩٩٣هـ ـ ١٥٨٤م[٣].

وكان من تغلب على جنوب الجزيرة خَطَبَ لبني العباس وبعث لهم الهدايا والخراج فقد تولى بعد النجاحيين علي بن مهدي الرعيني الخارجي، واستولى على تلك الجهات جميعا، فوصل «توران شاه» وقتله واستولى على جنوب الجزيرة من الحجاز إلى عمان وكان يخطب لبني العباس وخَلَفَ الرسوليون الأيوبيين وجعلوا عاصمتهم تعز، وخطبوا للخليفة العباسي في مصر في العهد المملوكي. عندما انتقلت الخلافة إلى مصر ـ كما أشرنا قبله ـ.

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ص٩٦ .
(٢) العقيق اليماني ـ مخطوط.
(٣) العقيق اليماني ـ مخطوط.

المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري

كان المخلاف السليماني قد دخل أهله في الدعوة السلفية في القسم الشمالي أي من صبيا وشمالا إلى ـ الدرب ـ سنة ١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م في إمارة أمير المنطقة علي بن حيدر الذي هو عم حمود أبي مسمار، فاستطاع حمود أن يزيحه من الإمارة ـ بعد موافقة إمام صنعاء ـ ويحل محله، ومنذ توليه أخذ في مناهضة الدعوة السلفية فاستنجد الدعاة في صبيا، والجعافرة ودرب بني شعبة، بالدرعية، فصدر أمرها إلى عبدالوهاب أبي نقطة بالزحف على حمود، وبنزوله من السراة انضم إليه مجاهدو بني شعبة وبيش والجعافرة وصبيا، وزحف الجميع على أبي عريش، فدارت المعركة المعروفة بمعركة أبي عريش في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٢١٧هـ ـ ١٨٠٤م ـ كما أشرنا إلى ذلك قبله ـ والتي انتهت باستسلام حمود ودخوله في الطاعة السعودية، وبذلك انضم المخلاف السليماني إلى الدولة السعودية الأولى، وصدرت الأوامر إلى حمود بالزحف على تهامة اليمن، فاحتل حرض واللحية ووادي مور والزيدية والحديدة وزبيد، واستمر في تقدمه حتى بوادي المخا وما ورائها إلى قرب باب المندب، وفي القسم الجبلي وصلت قواته حجة، وجبل كوكبان، وكان يرسل الخراج والغنائم وخمس الغنائم إلى الدرعية ورجال ابن سعود في المنطقة لديه يشرفون على إدارته وماليته.

وفي سنة ١٢٢٣هـ ـ ١٨٠٨م اشتد التنافس بين حمود أمير المخلاف السليماني وتهامة ورصيفه أمير عسير عبدالوهاب بن عامر إلى أن تطورت الأمور إلى درجة الغليان والعداء المكشوف فأعلن حمود العصيان والخروج عن الطاعة فصدرت الأوامر على عبدالوهاب بإخضاع حمود، فألتقى الجمعان في وادي بيش وانجلت المعركة عن قتل عبدالوهاب غيلة وهزيمة حمود وانسحابه إلى أبي عريش واحتلال القوات السعودية التي

أقبلت محمولة بحرا ميناء جازان كما أحتلت القوات البرية التي اشتبكت في المعركة مع حمود مدينة صبيا.

وبعد غزوة غير موفقة لقلعة ضمد عادت إلى عسير، وظل الوضع كالآتي:

١- من صبيا وشمالا تحت سلطان السعوديين.
٢- من ضمد وجنوبا تحت يد سلطة حمود، تراوحه وتغاديه الغارات السعودية.
٣- القسم الجبلي من اليمن تحت سلطة إمام صنعاء المنصور علـي.

الأوضاع التي ترتبت على فتح تهامة

أمتـد سلطان السعـوديين بقيـادة حمـود على تهامة اليمن وبعض المرتفعات ومنها الاستيلاء على زبيد ثم مدينة المخا وبواديها إلى قرب باب المندب بحيث أصبحت شواطيء البحر الأحمر الشرقية من العقبة إلى باب المنـدب تحت سلطة السعـوديين، يضـاف إلى ذلك سيـطرة السعوديين على شواطيء الخليج العربي مما أجج مخاوف الأتراك مجددا وشـاركهم الإنجليز لما أدركوه بحاستهم الاستعمارية مما سيترتب على استفحـال قوة أمـر السعوديين من الخطر على مخطط أطماعهم الآنية والمستقبلية، وقد سبق طفح الكيل عند الأتراك بضم مكة المكرمة والمدينة المنـورة، ومنـع المحمـل بطبوله ومزاميره وبالأخص قطع اسم الخليفة العثماني في الخطبة ففقد بذلك الخليفة العثماني لقب خادم الحرمين، وكـان ذلك اللقب يستقـطب للخليفة ولاء المسلمين في كافة المعمورة، وبـالأخص بعد ضعف الدولة عسكريا، وكان بولاء المسلمين تحت ذلك اللقب الذي يشـدهم إليه يجد التعويض المعنوي والنفسي، فأثر على مكانة الدولة المعنوية ونفوذها الأدبي، وجاء منع المحمل ضغثا على إباله، فأشـاعـوا أنهم منعوا رعايا الدولة من الحج، في حال أنه لم يمنع إلا المحملين الشـامي والمصـري بالطقـوس المصـاحبة له بالطبل والزمر

والأعلام والزفات التي هي من البدع، أما من أراد أن يحج من الأفراد أو الجماعات سواء من الأتراك أو العرب الداخلين تحت حكمهم أو حكم غيرهم فلا اعتراض عليهم.

وهنـاك أسباب أعمق من ذلك تشارك الدولة العثمانية فيه اهتمامات الاستعمار وهو أن البحر الأحمر أصبحت شواطئه الممتدة من العقبة إلى باب المندب تحت السيطرة السعودية ـ كما سلف قبله ـ، وهناك بريطانيا التي قد أخرجت الفرنسيين من مصر خوفا على مصالحها الاستعمارية في الشرق عامة وفي البلاد العربية خاصة، وما اختطته لنفسها كسياسة ثابتة بعدم تمكين أية قوة خارجية من السيطرة على مصر والبحر الأحمر، أو تمكين أية قوة محلية بالبقاء قد تهدد طريقها الحيوي لمستعمرتها الهند درة تاج الامبـراطوريـة، ممـا جعلها تعقد اتفاقا مع سلطان لحج سنة ١٢١٧هـ ـ ١٨٠٢م منحت بموجبه تسهيلات في ميناء عدن الهام، وهذه هي الأسباب التي دفعت تركيا للاستعانة بمحمد علي باشا والي مصر الذي له علاقته المعروفة ـ آنذاك ـ مع بريطانيا التي تغذي طموحاته، فبعث ابنه طوسون بحملة إلى ينبع، وعندما لاقت حملته الفشل، بعث ابنه الآخر إبراهيم، ثم سار ـ أخيرا ـ بنفسه، وألقت الدولة التركية كل ثقلها لمسـاعـدتـه للقضاءَ على تلك النهضة العربية التي وحدت أغلب شبه الجـزيرة وأدارت وريد الزمن وأنظار العالم الغربي، ورفعت اسم العرب عاليا، كما كانوا في عصورهم الزاهية وأمجادهم الخالدة، فأصبحوا في العهـد التـركي يندمجون تحت اسم العثمانيين وبلادهم ضمن خريطة الامبراطورية التركية، وكأن بلادهم لم تكن مشرق النور للإسلام، ولا أهلها الغزاة الفاتحون لأغلب العالم القديم.

حملة شريف مكة لفك حصار أبها

تقدم الشريف حسين يقود حملة عسكرية مؤلفة من جنود نظامية تركية ومجندين عرب فوصل القنفذة ومنها إلى (قوز أبي العير) وهناك دارت

المعارك بينه وبين الجيش الإدريسي المرابط هناك والذي كاد أن يقضي على الحملة لولا وصول نجدات تركية جديدة بطريق البحر والبر وبذلك تراجع الجيش الإدريسي عن مواقعه وتفرق في تلك الجهات يتربص بالحملة التي شقت طريقها من قوز أبي العير إلى ناحية الشرق الشمالي نحو بلاد بني شهر ومنها وصل أبها.

وكما يقول سليمان شفيق في مذكراته التي قمنا بتحقيقها والتعليق عليها:

(نشبت بين الشريف حسين والثائرين خمس عشرة أو عشرون معركة حتى وصل أبها، حيث كان بقية الثائرين قد تفرقوا.

وأما الطريق الذي سار فيه فكان مقتصرا على شق طريق له ليس إلا، أي أن الثائرين كانوا يعودون ويستولون على الأماكن التي اجتازها)[1] فالحسين لم يقض على قوات الثورة الإدريسية في جبال عسير، بل أن القوات التي كانت محاصرة أبقت من أبقت على رأس حصار أبها، وتقدمت على طول طريق الحملة حتى اتصلت بالقوات الإدريسية الأخرى التي في قوز أبي العير وأخذت تقاتل على كل ثنية وعقبة ومنعطف على طول الطريق.

ثم إن الحسين نفسه لم يستطع الرجوع بالطريق الذي سلكه لأنه بيد القوات الإدريسية من بادية القنفذة إلى بنيشهر، فسلك الطريق العليا إلى بيشة ومنها إلى الطائف، أما القائد الإدريسي مصطفى النعمي[2] فإنه انسحب بعد حصار أبها واتخذ من مدينة محائل قاعدة للنشاط العسكري. وقائد حصار أبها هو مصطفى بن محمد النعمي، لا مصطفى بن عبدالمتعال بن أحمد بن إدريس، ـ كما ورد في بعض المصادر الأجنبية ـ.

---

(١) مذكرات سليمان شفيق ص٧٤ .

(٢) كتاب المخلاف السليماني ص٧٤٠ ج٢ الطبعة الثالثة.

إن الحسين قد جرب حظه مع الإدريسي، وعرف مدى قوته ودهائه، فكانت التجربة مريرة، فاكتفى برجاء حليفته بريطانيا في استخلاص القنفذة ـ كما أشرنا قبله ـ.

توضيح لمعركتي البطحاء وحجلة

إن معركة الإدريسي مع آل عائض هي سابقة لموقعة حجلة، وكانت معركة الإدريسي في البطحاء أولا ثم استؤنف القتال على قمة جبل تهلل الشمالية ـ كما أشرنا قبله ـ بأن جيش الإدريسي انسحب إلى قاعدته الشعبين، وكتب الإدريسي للرياض، للاستعانة بها على خصم الطرفين، فبعث ابن سعود جيشا بقيادة ابن مساعد، فانضم إليه أنصار ابن سعود في عسير، ودار القتال بين الجيش السعودي وآل عائض، وكان أشهرها معركة حجلة التي كانت المعركة الفاصلة، والتي انتهت بضم عسير إلى سلطنة نجد، أما قوات الإدريسي فهي لم تشترك في معركة حجلة ولا مع الجيش السعودي في أية معركة في عسير، وكل ما قامت به هو الهجوم على محائل وكان شيخها سليمان بن أمخالد أول من ثار على الإدريسي في تلك الأثناء، وانضم إلى الحسين أمير مكة، وقتل حامية الإدريسي، فهدمت القوات الإدريسية بيت الشيخ سليمان وغيره، وكتب قائد الجيش الإدريسي مصطفى النعمي لابن مساعد بأن يرسل من يستلم منهم محائل[1].

بعد هزيمة الجيش الإدريسي على قمة تهلل وتراجعه إلى قاعدته في بلدة الشعبين كتب لابن سعود معرضا بغدر آل عائض به واتفاقيتهم مع الحسين بن علي ملك الحجاز ـ آنذاك ـ خصم الطرفين ولسان حال الإدريسي يقول كما قال الشاعر:

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي   وإلا فأدركني ولما أمزق

---

(١) كتاب المخلاف السليماني ص٧٤٢، ج٢، الطبعة الثالثة.

فالإدريسي يرى وقد خرجت عسير من قبضته واستقطاب الحسين لآل عائض بطيهم تحت جناحه قد أصبحت القوة الهاشمية تحيط به من الشمال الغربي والشرق الشمالي وتحيل بينه وبين نجد بسد منيع:

وعلى ذلك فالأفضل أن يستولي ابن سعود على عسير ويصبح بذلك جاره القريب.. حتى تستقيم شوكة الميزان.

فإذا كان خصمه الأول الإمام يحيى يحادده من الجنوب الشرقي والحسين من ناحية الشمال الغربي وآل عائض من الشمال فالأفضل له أن يكون في بلاد عسير ابن سعود لا الحسين.

ابن سعود والحسين

لنسمح للقلم بالتراجع خطوات إلى الوراء قليلا ولنبدأ من عودة الحسين إلى الحجاز، وما لابس ذلك كتمهيد لما بعده، فنجد أنه عندما رست في ميناء جدة الباخرة التي تقل حضرته في الأسبوع الأول من شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م وطلع المستقبلون لاستقباله في الباخرة، كان بينهم شاعر من أهل بيشة فارتجز شعرا عاميا يسمى (الردح) هذا نصه:

أطرد الإخوان واسلم
وباعد من شرد
يا ملك مكة وسلطان العرب[1]

يقول عنه الأمير عبدالله بن الحسين في مذكراته معلقا: (ولقد تنبأ بردحته عما حصل بعده؟)[2] ومن المعروف أنه لا يعلق بخاطر المرء إلا ما.. يصادف رغبة دفينة لديه، أو ميلا خفيا عنده.

(١) أصل السطر الأخير (يا ملك مكة ويا سلطان جميع العرب) فأصلحناه وأشرنا لذلك.
(٢) مذكرات الملك عبدالله ص٣٩ ـ المصدر نفسه ص٥٤ .



جلالة الملك حسين بن علي



الملك عبدالله بن الحسين

وما وطأت قدم الشريف حسين تراب الطائف حتى صدر أمره بغزو بني الحارث - وهم عشائر بين بلاد البقوم ووادي تربة، وبين بلاد النفعة من عتيبة - بحجة قطعهم الطريق، وعدوانهم على من جاورهم، وأردف ذلك بغـزوة عشيرة مطير فصبحهم على بئر الروبلية، وأردف ذلك بعد برهة بغزوته المعروفة إلى نجد.

إنه لم يمض على عودة الحسين بن علي إلى الحجاز إلا سنة واحدة وتسعة أشهر، غزى فيها ثلاث غزوات نحو جهة نجد إلى سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م، ولم يكن هناك ما يوجب العداء بين الزعيمين يحتم ضرورة الغـزو أو القتـال، بيـد أن الكراهية القديمة الموروثة تطفح على قلب الحسين - رحمـه الله - يضاف إليها - مطامحه ومطامعه في السيادة والمجد، لا على الحجاز، وإنما على جميع البلاد العربية، وميله المؤقت لكسب ثقة الاتحاديين ليتمكن من دعم مكانته.

والاتحـاديـون قد فُلَّتْ ثقتهم، وأهتز اعتمادهم على آل الرشيد، لما اعتـورهم من حمـامات الدم والاغتيالات، وفي نفس الوقت يرغبون في استمـالة ابن سعـود، وإنمـا على طريقتهم وشروطهم، والذي يظهر أن الحسين يحب أن يحقق رغبة الاتحاديين على طريقته هو أيضا بإرغام ابن سعود على الرضوخ، وهذا ما لا يألفه ابن سعود ولا يرغب فيه.

بعد الغزوة الأولى والثانية التي كانت أشبه بمقياس الحرارة أخذ يروز ويختبر مدى رد الفعل لابن سعود، وشفعها بالغزوة الثالثة التي هي أبعد مسافة وأعمق غاية، فزحف في رجب من سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م[١] وقد مضى وقت يسير على فكه لحصار أبها في ١٩ رجب سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م[٢].

---

(١) نجد الحديث لأمين الريحاني ص١٩١ .
(٢) المخلاف السليماني ج٢ ص٦٩٩ .

ولا زالت حلاوة النصر للنجاح النسبي الذي أدركه في قيادته لتلك الحملة، يتذوقه في لذة وانتشاء، واستمر الحسين في زحفه حتى خيم في الكويعية من ديار عتيبة، وصادف أن سعد بن عبدالرحمن قد بعثه أخوه عبدالعزيز ليستنجد عتيبة على أقاربه من العرايف، فجره السير بدون علمـه إلى ما يقرب من المعسكر، فتلقاه رعيل من خيل عتيبة حسبهم خرجوا لملاقاته والترحيب به، وعندما عرف قصدهم ولم يكن معه إلا قلة من الرجـال وعشرة من الخيل هم بالرجوع فلحق به فرسان عتيبة وهم يصيحون نؤمنكم نحن خدامكم قفوا ولا تخافوا، فصدقهم سعد، فانقضوا عليه وأخذوه أسيرا إلى الحسين الذي رحل حالا من الكويعية بغنيمته الغالية، حتى نزل ماء قريبا من (الوشم)، ولما علم أن ابن سعود وصل بجيشه إلى ضَرَمَة لاسترجاع أخيه، تراجع غربا إلى العرْجَى مستنجدا بآل الرشيد، وكتب الحسين لابن سعود وهو يراوغ يمنة ويسرة من ماء إلى ماء بما يأتي:

إذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا بأخيك سعد إلى مكة فيبقى عندنا حتى تطلب الصلح.

وبينما ابن سعود يفكر في الهجوم على معسكر الحسين لاستخلاص أخيه، سالما، فإذا خالد بن لؤي يصل إليه، ويقول: اسمع يا عبدالعزيز: (أنا أعلمك، لا غاية للشريف سيئة لا والله، ولكنه يبغي يبيض وجهه مع الترك، فاكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك وأنا سأتكفل برجوع سعد، وأتكفل أن الشريف لا يتدخل في أمور نجد، هذا إذا كنت لا تتجاوز الحدود، أما إذا هو المعتدي عليك فأنا خالد بن لؤي، أعاهدك عهد الله عليه، فأكون معك والله كما كان آبائي مع آبائك وكما كان أجدادي مع أجدادك)[1].

---

(١) نجد الحديث ص١٩١ وما بعدها.

انتهت الوساطة بالقصاصة المطلوبة والتي مضمونها (يتعهد فيها بأن تدفع بلاد نجد للدولة ستة آلاف مجيدي كل سنة) وعلى ذلك أطلق سراح سعد[1].

لقد كانت الخلافات قديمة بين الأشراف وآل سعود ـ كما سبق ـ يرجع إلى أول الدعوة السلفية والنهضة الإصلاحية، من أول عهد الدولة السعودية الأولى، فالكراهية إذن ترجع إلى ما يقارب قرنين من الزمن، والكراهية والخصام تتداولها الحكايات العائلية حتى بين العجائز، لا سيما في الطرف الأول، ويذكر الملك عبدالله بن حسين أنه في عهد طفولته، كان يصغى دائما إلى مايلقينه بعض المسنات على مسامعه من وقائع وحوادث بين العشائر، ويذكر ما جرى من الأحوال في عهد الوهابية الأولى، وما وقع من حروب حين دخل والي مصر محمد علي إلى الحجاز لإخراج السعوديين[2].

ومضت الأيام ولاحت بروق الحرب العظمى الأولى، واتفق الإنجليز مع الإدريسي قبله على الدخول في جانب الحلفاء، وأبرمت المعاهدة.. البريطانية الإدريسية المعروفة المتضمنة الاعتراف به وحماية أراضيه، كما عقدت معاهدة مع سلطان نجد واعترفت به وبحقه الموروث، وكانوا في نفس الوقت يواصلون مفاوضاتهم السياسية مع الحسين الذي يقرب وينأى، ويتودد ويقدم ويحجم، وبعد أن بعثوا إليه المستر (ستورس) والكولونيل (هوغارث) ثم (لورنس) فتمت المفاوضات التي تضمنت الشروط الخمسة المعروفة في شهر يناير سنة ١٩١٦م ـ ١٣٣٥هـ والتي تعهدت بريطانيا بتشكيل حكومة عربية مستقلة، والموضح بها حدودها مستثنية مستعمرة عدن، ومتحفظة في نفس الوقت على المعاهدات والاتفاقيات التي أجرتها مع غيره من زعماء العرب، وصيانة حقوقهم، أمراء كانوا أو من الأفراد.

وكان من أمراء العرب من قد قدم لبريطانيا والحلفاء مجهودا يستحق

---

(١) نجد الحديث ص١٩٣ .

(٢) مذكرات الملك عبدالله ص١٩ .

الوفاء بالعهود، فالإدريسي خاض غمار الحرب ضد تركيا، وابن سعود مع وقوفه على الحياد فقد أعانهم بمجهود سياسي أكبر من المجهود الحربي:

١- حافظ على طرق مواصلاتهم والأمن في الخليج.
٢- لم يستجب لتركيا ورجائها في القيام على ثورة الحسين التي لو فعل لما استطاع الحسين نسف سكة الحديد ولا القيام بالثورة.
٣- عدم الاستجابة للأتراك في الاشتراك بجيش يساعد قواتهم في العراق، التي تتصل بحدودها وإلا لكان في ذلك كارثة على القوات الإنجليزية المتغلغلة في الأراضي العراقية.

وجاءت بعد كل ذلك المؤامرات من الحسين، وتحريض آل الرشيد وإعانتهم، وموضوع تربة، ومنع الحجاج النجديين، والتربص بسلطان نجد، وأخيرا تسيير قواته بقيادة ابنه عبدالله الذي استسلم له قائد المدينة المنورة، وأمره له بالزحف على تربة والخرمة، ومن ثم تصريح قائد جيوشه بأنه سيصوم إن شاء الله شهر رمضان في الخرمة، وسوف يعيد عيد الأضحى في الأحساء [١].

وعندما وصل الأمير عبدالله بن الحسين بقواته إلى (عشيرة) وافاه والده وأعطاه التعليمات اللازمة، وبارك زحفه على تربة والخرمة، ومن ثم نجد والأحساء وأراد الله أن تدور معركة تربة ويقضى على جيش الحسين، ولو أرادت قوات ابن سعود التقدم على الطائف ومكة لما وجدت من يقاومها، نتيجة لسحق الجيش الهاشمي، والذهول الذي عاق كل مقاومة، ولم يسع الحسين إلا استعطاف الإنجليز على تكليف ابن سعود بالتراجع بجيشه إلى نجد.

وجاء مؤتمر الكويت الذي كان شبه مؤامرة ضد ابن سعود، أملاها الحسين على نجليه ملك العراق وأمير شرق الأردن ضد ابن سعود وبلاده [٢].

---

(١) نجد الحديث ص٢٥٣ .
(٢) ملوك العرب ص١١٦ .

ثم وصــول الحسين إلى الأردن، وهتــاف الجمــاهيــر التي حشــدت لاستقباله بالهتاف ليحيا ملك العرب، وهو اللقب الذي لقب به نفسه ولم تعترف به الحلفاء، ثم المبايعة له بالخلافة، وإضافته إلى لقبه لقب (خليفة المسلمين) الذي لم يعترف له به لا العرب ولا المسلمون.

وبرجوعه إلى مكة شدد على منع حجاج نجد من أداء فريضة الحج، وإزاء كل ذلك لم يســع أهــل نجــد إلا عقد ذلك المؤتمر التاريخي في الرياض، الذي تقرر فيه ما تقرر من الدفاع عن النفس إزاء كل ما سبق، والاستعداد للتقدم على الحجاز.

إن الحسين قد تقـدم فعلا بجيوشه بقيادة ابنه عبدالله لصوم شهر رمضان عام ١٣٣٧هـ في تربة والخرمة، وقضاء عيد الأضحى بالأحساء، وما رده عن ذلك إلا الهزيمة الساحقة التي قضت على تلك القوة في وقعة تربة، وبعدها ما هو معروف، من المؤامرات السياسية والدسائس التي تهدف إلى القضاء على ابن سعود وقد قال الشاعر:

ومن عرف الأيــام معــرفتي بهــا   وبــالناس رَوىًّ رمحه غير راحــم
فليس بمــرحــوم إذا ظفــروا به   ولا بالردى الجــاري عليــهم بآثم

وقد كانت وقعة تربة قبل فتح الحجاز بأربع سنوات، وكان بعد المعركة مباشرة في وسع ابن سعود الزحف على الحجاز والاستيلاء عليه، وإنما بريطانيا صديقة الحسين اقترحت على ابن سعود أو أجبرته على التراجع من تربة.

لقد اقتنع ابن سعود بأن جيرانه في العراق والأردن والحجاز لا يريدون به خيرا، ولا يبغون له إلا الهزيمة والاستيلاء على سلطنته، وأن والدهم الحسين يملي عليهم رغبــاتــه تلك، فهو بين خيارين لا ثالث لهما، إما الانتظار حتى يقضوا عليه وعلى سلطنته، أو يزيح كابوس البغضاء، وقوة العداء التي تتربص به، وإزالة الظلم الذي سيحيق به، والدفاع عن النفس من سنن الحياة، وواجبات الشرع.

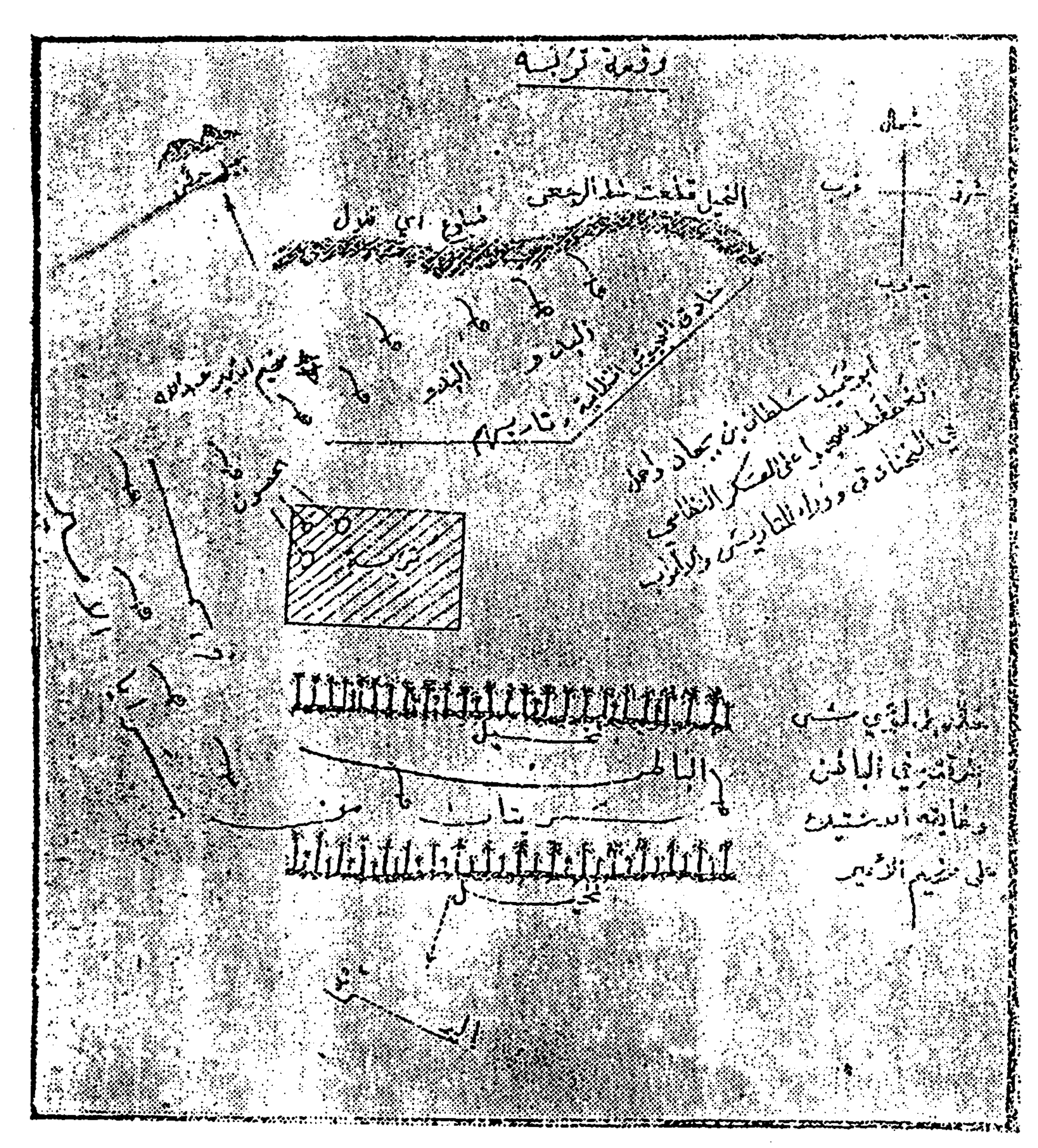
إن في سالف التاريخ عبرة ولا يلدغ المرء من جحر مرتين، وقد وقع من غالب بن مساعد من الغدر ما هو معروف، وكان رأس الحربة في طعنة الدولة السعودية الأولى بمؤامراته مع الأتراك ومحمد علي، ولا خيار بين إزالته هو أو إزالة الحسين، وقد فعل عبدالعزيز ما فعله وكان في ذلك الخير لهذه الأمة.

إن الحسين ـ رحمه الله ـ لديه حساسية من السعوديين، رافقته في طول مراحل حياته كغيره من أسلافه، وقد تضخمت في فكره برجوعه إلى الحجاز، فكان من أكبر أهدافه القضاء على عبدالعزيز وإلحاق نجد بإمارته، فلم تسنح له فرصة إلا اهتبلها، إما غازيا أو متآمرا أو مطالبا، ومن ذلك أنه لما اجتمع مندوبو نجد والعراق والأردن في مؤتمر الكويت اشترط المندوب العراقي أن تضاف مادة على الاتفاقية وهي: ألا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز، وطلب المندوب الأردني في نفس تلك الساعة تخلي حكومة نجد عن الجوف وسكاكا وتوابعها في الشمال لتلحق بشرق الأردن، وعن تربة والخرمة وخيبر، وتلحق بالحجاز، فخرج عن شرط عبدالعزيز الذي اشترطه في أن يتكلم مندوب كل حكومة عن بلاده خاصة[1].

أما عن الحج ومنع الحسين: فالحج فريضة على المسلمين، لا يحق لأحد منع أحد عن الحج، فضلا أن يمنع أهل منطقة بأكملها، وقد منع الحسين حجاج نجد منه، ولما توسطت بريطانيا سمح بعدد محدود، وعن طريق البحر وهو يعلم أنه ليس في وسع أهل نجد أن يحجوا بحرا، عن طريق الخليج الذي تستغرق الرحلة فيه على السفن الشراعية أكثر من شهر ونصف، فضلا عما يلاقونه من الأخطار وأهوال البحر ووعثاء السفر، ومع ذلك رجع الحسين ورفض حتى السماح لهم عن طريق البحر، مما جعل الإخوان ينادون في مؤتمر الرياض بأن يحجوا قسرا، وبعده كان ما هو معروف.

---

(١) شبه الجزيرة للزركلي ج١، ص٣٢٦ .



من كتاب ملوك العرب للريحاني

فتح الطائف

أهلّ عيد الأضحى في سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م وأقبلت رؤساء القبائل كالعادة ـ مسلّمة ومهنئة ابن سعود في الرياض ومنهم مشائخ عتيبة وأشراف الخرمة وغيرهم من القبائل المتاخمة للحجاز[١] فأمرهم بالاستعداد لغزو الحجاز، بعد أن أعلن الحسين نفسه خليفة للمسلمين، الأمر الذي استنكره مسلمو الهند ومصر وأكثر البلاد الإسلامية، فالخلافة تتطلب من يحمي حوزة الدين، ويذود عن مصالح المسلمين وهو من الضعف بحيث أن قوته الرئيسية سحقها بعض جيش ابن سعود في وقعة تربة، ومع ذلك فهو كان يعتمد على بريطانيا التي أصبحت ضد مواقفه وعلى خلاف مع سياسته[٢].

وتقدمت قوات ابن سعود المؤلفة من الإخوان والقبائل المتاخمة للحجاز بما فيهم بعض قبائل هجرة القطيف والخرمة[٣] وأهل تربة وعتيبة، وفي اليوم الأول من شهر صفر سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م وصلت طلائعها قرية الحوية، ولما علمت حكومة الحسين صدر أمر ناظر لحربية الهاشمية على الجنود النظامية بالدفاع، فتقدمت من الطائف كتيبة قوامها أربعمائة مقاتل ـ تقريبا ـ تصاحبهم بعض المدافع والرشاشات، وبوصولها إلى قرية الحوية دارت معركة استمرت ساعات معدودة ثم اضطرت بعدها الكتيبة إلى التراجع نحو مدينة الطائف، فانضم إليها عساكر من البدو، وتمركز الجميع في الهضبة الغربية من الطائف، في الجهتين الشمالية والشمالية الغربية.

---

(١) مخطوط خالد الفرج ـ فؤاد حمزة قلب الجزيرة ص٣٤٦ ـ نجد الحديث ص٧٩

(٢) خمسون عاما في جزيرة العرب ص٥٥ .

(٣) نجد الحديث ص٣٣١ .

وأقبل الجيش السعودي، وتقاتل الجيشان ثلاثة أيام، انضم بعدها الطلائع الأمامية من البدو إلى الجيش السعودي، فرفع الجيش بالواقع إلى مكة، فبعثت له نجدة عن طريق السيل، وأمر على ولي العهد الأمير علي بن الحسين بالتقدم على رأس رعيل من الخيل وفرقة من الهجانة، فوصل الطائف يوم الخميس ٦ صفر ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م ليلا، وخرج منها في العصر ليرابط في «الهدى».

لم يبق في الميدان إلا الجيش النظامي الذي اضطر تحت قوة الضغط والقتال أن يتراجع إلى المدينة في صباح يوم الجمعة ٧ صفر، وتقدم الجيش السعودي، بحيث صار رصاص بنادقه يبلغ داخل مدينة (الطائف) فعمل الرعب والخوف في الأهالي.

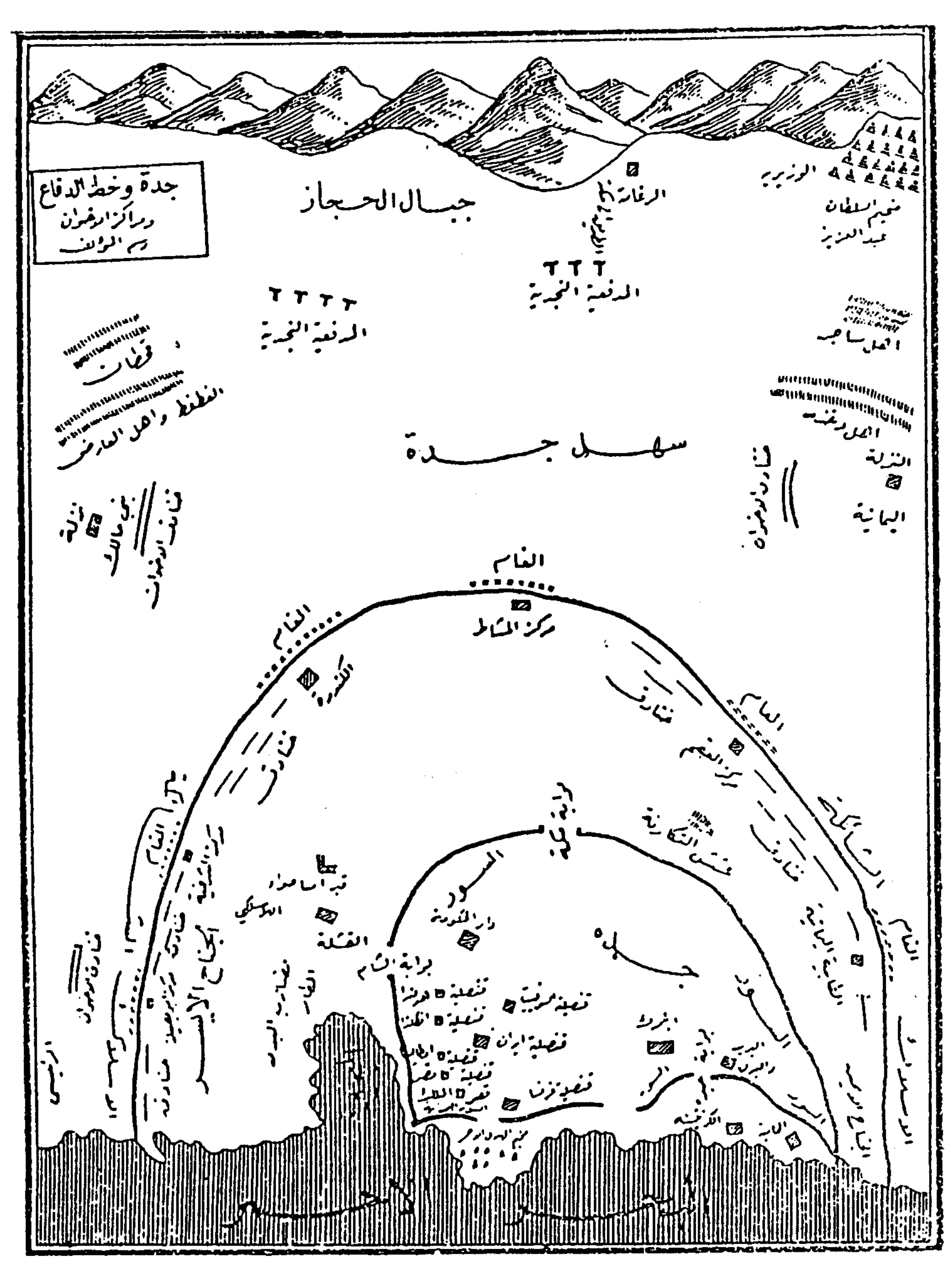
وفي أصيل يوم الجمعة انسحب أمير الطائف شرف عدنان، ووزير الحربية وجنده النظامي والموظفون والأمراء، بحجة اللحاق بالأمير علي إلى الهدى، وبعدها بساعتين وقد بدأ الظلام يرخي سدوله، هجم الإخوان على المدينة في موجات متتابعة كالسيل الجارف، ولا يسمع إلا أصوات التهليل والتكبير وهم يطلقون النار، ويركضون في شوارع المدينة، وسادت الفوضى، وأقبل أهل البادية سواء من دَخَلَ قبل الجيش للنهب أو من رافقهم فاختلط الحابل بالنابل، وتدفقوا على البيوت ومن قاوم قتل، وكانت ساعات من الفوضى والقتل والسلب، وناهيك بمعرة الجيش، وفي الأثر: «اتقوا معرة الجيش»(١).

وفي مثل تلك الحالة يصعب الانضباط، والتحكم في مصير جيش اقتحم مدينة، وصاحبه وتقدمه الكثير من قبائل البادية، رواد السلب والنهب وطلاب الغنائم(٢).

---

(١) نجد الحديث ص٣٣٢، ٣٣٣ .

(٢) شبه جزيرة العرب ص٣٣١ .



من كتاب ملوك العرب للريحاني

وأغتنمت الحكومة الهاشمية الحادثة واستغلتها للدعاية ضد ابن سعود وجيشـــه، أمـــا ابن سعود فقد تبرأ إلى الله من فعل الإخوان، واستعد لتعويض من أصيبوا.

لم تجد المقاومة في خطوط الدفاع الجديدة في الهدى فانسحب علي ابن الحسين إلى مكة، وقابل والده الحسين بن علي، وبعد تلك المقابلة نزل إلى مدينة جدة، وبوصوله أبرق أعيانها ومن انسحب مع الأمير علي بن الحسين من أعيان مكة يطلبون من الملك الحسين التنازل عن العرش لأبنه علي في عشية ذلك اليوم.

وفي صباح يوم ٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ نودي في جدة بالأمير علي ملكا على الحجاز، وفي يوم ٦ عاد الملك علي إلى مكة وقابل والده فيها وعاد إلى جدة.

وفي يوم ١٠ ربيع الأول ١٣٤٣هـ ـ وصل الحسين إلى جدة ومنع أن يقابل أحدا وظل فيها إلى يوم ١٦ من الشهر المذكور فأبحر على السفينة الرقمتين إلى العقبة(١).

---

(١) شبه الجزيرة للزركلي ص٣٣٢ .

ثورة الإمام يحيى وثورة الإمام الإدريسي

إن الإدريسي قام بثورته في المخلاف السليماني، كما قام الحسين بن علي بثورته في الحجاز، والإمام يحيى في الجبال، فاحتوت ثورته معاهدة «دعان»، والذي بعد ذلك أخذ الإمام يحيى يرى أن الإدريسي اعتدى على حقه في حال أنه ثائر مثله على العثمانيين الذين كانوا متولين على بلاد العرب وغيرها.

في حال أن الإدريسي يرى أنـه لم يعتد على حق للإمام بل كانت المنطقة منطقة تركية ـ كمنطقة الإمام يحيى نفسها، حررها بالقوة والرجال وليس للإمام يحيى أن يطالبه بالتخلي عنها.

أما أنه استعان بقوة خارجية فهو قد تحالف فعلا مع إيطاليا لحاجتها لفك جبهة على تركيا في ميدان فرعي، ليشغلها عن الميدان الرئيسي في ليبيا، وقام لها بمجهود حربي لقاء أن تقدم له سلاحاً ومؤنا[١].

ولا غرو فكثير من الثورات تحتاج في أولياتها إلى مساندة من أية جهة كانت، فقد تحالف الأمريكيون في حرب التحرير مع فرنسا التي كانت ضد بريطانيا، وتَنْفُسُ عليها لحرمانها إياها من مستعمراتها في أمريكا والتي لها غايـة من وراء ذلك هي إقصـاء إنجلتـرا عن القارة الأمريكية، والثورة اليونانية كانت تحظى بالعطف من بعض الدول، وثورة البلقان ضد تركيا ظفرت بعون غير دولة من دول أوروبا لما لها من مآرب سياسية.

قام الإدريسي بثورة ناجحة تفوقت بأسلوبها المرن، فظفرت بالتفوق

---

(١) جاء في كتـاب ملوك العرب للريحاني ص٢٣٤، ج١ «إن الإدريسي كان عربيا صميما يأبى السيطرة الأجنبية كما يأباها ملوك العرب الكبار، إلا أنه لا يرى الضرر أو الكفر في موالاة أجنبي ينتفع به».

والتغلب على كل من وقف في سبيل تحقيقها، فبرز بها من عالم الأماني والخيال إلى عالم الحقيقة والواقع في نفس المخلاف السليماني أولا، ثم في عسير ثانيا، ثم في تهامة اليمن وقسما من المرتفعات الشمالية.

لقد قام الإدريسي - بعد حصار أبها لوضع ثقله ضد الأتراك في الشرق - أي القسم الجبلي وفي الجنوب، فتقدمت جيوشه في الناحية الشرقية إلى جبل النضير، وجميع جبال رازح ومنبه والعر، ومن الناحية الشرقية الشمالية وصل إلى هجرة «فلله» القريبة من صعدة[1].

اطمأن الإمام يحيى - بعد أن أمدته تركيا بالسلاح والمال - وشمر لقتال الإدريسي، فاستطاع أن يزحف نحو الجيش الإدريسي الذي قد توقفت إيطاليا عن إمداده، وأصبح مفتقرا إلى العون، وأن تقتصر حدوده على أطراف رازح الشرقية وفي سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م، استطاع الإمام بمساعدة الأتراك، واشتراك جيشها معه أخذ جبل (حُرم) الموقع الهام في أطراف رازح، وتقدم القائد الإمامي وأنزل بعض قواته من جبل (حُرم) إلى الوادي المسمى (عمق) لاحتلال قرية (غمار) لأهميتها.

وفي ذلك الوادي اصطدم بالقوات الإدريسية بقيادة عبدالله بن حسين وأحمد بن علي الحازمي، ودارت معركة شرسة انتهت بتراجع جيش الإمام يحيى، وبقيت الحدود الإدريسية المتوكلية - هناك - إلى أول سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م، التي في أولها تقدم الإمام يحيى واحتل جبل النضير، وتوفى الإدريسي في شهر شعبان من السنة نفسها وهو يجهز جيشه ويستعد لاسترجاع جبل النضير، وبقيت الحدود الإدريسية من الشرق الشمالي كما يأتي:

آخر حدود بني مالك في الشرق الشمالي من المنطقة، وفي جنوب بني مالك جبلي «العر» و «منبه»، وفي الجنوب الشرقي جبل النضير، وجبل شدا، ثم آخر بلاد الحرث الإدريسية من الناحية الشرقية الجنوبية.

---

(١) المخلاف السليماني ص٦٥٨، ج٢ .

واشتغل ورثة الإدريسي بعد وفاته بما هو معروف من الخلاف العائلي ثم ثورة مصطفى الإدريسي على الأمير علي، ولم تنته الثورة إلا والأمير علي منهار القوى، فتحرك الإمام في ناحية المحميات ليضغط على بريطانيا، فما كان من بريطانيا التي يهمها تأمين حدود محمياتها أن تكسب ود الإمام في تلك الفترة، وتسترضيه، إلى أن طمأنته حينما طلب إعادة الحديدة إليه وهو يعلم في نفس الوقت أن الحديدة ليست في أيدي البريطانيين، بل هي من أملاك الإدريسي وأن كل ما يطلبه هو أن تتعهد بعدم معارضة الحكومة البريطانية في التدخل، وقد ظفر بما أراد، فقد تعهدت له بعدم المعارضة.

ومن ناحية أخرى فإن الإمام قد عقد معاهدة مع إيطاليا، التي لم يظفر مندوبها الذي بعثته للأمير علي الإدريسي، وترافقه بعض الهدايا ومنها سيارة فيات ـ كما أشرنا سابقا ـ لم ينجح في عقد معاهدة مع الأمير علي الإدريسي، فتمكن من عقد معاهدة مع الإمام، كان نتيجتها إمداد الإمام بالأسلحة والذخائر والتي مكنته من الاستيلاء على النصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية.

وتقدمت الجيوش المتوكلية بعد أن مهدت واتصلت وبذلت الكثير واستمالت المناصب[1] كمنصب المراوعة وغيره، ممن له نفوذ أدبي، واحتلت الحديدة وغيرها إلى ميدي على الساحل وحرض في الداخل، وأرادت التقدم من حرض إلى صامطة فهزم جيشها وانسحب إلى قاعدته في حرض.

فتقدم من الناحية الشرقية في القسم الجبلي وأخذ جبل شدا، وزحف على بلاد الحرث والعبادل، إلا أن قبائل المنطقة تجمعوا للدفاع وهزموا الجيش المتوكلي واستعادوا بلاد الحرث والعبادل، وظلت إدريسية إلى أن أبرمت معاهدة مكة وكذا جبل منبه وجبل العر، ضمن البلاد الإدريسية.

---

(١) انظر ص٩٥ من كتابنا «التصوف في تهامة بعنوان «المناصب في تهامة».

الأوضاع في الإمارة الإدريسية قبل معاهدة مكة

علينـا أن نرجع إلى الوراء بضع خطوات لنتبين الحالة في الإمارة الإدريسية قبل معاهدة مكة، لقد أزاح الحسن الإدريسي ابن أخيه الأمير علي الإدريسي بعـد أن استـولى الإمـام يحيى على نصف المنـطقـة الإدريسية الجنوبي وتقدمت جيوشه لاحتلال النصف الآخر فهزمت في معركة صامطة أولا وفي معركة الحرث ثانيـا[1].

وكـان الوضـع متـرديا إداريا واقتصاديا وماليا، وإيطاليا تحوم حول المنـطقـة وتشجـع الإمـام يحيى الذي قد منحهـا بعض الامتيـازات الاقتصادية في تهامة، وأوعدها بالنصف الآخر من الامتيازات في المنطقة الإدريسية إذا هو تمكن من الاستيلاء عليها، أو ساعدته سياسيا ومعنويا، وأمدته بالسلاح والخبرة.

على كل أخذت المطامع الإيطالية تحوم حول المنطقة وهي الرابحة في كلتا الحالتين، فإن استولى عليها الإمام فالوعد سيتحقق لإيطاليا، وأن لم يتمكن الإمام من الاستيلاء عليها فهي قد أخذت في العمل لحسابها الخاص.

فبعثت مندوبها للحسن مع هدايا وغيرها، وكاد يميل لولا ما حذره به بعض الوزراء القدامى ممن تمرسوا بالسياسة في المعترك الدولي.

وقـد كانت خزينته فارغة من المال، ومستودعاته خالية من السلاح، والإمام يحيى بعد هزيمة جيوشه في صامطة والحرث، أخذ يجرب سياسة اللين والاحتواء بالطرق الدبلوماسية، وشعر الحسن الإدريسي إزاء ذلك أنـه مأخـوذ لا محـالة إن حربا وإن سياسة تجاذبته المطامع واكتنفه الأعداء، وغشيته الحيرة، وعلاوة على كل تلك الحالات، فإن القبائل في

---

(١) أنظر وصف وتاريخ المعركتين في كتابنا المخلاف السليماني ج٢، ط٣.

النصف الجنوبي تستسمن فيه ورما وتحن إلى العهد الإدريسي الماضي، فقد قامت ثورات في القسم الذي استولى عليه الإمام يحيى لأسباب الاختلاف المذهبي، ونفورهم من الشدة والسخرة التي يكلفهم بها الجيش الإمامي[1] فقامت الثورات الآتية:

١- ثورة قبائل بني مروان سنة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م وحاصرت قاعدتهم مدينة ميدى أياما ثم تغلبت القوات المتوكلية عليهم فشردتهم.
٢- ثورة قبائل عبس على رأس شيخها محمد الشوكاني الذي قضى على ثورته وفر إلى صبيا.
٣- أعقبت ذلك ثورة قبائل صليل، وقضى عليها من قبل الإمام يحيى وفر الثائرون وهم:
١ - الشيخ القوزي.
٢ - الشيخ محمد قحم.
٣ - شيخ مدينة الزيدية أبي الغيث فيريزي.

وظلوا عند الإدريسي لا يستطيع إعانتهم وهو لم يتمكن في نفس الوقت من فرض الأمن في المنطقة التي ظلت تحت يده.

في تلك الأثناء وكل هذه الحالات، وابن سعود على قيد خطوات من حدوده ولو كان له مطمع لما تأخر عن اقتحامها بثلة من جنوده، في حال أن رجال ووجهاء المنطقة يميلون إلى الجانب السعودي، ويطلبون منه كرارا ومرارا التقدم على المنطقة، وحفظها من المطامع الإمامية والإيطالية.

وممن وفد في هذا الصدد على ابن سعود القائد الإدريسي المعروف سابقا مصطفى بن محمد النعمي[2]، فأفهمه أن للأدارسة مكانتهم لديه

---

(١) أنظر كتاب اليمن عبر التاريخ ص٢٨٨، ط١، وقول مؤلفه: (... بالإضافة إلى ما ارتكبوه عمالهم من ظلم واستغلال وبث للروح الطائفية والمذهبية والطبقية.. ونحو ذلك مما كان مدعاة للسخط والتبرم بالأمر، الذي جعل الأهالى ولاسيما في الأطراف منهم يفضلون الانضمام إلى بلد مجاور..).

(٢) مذكرات الشيخ تركي الماضي - مخطوط -.

وهو يراعي جانبهم لصداقته مع مؤسس الإمارة ولوصايته عليها.

كان أحمد شريف السنوسي الزعيم الليبي المعروف قد وصل إلى المنطقة في أثناء الفتنة بين الحسن الإدريسي وابن أخيه، فبثه الحسن شجونه وأشجانه وطلب الرأي فيما يراه من مطامع الإمام وإيطاليا وسوء الحالة وتأزم الأمور فقالوا له ما مضمونه:

١ـ أما إيطاليا فقد صلينا بنارها في طرابلس وعرفنا وعرف العالم فجائع وشرور الاستعمار الإيطالي.

٢ـ الإمام يحيى عرفتم عداوته لأخيكم ولكم وقد سلبكم نصف الإمارة وهو بصدد سلبكم النصف الآخر.

٣ـ الذي أراه هو أن تطلب حماية ابن سعود لما بينه وبين أخيك محمد من صداقة وتحالف واتفاقية عام ١٣٣٨هـ ـ ١٩١٩م واتفاقية عام ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢٠م.

وفي هذا استكمال لما مضى، وتجديد لصداقة سالفة لم يعكر صفوها شيء فهو بالرغم عن تلاحم حدوده معكم لم يسبق إلى الآن أن اعتدى عليكم[1].

فترجح للحسن الإدريس الأخذ برأيه وفوضه بخطاب لابن سعود في الموضوع لعقد معاهدة حماية وصداقة وهي التي أبرمت وسميت بمعاهدة مكة.

---

(١) أنظر كتاب المخلاف السليماني ج٢، ص٩١٥.

الدعوة السلفية وآل سعود

إن الدعوة السلفية التي ناصرها آل سعود، والنهضة الإصلاحية التي قاموا بها في القرن الثاني عشر الهجري دعوة خالصة قائمة على الإصلاح الديني، الذي غَشَّاه من البدع والشرك ما هو معروف في ذلك التاريخ، بحيث تحامى أمراء نجد إيواء الشيخ، كرها لما يدعو إليه من نبذ الشرك وترك البدع مما جبلت قلوبهم عليه، هذا من جهة ومن الأخرى خوفا من أمير الأحساء التابعة له نجد سياسيا، فقبول إيواء الشيخ فضلا عن استقباله، وما يترتب عليه من تبعات ومخاطر وتعرض لعداء أمير الأحساء خاصة وأمراء نجد عامة هو غرم لا غنم، فقيام أمير الدرعية باستقبال الشيخ فضلا عن التعهد بحمايته والقيام بمناصرة دعوته، هي المخاطرة بكل ما يملكه من أمر تلك البلد الصغير والعدد القليل من رجالها، وهو كل رأس مال تلك الإمارة مع ما بينها وبين أمير الأحساء من العداء والمباينة مما لا يحتاج إلى زيادة توترات جديدة.

ولم يقف الأمر على أمراء الإقطاعيات في نجد، ولا على أمير العارض القوي ولا على أمير الأحساء الذي هو من أقوى أمراء شبه الجزيرة، بل معاداة أمراء مكة الأمراء الأقوياء وإغضاب الدولة العثمانية، فإن الشيخ ودعوته قد شهر أمرهما وشاع ذكرهما في أنحاء الجزيرة.

كل ذلك في حال أن الدعوة ما كان مع كثرة أعدائها وقوة خصومها لآل سعود ولا غيرهم يحكم بنجاحها فيما حول الدرعية، فضلا أن يعم إصلاحها نجد وأغلب شبه الجزيرة.

وبالرغم من كل تلك الأخطار فقد قبلت الشيخ والقيام بحمايته ومقاتلة من حولها في سبيل نشر الدَّعوة، لقد قبل محمد بن سعود دعوة التوحيد

بصـدق وإخلاص وأصبح لديهم العقيدة الخالصة لله سبحانه وتعالى، وصاحب كل عقيدة لا يثنيه ثانٍ عن التضحية والجهاد بالروح والأبناء والمـال، ودائما بإذن الله سبحانه ينتصر صاحب العقيدة الدينية على صاحب المبدأ، لأن صاحب المبدأ محدود الغاية فكيف بصاحب عقيدة هدف وغاية كما كان الحال بين أصحاب الدعوة السلفية وخصومهم الذين ليس لديهم مبادىء سياسية ولا أهداف قومية ولا غايات وطنية يريدون تحقيقها، بل كل غايتهم تركهم على حالتهم من الخمول والتأخر والجمود.

لقد بذل آل سعود عن صحة عقيدة ويقين النفس والأبناء والمال حتى انتصرت الدعوة السلفية وعاد للدين سلطانه على النفوس والبلاد، وأزيلت البدع وطمس الشرك وانتشرت الدعوة السلفية والنهضة الإصلاحية في أغلب دنيا شبه الجزيرة وعلاوة على ذلك، حررت البلاد العربية من نير الأتراك، وأطفأت نار الفتن المتأججة بين القبائل، وأعادت للعرب اسمهم الذي طمس تحت اسم العثمانيين، وعادت لهم سيادتهم التي فقدوها قبل ذلك بنحو مائتي سنة - تقريبا - من بعد أن استولى الأتراك على البلاد العربية ابتداء بسوريا ثم مصر فالحجاز فالخليج فاليمن، فأهملت البوادي إهمالا أعادها إلى العصر الجاهلي الأول، فأصبحت بلادهم التي كانت مشرق الهداية والنور ومعدن رجال الفتوحات والجهاد التي شملت أغلب العالم القديم، بقعة عثمانية في محيط المصور الجغرافي للامبراطورية التركية، حتى كاد العرب أن يفقدوا ذاكرتهم التاريخية وعنصرهم العربي وأمجادهم الإسلامية ووجدانهم القومي.

فإذا كانت كل دعوة دينية أو نهضة إصلاحية يقوم بها داعية إسلامي أو أمير عربي تفرغ من مضمونها الجليل، وهدفها النبيل، إلى ما يسمى توسع، فقد أفرغنا التاريخ من أسمى إيجابياته، وأنبل إنجازاته، وأقدس معتقداته.

إن التاريخ لا يرتجل القادة والمصلحين ارتجالا - وإنما بعد مشيئة الله - تستدعي الظروف، وتحتم تردي الأوضاع، وتوجب مقتضيات الإصلاح والتطلع إلى الأفضل من الرجوع إلى جوهر الدين، وضياء القرآن، وهدي

الرسالة وأصالة القيم، مما قد يرفع الله به الشأن، ويصلح أمر الدنيا والدين إلى قيام داعية مصلح، وقوة منفذة، وطاقة دافعة تجتث جرثومة الفساد وتداوي أمراض المجتمع فتعيد إليه زخم الحياة من إصلاح ديني، أو فكرة لامعة وأعمال باهرة، أو إنجازات عظيمة، أو بواعث كريمة تجتاز المألوف، وتتجاوز المجاملات المحدودة، وتغير الأوضاع الآسنة، والأعراف البالية، إن سر التغيير والتجديد يكون ميلاد فجر إصلاح، وعظمة إشراق أمجاد، والتاريخ ـ كما قيل ـ تاريخ أبطال ومصلحين ومنقذين، والأمم أو الشعوب هي مسارات الأفكار ومواد الإصلاح ولبنات التشييد والبناء ـ بمشيئة الله تعالى ـ.

فلو قلنا عن كل داعية أو مصلح أنه مستغل لطمسنا معالم التاريخ ومشاعر الهداية وأسماء أبطال النهوض لرجال قاموا بأداء أدوارهم التاريخية على أكمل وجه، وكانوا صوى على دروب الحياة الكريمة ومهايع المجد ومناهج السيادة والسؤدد.

إن هؤلاء الرجال أهَّلوا أجيالا للإصلاح والنهوض، وكوَّنوا أمة عاشت ولا زالت تعيش في وهج من أشعة تفكيرهم، وزخم جهادهم فكان من توفيق الله سبحانه وتعالى ما يتمتع به هذا الشعب الكريم من رفاهية، ونهضة بناءة، ومستوى معيشة عالية، وتوسع في مجال التقدم والعمران والرفاء والحضارة الراقية.

إن ما سجله المنصفون من رجال العلم من شرقيين وغربيين لهو ضياء ساطع، وبرهان مضيء على ما كان لتلك الدعوة الدينية، والنهضة الإصلاحية في عالمها الماضي ودنيانا الحاضرة، من زخم وسطوع وتجديد وارتقاء وشموخ.

لقد قال عنها مؤلف حاضر العالم الإسلامي (لوثروب ستودارد) في القرن الثامن عشر، كان العالم الإسلامي قد بلغ من الضعف أعظم درجة، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة، وانتشر فيه الفساد في الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من التهذيب العربي، وليس يرى في العالم

الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الفاشيين كسلطان تركيا، وملوك مغول الهند، أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فلبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة للناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من الصلوات وكثر الأدعياء الجهلاء يرغبون الناس في الحج إلى قبور الأولياء من دفناء الأضرحة. إلى أن قال: وبينما العالم مستغرق في هجعته، ومدلج في ظلمته، إذا بصوت يدوي من قلب الصحراء في جزيرة العرب، مهد الإسلام، يوقظ المؤمنين ويدعو إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم.

(كان الصارخ لهذا الصوت هو المصلح المشهور محمد بن عبدالوهاب)[1]. وقد بهرت العالم تلك النهضة الإصلاحية، وأدارت وريد الزمن، ورأى الاستعمار الذي قد وطد أقدامه في الشرق قوة جديدة ونهضة عتيدة، وكانت بريطانيا قد رسمت في قائمات أوليات سياستها وخططها السياسية ألا تسمح لأية دولة بأن تكون لها قوة في الشرق الأوسط عامة والبلاد العربية خاصة، فالبحر الأحمر والخليج تحرص كل الحرص ألا يكونا تحت سيطرة قوى أجنبية أو محلية قوية، فلما أدركت.. اشتداد ساعد تلك الدولة العربية واتساع رقعتها وامتداد سلطانها على الخليج والبحر الأحمر، أخذت في تحريض الدولة العثمانية، التي ورم سحرها، وجف ريقها، ووجف قلبها لتلك الانتصارات العربية، والنهضة الإسلامية، وزادها غيظاً فتح مكة المكرمة، وقطع اسمها من الخطبة على منبري الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، اللتين ينعت من على ذؤابتي منبريهما باسم خادم الحرمين الشريفين فيشد إليها قلوب مسلمي العالم الإسلامي.

فصدر أمرها لمحمد علي بالتحرك للإجهاز على تلك الدولة العربية الإسلامية، وبانهيارها تحت تلك المؤامرة الإنجليزية التركية، أصبحت الجزيرة العربية مباحة الحمى، خائرة القوى مسرحا مفتوحا للمطامع الاستعمارية.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ص٢٥٩، ج١ .

إن السياسة لا تعرف للصداقة مجالا، فها هو محمد علي الذي شجعته بالأمس، ما سرحت ومـا مرحت جنـوده في أرجاء الجزيرة حتى أخذت بريـطانيـا تقلب له ظهر المجن، لأنه أصبح قوة في نظرها يجب تقليم أظافـرها، وتكبيل أقدامها، فما وطأت أقدام جنوده جنوب الجزيرة حتى شمـرت عن ساقها وأخذت في استعمار عدن، ثم تآمرت عليه ونصبت أحـابيلها وأشراكها، فكان مؤتمر لندرة الذي قرر حرمانه من مكتسباته وإعادة البلاد إلى الرجل المريض ـ الدولة العثمانية ـ وإعادته تابعا لها.

وفي سنة ١٢٣٤هـ ـ ١٨١٨م انسحب إبراهيم باشا بعد أن أقام على أنقاض الدِّرعية سبعة أشهر، وبرحيله سادت الفوضى نتيجة ما حاق بها من ظلم ونهب وضعف وفقر واضطهاد، فاغتنم محمد بن مشاري بن معمر الفرصة، وتولى الأمر وإنما الظروف طوته فلم يتم سنة كاملة.

كان مشاري بن سعود الكبير قد فرَّ من سجنه بمصر، وهب من ساعة وصـوله نجـد للقيام بالإمارة، فقبض عليه محمد بن مشاري بن معمر، وسلمه للقائد التركي (غبوش أغا) الذي قد وصل القصيم، فقتله.

بقتله قام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الذي تمكن عند تسليم الدِّرعية من الفرار إلى الخرج والتواري فيها، فقتل مشاري بن محمد بن معمر وتولى الحكم، وبتوليه انتقل الحكم من سلالة عبدالعزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبدالله بن محمد بن سعود جد الأسرة المالكة الحالية.

استمر تركي في الحكم عشر سنوات حتى قتله أحد أقاربه «مشاري بن عبدالرحمن» فأقبل فيصل بن تركي بن عبدالله فقضى على القاتل بعد أربعين يومـا، وكـان من حاشيته رجل من أهل حائل يدعى عبدالله بن الرشيد أبلى بلاء حسنا في قتل المغتصب مشاري بن عبدالرحمن، فأنعم عليه فيصل بن تركي بولاية حائل سنة ١٢٣٦هـ ـ ١٨٢٠م وهو المؤسس الأول لإمارة آل الرشيد.

بعد تسع سنين من أخذ فيصل بالثأر واستعادته للإمارة، وصل القائد

المصري (خورشيد باشا) ومعه خالد بن سعود فنحى فيصلاً وولى خالدا الحكم واستصحب الأول معه إلى مصر.

كان المتولي الجديد خالد بن سعود ميالا إلى الملذات واللهو، فنفر من تبذله أهل نجد وخلعوه، فتولى الحكم عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم سنة ١٢٥٧هـ ـ ١٨٤٢م، وبعد سنة واحدة ـ تقريبا ـ أطلقت مصر سراح فيصل بن تركي، فعاد إلى نجد وأزاح بن ثنيان، وتولى الحكم الذي استمر في هذا الدور أربعا وعشرين سنة، وعم حكمه الأحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير وحائل وعندما توفى في ٢١ رجب سنة ١٢٨٢هـ ـ ١١ ديسمبر سنة ١٨٦٥م تنازع الحكم أبناؤه:

١ ـ عبدالله بن فيصل. ٣ ـ محمد بن فيصل.
٢ ـ سعود بن فيصل. ٤ ـ عبدالرحمن بن فيصل.

فكان عهدهم عهد حروب وفتن فيما بينهم، وقد كاد أن يكون أسوأ عهد في تاريخ الأسرة السعودية، بحيث استمرت الحروب والفتن بين الإخوان ـ كما هو معروف ـ .

والعثمانيون يوالون النفخ في أوارها واستثمارها لصالحهم وترسيخ حكم آل الرشيد الموالين لهم.

وفي سنة ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧١م بعد وقعة (الجودة) احتل والي العراق مدحت باشا الأحساء بمساعدة عربان الكويت بقيادة الشيخ مبارك الصباح، فوسع ثغرة العداء بين الإخوان، وأطلق أسر محمد بن فيصل المسجون في القطيف، ووعد عبدالله بأن يعينه قائمقام ولاية نجد[1].

واستمر العداء بين الإخوان ـ وبعد موت سعود ـ بين أبنائه وأعمامهم

وأخيرا تنازل الأخ الأصغر عبدالرحمن لأخيه عبدالله الأكبر، واستقدمه من البادية إلى الرياض، فخرج أبناء سعود بن فيصل من الرياض إلى الخرج

---

(١) نجد الحديث ص٩٩ .

ناقمين على أعمامهم.

وبرز المنافس الجديد محمد بن عبدالله بن الرشيد الذي استفاد من اختلاف عبدالله بن فيصل وأخيه سعود، فقوي أمره وتعاظم شأنه، وبعد فتن وقتال حول القصيم وغيرها، أرسل عبدالله بن فيصل أخاه محمد إلى حائل لمفاوضة ابن الرشيد في اقتسام حكم نجد، فأكرمه ابن الرشيد وتنازل عن الوشم وسدير لعبدالله، وإنما ظل النفوذ الحقيقي فيها لابن الرشيد نفسه.

ولم تقف الحالة عند ذلك الحد حتى تقدم أبناء سعود من الخرج ودخلوا الرياض عنوة وقبضوا على عبدالله وسجنوه وولوا أخاهم الأكبر محمد بن سعود الإمارة.

استنجد عبدالله الفيصل بعبد الله بن الرشيد، فاغتنم الفرصة ونهض من حائل بحجة إنقاذ عبدالله بن فيصل من سجن أبناء أخيه، حتى وصل إلى مقربة من الرياض فخرج إليه عبدالرحمن بن فيصل وأخوه محمد للمفاوضة فأقسم لهم أن نهضته تلك لإخراج عبدالله من السجن، وعاهدهم على أن تكون الولاية في بلادهم لآل سعود ـ وكان ذلك في سنة ١٣٠٥هـ ـ ١٨٨٨م، بيد أنه دخل الرياض دخول الفاتح وأمن أولاد سعود بن فيصل على دمائهم وأموالهم، وأذن لهم بالعودة إلى الخرج، وإخراج عبدالله الفيصل من السجن، وأرسله إلى حائل، واتبعه بإرسال عبدالرحمن وجماعة من آل سعود وولى الرياض أحد رجاله «سالم السبهان»، ولم تمض على سالم خمسة أشهر حتى ضج الناس من ظلمه، واستوفد أناس من أهل الخرج يتظلمون من أبناء سعود بن فيصل، فأسرع في السير إليهم، وبوصوله إلى الخرج قتل من كان هناك من أولاد سعود بن فيصل وهم:

١ ـ محمد. ٢ ـ سعد. ٣ ـ عبدالله.

وأجلى أهلهم إلى حائل وذلك في أول ذي الحجة من عام ١٣٠٥هـ

ـ ١٨٨٨م فزاد غضب الناس عليه، فرفعوا الأمر إلى ابن الرشيد فأبدلهم بسالم عاملا آخر اسمه فهاد بن رخيص.

إن أسراه في حائل من آل سعود قد مرض عميدهم عبدالله بن فيصل، فسمح له ولأخيه عبدالرحمن وأسرتيهما بالعودة إلى الرياض، مع وعده للأول في أن تكون له الإمارة في الرياض، وشاء الله أن يتوفى عبدالله بعد وصوله بيوم واحد في ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٠٧هـ ـ ١٨٨٩م.

وارى عبدالرحمن الفيصل أخاه عبدالله الثرى، وتقبل العزاء بقلب مجروح، وكتب لابن الرشيد يستنجزه الوعد لإعادة الإمارة في الرياض إلى آل سعود، وانتظر فإذا بابن الرشيد يستبدل بعامله، سالم بن سبهان، الذي قد سبق أن سفح دماء أبناء سعود الفيصل، فتوترت العلاقات بين عبدالرحمن الفيصل وابن سبهان فدفع عبدالرحمن الإباء والشمم إلى الوثوب والثورة، وفي سرعة ومضاء تمكن من اعتقال ابن سبهان والفتك بعدد من رجاله منهم الذي باشر قتل أبناء سعود بن فيصل في الخرج، وهب أهل الرياض في تجديد البيعة بالإمارة لعبدالرحمن وذلك في ١٣٠٧/١٢/١١هـ ـ ١٨٨٩م.

وما وصل الخبر إلى ابن الرشيد في حائل حتى أسرع في الزحف بجيشه، وبوصوله إلى الرياض وجد المدينة محصنة فضرب عليها نطاق الحصار شهرا أو يزيد، ولما رأى تصميم أهل المدينة على الدفاع طلب إرسال وفد للتفاهم فوصله الوفد مؤلفا من:

١ ـ محمد بن فيصل.
٢ ـ عبدالعزيز بن عبدالرحمن (الفتى).
٣ ـ الشيخ عبدالله بن عبداللطيف.

وتم الاتفاق على ما يأتي:

١ ـ إطلاق سالم السبهان من المعتقل.

٢ ـ أن تكـون إمارة العارض لعبدالرحمن بن فيصل، وذلك أوائل سنة ١٣٠٨هـ ـ ١٨٩٠م.

عاد ابن الرشيـد إلى حائل، وبعد أيام سار بجيشه صوب القصيم والرياض، فتصدى له سائر أهل القصيم يرفدهم قسم من قبائل عتيبة ومطير، والتقى الزحفان في القرعاء في ٣ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٨هـ ـ ١٨٩٠م.

ولمـا شعر ابن الرشيد ببوادر الهزيمة على جيشه انسحب متراجعا خديعـة ومكـرا، فانـدفع أهل القصيم وحلفاؤهم لتعقبه، فإذا خيل ابن الرشيد قد عطفت عليهم من الخلف، وكان قد وصل إلى المليداء على بعد ٦ ساعات من القصيم غربا، فقام بحركة التفاف وجعلهم بين السندان والمـطرقـة، بين المشــاة والفـرسان، واحتدم القتال أشد ما كان هولاً، وأسفرت المعركة عن هزيمة أهل القصيم وخسارتهم ألف قتيل منهم زامل ابن عبدالله بن سليم أمير عنيزة وابنه، وكانت خسائر الرشيد أربعمائة.

كان الإمام عبدالرحمن يحشد جموعه لنجدة أهل القصيم وبينما هو على بعد ١١٥ كيلا من الرياض علم بنهاية المعركة الخاسرة، فعاد إلى الرياض وتفرق أكثر جنده من القبائل، وشعر بأن ابن الرشيد الذي قد أدارت برأســه نشـوة معركة المليداء، لم يبق أمامه هدف إلا الرياض، فغادرها الإمام مع أسرته وأقاربه وبعض رجاله وذلك في سنة ١٣٠٨هـ ـ ١٨٩١م وابنه عبدالعزيز الذي كان يبلغ آنذاك من العمر[١] ١١ عاما. فتقدم ـ على أثر ذلك ـ ابن الرشيد واحتل الرياض.

إن عبدالرحمن بن فيصل لم يكن ذلك الرجل الذي يستكين للأحداث، فقد اختلجت بين جنبيه روح آل سعود الأشاوس، فعاد إلى مصاولة من في الريـاض والعارض من رجال آل الرشيد، فجمع أنصاراً من البادية

(١) مخطوط خالد الفرج ـ فؤاد حمزة قلب الجزيرة ص٣٤٦ ـ نجد الحديث لأمين الريحاني ص٧٩ .

يصاحبه إبراهيم المهنا الصالح، فهاجم الخرج وطرد من فيها من اتباع خصمه.

لقد كان ابن الرشيد بعد خروج عبدالرحمن،ولى على الرياض محمدا أخا عبدالرحمن الإمارة، فدخلها عبدالرحمن ثم سار إلى المحمل، ونزل في حريملاء، على بعد نحو ٦٠ كيلاً شمال الرياض، وعلم ابن الرشيد فأسرع على رأس جيشه، وهاجم حريملاء، فانهزم رجال عبدالرحمن بعد أن قتل عدد منهم، وتقدم إلى الرياض فهدم سورها وقصرين من قصورها، وأحرق نصف نخيلها، وأمرَّ محمد بن فيصل أميرا عليها وعاد إلى حائل.

عاد عبـدالرحمن بعـد معركة حريملاء إلى مخيمه في البادية، فلقى عبـدالعـزيـز في أطراف منازل العجمان، ثم فارق عبدالعزيز والده إلى البحرين للعلاج من الروماتيزم الذي ألم بإحدى رجليه، وعاد بعد أقل من شهـر، فأرسله أبـوه إلى الهفـوف لمفاوضة الأتراك للسماح له ولرجاله بالإقامة فيها، فمنعه الترك من ذلك.

فاشتد الأمر على نفسية عبدالرحمن، فرغب في الدخول إلى الكويت فمنعه أميرها محمد الصباح لأنه لم يشأ أن يجمع بين مخالفته لأصحاب السيادة الأتراك وعداوة ابن الرشيد، فعاد عبدالرحمن إلى البادية.

وأخيرا سار إلى قطر فاستقبله قاسم بن ثاني بالترحاب وأقام أربعين يوما، من شهر صفر إلى جمادى الأولى سنة ١٣١٠هـ ـ ١٨٩٢م، ولحقت به أسرته التي كانت في البحرين[١].

وجاء في كتاب أمين الريحاني (نجد الحديث): (بعد أن منعه محمد الصبـاح حاكم الكـويت عاد الإمـام عبـدالرحمن بأولاده إلى البـادية، فاستدعاه متصرف الأحساء وتم الاتفاق بينهما على أن يقيم هو وأسرته في الكويت وتدفع له ستين ليرة شهريا). وذلك ـ كما اسلفنا قبله ـ في عهد الأمير محمد الصباح الذي قتله أخوه مبارك وحل محله في الإمارة.

(١) شبه الجزيرة للذركلي ص٦٤ .

قال فؤاد حمـزة في كتابه البلاد السعودية (... أذن الباشا التركي للحريم والأطفال للذهاب مع عبدالعزيز إلى الكويت، وكانت لا تزال عثمانية، ورضي أميرها ابن صباح بعد مدة قصيرة بدخول عبدالرحمن ورجاله، وقد استفاد الأتراك من السماح لعبدالرحمن في الكويت لجعل سكناته وحركاته تحت أنـظارهم، كمـا استفاد من وجودهم بعد ذلك أمير الكويت مبارك لمقـارعـة خصم الطرفين ابن الرشيـد الذي (بعد ارتمائه في أحضان الإنجليز) حرك ابن الرشيد الأتراك لمهاجمته في الكويت.



فتح الأحساء

في سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٣م استولى ابن سعود على الهفوف والقطيف والعقير بل على تلك المنطقة بأكملها.

والمعروف أن المتصرف والقائد التركي قبلا الأمان من ابن سعود واستسلما مع الحامية، فقال عبدالعزيز مقالته المشهورة: (لا ننزع من الجند العثماني سلاحه) ثم رحّلهم مع عوائلهم وأمتعتهم من الهفوف إلى ميناء العقير، وليس معهم من يخفرهم ويؤمن طريقهم غير رجله أحمد بن ثنيان الذي جهزهم بالسفن إلى البحرين.

وكان قبل ذلك لا تستطيعه فرقة كاملة مع قبائل «المرة» و «العجمان» و «آل خالد» وقطعهم السبل ونهب المارة، فكان من المعروف أن المري أو العجماني يقتل الفارس التركي ويدخل الهفوف ويبيع سلاحه وفرسه ولا يستطيع الوالي التركي أن يقبض عليه خوفا من أخذ الثأر من قبل عشيرته أو قبيلته. أما العساكر المرحلة فعند وصولهم إلى البحرين، وجدوا من يحبذ لهم العودة إلى (العقير) علهم يسترجعون القصر، وصادف مركب لآل بسام في ميناء البحرين يشحن تمرا، فركبوا متنه وأمروه بالعودة بهم إلى العقير، وبوصولهم افترقوا إلى ثلاث فرق، فرقة هاجمت القصر فردوا خائبين، وفرقتين هاجمتا مركزين آخرين، وبلغ الخبر عبدالعزيز فنهض نهضته المعروفة، ووصل العقير الساعة الثانية بعد منتصف الليل، بعد أن قدم طليعة من الفرسان قبله، فوجدت أن السرية التي كانت في القصر بعد صدها للهجوم عليها هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه، فهزمتهم وأسرت منهم ٣٠، وبوصول عبدالعزيز بعدهم أخلى سبيل الأسرى ورحّلهم بحرا، ثم كتب للشيخ عيسى آل خليفة، أمير البحرين وإلى الوكيل السياسي البريطاني ما يأتي:

(أيليق بكم تحريض العدو علينا ونحن أصدقاؤكم فإن كنتم لا تتلافون مثل هذه الأعمال وتمنعونها فالتبعة فيما قد يعقبها هي عليكم).

فورده الجواب الآتي:

(إن العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة، وقد رجعوا إلى العقير دون علم من الحكومة أو الوكالة)[1].

ويعلق أمين الريحاني على ذلك بقوله: (إن آل خليفة والوكيل الإنجليزي خشوا أن يتقدم ابن سعود...).

وبعد ذلك وصل صحفي عراقي، فأفضى إليه ابن سعود بحديث طويل لتبرير فتحه الأحساء ومنه: (.... لقد جاءتني محاضر فيها توقيع كثير من العلماء والوجهاء قائلين إن لم تسعفنا نضطر إلى ما لا تحمد عقباه).

(وفي تلك المطاوي؟ سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله، فاستندت حين ذاك إلى ما لي من الحقوق الشرعية في هذا القطر، بمنزلة أساس. فبادرت إلى تلبية طلب الأهالي ليكونوا في حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيها، وإبعاد الأجانب عن ديارهم..) هذه خلاصة موجزة عن فتح الأحساء[2].

---

(١) نجد الحديث ص٢١٠، ٢١١ .

(٢) شبه الجزيرة للزركلي ص٢١٠ .



الفصل الثاني

الحالة السياسية في المخلاف السليماني

منطقة جازان

١٣٤٢هـ - ١٣٥١هـ

١٩٢٣م - ١٩٣٢م



عناصر البحث

وفاة الإدريسي - التنافس بين الإمامين - الاتفاق والاختلاف - رسالتان - موقف ابن سعود من الأدارسة - الحماية - الأوضاع في المخلاف - الوجود السعودي - الحركة الفاشلة - على الإدريسي - بين الإمام والملك - الثورة الخاسرة .



وفاة الإمام محمد بن علي الإدريسي

توفى في ٦ شعبان سنة ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢م[١] وابنه الأمير علي في سن السابعة عشرة من عمره، وموت الإدريسي كان مفاجأة، فهو في سن الثامن والأربعين، قوي البنية، فمرض بمرض لم يمهله إلا ثلاثة أيام، فكان لموته صدمة هزت المنطقة، وأذهلت رجال دولته خاصة والشعب عامة، فانصرف رجال الدولة مبهوري الأنفاس، منشغلين بمصابهم الجلل، وخطبهم الفادح، وبعد الإفاقة من غاشية الحزن هبوا إلى تجهيز أمر دفنه، والأخذ بما ينبغي من تهدئة الأمور، ومع أن الوفاة كانت يوم الثلاثاء الموافق ٦ من شهر شعبان، فقد أرجيء دفنه إلى يوم الخميس الموافق ٩ شعبان، وأبرق إلى ابن عمه مصطفى بن عبدالمتعال بن أحمد بن إدريس المتغيب في مصر للحضور سريعا.

حضر رجال الإمارة ووجهاء المنطقة، وشيوخ قبائلها، ووزراء الدولة، والحسن الإدريسي عم الأمير علي، وبعد المداولة والأخذ والرد، اتفقوا جميعا على مبايعة الأمير علي، الابن الأكبر للإمام الراحل.

ومن مجلس الاجتماع بايع الحاضرون واتخذت الإجراءات الآتية:

١ـ الإعلان عن الوفاة برسائل خطية يحملها العَدَّاؤون من وإلى كافة أرجاء الإمارة من البرك، ورجال ألمع في الشمال، إلى ريمة وبرع وعبال والحديدة في الجنوب.

٢ـ استدعاء من لم يحضر الاجتماع كوجهاء وشيوخ القبائل في المنطقة الجنوبية التي هي من ميدي إلى الحديدة.

٣ـ انتداب الوزير محمد يحيى باصهي إلى جنوب الإمارة لتهدئة الأحوال، وأخذ البيعة ممن لم يستطيع النهوض بسرعة، وتمت تلك

---

(١) ذيل نشر الثناء الحسن ص٢٠٩، كتابنا المخلاف السليماني ص٨٥٠، ج٢ .

الإجراءات وجرت الأمور في مجراها الطبيعي، وفي يوم ٢٣ شعبان وصل الأمير مصطفى الإدريسي عائدا من مصر مستصحبا ابنيه، وفي قدومه بابنيه من مصر لأول مرة مغزى معروف فيما يختلج في صدره من الأماني.

طلب منه المبايعة فبايع، وأخذ من بعد ذلك يلومهم على استعجالهم في البيعة، فلاموه بدورهم على استعجاله بالمبايعة.

بعد ذلك بأيام اقترح على الأسرة والوزراء انه من المصلحة نظرا لفتوة الأمير المبكرة بحيث لا يتجاوز السابعة عشرة من العمر وهو لم يحصل إلا على مبادىء علوم العربية والفقه، ومن المصلحة أن ينيب عنه أحد أفراد الأسرة، ويرسل إلى مصر ليلتحق بالأزهر، محاولة مع نبل القصد لا تخلو من غاية، والشخص الذي سوف ينوب هو الحسن الإدريسي، وسيكون النائب الثاني هو مصطفى نفسه، الذي في وسعه أن يطوي الأول تحت جناحه، فشايعه بعض رجال الدولة، وبعض زعماء جنوب تهامة الذين كان مصطفى له السلطة في جهتهم، أما زعماء المخلاف فلا يعرفون مصطفى إلا بقرابته للإمام الإدريسي المتوفى لأنه من سكان مصر، ووصل المنطقة في عام ١٣٢٧هـ ـ ١٩٣٦م، ثم رجع إلى مصر، وعاد في سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩٣٩م فاستعان به الإمام الإدريسي في مهام الأمور وقيادة الجيش.

تشعبت الآراء وافترقت الأهواء ففريق مع الحسن وفريق مع مصطفى، وأكثر شيوخ القبائل وبعض الوزراء والجمهور مع الأمير علي، وانطوت سنة كاملة والأفق ملبد بالغيوم، وسيرة الأمير الجديد موضع استياء وانتقاد، والوزراء اعتادوا هَيْبَةً مُسيِّرةً وشخصية قوية موجهة حازمة، ذات علم واسع وثقافة عالية، يقفون منها موقف التلميذ من أستاذه، والجندي من ضابطه، فهو صانع ثورة ومدرب شعب، فألفوا أنفسهم في عشية وضحاها أمام شاب غر، إن ابتده لم يحسن البديهة، وإن أراد التروي عاجله طيش الشباب، فالتاثت الأمور، وكثرت المؤامرة عليه، وحامت

الشكـوك منـه، فدبروا مؤامرة القبض عليه ليلة الاحتفال، فعرف كيف يتخلص منها ويحبطها ويركب من ساعته في سيارته إلى جازان.

شعر المتآمرون بفشل المؤامرة، فأسقط في أيديهم، وبعد أخذ ورد توسط الرجال الذين لم يشتركوا بين الأمير وعمه وابن عمه، وتم الاجتماع في معسكر الأمير علي في الواصلى على ما يأتي:

١ ـ تجديد الاعتراف والمعاهدة من عمه الحسن وابن عم أبيه مصطفى.
٢ ـ العفو عن الماضي وأن ينيب مصطفى على المنطقة الجنوبية.

وإنما كان «صلح على دخن» فعم الأمير يستقطب الناس نحو شخصه في صبيا، والأمير الجديد اتخذ من جازان عاصمة بدلا من العاصمة التي بها عمه، ومصطفى في الجنوب يعمل لحساب نفسه[١]، ويستقطب ولاء شيوخ المنطقة الجنوبية، ويتصل بالإمام عن طريق منصب[٢] المراوعة عبدالقادر بن أحمد الأهدل الزعيم الصوفي لقبائل القحراء وغيرهم، لتأمين ظهره من ناحية الإمام يحيى من جهة الحدود الشرقية الجنوبية كـ (ريمة) و (برع) وغيرها، ويتصل ببريطانيا بواسطة حاكم كمران وبرجال الشركات البـريـطانيـة للمفـاوضـة لإعطائهم امتيازات في الصليف وفي فرسان، ليستعين بما سيؤول إليه في مجهوده الحربي.

فاحتـج الأميـر علي، على الحكـومـة البريطانية فأرجأت اتصالاتها بمصطفى، وأشارت على الشركات بتجميد اتصالاتها معه، وفي تلك الأثناء وصل الميجور (باريت) إلى جازان ليطمئن الأمير علي بعدم تدخلهم في الصراعات الناشئة بينهم وبين ابن عم أبيه مصطفى، مؤكدا له التزامهم بالمعاهدات المعقودة بين والده والحكومة البريطانية، فاغتنم علي وصول (باريت) للتأكيد فيما سبق طلبه من سلاح وعتاد، فاعتذر له بحياد حكومته في هذا الموقف.

---

(١) المخلاف السليماني ص٨٥٠ ـ ٨٦٥، ج٢، ط٣.
(٢) ذيل نشر الثناء الحسن ص٢٥ .

وقد حاولت إيطاليا دس أصبعها في تلك الأثناء، فوصل مندوبها إلى الأمير علي وقدم له سيارة (فيات) هدية، ويظهر أنه لم يظفر بامتياز أو غيره، وكان مصطفى قد كشف أوراقه فلم يسعه إلا إعلان الثورة التي كان نتيجتها الفشل، وفرار مصطفى نفسه إلى الدريهمي، ولحق به ابناه، ومنها إلى الطائف[١] عند شيخ الزرانيق أحمد فتيني، الذي لم يسمح له بالفرار بحرا إلى كمران إلا بعد أن جرده من كل ما تبقى لديه من مال وسلاح[٢].

فقد كان لبعض رجال الإمارة الإدريسية ووزرائها ضلع في ثورة مصطفى، جعل الأمير علي بعد القضاء على تلك الثورة يقوم بإبعاد ونفي وزراء الدولة وقادة جيوشها، وعُمَّالها، ورجالها إلى عدن، فأقفرت الإمارة من الكفاءات، فاستعان بمن هم دونهم ممن لم يسبق لهم الاشتغال بالسياسة أو القيادة أو الإدارة فنضبت البلاد من الخبرات وتدنت الإيرادات، وساءت الأحوال.

لقد خرج الأمير علي من ذلك الصراع مع مصطفى ظافرا بَيْدَ أن ذلك الصراع وتلك الحرب، قد كلفاه الكثير، مالاً ورجالا مما أتى على جل موجود خزينته ومستودعاته، وتركت في تفكيره كثيرا من الاضطراب والتخبط والشك في رجال دولته ووزرائه.

ابتداء التنافس والتنافر بين الإمامين يحيى والإدريسي

إن العداء بين الإمام يحيى والإدريسي في المخلاف السليماني، تمتد جذوره منذ قيام الإمام يحيى بثورته في الجبال والإدريسي في المخلاف السليماني، وكلا الجهتين كانتا تحت سيطرة الأتراك، وقبل أن نشرع في

---

(١) الطائف بلدة في جهة بلاد الزرانيق جنوب مدينة الحديدة.

(٢) المخلاف السليماني ص٨٦٨، ج٢، والوشلي في ذيل نشر الثناء ص٢٢٥ .

الموضوع نورد ما جاء في كتابنا المخلاف السليماني بعنوان (بين الإمامين يحيى بن محمد حميد الدين ومحمد بن علي الإدريسي) ففي ذلك التفصيل والتوضيح لمجريات الأمور في ذلك العهد.

بين الإمامين
يحيى بن محمد حميد الدين ومحمد بن علي الإدريسي

بعد احتلال الجيش الإدريسي لمدينة (ميدي) في عام ١٣٣٠هـ وصل الإدريسي إليها من (حرض) في شهر شعبان، وأقام بها - كما سبق الإشارة إلى ذلك - إلى شهر شوال، ومنها حرر رسالته المشهورة التي نشرها وأمر بتوزيعها على القسم الجبلي، شارحا كل ما كان بينه وبين الإمام يحيى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله رب السموات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[١] وهو الله لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، **﴿ وله الحكم وإليه ترجعون ﴾**[٢] وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فإن ربنا تبارك وتعالى يقول: **﴿ شرع لكم من الدين ﴾**.. الآية.

---

(١) صحة الآية: ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾. (سورة الجاثية الآية رقم ٣٦، ٣٧).
(٢) من الآية رقم ٧٠ سورة القصص.

واعلموا هدانا الله وإياكم أن ابن حميد الدين لما رأى الدولة التركية بصدده وأخذت تهتم باستئصاله وقصده، التجأ إلينا بإرسال (أحمد بن يحيى بن عامر) و (حسين العرشي) للتفاهم معنا.

بأن الدولة التركية لا بد أن تقبض على ابن حميد الدين وعلينا، ويرغب في أن نكون يدا واحدة، وأن نشايعه في مقاومتهم بالحرب، فوافقناه على ذلك الصنع مع الشروط المضروبة والقواعد المقررة، لا يتعداها أحد منا ولا منه.

فلما وقعت ما بيننا وبين الأتراك واقعة (الحفائر)، استماله الأتراك وجعلوا له ثلاثين ألفا من الريالات، وغير ذلك العُشرين والنصابين المكلف بأدائها الأهالي في جهة (صنعاء) وما والاها، فوافقهم على ذلك ليكون ضدنا، ومع أن تلك المواد مضادة للدين وهي (العُشرين والنصابين) مع أن هذا الدين الحق مازال يخفف في مقادير الزكاة حتى أدنى من العُشر وإلى ربع العُشر.

ويا ليت شِعري بماذا يجيب إذا سئل عني وعن أولئك، لما حركنا للجهاد حتى ذهب في ذلك الألوف من الرجال، في كل موطن من مواطن الحروب ومالا يحصى من الأموال، واشتداد العداوة بين العرب والعجم، واستطال الشأن بين الفريقين، لولا أن الله قد وعد لينصرن من ينصره، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من غشنا فليس منا)، و (من عمل عملا أظهره الله عليه).

ويا ليته اقتصر على غشه، ووقف موقف الغاشين فقط، بل قام في إعانة العدو علينا، حتى أخرج في الأيام الماضية أحد نواظره (محمد بن شرف الدين) بجهة (الشام)(١) أما في الظاهر فيقصد ذلك الرجل المكين (القاسمي)(٢) في جهة (أم ليلى) وأما في الباطن فليفتح الحرب على

---

(١)و(٢) راجع ما ورد في كتابنا المخلاف السليماني ص٧٤٥، ج٢، والقاسمي رجل منافس للإمام على الإمامة قام بدعوته في بلدة تسمى «أم ليلى» والشام يقصد به الإدريسي ما كان في جبال رازح وجهات صعدة في اليمن.

أصحابنا في (الشام) في جهة الجبال، مع القواعد المضروبة بيننا وبينه، آخرها بخط العلامة صفي الإسلام (أحمد بن يحيى عامر)، وأنه يتجنب ألا يعقد اتفاقا ضدنا مع العدو، كما بينت تلك الجوابات التي تروح وتجيء بينه وبين الأتراك، وقد ضبطنا بعضها ولله الحمد، وحينما أراد بعضهم الإنكار للاعتداء، ألزمناهم بحجة قوية أنَّ الاعتداء كان منهم في بلادنا ووسط أهل طاعتنا، خصوصا حين انضاف إليه محابيس من أهل طاعتنا، كصنو (عمير بن مغيث) الموثوق بالسلاسل، وقد عرف أنه من أهل طاعتنا.

ولطالما كان يكاتبنا الناظر لنا هناك بالالتفات إليه بإعداد القوة، لأنه كان يرى من جاره الخيانة، وإنْ تظاهر لدينا بالأمانة فما كنا نلتفت إليه، لأن المسلم أخو المسلم ولا يجوز أن يستعد له بسلاح، حتى وقع منهم الواقع فاجتمع إخوان الحق، وكان نصر الله والفتح، وكأن (ابن حميد الدين) وأصحابه لم يذكروا قريبا، وهم ينادون بتكفير الأتراك ووجوب قتالهم، كما كانت تنادي بذلك رسائل والده، الموجودة عندنا، وعند غيرنا، كما كان أئمة الجبال من قبل على ذلك إلى أيام الإمام (القاسم بن محمد) ولعل لديكم شيئا من نصوص تلك الرسائل.

ومن العجائب أننا وقعنا على جملة رسائله، يكفروننا فيها وينسبون إلينا موالاة النصارى، حتى إننا نستبدل (الجمعة) بـ (الأحد) ومن أين لهم هذا؟ مع أن باب التكفير والتفسيق لا بد فيه من البيان والدليل القطعي، حتي يتبين الأمر، وإلا عاد على مفتريه، لأن من كفر مسلما فقد كفر.

إنكم على يقين أننا في العام الماضي نجاهد نحن وابن حميد الدين لا لدسيسة نصرانية، بل لما ترابطنا عليه من إعلاء كلمة الله، مع أن في ذلك الوقت كان (الأتراك والإنجليز والطليان والفرنس) وغيرهم إخوانا لم تحدث بينهم الحوادث إلا بعد أن مضى علينا في الجهاد ثلاثة أعوام.

على أن هذه الأوهام قد حسمنا شبهتها أيام حضر لدينا السادة:

محمد الشراعي الحوثي، وأحمد بن يحيى عامر ورفقاؤهم الأفاضل، كل ذلك لو أراد ابن حميد الدين أن نكون يداً واحدةً على من سوانا من أعداء الدين، ونقوم بجهادهم إن أرادوا الدخول في هذه الديار الإسلامية، سواء كانوا تركاً أو طلياناً أو إنجليزاً أو غيرهم، ولو يعلم أعداء الدين بهذا الاجتماع لم يظهر منهم أدنى نزاع، ولا جرأوا على العمل إلا حين ظهر لهم منا معاشر أهل الدين النزاع والقتال.

فما كان من ابن حميد الدين إلا الجواب بإعانة (الأتراك) ونشر تلك الرسائل المشحونة بالهمز واللمز، كما هو شأن (....) متغاضيا عن الصواب، كأنه يظن أن شمس الحق يضرها طَفَلُ الباطل وهيهات... هيهات..، وقد وعد الله بأن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زَاهِقٌ ولكم الوَيْلُ مِمَّا تصفون.

وربما تسألون جميعا عما بأيدينا من (المدافع) والأسلحة، فهذه هي القوة التي أمرنا الله بتحصيلها يقول تعالى: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾.

وفي الحديث: «**ألا إن القوة الرمي**».

على أن مذهب «الزيدية» الذين هم منهم يجيزون أبعد من ذلك بمراحل، وهو الاستعانة بالكفار في الجهاد، كما حكاه في كتاب (البحر) عن العترة، وأبي حنيفة لما صح أن (قزمان) خرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم «أحد» وقتل ثلاثة من بني عبدالدار حملة لواء المشركين، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله ليأزَرُ هذا الدين بالرجل الفاجر**».

وقد جمع بين هذه الأحاديث وأحاديث المنع من الاستعانة بالمشركين بأمور منها أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها، قال ابن حجر: وهذا أقربها وعليه نص الشافعي.

وليست هذه (كمكينات) ضرب الفلوس و (البقش) التي استجلبها من

(الإنجليز) ابن حميد الدين من طريق (عدن) مع أن أية ضرورة في الدين إلى هذه (المكينات) والتذلل في طلبها.

وقد عاش أئمته على هذه النقود المقصوصة ولنا أسوة بالسلف الصالح، وهل كان الرسول والخلفاء الراشدون كذلك؟ اللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا اتباعه والباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه... إلى آخر ما جاء في ذلك المنشور المطول[1].

إن المنشور الإدريسي سجل تأريخى نشره أثناء إقامته بمدينة (ميدي) بعد استيلائه عليها من الأتراك في عام ١٣٣٠هـ، وَوُزِّعَ على رؤساء وقادة الرأي في القسم الجبلي، موضحا العلاقات بينه وبين الإمام يحيى، شارحا تطورات الحوادث، وهو وإن كان كمنشور دعاية من جهة ضد جهة أخرى، فيلزمنا الإنصاف للتاريخ أن نبحث عن وجهة دفاع الجهة الأخرى، إما في منشور ردت به تلك الجهة أو غيره، وإذا أعوزنا ذلك وهو (الواقع) فعلى الأقل وعلى قلة المصادر التي تعتني بتحري دقائق السياسة في ذلك العهد، فلا مناص من استقراء الحوادث وتتبع مجريات الأمور التي نلخصها فيما يلي:

عاد الإدريسي إلى وطنه ومسقط رأسه في شهر جمادى الأولى عام ١٣٢٣هـ أو ١٣٢٤هـ، والإمام - كما أشرنا قبله - قد انسحب أمام القوات التركية التي احتلت (صنعاء) إلى شهارة، ولا زالت المعارك دائرة بينه وبين الأتراك، وقد تقدم (أحمد فيضي) إلى شهارة فمني بهزيمة ساحقة وعاد إلى (قواعده) في صنعاء، وظل الإمام يحيى في معقله الحصين متربصا بهم الدوائر إلى أن عُزل (أحمد فيضي) في عام ١٣٢٦هـ بـ (حسن باشا) الذي عقد هدنة مع الإمام سرى مفعولها نسبيا إلى عام ١٣٢٨هـ، أما معاهدة الصلح بين الإمام والأتراك فهي في عام ١٣٢٩هـ.

---

(١) أنظر نص المنشور كاملا في كتابنا «المخلاف السليماني» ج٢، ط٣ .

عزت باشا ومعاهدة دعان

فيما بين ١٣٢٤هـ - ١٣٢٩هـ وحدت الغاية المشتركة بين الإمامين وهي مقاومة الأتراك، ونرجح أنه في عام ١٣٢٧هـ كان وصول وفد الإمام يحيى إلى الإمام الإدريسي وهو الوفد الذي أشار إليه في مستهل منشوره، أي في عهد الهدنة المؤقتة بين الإمام يحيى وحسن باشا، وقد أعقب تلك الهدنة شبوب نار الحرب ولم يطفئها إلا الوالي التركي عزت باشا بعقده معاهدة الصلح مع الإمام يحيى، وفي تلك السنة نفسها كانت معركة (الحفائر) أي في عام ١٣٢٩هـ وهزيمة الأتراك الساحقة في (جازان) أمام القوات الإدريسية، وقد أشار الإدريسي في منشوره إلى استمالة الأتراك للإمام بما أشار، وقد أشار أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) إلى معاهدة الصلح تلك بقوله: (كان يومئذ عزت باشا والي اليمن، وكانت الدولة على أهبة الحرب مع إيطاليا، فسعى عزت بما كان له من حنكة وفصاحة وكرم إلى مصالحة الإمام، ليمنعه على الأقل من محالفة العدو، كما فعل بعدئذ الإدريسي)(١).

الاتفاق والاختلاف

اتفق إذاً الإمام يحيى مع الأتراك، وقد استفحل أمر الإدريسي وأصبح خطرا يهدد كل نفوذه، والإمام يحيى صاحب نفوذ مذهبي موروث في جميع المنطقة الجبلية من ذمار إلى صعدة التي تدين بمذهب الإمام زيد، فنرى أنه أوجبت الظروف في أثناء محاربته للأتراك، لعقد الاتفاقية بينه وبين الإدريسي، الثائر مثله على الأتراك في إبان نشوء دعوة الإدريسي التي لم يكن ينتظر لها أن تلقى ما لقيته من رواج وتوفيق، والسيد

---

(١) ملوك العرب للريحاني ص١٤٦، ج١ .

الإدريسي من سعة الأفق وبعد المطمح والحنكة السياسية، بحيث أثبت وجوده الفعلي مستقلا بين زعماء العروبة فضلا أن يرضى أن يكون تابعا، ونرى في عام ١٣٢٧هـ وبعد اتفاق الوفد (العثماني) على وجه التحقيق الذي كان على رأسه (سعيد باشا)[١] والذي اقترح على الدولة العثمانية - كما أشرنا - على أن يبقى (الإدريسي) كحاكم على المخلاف السليماني باسم (قائمقام) كموظف عثماني تابع للدولة، إن الإدريسي نفسه اعتبر الاتفاقية تلك كاعتراف ضمني من الدولة بنفوذه، وعلى أثرها بعث نوابه إلى الجهات ومن أولئك النواب (عرار بن ناصر النعمي)، الذي بعثه إلى جبل (فيفا) وما يليها من الجبال، وكانت قبائل تلك الجبال قد انهمرت عليه وفودها وبايعه شيوخها فجعل - كما أشرنا قبله - القائد الإدريسي من (فيفا) نقطة الانطلاق إلى توسيع دائرة النفوذ الإدريسي فشمل نفوذه النضير بل جبال رازح جميعها حتى قرب (صعدة)، تقريبا وأقبلوا برهائنهم إلى (صبيا) وكان في تلك المنطقة مراكز تركية، وبعضها قد ثارت وانضمت مع الإمام في ثورته والبعض خارجون عن كل سلطة أو مع القاسمي[٢]، فاصطدم النفوذ الإدريسي بالنفوذ الإمامي مباشرة، كما اتفقت مصلحة الترك ومصلحة الإمام في صد تيار النفوذ الإدريسي، فشب القتال في جهة (رازح)، فكانت النتيجة ذلك النصر الذي أشاد به السيد الإدريسي في منشوره - راجع الفصل الخاص بعنوان (في الميدان الشرقي)[٣].

وأخذ بعد ذلك الانتصار العداء يشتد حتى تم الصلح بين الأتراك والإمام يحيى في عام ١٣٢٩هـ، وهو العام الذي حدثت فيه معركة (الحفائر)[٤] وهناك قد أصبح الإمام يحيى حليفا وصديقا للأتراك،

---

(١) هو غير سعيد باشا قائد حملة عدن سنة ١٣٢٧هـ، فالأول وصل من تركيا إلى جازان سنة ١٣٢٧هـ - أنظر كتابنا المخلاف السليماني، ص٦٢٤، ج٢، ط٣ .

(٢) هو صاحب «أم ليلى» السابق ذكره.

(٣) «كتابنا المخلاف السليماني» ج٢، ط٣، ص٦٥٨ .

(٤) «الحفائر» مورد ماء مدينة جازان - سابقا - أما في العهد السعودي الحاضر فالماء يصل جازان من موقع يسمى «الماطري» في مواسير وقنوات مقفلة إلى كل بيت.

والإدريسي منافسه بدأ يتقرب إلى الحلفاء كحليف لبريطانيا ضد الأتراك، وكما يرى الأول أن مصلحة الإسلام والقومية العربية التخلص من سلطان الأتـراك، بمساعدة أي حليف كان، سواء إيطاليا أو بريطانيا طالما أن التحالف معهما موجه ضد الأتراك وجلائهم عن البلاد العربية، لا يمس استقـلال البـلاد في المستقبـل فالإمـام يحيى يرى بعكس ما يراه الإدريسي، والآن وقد انتهينا من إيراد المنشور والتعليق عليه فعلينا أن نورد ما سجله أمين الريحاني.

نظرة الإمام الإدريسي الخاصة تجاه الإمام يحيى

في أثنـاء قدوم الكـاتب العربي المشهور أمين الريحاني في رحلته المعروفة إلى الإدريسي جرى في إحدى الجلسات هذا الحديث:

في أثناء بحث الريحاني معه في موضوع معاهدة الإخاء والتضامن بينه وبين الملك حسين، جرى هذا الحوار:

الإدريسي: المسألة بيننا وبينه قريبة هو لنا بمثابة الأب ونحن أبناؤه الراشدون، عندنا حكمة، حكمة في الدين وفي السياسة وعندنا.... قوة القبائل في يدنا، والله لا تمر أربعة أشهر على المعاهدة إلا نكون أصلحنا بينه وبين ابن سعود.

الريحـاني: إذا أصلحتم بين جلالة الملك وسلطان نجد فهو لا شك يسعى لصلح بين سيادتكم والإمام يحيى، فيتم إذْ ذاك الاتفاق الرباعي أو المحالفة الرباعية وهي كما أظن حجر الزاوية في الوحدة العربية.

الإدريسي: هذا كلام حق ولكن الأمر بيننا وبين ذلك الرجل بعيد.

الريحاني: ليس على الله يا مولانا أمر عسير.

الإدريسي: نعم صدقت. وما نحن يا حضرة الأديب لسنا بعيدين مما تروم ولكن ذلك الرجل، أَضَرَّ بنا والله ضررا جسيما، ونحن نفعناه مجردا

عن كل ضرر وغش، أما نحن والملك حسين فقد كان الضرر والنفع بيننا منا ومنه ولذلك ترى الأمر قريبا بيننا... العرب خداعون غدارون.. نحن أول من حمل على الأتراك في الحرب الكبرى، أول من انضم إلى الأحلاف، أما هو فاتفق والترك وانسحب إلى (شهارة) وأقام هناك بعيدا عن ساحة القتال، أي خير نحن العرب قد جاءنا من الترك؟ أية منفعة نفعونا بها؟ نحن حاربناهم قبل الحرب وحاربناهم أثناء الحرب، وسنحاربهم إذا عادوا إلى بلادنا.

نحن كنا نحاربهم في (تهامة) لنردهم عن ابن حميد الدين، أوقفناهم مراراً في زحفهم عليه، دافعناهم عنه، فراح يعقد وإياهم صلحا من وراء ظهرنا هذا في أثناء الحرب. أما قبلها فكنا نحن وإياه متعاهدين؟ - يشير إلى المعاهدة التي أوردناها في أول الفصل - عقدنا محالفة لمحاربة الأتراك، وطردهم من (اليمن) ولما جاءوا يمرون في بلادنا ليضربوه من جهة الشمال أوقفناهم، وقلنا لهم: كيف نقبل وبيننا وبينه عهد الله. وصل الترك بعدئذ إلى صنعاء فهبوا يضربوننا من وراء الجبال، فلم يمنعهم ابن حميد الدين حليفنا صنو عهدنا، كأن العهد عنده قصاصة ورق[1].

ويقول الريحاني: (وفي كتابين أطلعت عليهما الأول من الإمام يحيى إلى الإدريسي والثاني جوابه من الأخير، في كتاب الإمام يحيى وتاريخه ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩هـ وبعد المقدمة).

إننا نرحب بسعي كل من يرجو الله في دفع الدسائس الأجنبية، وصون هذه البلاد العربية من تدخل الأجانب، وأعلموا أن ليس لنا غرض ولا مقصد في غير القيام بخدمة الله بالقلب واللسان، ووالله لولا أن نرى تحتم القيام علينا بالدفاع عن عادية الكفار، على هذه الأصقاع لما حركنا ساكنا، ولما أظهرنا كامنا، ونصرح لكم بأنه مع ما بينكم وبين تلك الدول من الروابط والعلم بما لهم من المقاصد الضارة بالإسلام والمسلمين، وما يرومون من التسلط العام والسيطرة الشاملة على كل من قعد وقام، وبأنهم

(١) ملوك العرب ص٣٢٦ - ٣٢٨ .

لا يدفعون الأموال والذخائر إلا مقابل غرض عظيم، يعدون الاستفادة منه لدولتهم وملتهم ولم يحملهم على إظهار عداوتنا إلا عدم المساعدة لهم منا، في بعض البلاد اليمنية ولولا ذلك لما كان بيننا وبينهم ما كان وما سيكون، قد أنصفتم بما أوضحتموه (للشرفي) من القيام بالعدة والتشمير لقتالهم ومنعهم وحربهم في البر والبحر، وذلك هو الغرض المقصود، ولكن بقى أمر مهم وهو: هل لهم من حجة يحتجون بها، ويجعلونها ذريعة لهم إلى مقصدهم الخبيث من إدعاء أي جانب في اليمن؟ وهل لكم من فكاك من تلك الروابط يزول به كل وسيلة لهم إلى أي تجاوز؟ ـ المؤمل في صداقتكم مع كتابنا هذا أن لا تكتمونا شيئا فإنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس، وأنتم أعرف بسياسة الدول ومسالكها إلى الوصول إلى أغراضها بما تبرمه من متلونات الحيل. وهذا إليكم كتاب أخ إلى أخيه للنظر فيما يعز الإسلام والمسلمين، ويدفع كيد وضرر الكافرين.. إلخ.

جواب سيادة الإدريسي على سيادة الإمام يحيى

بعد حمد الله والسلام يعلمه بوصول كتابه مع (الشرفي) يؤكد له أن بغيته المقصودة وضالته المنشودة (أن نرى أنفسنا على محكم الإخاء والوفاق، مع جميع الأمة فردا فردا فضلا عمن هو مثلكم ممن ضمنا وضمه رحم العلم والنسب) ولو نظرنا إلى ما جرى من الحوادث حتى كأن لم يكن رحم توصل ونفوس بين يدي الله تسأل، فدعا الأخ أخاه إلى حكم السيف والسنان، بل كر عليه بما هو أنكر من وخزات القلب واللسان، لطال الشرح وتمادى الحال. ولكن حيث أوجب تعالى على الكافة أن يكونوا إخوانا، وفي الحق أعوانا فلا مخلص لنا ولكم لدى الباري من الحجة، إلا أن نسلك أوضح طريق هذه المحجة.

أما ما أشرتم إليه فيما بيننا وبين الأجانب فلو راجعتم التاريخ بالنظر لما قد كان بيننا وبين الطليان، وقد أمدونا بما علمتم، ثم وقع الصلح بينهم وبين الترك فانكشف الحال عن براءتنا من كل دسيسة بل ظهر للعموم ما

أجراه الله على يدنا من الخير المعلوم، لاتضحت لكم الحقيقة وعرفتم المثل السائر: ما أشبه الليلة بالبارحة، وفي الجملة ما حالنا وحال اليمن إلا كما قال حجة الإسلام.

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد   لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

إن الله تبارك وتعالى إذا فتح للخير فلا راد لفضله، وأما ما طلبتم البيان فيه عن اليمن، وما ترمي إليه السياسة الأجنبية، فمن المعلوم أنها لما قامت الحرب الأوروبية أعلنت بريطانيا مساعدة العرب إذا أرادوا الاستقلال، دون تدخل في شيء من شؤونهم، ولكن مع الأسف إنهم على آراء متفرقة وأهواء مختلفة، ومرت هذه الفرصة وكادت تمر ولم يرفع لها رأس.. على ما نشاهده الآن في الاختلاف وعدم الانتباه، لما يرفع شأنهم دينا وسياسة، أثبتوا على أنفسهم عدم الرشد فاحتقرتهم أعين العالم وصاروا عرضة لانحطاط قوميتهم من بين سائر الأمم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومثلكم على وفور من العلم والسياسة وبمحل من المعالي والرياسة، فلا يخفى عليكم كيف يكون لم الشعث لهذه الأمة، وما هو الأقوم عند الله طريقة في زوال هذه الغمة، وحسبنا الله ونعم الوكيل في ١٥ شعبان ١٣٢٩هـ.

ويعلق الريحاني على الكتابين بما يلي:

(في هذين الكتابين يتضح أمران:

الأول: أن دعوة الإمام يحيى دينية ظاهرا وسياسية ضمنا ودعوة سيادة الإدريسي دينية أساسا وسياسية وقومية عملا.

الثاني: إن في كتاب إمام صنعاء غموض مقصود قلما يفيد، وفي كتاب إمام جازان صراحة مبرزة وتخصيص ليس فيه إبهام).

إن رسائل الشخص صورة من نفسيته وفكره وعقله الباطن، وفي

الرسائل المتبادلة بين الإدريسي والإمام يحيى، وهما كزعيمين عربيين قاما بمحاولات ناجحة أولاً في الثورة على الحكومة العثمانية، وثانيا في حكم إدارة منطقتيهما، وإذا كان الإمام يحيى ثار ثم تصالح مع الأتراك وتجمدت ثورته إلى أن جلا الأتراك وسلموه القسم الجبلي وميناء المخا، فالإدريسي قد ثار واستمر في ثورته إلى أن دحر العثمانيين في غير موقعة، ثم استولى على ما كسبه من الأتراك ماعدا الحديدة فقد سلمها له الإنجليز للأسباب التي سبق توضيحها منها أن الحديدة أصبحت مطوقة بنفوذ الإدريسي من كل جانب، فهو قد تقدم عنها شرقا بنحو خمسين ميلا وشمالا تتصل بإمارته مباشرة، وغربا البحر الأحمر وجنوبا قبيلة الزرانيق الغير خاضعة لأحد.

وسيلاحظ القاريء الكريم أن رسائل الإمام يحيى إلى الإدريسي خالية عن كل مطالبة لا في الحديدة ولا غيرها.

ثورة القبائل الساخطة

إن قبائل تهامة التي استولى على بلادهم الإدريسي من الأتراك وجدوا في سخائه ومرونة حكمه وكونه سني المذهب مثلهم ما حببه إليهم وقربه من نفوسهم، وبعد أن استولى عليهم الإمام يحيى الزيدي المذهب - والاختلاف بين الزيدية الشيعية والسنية الشافعية - ما قد سبق ذكره - زاد السخط والتذمر بما فرضه الحكم الجديد الإمامي من ضريبة زكاة الفطر التي تجبيها الدولة والضيافة الجبرية للجند المنفذ على من أخر دفع الواجبات أو لم ينفذ الأوامر واشتراط الجندي على مضيفه أطايب الطعام الذي لا يحصل عليه صاحب البيت وغير ذلك.

فتأجج حنينهم إلى العهد الإدريسي الذي انحصر عن نصف الإمارة الشمالي، والذي لم يعهدوا في حكمه تلك التكاليف والواجبات، فثاروا أملا في عودة الحكم الإدريسي، كل من قدر على إعلان تذمره وسخطه مثل:

١ ـ قبائل عبس.
٢ ـ قبائل بني مروان.
٣ ـ قبائل صليل.

وإن كان التذمر قد عم غيرهم ممن لم يكن عندهم القدرة على القيام بثورة مثلهم.

أما عن قبيلة الزرانيق، فهم في ذلك التاريخ لم يكن قد شملهم حكم الإمام يحيى، بل ولا حكم الإدريسي قبله[١]، وإنما كانوا يتعاطفون مع حكومته الإدريسية تعاطفا مذهبيا وسياسيا فقط، وكانت بلادهم تتاخم حدود الإمارة الإدريسية، ثم صار بعد ذلك حكم الإمام يحيى يحيط ببلادهم من جميع الجهات، ولم يشملهم حتى تمادى شرهم إلى مداهمة الحديدة مرارا، فساق عليهم الجيوش وغزاهم، فهزموا جيشه مرارا، وإنما تصميم ولي عهده واستلامه قيادة الجيش ومصابرته على كفاحهم، تغلب على شجاعتهم وأرغمهم مؤخرا على الإذعان بعد كفاح طويل استمر عام ١٣٤٨هـ و ١٣٤٩هـ، ففر شيخهم لاجئا إلى ابن سعود، فأكرمه وقرر له راتبا فطلب من ابن سعود السماح بالإقامة في جازان ففعل، وظل مقيما في جازان حتى نشب الخلاف بين الشقيقتين السعودية واليمن، وتقدم الجيش السعودي فكان الشيخ أحمد فتيني مع الجيش حتى دخل الجيش الحديدة، وطلب من سمو الأمير فيصل السماح له بالتقدم لاحتلال بلاده، فزوده بقوة مع من معه من رجاله الزرانيق، ومن وصل لاستقباله في المدينة، فاستقبلته بلاده أحسن استقبال، وعندما تم الصلح كان من الشروط السعودية تأمينه وأمثاله من المشايخ الذين كانوا لاجئين لدى الحكومة.

(١) جاء في كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني ج١، ص٢٦٣: (الزرانيق أشد قبائل تهامة بأسا.. هم لا يطيعون الإمام يحيى ولا السيد الإدريسي.. هم مستقلون من كل حكم، وكل نظام، وكل سيادة غير ما لشيوخهم منها).

موقف ابن سعود من الأدارسة

إن موقف الملك عبدالعزيز من الأدارسة هو موقف الصديق الوفي، وإلا فقد وفد إليه في آخر عهد الأمير علي القائد الإدريسي مصطفى بن محمد النعمي[1] واستعطفه بأن ينقذ الإمارة من الفوضى والتمزق والغزو الإمامي، الذي قد استقطع نصفها الجنوبي، وإنما ابن سعود معروف بوفائه مع أصدقائه فلهذا لم يستجب لرجاء ذلك القائد.

فأعاد الحسن الكرة وبعث وفداً آخر برياسة «المرغني» في شوال ١٣٤٤هـ ـ مايو ١٩٢٦م، موضحا لابن سعود في أن ينقذ الإمارة من خطر غزو الإمام يحيى، فأجابه بما معناه أنه ليس له مطمع في الإمارة الإدريسية أو مطمع في التوسع على حسابها، وظل الأخذ والرد قائما بين الأمير الإدريسي، والملك ابن سعود حتى ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ ـ أكتوبر ١٩٢٦م حيث جرى توقيع الاتفاقية بينهما وسميت بـ (اتفاقية مكة).

طلب الحماية السعودية

إن الحسن الإدريسي من شهر رجب ١٣٤٤هـ وهو يطرق باب الملك عبدالعزيز بالوفد تلو الوفد، طالبا من الملك أن يقف مع إمارته الإدريسية في صد عدوان الإمام يحيى، الذي قد استولى على نصف الإمارة الجنوبي، ويقوم الآن بتهديد النصف الشمالي، بل قام بغزوه والاعتداء عليه وصد من قبائل المنطقة، حتى في الوقت الذي كانت الفتنة بين الأمير علي الإدريسي وعمه الحسن مشتعلة، وهما في شغل ببعضهم عن الدفاع عن الوطن، فأخذت الحمية قبائل المسارحة وبنى شبيل والحرث وأبي عريش والعبادل في الدفاع عن بلادهم، حتى هزموا الجيش الغازي

---

(١) مذكرات الشيخ تركي بن ماضي ـ مخطوط ـ.

وأعادوه إلى قواعده، من الأراضي الإدريسية التي قد استولى على قسمها الجنوبي والشرقي الجنوبي منها.

ومع كل ما قام به وفد الإدريسي من رجاء وإلحاح فإن ابن سعود اعتذر بعدم رغبته في النزاع وأنه يفضل الوقوف على الحياد.

وبرجوع الوفد الأول لم ييأس الحسن من حماية ابن سعود، نظرا لما يربطهم به من صداقة ومعاهدة ووصاية، فأعاد الكَرَّة للمرة الثانية في شوال سنة ١٣٤٤هـ - مايو ١٩٢٦م برئاسة المرغني، الذي وفد إليه من السودان، لما اتصل بعلمه ما آلت إليه الإمارة الإدريسية من الضعف، واستيلاء الإمام يحيى على نصفها، وما ينتظر نصفها الباقي من غزو.

ومع ما حاوله المرغني من استدرار عطف ابن سعود على الأسرة الإدريسية، وطلب الوقوف بجانبهم بمنحهم حمايته، التي هم في أشد الحاجة إليها، فقد ظل الملك على موقفه الأول في تفضيل عدم التدخل في شؤونهم.

وإنما عشم وأمل الحسن في صداقة ابن سعود لم يتخل عن فكره، حتى طفح الكيل واشتدت عليه ضغوط الأحداث والأزمات وأحاقت المطامع به من كل جانب من الإمام يحيى ومن إيطاليا، فبث شجونه وأحزانه إلى الزعيم أحمد شريف السنوسي، الذي كان في ضيافته، والذي يشاركه همومه وشجونه وهو يشهد بعين رأسه تردي الأحوال اجتماعيا وإداريا واقتصاديا وعسكريا، وما يلوح في أفق المنطقة من بوارق المطامع ولوامع التكالب، ولم يرد أن يبادره أو يبادهه بمشورة، وعندما ابتدره الحسن الإدريسي وبثه ما في نفسه، أشار إليه بما رآه - كما أسلفنا قبله - وهو أن الإمام يحيى قد أخذ نصف إمارتكم، ويطمع في النصف الآخر عاجلا أو آجلا، وأما إيطاليا فيكفي ما ناله هو وشعب ليبيا منها، ولم يبق أمامه إلا ابن سعود الذي يربطهم به من عهد المؤسس للإمارة الصداقة والمعاهدة.

إلا أنـه بعـد سفر أحمد شريف إلى مكة حاملا مشروع المعاهدة، اشتغلت وعبثت الأيـدي الخفية بأفكار الحسن الإدريسي، والظاهر أن الإمام يحيى له في صبيا من يرفع له الأخبار، وبطبيعة الحال إن مثل الإمام يحيى له استعلاماته وجواسيسه ومخبريه ، وأن الحسن لم يكن في دهاء وعبقرية أخيه، ولا في جرأة وإقدام ابن أخيه الأمير علي، وأفضل مزاياه أنه كان متدينا ومحبوبا من العامة، وإنما غير مستقل الشخصية، فهو مفتقر بطبيعته إلى شخص أو أشخاص يشيرون عليه بما يعمل، فنراه يتردد بين رأي هذا وذاك، فإذا وافق رأي رغبته نفذه بدون رويّة أو مراجعة.

لذلك تكثف النشـاط، وتضاعف جهود العملاء والمنتفعين من أيادي الإمـام يحيى فأخـذوا في استمالة الحسن حتى تمكنوا من استقطابه للانصياع إلى بعث وفد إلى الإمام يحيى، وفعلا تألف الوفد من:

محمد أمين شنقيطي ـ القاضي عبدالرحمن الحفاف ـ القاضي محمد بن علي الضمدي.

وفي نفس الوقت والمكـان، كان لابن سعـود في المنـطقـة أنصـار ومخبرون أقوى وأنشط وأبرز من مؤيدي وعملاء الإمام يحيى، فسارعوا بالرفع لما جرى إلى أبها ـ بعد أن أعياهم صرف الحسن عن ما أشار به منافسوهم ـ ومن أبها طير الخبر برقيا إلى مكة، فصدر الأمر بانتداب الشيخ تركي بن ماضي إلى صبيا فوصلها في سرعة، واستطاع هو ومحمد يحيى باصهي وغيره، إقناع الحسن بالعدول عن الفكرة التي قد انتدب الوفد للسفر لها إلى اليمن، فبعث نجابين ـ رسل ـ على خيل أدركت الوفد قريبا من مدينة ميدي، وأعادته إلى صبيا(١).

وبـرجوع الوفد أخذ تركي الماضي ومحمد يحيى باصهي في تهيئة فكرة لإرسال وفد إلى مكة لتأكيد مشروع المعاهدة، التي يحملها أحمد

(١) مذكرات الشيخ تركي بن ماضي ـ مخطوط ـ.

الشريف السنوسي، وفعلا تألف الوفد من:

المرغني - عبدالقادر باصهي - علي بن عطيف.

وذلك في ٢٤ ربيع الأولى سنة ١٣٤٥هـ، وهذا هو الوفد الذي ظل يلح حتى وافق الملك عبدالعزيز ونفذت المعاهدة، معاهدة مكة بتاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ - ٢١/١٠/١٩٢٦م، بواسطة أحمد شريف السنوسي الذي حمل مشروع المعاهدة.



الأوضاع في المخلاف السليماني

إن منطقة المخلاف السليماني أو تهامة عسير أو ما يسمى حاليا منطقة جازان هي منطقة واسعة تبلغ مساحتها ٣٥ ألف كيلا مربعا بحدودها السابقة وهي نفس حدودها الحالية ـ تقريبا ـ بعد اقتطاع الإمام يحيى للنصف الجنوبي من ميدى إلى الحديدة:

١ـ ولنعرف أن المنطقة قبل معاهدة مكة كانت مهددة من قبل الإمام يحيى والمطامع الإيطالية التي اتفقت مع الإمام يحيى ضمنا بموجب معاهدة صنعاء.

٢ـ إن الأمن مضطرب في أرجائها والطرق مخوفة لا يأمن المار فيها على نفسه فقد وقع بين سنة ١٣٤٤هـ و ١٣٤٦هـ من الحوادث وقطع السبل وإزهاق الأرواح الكثير ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ حادث الفرجي وجاره على بعد عشرة أكيال ـ تقريبا ـ من سوق الأحد ثاني سوق أسبوعي في الأهمية والحركة الاقتصادية بعد سوق صبيا[1] وماترتب على ذلك من أخذ الثأر.

٢ـ حادث ولد الشاذلي العريشي في طريق (الأحد أبي عريش) والذي اعتدى عليه في الطريق فقاوم طول الليل إلى قرب الفجر وعندما رأى أنه إذا أشرقت الشمس عليه لا تكتب له النجاة، وضع طاقية على شجرة للمواراة، حتى يظن أنه باق في مكانه، وحمل «خرجه» وتسلل من مكانه، إلى أن وصل إلى بيت شخص، فاستجار به وأرسل إلى أهله بأبي عريش يستنجدهم، فأقبلوا إليه مع غيرهم في نحو مائة وخمسين مسلحا وأنقذوه.

٣ـ عصيان قبيلة الحُرث، وبعث الحسن لهم بعض العسكر المتطوعين وما وقع أثناء ذلك[2].

---

(١) كتاب الأدب الشعبي في الجنوب ص٢٣٤، ج٢ .

(٢) كتاب المخلاف السليماني ص٢٩٠، ج٢، ط١ .

٤ـ قتل شخص اسمه سالم الحضرمي في نفس صبيا وفرار قاتله.

٥ـ اختطاف حمار الشيخ محمد يحيى باصهي بين صبيا القديمة وصبيا الجديدة، والمسافة بينهما خمسة أكيال، بحيث تشاهد البلدة من الأخرى، والحسن موجود في قصره، وقام رجال الشيخ محمد يحيى باصهي بتعقب المختطفين فأهداهم الأثر إلى قرية السلام من قرى الحكامية، وشاهدوا الحمار مربوطا ولم يستطيعوا أخذه، وأخيرا تعهد لهم شيخ القرية أنه سوف يراضي الخاطفين، ويصل به بنفسه إلى صبيا للشيخ محمد يحيى، ومعناه أنهم وهم جماعة فوق العشرة مسلحين لم يستطيعوا استخلاص الحمار، لأنهم لو أرادوا استرجاعه قسرا لقامت قبيلة الخاطفين وقضت عليهم.

٦ـ قتل شخص من أهل جازان اسمه طوطيه وفر قاتله وأميران من الأسرة الإدريسية موجودان في مدينة جازان نفسها(١).

٧ـ قتل عقيلي بن محمد بن أحمد عقيل حكمي من أهل أبي عريش في موضع لا يبعد عن صبيا الجديدة بأكثر من ١٥ كيلا، والحسن نفسه في صبيا الجديدة بحيث يسمع طلقات الرصاص.. لقد حضر السوق للبيع والشراء مع جماعة من أهل أبي عريش كالعادة، وبعد انتهاء السوق بعد المغرب رحلوا إلى أبي عريش، واحتاج عقيلي إلى قضاء حاجته فقال لرفاقه: أمشوا قبلي ونزل من على حماره، وابتعد خطوات عن الطريق ليقضي حاجته، وقبل أن يفعل أطلق عليه طلق ناري أرداه قتيلا، وسمع أصحابه الطلق فأقبلوا إليه مسرعين فإذا هو جثة هامدة، فأقتفوا أثر الجناة ففاتوهم فاحتملوا الجثمان إلى أبي عريش وواروه الثرى، وأقبل شيوخ أبي عريش إلى الحسن الإدريسي وطلبوا منه إحضار القاتل وجماعته المرافقين له، بعد أن عرف أنهم من أهل الحقو (قبيلة على بعد ثمانين كيلا عن صبيا ـ تقريبا) فكتب لهم الحسن بالحضور فرفضوا فأمر شيخهم بإحضارهم، فوصله الجواب بعدم استطاعة الشيخ القبض عليهم، فاضطر إلى استدعاء قبائل

---

(١) الأميران هما محمد العربي بن عبدالمتعال الإدريسي وابن أخيه محمد العابد الإدريسي.

صبيا وما حولها وعرض عليهم التقدم تحت قيادته إلى الحقو، فلبوا وسار على رأس نحو خمسمائة من المتطوعين، وبعد أربعة أيام وصل إلى ناحيــة الحقــو الذي ترك أغلبهم محـلاتهم إلى الجبال، وبعد وساطات وصل شيخهم غانم بن مفرح إليه، فطلب منه إحضار القاتل وأصحابه فاعتذر بأنهم فروا إلى جبال الحسَّاب والعزيين، جبال تابعة للمنطقة، وعلى بعد نحو ثلاث ساعات أو ساعتين للماشي من الحقو.

وأخيـرا رأى الحسن أن لا فائدة ترجى فأخذ الشيخ غانم معه إلى صبيا كرهينة إلى أن يحضر القتلة، وأودعه بيت محمد يحيى باصهي كضيف تحت الإقامة الجبرية، وبعد شهر تشفع فيه وأمر بإطلاقه بدون أن يحضر القاتل وصحابته.

٨ـ كما قتل إبراهيم بن فتح الدين ـ أحد رجال الإدريسي الأول، قتله ابن أخيه في داره بعد صلاة العشاء في مدينة صبيا نفسها، وفر إلى جهة غير معلومة.

يضاف إلى ذلك أن الطرق سواء بين جازان وصبيا أو بين أية بلدة وأخرى لا يسلكها السالك إلا مسلحا ومع جماعة لأن الفرد الواحد لا يأمن على نفسه.

والجمارك في المضايا والشقيق والقحمة، إن لم يساعد مأمور الجمرك صاحب البضاعة ويتساهل معه كما يريد يُحَمِّل البضاعة ليلا بدون رسوم.

وميناء جازان يكاد لا يرسو فيها إلا السفن التي تحمل البضائع إلى بعض تجـار أهـل صبيا فقط لأنهم لا يجدون في تلك الجمارك سهولة التخليص، ومـع ذلك ليس في صبيا قوة من الجنود، وكل ما هنالك ما يسمى بعسكر المقام لا يتعدون العشرين يصرف لهم راتب الشهر بعد ثلاثة أشهر، وهم لا يحضرون القصر إلا نادرا، ويكتفى ببواب القصر، ماعدا موالي الحسن الخاصين وهم على عدد الأصابع في خدمة القصر والعائلة.

ولا وزراء ولا ديوان، والكاتب الوحيد هو محمد بن أحمد البهكلي، ووزير واحد اسمي، هو عبدالقادر باصهي، قريب محمد يحيى باصهي مهمته مجالسة الحسن الإدريسي والتشاور معه.

والمحكمة الشرعية في صبيا يشغلها القاضي محمد بن إبراهيم مبجَّر، يقضي بين الناس في «عريش»[1]، وليس لديه إلا مُحضِر واحد هو المحضر وهو الذي يقود من يصدر عليه الحكم إلى السجن.

وفوق كل ذلك فبعد معاهدة مكة أخذ الإمام يحيى الذي عرف أن المنطقة أصبحت بين شدقي الأسد، والأدارسة في منجاة من مطامعه، أخذ يتصل سرا بالحسن والمقربين منه، يستميل من جهة ويحرض من الأخرى على يد ابنه محمد البدر عامل الحديدة.

وإذا كانت المنطقة بذلك الوضع الإداري والسياسي فكيف تطبق معاهدة الحماية على منطقة لا قوة تحميها من المطامع أو تفرض الأمن، أما النظام فلا نظام يقر ما يقال أو ينفذه، ولا إيرادات لديه حتى يتمكن من تجنيد قوة وقنوات الإيرادات:

١- من الجمارك في جازان - والمضايا - والشقيق - والقحمة، وكلها لا تكمل إيراداتها الخمسة آلاف في بعض الشهور، لأن جمرك جازان لا يرتاده إلا أصحاب القليل من البضائع التي يتقاضى عليها الرسوم، ولأن التجار تحولوا إلى تلك الجمارك التي يستطيعون أن يهربوا منها نصف بضائعهم أو أكثر، والباقي يتصالحون مصالحة مع مأمور الجمرك الذي يعرف أنه إنْ لم يساعدهم هربوها جميعها.
٢- زكوات الحبوب: لا يستطيع الخراص إلا ما قرب من مدينة صبيا مع المساعدة، أما بقية المنطقة فلا سبيل إلى وصول الخراص إليها.

---

(١) العريش بيت من القش - معروف اسمه في التاريخ ومنه العريش الذي بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بدر كما هو معروف في سائر أنحاء الجزيرة وبالأخص في تهامة والحجاز وتهامة اليمن.

وما وصل من الجمارك يرسل إلى الحسن نفسه فيأمر خادمه (بحيص) بالاستلام ـ وهو كما أسلفنا ـ لا يزيد عن خمسة آلاف ريال في الشهور التي يستورد التجار فيها الكثير بمناسبة العيدين.

وبحيص يستلم من النَّجَاب الذي يصل برسوم الجمرك الواحد، بموجب خطاب، ويصرفه أولا بأول على بيت الإدريسي، أما مقررات الإدريسي وحاشيته ومن لهم رواتب من شيوخ ووجهاء المنطقة، فإنها كانت ترسل شهريا ـ لعجز الإيرادات[1] ـ من الحجاز.

حتى أنه لما أراد الحسن الحصول على سيارة جديدة، طلب من محمد يحيى باصهي الوزير السابق والتاجر المعروف أن يطلبها له على حساب رسوم البضاعة التي ترسم له في جمرك جازان أو الشقيق.

إن الحمـاية سواء كانت سياسية أو عسكرية تتطلب أشياء وأشياء، فهذه بريطانيا عندما كانت مصر تحت حمايتها، وعلى رأس حكومة مصر الملك فؤاد وحكومة برئاسة رئيس وزرائه ووزراء لكل مرفق وبرلمان وقيادة عامة وشرطة وجيش نظامي و... و... و...

ومع ذلك هناك مندوب سامي، يشرف ويتدخل في تعطيل البرلمان إذا اقتضى الحال، وإلا فكَيف يحامي على بلد هو مسؤول عن حمايته. وكان لبريطانيا جيش في قلب مصر في قشلاق قصر النيل، وفي قلعة محمد علي، وفي الإسماعيلية، ومع الحرب العظمى الثانية تعاظم نفوذ المندوب الســامي فكـان الحاكم بأمره حتى إنه احتجز الملك فاروق ـ كما هو معـروف ـ ومعـروف ما كان يقـوم به المندوبون الساميون في العراق والخليج والأردن والمغرب وتونس والجزائر.

والمندوب السامي في الهند حتى بعد أن منحت الاستقلال كان وضعه المتميز معروفا، فالحماية عرف دولي يترتب عليها مسؤولية حماية البلاد، لا يكـون بالإشـراف الاسمي بدون منـدوب سام، حتى يقوم بما يكفل

---

(١) المخلاف السليماني ص٩٦٢، ج٢ .

الأسباب لتلك الحماية لا أنه يجلس في شرفة قصره يتفرج على المارة.

أبرمت معاهدة مكة بطلب من الحسن نفسه، والقوي لا يطلب الحماية ولا يوجب طلب الحماية إلا العاجز والضعيف وكلاهما موجودان في الحسن.

مضت سنة فإذا الوضع يزداد سوءا والإمام بعد الحماية اتخذ أسلوبا آخر من الاتصال بقبائل الحدود، أو تحريك الفتن بين القبائل من وراء ستار ـ كما أسلفنا ـ حتى ينهار الوضع الآيل إلى السقوط، وإيطاليا تتردد رسلها إلى صبيا، وقد بعثت جمال التركي ـ المعروف بجمال الصغير ـ باسم طبيب فتح له عيادة في صبيا، يعاين ويصرف الأدوية نهارا، ويتصل ليلا بمن يرى فيهم الاستعداد والتأثير على الحسن.

استمر «جمال» على ذلك حتى علم أحد من له اتصال بالإدريسي وهو من أصدقاء جمال، علم أنه مراقب من جهة ما، فكتب له إشارة (إن الملأ) ودسها لمن أوصلها إليه، وكان في تلك الأثناء قد وصلت سفينة شراعية فيها البريد لجمال، راسية في ميناء «قوز الجعافرة»، فلم يصبح في صبيا وسرى ليلا إلى قوز الجعافرة واستقل السفينة إلى مصوع.

كل ذلك استدعى وصول ممثل للحكومة الحامية وهو صالح بن عبدالواحد، فاستقبله الإدريسي في مظاهرة ودية، وبعد أن أقام في مدينة صبيا أياما رأى أو أمر أنه لا بد أن يكون في وجوده بصبيا مظهر يضايق الحسن الإدريسي، فرحل إلى ميناء جازان واتخذ منها دار مقره، ومهمته لا تعدو المراقبة العامة والإشراف، والاتصال بالإدريسي في الأمور السياسية التي تستدعي الاتصال.

إلا أن الوضع الأمني ازداد سوءا واستشرى قُطَّاع السُّبُل من موالي أهل الجهو، وتفاهم شيخهم محمد بن أحمد شولان مع الإدريسي في أمرهم، فطلب الحسن من صالح بن عبدالواحد[1] المعاونة للقبض عليهم،

(١) هو المندوب السامي السعودي.

فأرسل له عشرة من الخيالة باغتت المجرمين في قريتهم مع طلوع الشمس، وساقوهم قبلهم وسلموهم للحسن الإدريسي، الذي حكَّم الشرع في أمرهم، فحكمت المحكمة شرعا ما يوجب قطع أيديهم، فنفذ فيهم، ولولا تلك القوة الصغيرةالتي أرسلها صالح بن عبدالواحد لتعذر على الحسن الإدريسي القبض عليهم.

إن ابن سعود لا يضيره القدح، ولا يزيد من مكانته التاريخية المدح، ومع ذلك أنا لا أقول إن ابن سعود معصوم من الخطأ، ومنزه عن الزلل، فهو بشر عرضة للصواب والخطأ، وإنما يعرف كل مُطلِّع على مجريات التاريخ وسير الأحداث أنه من أول أمره إلى أن لقى الله بعد أن وحد شمل شعوب أغلب سكان الجزيرة، وخط أسس هذه النهضة وبنى نواة هذه الحضارة التي تشهدها المملكة وينظر إليها العالم بعين الإعجاب والتقدير، يعرف كل مطلع أنه من أحرص الناس على الالتزام بالشرعية، والمتمسكين بالقيم الإسلامية والمثاليات العربية، وذلك ما يعترف به البعيد والقريب.



الوجـود السعـودي

كان الإدريسي نفسه قد أبرق إلى جلالة الملك عبدالعزيز يطلب منه قبـول إسنـاد أمـر المقاطعة الإدريسية إلى جلالته بما في ذلك إدارة الشؤون المالية، فماذا يكون موقف ابن سعود؟ هل يرى الوضع المتردي في المنطقة الإدريسية ـ والتى هي تحت حمايته ـ وقد اختل الأمن في أرجائها والفوضى في أنحائها مما ترتب عليها ضعف الحالة الاقتصادية والتجـارية والزراعية إلى أدنى مستوى، وصادف في سنة ١٣٤٤هـ و ١٣٤٥هـ وقوع مجاعة جعلت الكثير من أهل البوادي والقرى يندفعون إلى المـدن والبلدان، فتضـاعفت المحنـة وتعاظمت الشدة، فلا أعمال ينصـرف إليهـا العـاطلون، والأمـطار شحت، والسيـول في تلك الفترة انقـطعت، والمنطقة منطقة زراعية كانت محاصيلها تسد حاجة سكانها وتزيد للتصدير من الذرة والسمسم والدخن والمواشي، فأوقف شح الأمطار وانقـطاع السيول كل نشاط زراعي، حتى أن الذرة صارت تستورد من الهند عن طريق ميناء عدن(١).

تلك الأسبـاب الاقتصـاديـة، يضـاف إليها ـ ما تقدم شرحه ـ عن اضـطراب الأمن، وقلة الإيرادات الأميرية، وانعدام الأمطار مما اضطر الحسن الإدريسي تحت ضغط تلك الظروف والعوامل إلى بعث وفد إلى مكة في أول سنة ١٣٤٧هـ مؤلف من:

١ ـ الشيخ محمد يحيى باصهي رئيسا.
٢ ـ القاضي على بن إبراهيم بن عطيف عضوا.
٣ ـ القاضي محمد أمين الشنقيطي عضوا.

---

(١) المخلاف السليماني ص٩٠٤، ج٢ الطبعة الثالثة.

وبعد تقديم رسالتين من الحسن الإدريسي، عقدت ثلاث جلسات مع من انتدبهم الملك عبدالعزيز، وتوفى هناك بمرض الجدري علي بن عطيف، وتوجه محمد يحيى باصهي إلى مصر لعلاج عينه، ورجع الشنقيطي إلى صبيا.

ونتيجة لبعض معروضات الوفد بعثت الحكومة السعودية (عبدالله بن ختلان) ممثلا للحكومة لدى الإدريسي بدلا عن صالح عبدالواحد.

وكـان لتلك الأسبـاب والعوامل وضعف الإدارة الإدريسية واستشراء مطامع جارها الإمام يحيى الذي وإن كان قد توقف عن الغزو المسلح، والنشاط السياسي الظاهر بعد معاهدة مكة، فإنه غدا يستعمل سلاحا جديدا من الاستمالة والإغراء والاحتواء والاستقطاب لقبائل القسم الجبلي أو يبعث الدعاة والمرشدين، وبعد التمهيد والتهيئة تقدمت جيوشه فاحتل الجبال الإدريسية (منبه) و (العر) ـ آنذاك ـ وسوف نأتي على قضية الاستيلاء عليهما بعده ـ.

وكان الإدريسي قد بدأ يتنبه ـ نوعا ـ فعين القاضي عبدالله العتمي عاملا في مدينة أبي عريش، وضم إلى عمالته بلاد قبيلة المسارحة وقرى وادي جازان، فقام العتمي من ساعة مباشرته للعمل في الأخذ بالحزم، والشـدة وتـركيز السلطة، وتدعيم الأمن والأخذ على يد العابثين، فملأ السجن ممن تحوم حوله الظنون والشبهات، وكان يُعَوِّل على تأييد ومعاونة المعتدلين من شيوخ أبي عريش وغيرهم، فاستثار بذلك ثائرة وسخط من دونهم، فسـاءت العـلاقـة بينـه وبين تلك الفئات وهم الأكثرية، وتوترت العلاقات إلى درجة الغليان، فصادف أن العتمي توجه إلى صبيا لعرض المـوقف على الإدريسي، وبـرجـوعه تجمهر أكثر أهل المدينة، وأنذروه بوجوب عدم الدخول إلى البلدة فعاد إلى صبيا، وعرض على الإدريسي الواقع، فبعث الإدريسي من ينصح الثائرين بالخلود إلى السكينة، وفسح المجال للعامل بأن يباشر أعماله، فلم ينصاعوا إلى النصح وصمموا على عدم عودة العامل العتمي.

لم يسع الإدريسي إلا أن استدعى شوكات بعض القبائل التي لبت نداءه وسيرهم مع العتمي إلى مدينة أبي عريش ثم خرج بنفسه في حاشية ومشايخ صبيا وغيرهم ـ مع العلم بأن المسافة بين صبيا وأبي عريش أقل من ثلاثين كيلا ـ تقريبا ـ وانتهى الموضوع بالقبض على رؤوس المتسببين وسجنهم في صبيا ورفع لجلالة الملك، وعزم الملك على مساعدة الإدريسي بقوة لإخضاعهم إن لم يفيئوا إلى الطاعة، ونصحهم ممثل الحكومة عبدالله بن ختلان الذي كان يتشاور معه الحسن فيما ينهي تلك المخالفة حتى انتهت على الصورة السالفة.

مرت سنة ١٣٤٧هـ والأحوال متردية، والهدوء النسبي يتخلله نكسات محلية، وتعديات بين أفراد أو جماعات يعين الحسن على احتوائه وجود ممثل الحكومة السعودية وهيبة ابن سعود.

إن الحسن الإدريسي كرر الرجاء في تطبيق الحماية من ابن سعود مرارا، بتنفيذ عقد معاهدة مكة بالحماية، وقد أوضحنا ما تتطلبه الحماية من واجبات وموجبات وإجراءات ووسائل.

والآن وبعد الحماية والتيات الأمور على الحسن الإدريسي وتردي الأوضاع، ونضوب الإيرادات وسوء الأحوال ـ مما وضحناه قبله مفصلا ـ أوجب الحال أن يبعث الحسن الإدريسي نفسه رسالة خطية يطالب ابن سعود قبول إسناد أمر المقاطعة إلى جلالته، ولم يكن الطلب منه فقط بل مؤيد بطلب خطي من المجلس التشريعي الإدريسي للمنطقة الذي أشار ابن سعود بتأسيسه، يطلب إسناد أمر المنطقة إلى جلالته والإشراف والمراقبة المالية على الإيرادات، وقد قبل ابن سعود تحمل المسؤولية، وبعث (حمد العبدلي) ممثلا ماليا و (حمد الشويعر) أميرا إداريا، بدلا عن عبدالله بن ختلان، ومعروف نظاما وشرعا أن المتخلي عن الشيء بإرادته واختياره قد رضي لمن تخلى له بإدارة المتخلى عنه لمصلحة الشيء المتخلى عنه، ولمصلحة المتخلي نفسه، وكان ذلك بعد معاهدة الحماية بأربع سنوات ـ تقريبا ـ ومع كل ذلك فقد احتفظ الملك عبدالعزيز للإدريسي بمقامه ومكانته، وجعل الأمير تحت إدارته ورأيه، وجعل له

مخصصا جزلا من الإيرادات يسلم له شهريا، ومخصصات شهرية مقررة لحرسه وحاشيته والمنتمين إليه، عدا مخصصات المشايخ ورجال الإمارة السابقين والإداريين التابعين له، وكان فيما جرى من الإجراءات توفير الإيرادات وإقرار الأمن وانتعاش الحالة الاقتصادية مما هو معروف آنذاك.



المصـادر الأجنبيـة

المصادر الأجنبية تعتمد ـ آنذاك ـ على ما يتلقفه السفير أو القنصل من مخبرين يتلقفون الأخبار من بعيد لا من مصادرها الموثوقة، فالبلاد العـربيـة ليست كالغـرب، للأخبار وكالات تتحرى الدقة، ولها مراسلون مثقفون على مستويات عالية، كما أن للسفارات وسائط رفيعة المستوى توافيها بدقائق الأمور، أما المخبر أو مخبر السفارات فهو كان في الجزيرة العـربيـة شخصيـة مغمورة عادية يختطف الأخبار خطفا ويوصلها في الظلام، فالمسافة بين جدة وجازان في ذلك التاريخ تقطع في خمسة عشر يوما على الجمال وليس هناك سيارات تصل إلى المنطقة إلا في المهمات، وهي سيارات حكومية مخفورة، وليس لهم قنصليات حتى في اليمن، وإن وجد قائم بالعمل فهو مراقب ولا يتوصل إلى ما وراء الكواليس، وعقدة الخـواجة تجعلنا جميعا نعتمد على تقارير كتاب الغرب، أو على تقارير القنصليات أو وثائق الملحقين في السفارات، حتى ولو جعلوا شيخ قبيلة صليل من أصل سوري، وأن الإدريسي استدعاه من مكة[١]، وأن الحسن الإدريسي قد اجتمع سرا في اللحية من بلاد الإمام يحيى.

فالحسن الإدريسي لم يخرج من صبيا إلى جازان، منذ دخلت المنطقة في الحماية، فكيف يسافر إلى اللحية من بلاد الإمام يحيى، وهو شخصية لهـا ثقلهـا ومكـانتها، وعليها العيون المراقبة والأضواء المسلطة، وفي الحدود جنود وعيون في الموسم وصامطة وغيرها، وإنما كانت رسله تغدو وتـروح بين صبيـا وكمران واللحية، ومع ذلك لا تخفى تحركاتهم التي يتحرون فيها السرية، وكما قيل (ما يوم حليمة بسر).

لقد عزل الشويعر وحل مكانه، فهد بن زعير في أوائل عام ١٣٥٠هـ

---

(١) انظر ص٨٣ من كتاب تاريخ العلاقات السعودية اليمنية للدكتورة فتوح عبدالمحسن الخترش

ـ تقريبا ـ وكانت حركة الدباغين أو ما يسمى بحزب الأحرار قد تكثف نشاطها وكانت خططهم أن تقوم الثورة في الشمال بقيادة ابن رفادة، وفي الحجاز بقيادات معروفة وفي الجنوب في منطقة جازان بقيادة الإدريسي، وكانت عيون الحكومة السعودية ساهرة تراقب نشاطهم وتتعقب تحركاتهم بعيون ساهرة، ويقظة دائمة، ولإيفاء الموضوع حقه من الوضوح نرى أن نورد هنا الفصل الخاص بتلك الحركة في كتابنا المخلاف السليماني الطبعة الثالثة، التي استقينا الكثير فيها من مخطوطة مذكرات الشيخ تركي بن ماضي(١) الرجل الذي اشترك في جميع المفاوضات بين جلالة الملك عبدالعزيز والإمام يحيى من أول وفد في سنة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م إلى نهاية مؤتمر أبها سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م والذي راقب ورصد حركات ونشاطات ذلك الحزب من مبتدأ نشاطها إلى نهاية القضاء عليها في الشمال والجنوب ، وكذلك ما استقيناه من رجال عايشوا تلك الثورة واشتركوا في أحداثها وحوادثها نورده هنا بعنوان:

---

(١) **تعريف**

الشيخ تركي بن محمد بن تركي بن ماضي ولد في بلدة روضة بني تميم سنة ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م، كان ـ رحمه الله ـ ملما بمبادىء الفقه ومن المثقفين تاريخيا وأدبيا، وفي سنة ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١م اشترك في غزوة إلى جهة حائل، وفي سنة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م شغل وظيفة مدير مكتب إمارة عسير، وفي سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م انتدب لحمل رسالة إلى صنعاء من جلالة الملك عبدالعزيز إلى الإمام يحيى، وفي نفس تلك السنة انتدب لحمل رسالة من الملك إلى السيد/ علي الإدريسي بجازان، ورسائل أخرى إلى رؤساء قبائل المنطقة.

وفي سنة ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م صدر الأمر الملكي بإرسال وفد إلى اليمن مؤلفا منه مع سعيد ابن مشيط وعبدالوهاب أبو ملحة، وفي جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م توجه هو وابن دليم إلى صنعاء في مهمة وفدية، وفي سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م انتدب كمراقب سياسي بمنطقة جازان، وفي تلك السنة صدر الأمر باشتراكه مع خالد أبو الوليد وحمد السليمان في الوفد المتوجه لصنعاء، وفي سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م عين عضوا في الوفد السعودي المنتدب للتفاوض مع الوفد اليمني الذي وصل أبها. وفي ربيع الآخر عام ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م عين أميرا لبلاد غامد وزهران، وفي ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م صدر الأمر بتعيينه أميرا لمنطقة نجران وظل على عمله هناك ١٥ سنة، وفي رمضان عام ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م عين أميرا لمنطقة عسير إلى أن توفى سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م. كان ـ رحمه الله ـ من رجال الملك عبدالعزيز المخلصين الموثوق بهم.

وقد أهداني الشيخ تركي مذكراته القيمة لأنقل منها ما أريد أو أنقلها كاملة ، وقد استنسخت منها صورة كاملة وأعدت إليه مذكراته مع الشكر لحضرته.



الشيخ تركي بن ماضي، أمير عسير

بوادر الحركة الفاشلة

بعد اجتماع جلالة الملك عبدالعزيز بأخيه الملك فيصل بن الحسين ملك العـراق[1] كاد أن يحصل التصافي بين الأسرتين، إلا أن الأمير عبدالله بن الحسين كان غير راضٍ عما تم فلم يرق له ذلك الاتفاق، وقد تكون تلك المعاهدة أراد بها ملك العراق (تكتيكا)، بينما (الاستراتيجية) تكون بيد عبدالله، بحيث أن لا تكون الأسرة جميعها في موقف المجابهة، وإنما الاستراتيجية يحاول الثاني تنفيذها مرحليا، فإن نجحت فالمصلحة للأسرة جميعها، وإن فشلت في مرحلتها الأولى فلا يلحق فشلها على غير واحـد، علمـا أن العراق والأردن كانتا تحت الانتداب البريطاني وجيش الاحتلال في العراق والأردن، وليس في وسع أحدهما ـ بموجب المعاهدة معهما إعلان حرب أو إبرام صلح بدون موافقة الإنجليز، وعلى كل فإن تلك الأحداث لم يبق إلا ذكرها للعبر والتاريخ وقد حل الإخاء والوئام بين الأسرتين العربيتين الكريمتين السعودية والهاشمية .

لقد ترسخ في عقلية عبدالله أن لا وسيلة مجدية في حرب ابن سعود، وأنه من الأجدى والأنجح القيام بمؤامرة متشعبة الأطراف، تعتمد على تأسيس حزب يسمى حزب الأحرار، تكون له خلايا وشعب في الشمال من الحجاز، ومنطقة جازان وفي غيرها، وأن يكون للحزب جمعية عامة وأعضاء عاملين وأعضاء منتسبين سريين.

---

(١) بعد سقوط دولة والده الشريف حسين بن علي في الحجاز تولى عرش العراق سنة ١٩٢١م، وبعد وفاته سنة ١٩٣٣م خلفه ابنه غازي ثم حفيده الطفل فيصل الثاني تحت وصاية خاله عبدالإله بن علي بن الحسين، وقُتل كلٌ من فيصل وخاله في ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨م.
أما عبدالله بن الحسين فقد تولى عرش الأردن سنة ١٩٤٦م وقُتل في القدس سنة ١٩٥١م، فخلفه ابنه طلال نتيجة إصابته بخللٍ عقلي، فخلفه ابنه حسين بن طلال الذي حمل ضغن جده على المملكة العربية السعودية، وظل يضمره حتى قام طاغية العراق صدام حسين في سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م بغزو الكويت وتهديد المملكة فحالفه حسين بن طلال مظهرا من نواياه السيئة وما كان يضمره من الشر الذي باء مع شر حليفه بالفشل والخسران.

وأخذ في العمل وتأسيس الحزب والبحث عن الأنصار والتفتيش عن الأعضاء والمؤيدين واتفق بالشاب حسين الدباغ، واستطاع أن يستهويه ويبعث في روعه كل ما يجول في نفسيته.

والدباغ شاب في مقتبل العمر، عنده الاستعداد للاندفاع وحب المغامرة إلى حد التضحية بالنفس، وكان من أبرز الأعضاء الظاهرين وهم:

١ ـ شاكر بن زيد.
٢ ـ خالد الغالبي.
٣ ـ عبدالله الحارثي.
٤ ـ حسين الدباغ.
٥ ـ علي الدباغ.
٦ ـ عزيز يماني.
٧ ـ مسعود الدباغ.
٨ ـ محمد أمين الشنقيطي.
٩ ـ مسعود قراره.

وقرر بأن تسند رئاسته في الحجاز إلى رئيس (الحزب الوطني الحجازي) الذي طالب الملك حسين بالتنازل عن الملك لابنه علي.

وبعث بعض الأعضاء إلى الهند وأندونيسيا ومصر لجمع التبرعات لإنقاذ الحجاز ـ بزعمهم ـ والتفاهم مع الحكومتين البريطانية والإيطالية بواسطة حاكمي مستعمرتيهما في عدن ومصوع، وبغض الطرف مقابل شيء عند النجاح، وأخذوا بالعمل وتكوين الخلايا، والاتصالات بغير جهة من الجهات الحكومية ومن الحكومات في جنوب المملكة وغيرها، ووصل بعض الأعضاء إلى جزيرة كمران وكونوا خلية بإشراف محمد عبدالهادي رجب من أهل الحديدة والمستوطن جزيرة كمران، فوصل إلى صبيا، وعقد اتفاقية مع الحسن الإدريسي بواسطة مكي زكري ومحمد أمين الشنقيطي[1]، وتم الاتفاق المبدئي وجعل محمد عبده مزيد حكمي ومحمد

(١) أنظر كتاب المخلاف السليماني ص٩١٥، ج٢، «الحاشية» هو غير محمد أمين الشنقيطي الوارد اسمه في ص١٢٩ ضمن أعضاء ما يسمى بحزب الأحرار ثم كان أخيرا سفيرا للأردن لدى المملكة، أما هذا الأخير فهو محمد الأمين بن محمد بن عبدالله زيدان الشنقيطي، وفد مع والده وأخيه إلى الإمام محمد بن علي الإدريسي في سنة ١٣٣٧هـ ـ تقريبا ـ وتوفى أخوه بصبيا ورحل والده إلى المدينة المنورة وأقام هو بصبيا مؤدبا لعلى الإدريسي، ثم أصبح من رجال العهد الإدريسي.

الفال الشنقيطي» صلة اتصال بينهم وبين الإدريسي، كما اتصلوا بالإمام يحيى، فكان يظهر التمنع المغري الذي لا يقصيهم ولا يدنيهم ويجعلهم بين اليأس والرجاء ـ في مبدأ الأمر ـ مع غض الطرف عن نشاطهم في أراضيه وعلى مسمع ومرأى من رجاله لأن له هو خطة قد بدأها مع الإدريسي عن طريق ابنه محمد البدر، وعندما ألحوا أحالهم إلى ابنه ولي العهد محمد البدر عامل الحديدة ـ وكان أشد اندفاعا من أحمد عامل منطقة حجة- وسمح لهم باتخاذ مدينة اللحية مركزا لنشاطهم.

لقد أفادني صديق ثقة لا يحب أنْ أذكر اسمه، أنه التقى بالشيخ مكي ابن يحيى زكرى في القاهرة بمصر في سنة ١٣٨٠هـ، فجرى الحديث مطولا بينهما حتى وصل إلى مسببات تلك الحركة الفاشلة التي وقعت في منطقتنا سنة ١٣٥١هـ فقال له: يا شيخ مكي، إن حركتكم كانت ارتجالية، تحمل بذور فشلها ونخر هزيمتها من ساعتها الأولى، فركونا إلى حركة (حزب الأحرار) اندفعتم في زج المنطقة في أتون من الفتنة، فإذا كنتم في حركتكم قمتم مستلهمين حركة مؤسس الحكومة الإدريسية فقد أخطأتم الطريق، وضللتم السبيل فهو لم يقم بحركته ارتجالا مثلكم، بل قام بعد تدبير وتمعن، وتقدير صحيح ورؤيا أصح.

فهو يعرف مثلا أن تركيا قد نخر السوس في بنيانها، وحطمت الشيخوخة كيانها، حتى أطلق عليها الساسة اسم (الرجل المريض)، وأن الدولة التي دفعته هي إيطاليا المشتبكة في حرب مع تركيا في طرابلس الغرب، وتعهدت له بإمداده ومساعدته ماديا ومعنويا وحربيا، من مستعمرتها ميناء مصوع المقابل على الضفة الشرقية من أفريقيا لمنطقة (تهامة) عسير، وتعهدت إيطاليا بحمايته بحرا بواسطة أسطولها، مع معرفته الأكيدة بمشاغل تركيا التي لا حصر لها، وأن جنودها في اليمن مشغولة بمقاومة حركة الإمام.

أما في بلاد عسير بأسرها فلا يوجد لديها سوى ألفي جندي، وهي أضعف من أن تفك حصارا يضرب عليها ـ كما برهنت الأحداث بعد ذلك ـ فضلا أن تقوم بحركة هجوم.

وفي الحجاز من الخير لقواتها الهزيلة، لو استطاعت المحافظة على أمن الحجيج، أو طرق مواصلاته الداخلية.

وأنها لو استطاعت تجهيز بعض القوات، لما استطاعت تعزيزها بقوة أخرى، وقد دلت الأيام، وبرهنت الحوادث على دقة تقديره وصحة حدسه.

فاندفع الشيخ مكي مدافعا عن حركتهم، قائلا: نحن لم نقم بحركتنا ارتجـالا ـ كما تقول ـ بل اعتمادا على وعود جادة، وعهود صادقة من الحكومة المتوكلية وإن مكاتبات محمد البدر ابن الإمام عامل الحديدة، عندنا حررها نيابة عن الإمام والده ـ وأقسم فيها أنه ـ بمجرد قيام الحركة ـ سيكون في صبيا وتعهد أنه لن يتركنا لتصاريف الأقدار بل سيظل عندنا حتى النصر أو الموت.

وإنما في أثناء التحضير النهائي للحركة توفى غرقا ـ كما هو معروف ـ وكان الوقت أضيق من أن يؤخر التوقيت المحدد.

وإذا كنا ارتبطنا مع حزب (الدباغين) حزب (الأحرار) إنما كان بالنسبة إلى ما تقدم في الدرجة الثانية.

وبعد حادث وفاة محمد البدر ابن إمام اليمن، لم يجد التدخل الفعال الذي يترجم وعوده إلى عمل نضالي، ومجهود قتالي، وإنما بعد تحركنا وإلحاحنا كان الوفاء بعض المساندة غير المباشرة، والمساعدة القليلة غير المجدية، والتأييد المعنوي من الإمام وولي عهده الجديد أحمد ـ انتهى[١].

نعود إلى الحركة أو حزب الأحرار كما سموه:

١ـ كانت إيرادات الحزب مما يمده به الأمير عبدالله أولا.

٢ـ من تبرعات بعض الجمعيات والأفراد في الهند الذين غرقوا في دعاية الحزب وأن هذه التبرعات والإعانة لإنقاذ الحجاز ـ بزعمهم ـ.

---

(١) المخلاف السليماني ص٩٣٩، ج٢ .

٣- أشرنا إلى إسناد رئاسة الحزب إلى تلك الشخصية التي طالبت الحسين بالتنازل فأبرقوا له بالحضور.

في أثناء ذلك عمّد الأمير عبدالله (حسين الدباغ) بعد أن زوده بمبلغ من المال بأن يجدّ في السفر إلى مصر، ويؤلف فرعا للحزب يستقطب بعض الحجازيين فتألف الحزب هناك من بعض الشخصيات ومنهم:

عبدالرؤوف الصبان، ويوسف الزواوي، وصالح الدباغ، ومحمد عبدالله صادق، وحامد بن سالم بن رفاده، ومحمد عبدالرحيم أبو طقيقة، وغيرهم.

وكان حامد بن رفادة، من مشايخ قبيلة (بلي) فارا من العدالة وكذا محمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة، ولاجئين في مصر، وبعد أن أسس ذلك الفرع في مصر[1] توجه إلى عدن ثم إلى اليمن فوافاه هناك طاهر الدباغ الذي كان مقيما فترة في (جاوه) كما انضم إليهم أنصار آخرون مثل أحمد أبي النور وشخص يسمى عباس، ومن اليمن كثفوا نشاطهم مع الأدارسة وبعض رجالهم وأمدوهم ببعض المال ونسقوا معهم الخطة.

كما أخذت الدعاية السرية دورها لاستقطاب بعض شباب الحجاز وضموهم كما يقال إلى الحزب.

وكانت الخطة مخططا لها:

١- أن يقوم ابن رفادة وأبو طقيقة بالتسرب إلى شمال الحجاز بثورة هناك.
٢- في نفس الوقت خطط لاغتيال ابن سعود والقيام بثورة في الحجاز.
٣- وفي نفس الوقت تقوم ثورة الإدريسي في الجنوب.

وقد اعتقدوا نجاح مخططهم فأخذوا في العمل، وحوك الدسائس واستقطاب أنصار جدد.

---

(١) مذكرات الشيخ تركي الماضي.

واتصل الحزب بحكومة إيطاليا بواسطة الوالي الإيطالي، طالبا لتأييدها المعنوي ومساعدتهم ببيع أسلحة.

والحركة تحتاج إلى المال وما لدى عبدالله بن الحسين من مدخر أوشك على النفاذ، فاضطر إلى تحمل دين على ذمته لم يستطع سداده، وشعرت بريطانيا بما تحمّله من الديون وهي عالمة ـ بالطبع ـ بتصرفاته، فعينت موظفا يشرف على رواتبه ومخصصاته ووجوه إنفاقها في حدود مخصصاته أو ميزانية القصر.

وبين عبدالله والخديوي عباس المنفي في الأستانة، صداقة قديمة منذ كان (خديويا) على مصر ولا تزال الصداقة مستمرة، والخديوي متعطش إلى المُلك في أية جهة كانت، وبين الأسرتين صداقة تقليدية كما هو معروف، والخديوي عباس عايش نفس مأساة الأمير عبدالله وأسرته وإن اختلفت الأسباب، يتفقان في المصير الذي آلت إليه حالة كل منهما[١].

وعبدالله يعرف نقطة الضعف في نفس صديقه، ويعلم مفتاح شخصيته المتطلعة إلى الملك في أية جهة، وبأي ثمن، ولديه من المال ما لا يضن ببذله لنيل أمنيته في إشادة مملكة لنفسه، ولو بنيت على الوهم وشيدت على دعائم من الأماني.

لذلك رأى عبدالله أن يتصل بالخديوي عباس، باسم الحزب، ويطلعه على مخططه، ويشرح له حركته وأهدافه، ومراميه وغايته ـ كما يزعم ـ من تحرير الحجاز، وأنه على كامل الاستعداد هو والحزب في موافقته على إمداد الحزب بالمال مقابل أن يأخذ له البيعة من الحجازيين، ليكون ملكا على الحجاز، فصادف هذا العرض هوى في نفس الصديق القديم، والملك المخلوع، الذي يتعطش إلى الملك، ويتوق بكل آماله وجَمَاع أمانيه إلى عرش في أية رقعة وفي أية قطعة من الأرض، فاستجاب لعرضه وتعهد ببذل المال، ودفع قسطا سخيا وتعهد بموالاة المساعدة بعد ذلك.

---

(١) مذكرات الشيخ تركي الماضي ـ مخطوط ـ .

وتم الاختيار على حامد بن رفادة على أن ينتدب لإشعال نار الثورة في شمال الحجاز، وتوجه (حامد باشا) الوالي لقبض المال الذي حوله الخديوي، وتأمين الذخيرة اللازمة، وأن يقوم الأدارسة بثورتهم في الجنوب وينتدب من يقوم باغتيال ابن سعود في الحجاز، كما تقدم، وتقوم على أثر اغتياله ثورة في الحجاز.

وأن يتحدد الوقت لإشعال الثلاث ثورات في وقت واحد ويوم محدد.

ومن المال الذي دفعه الخديوي تَموَّلَ الحزب وتغذت الحركة ونشطت الجمعية، على أثر ذلك توجه حسين الدباغ إلى مصر، وباشر العمل مع أعضاء فرع الحزب بمصر، واستدعى حامد بن رفادة و (أبو طقيقة) وعقد الفرع جلسة مستعجلة تقرر فيها بناء على أمر رئيس الحزب، أن يتوجه (ابن رفادة) و (أبو طقيقة) وجماعتهما إلى شمال الحجاز عبر شرق الأردن، للتمهيد للثورة واستمالة شيوخ القبائل.

وتوجه حسين الدباغ بعد انتهاء المهمة إلى مصوع لتأمين السلاح الذي قد تم التفاهم مع المسؤولين الإيطاليين عليه، وبعد أن تأمن له مبتغاه وأصبح جاهزا تحت الطلب توجه إلى عدن، ومنها إلى (لحج) ومنها رفع تقريره بما قام به من نشاط وما أنجزه من مهام إلى شاكر بن زيد - وسيأتي نصه -.

أخذت رسلهم وأعضاء حزبهم تتوارد، وتتردد بين (عدن) و (مصوع) وجزيرة كمران، وكما أسلفنا أن حكومتي بريطانيا وإيطاليا على علم بنشاطهم فاستخباراتهما لا يفوتها أخفى المؤامرات في غير مستعمرتيهما فضلا عما هو في مستوى تلك الحركة، وهم يتحركون ويقاولون على أسلحة وأرزاق ومؤن علنا، وتباشر نشاطها المريب ولا يكون ذلك بدون استئذان وعلم.

وهذا نص التقرير الحرفي

حضرة الشهم البطل النبيل سمو الأمير شاكر بن زيد.

بعد التحية ـ كتبت إليكم من مصر، ثم وصلت مصوع، فوجدت الأمر كما يجب، وقد اعتمدنا اللحية مركزاً للتحرك، ولا بد أنكم تعلمون قبائلها المتأججة التي يزيد عددهم عن .... وفخوذهم.. وبينهم وبين رجال ألمع مصاهرة وحلف،[1] وسنصل إلى (مصوع) لحمل التعليمات اللازمة.

والمقصود أن البوادر تدل على النجاح ـ إن شاء الله تعالى ـ وقد أرسلنا ثلاثة رسل مهمين جداً.

١ـ واحد لقبائل الجنوب الحجازي.

٢ـ والثاني لقبائل الساحل.

٣ـ والثالث لعسير.

وسيسافر إلى المسارحة أحد رجال الحزب.

وفيما تجدونه في كتاب سكرتير الهيئة (لحزب الأحرار الحجازي بعمّان) التفصيل اللازم.

---

(١) إن قوله آن بين قبائل وادي مور ـ التي مدينة اللحية هي ميناؤه الرئيسي ـ بينه وبين رجال ألمع معاهدة وحلف فهذا من ضروب الخيال والمسافة بين وادي مور ورجال ألمع ٩ مراحل تقريباً في حال أن قبائل وادي مور تتبع الإمام يحيى وقبائل رجال ألمع في ذلك التاريخ كانت تحت السيادة السعودية والمواصلات في ذلك الوقت على قوافل الجمال وتكاد أن تكون غير موجوة بينهما ولا هناك ـ حلف ولا مصاهرة ولا محالفة فبين وادي مور ورجال ألمع عدد من القبائل:

١ـ بنى مروان ٢ـ بني شبيل ٣ـ قبائل وادي جازان ٤ـ قبائل ضمد ٥ـ قبائل صبيا ٦ـ قبائل المخلاف الشمالي ٧ـ قبائل بيش ٨ـ قبائل عتود ٩ـ قبائل بني شعبة.

هذا الحصر في الخط المستقيم بين وادي مور ورجال ألمع، فهل يقفز الحلف بين قبائل وادي مور ورجال ألمع على مدى عشر قبائل، وإنما الرجل غريب عن الجهة، فأوهمه بعض رجال الأدريسي الفارين إلى اليمن بما سطره في التقرير عن ذلك الحلف الوهمي والمصاهرة التي ليس لها وجود إلا في مخيلته.

نحن قد شرعنا في الأمر، والنتيجة أكثر مما نتصور، ولكن الدفعة التي اتفقنا على تحويلها برقياً لم تصل، وقد كتبنا إلى حامد باشا في (لوزان) والسكرتير لديكم برقية بالنتيجة التي رأيناها حسب الاصطلاح الذي أتفقنا عليه.

ومضت الأيام لم نتاول شيئاً، ونحن مكتفون متعطلون جداً، أرجوكم أن تحذروا حامد باشا من الإهمال، وليتذرع بالحزم والهمة.

وأرجو ملاحظة الكتاب الأخير المرسل لكم من هنا، وملاحظة تنفيذه بالدقة المتناهية.

وإذا كنا نريد الانتظام في الأعمال، وحركة الشمال يجب أن تكون بعد حركة الجنوب فوراً، فهيئوها.

وإذا ابتدأت تبرقونا بالعنوان المعروف (الشدى) والإمضاء (سعيد)، هذا وقد اختار فرع الجنوب هناك أن نكتب إلى الشريف (شرف) ليحضر إلى (عدن)، لحضور المؤتمر الوطني الخطير بلهجة سوف لا تدعه يتأخر وتجعله يسرع في الحضور، وأفهمناه الطريقة السرية التي يسافر باسمها ويصلنا.

وسنسحب يوم وصول الكتاب تحويلاً بخمسة عشر ألفاً أو عشرين ألف جنيه وعند وصوله نفهمه باللازم، وندعوه لمرافقة الحركة.

هذا رأي فرع الحزب هنا، وعلى كل سيصل أمر اللجنة المركزية باللازم عن هذا الشأن، الرجا أن تقبلوا الأمر كما يليق بالحزم والنجاح والسرعة والكتمان.[١]

التوقيـع

محمد حسين الدباغ

---

(١) مذكرات تركي بن ماضي ـ مخطوط ـ.

(الأمير علي الادريسي)

إن الأمير علي بعد أن نفاه عمه من المنطقة توجه إلى عدن، يطلب العون من الحكومة البريطانية، ويطالبهات بمضمون المعاهدة التي بين والده والحكومة البريطانية، لمساعدته على استعادة الإمارة من عمه، واستخلاص النصف الآخر الذي استولى عليه الإمام يحيى، وكان يرافقه خادمه الخاص منصور يامي الذي عاش إلى سنة ١٣٧٩هـ قال: في أثناء مراجعته (الأمير علي الإدريسي) في عدن، علم الإمام يحيى فأرسل له رسالة يطلب منه القدوم إليه في صنعاء ويتعهد له أنه إذا وصل مستعد أن يزوجه بأميرة من بناته هو، وأن يعينه على استرداد إمارته من عمه الحسن، وقد كاد الأمير علي أن يستجيب لإغراء الإمام، لولا أن أحد مرافقيه وهو خاله محمد هارون، أقنعه في آخر الأمر بأن يتوجه إلى مكة، فإنه سيجد من عطف الملك ابن سعود ما يكفل له، إما النصر أو الاستقبال الحسن، والإقامة الكريمة، وليس من الفائدة له الاستجابة لمثل إغراءات الإمام، الذي ربما يستعين به على عمه، ويستغل رصيده عند القبائل، ثم يبقيه لديه في صنعاء أسير تصرفه.

وإنه - أي الأمير علي الإدريسي - بعد أن يأس من مساعدة الإنجليز كتب رسالة لجلالة الملك عبدالعزيز، يعرض فيها طلبه للجوء إليه فوصله الجواب مرحباً مع من يجهزه في باخرة إلى جدة فوصلها واستقبل استقبالاً حسناً، وخصص له داراً واسعة مع حرمه وحاشيته، ومقررات جزيلة، وعندما فاتح ابن سعود في موضوع إعانته على عمه، أجابه إن عمك هو بمثابة والدك، والإمارة التي استولى عليها ما خرجت عنك أو عن أسرتك وإقامتك إقامة الابن عند أبيه فاستجاب عليٌّ لذلك.

وبعد تلك المدة أصابه نوع من الاضطراب الفكري وكان يخرج إلى

أعالي جبال مكة ويختلي بين الصخور، فأمر الملك بمعالجته وأنه شفي بعد ذلك، وإنما الأمير علي لم يقف عند نصيحة جلالة الملك من الخلود إلى السكينة، فأخذ يبعث بالرسائل إلى مشايخ المنطقة ويذكرهم بالعهود، ويحرضهم على القيام بالثورة ضد عمه، وإنه أيضاً بعث بتلك الرسائل مع شخص اسمه فيضي من مواليد تهامة اليمن من أصل تركي، وأن الحسن ألقى القبض على الشخص وسجنه أياماً، ثم تشفع فيه أنه رجل عادي حمل رسائل لم يكن لها شأن، فأطلق سراحه، بعد أن رفع الحسن لجلالة الملك بالواقع، فأمر الملك بالتحفظ على الأمير علي وعدم تمكينه من إرسال رسائل.

وكان ذلك كما أفاد ذلك الشخص أنه في حوالي سنة ١٣٤٧هـ - وتمادت الأيام وانقلبت الأحوال بعد وصول حزب الأحرار الدباغين والحسن يعلم أن الأمير علي كان محبوباً من العامة.

لذلك طلب الحسن من جلالة الملك أن الأمير علي يشتاق إليه بقية الأسرة، ويرجوه السماح له بالعودة إلى صبيا، لأن الأمير علي قد أصبح يشعر بالمسؤولية، ولا يخشى منه ضرر.

وكانت الحكومة قد علمت باتصالات الدباغين مع الحسن، وما يهيئون من الثورة، وأنه ربما يكون هذا الطلب حتى لا يبقى علي لدى ابن سعود، فرحلته الحكومة إلى الرياض بعد أن هيأت له السكن المريح والحراسة التامة، بيد أن الأمير عليٍّ وصلته رسالة سرية من عمه يحضه على الفرار من الرياض، ما دام أن الملك لم يسمح له بالعودة إلى جازان، بل أيضاً لم يدعه مقيماً في مكة، وعلى أثر ذلك دبر الأمير علي عملية فراره ليلاً مع أحد خدمه.

وأبلغ الأمر لجلالة الملك في اليوم الثالث، فعمم البرقيات إلى جميع الجهات في نجد والحجاز وعسير وكافة الحدود، وأمراء المناطق، وأن يبلغ كل أمير منطقة شيوخ منطقته، وأن على الشيوخ أن يبغلوا أفرادهم وفلاحيهم ورعيانهم بمواصفات الشخص المطلوب.

وفي إحدى البوادي البعيدة عن الرياض شاهد أحد الرعيان شخصين تحت شجرة يقضون القيلولة، فدنى منهما ورأى من أحدهما ما ينطبق على الأوصاف التي أخبر عنها، فانصرف غير بعيد وطلب من زميل له أن يراقبهما وبادر هو بإبلاغ شيخه الذي بدوره أبلغ أمير البلدة، فخرج إلى حيث يوجد الشخصان فوجدهما في أهبة الرحيل فقبض عليهما، وأبرق الأمير للرياض فوصلته سيارة وأخذت الشخصين اللذين هما الأمير علي وخادمه، فأعدم الشخص المرافق، وأدخل الأمير علي على الملك الذي عاتبه ثم طمأنه على حياته، وأمر بإعادته إلى سكنه وتشديد الحراسة عليه.

هذه هي قصة الأمير علي الذي سأل عمه الحسن عنه جلالة الملك عندما علم بالأمر، والواقع أنه أحب أن يكون سؤاله سؤال من ليس له يد أو مؤامرة في فرار ابن أخيه، ومن الناحية الأخرى أن يستفيد من جواب جلالة الملك، هل هو لا يزال حياً أو قد قضي عليه، فإن كانت الأخرى فيستغلها كمبرر من أكبر مبررات ثورته، فأجابه جلالته بما يطمئنه... إلخ، وبعد انتهاء الثورة أعيد الأمير علي إلى مكة وظل مقيماً بها حتى طلبت والدته السماح لها وله بالتوجه إلى السودان، فسمح لها بذلك مع صرف مقرراته إلى أن توفاه الله هناك.

(دعاوى الحسن الإدريسي لمبررات ثورته)

تشير بعض المصادر أن العوامل التي حملت الإدريسي على الثورة هي:

١- ميل العامل السعودي للوشاية بالإدريسي.
٢- عدم احترامه للإدريسي إذا لقيه.
٣- عدم دفع العامل السعودي لمخصصات الإدريسي.
٤- عدم احترام العامل لأصدقاء الإدريسي ووزرائه.
٥- حذف العامل السعودي اسم الإدريسي في خطبة الجمعة.

٦ـ منع العامل السعودي رفع الراية الإدريسية.

على ضوء ما استقيناه من الرجال الذين عاشوا الأحداث وإذا وضعنا هذه العوامل تحت مجهر الواقع في المنطقة في تلك الفترة الساخنة نجد أن تلك العوامل تتبخر على حرارة الحقيقة لما يأتي:

١ ـ أما عن الوشاية بالإدريسي من قبل العامل، فليس هو بمفرده في المنطقة بل هناك الشيخ تركي بن ماضي، الذي عمله كمراقب سياسي، ويتحرى الواقع ويرفع عن ما يلمسه ويقف عليه من حركة الدباغين، أو الإمام يحيى فإذا كان الأمير رفع عن تلك الحركة، فلم يرفع إلا عما هو مسؤول عنه، وكذلك تركي بن ماضي فإنه هو المناط به الاستعلامات السياسية، وقد أثبت الواقع أن ما رُفِعَ هو الحقيقة، وأن الثورة يعد لها الإعداد الكامل، فهل هذه وشاية؟

٢ـ عن عدم احترام العامل للإدريسي، فالأمير الحسن في صبيا، وابن زعير في جازان، والمعروف أن ابن زعير هو الذي يتوجه من جازان للتشرف بمقابلة الإدريسي وليس العكس، فكيف أنه إذا لقيه لا يحترمه؟ ولم يعرف قط أن الإدريسي زار جازان، بل ولم يخرج من صبيا طيلة إمارته إلا مرتين إحداهما في غزوة الحقو والأخرى إلى أبي عريش لتسكين الفتنة بين أهلها وعاملهم عبدالله العتمي، فأين يلقاه ابن زعير ولا يحترمه؟ ما دام أن ابن زعير هو الذي يتشرف بمقابلة الحسن.

٣ـ عدم صرف العامل لمخصصات الإدريسي: فالعامل ليس هو الذي يضع الموازنة.

فالموضوع في حد ذاته أنه بعد معاهدة مكة كانت ترسل مبالغ من الحجاز للحسن كإعانة مالية لسد نقص الإيرادات المحلية، وبعد وصول اللجنة الأولى التي درست الحالة الاقتصادية ونظمت الشؤون المالية، تقرر على ضوء تلك الدراسات، وضع ميزانية جعل في أولياتها بعد التشاور مع الحسن ووزيره عبدالقادر باصهي، وأدخل في الاعتبار واردات المنطقة الضئيلة، وما كانت ترسله من الإعانة، وما كان منها مخصصاً

للحسن في نطاق ذلك، وأضيف إليــه مثله، وتقــرر أن يكون هو المبلغ المخصص شهرياً للحسن على بندين:

أ- المخصص الخاص للقصر وأسرة الإدريسي وما يلزم له كأمير.

ب - المبالغ التي تصرف بموجب بيانات قدمها الإدريسي للمقربين والحاشية والمنتمين والمشايخ وهذه مقررات ثابتة.

في آخر الشهر ترسل المبالغ بعد وصول حمد العبدلي وتنظيم الشؤون المالية للمنطقة - يرسل المبلغ الخاص لمقررات الإدريسي ويستلمه وزيره عبدالقادر باصهي، كما أنه - نفس عبدالقادر باصهي - أصبح له دائرة وموظفون وسجلات يستلم القسم الثاني ويتولى مكتبه صرفه لمستحقيه.

فماذا يبقى من مسؤولية على العامل؟

٤- عدم ما يدعيه من احترام العامل لأصدقاء الإدريسي ووزرائه، فهذا أمر قد يكون وقد لا يكون، فلم أظفر لدى من استقيت منهم المعلومات شيئاً مثل ذلك.

٥- حذف العامل اسم الإدريسي من خطبة الجمعة: فهذا معروف في السعودية أن خطيب الجمعة لدينا في المملكة، لا يخطب باسم شخص وإنمــا يخطب خطبته بالدعاء كقوله: اللهم انصر من نصر الدين وأذل الكفرة والمشركين اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك.

٦- أما عدم رفع راية الإدريسي: فالمعروف أن في صبيا كانت ترفع الرايــة يوم الجمعــة على القصــر وفي موكب الإدريسي...، وهذا ما هو معــروف، فإذا كان في مدينــة جازان خاصة يكتفي العامل برفع العلم السعودي فقط، فأعتقد لم يكن ذلك عن قصد والعادة المتبعة أن السفارة أو دوائر المندوب السامي ترفع علم حكومتها على مقرها.

وإذا رجعنا إلى مذكرات الشيخ تركي بن محمد الماضي، والذي هو الوحيد الذي دون مذكرات عن تلك الفترة، نجده يقول ما نصه حرفياً:

(... وظلت العــلاقات بين الملك والأدارسة - في تلك الفترة - على

أحسن حال، إلى أن جاء حسين الدباغ من اللحية باعتباره مندوباً للأمير عبدالله بن الحسين وممثلاً لحزب الأحرار..).

(قضية الخلاف بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى)

إن الإمام يحيى ـ رحمه الله ـ عندما لم يُجْدِ الغزو المسلح وأصبحت معاهدة مكة سداً منيعاً أمامه، استبدله بالغزو السياسي، وما أوردناه ما هو إلا بعض من كل.

وبعد أن بدأت حركة الدباغين اعتبرها الإمام يحيى وساعدها باعتبار أنها تكتيك ضمن استراتيجيته الطويلة، على أمل إن نجحت فأقل ما يكافأ به من قبلهم التنازل لاحتواء منطقة الإدريسي وغيرها وإن لم تنجح فسيسير في تكتيكه على ضوء المستحدثات الجديدة التي ستفرزها ما بعد فشل حركتهم، فجاءت الأمور بعكس تقديراته وقد فشلت تلك الحركة، وقامت الحرب الأخوية بين الملكين لصالح الملك عبدالعزيز، بذلك الانتصار الحاسم، فرضي بما كان يمانع عن قبوله، وهو شيء ليس تحت يده، وحسمت معاهدة الطائف ادعاءات الطرفين، مطالبة ابن سعود بما كان للدولة الإدريسية ـ في تهامة اليمن ـ وما يدعيه الإمام يحيى في المملكة العربية السعودية.[١]

(الثورة الإدريسية الخاسرة)

إن حركة ثورة الإدريسي لم تكن مرتجلة، بل كانت الحركة منسقة ـ نوعا ـ ومعداً لها، والنشاط قائم على قدم وساق، ورجال الحزب ينفذون المخطط في سرية وسرعة، والتشجيع والمباركة من رجال الإمام في ميدي واللحية تساير خطوات التنفيذ، والسفن المستأجرة من قبل الحزب محملة

---

(١) انظر نص المعاهدة في قسم الوثائق والمعاهدات في آخر هذا الكتاب.

بالذخائر والمؤن في انتظار قيام الثورة لتنزل حمولتها في جازان والمضايا.

والاجتماعات تعقد ليلاً في صبيا الجديدة، يستدعى إليها شيوخ القبائل وغيرهم، وينصرف المجتمعون بعد منتصف الليل، كل إلى جهته ليبلغ من وراءه، وأنصار الإدريسي يملأون أدمغة الذين يحْضُرون بكل ما يحفزهم للثورة، وينفرهم من الحكومة السعودية، وأن الحكومة السعودية في حكم المقضي عليها، وأن رجال ألمع من قبائل السراة سوف تثور، وتقطع الطرق الجبلية فلا يمكن لابن سعود إرسال قوات إن وجدت له وأن الحجاز ينتظر ثورتكم ليقوم بدوره وانتفاضته، وستقوم الحكومة هناك تناصر ثورتكم وتقف سداً حائلاً في وجه أية قوة تتحرك من نجد... إلخ.

وأن القضية متوقفة على ثورتكم والقضاء على هذه الحامية الهزيلة مع فهد بن زعير، وأن الإمام يحيى يؤيدنا، وسوف يرسل جيوشه حسب التعهدات التي لدينا من ابنه محمد البدر[1] وإن من تأخر منكم عن الاشتراك في الثورة سوف يكون مباح المال والدم.

والناس في كل زمان ومكان تنقاد لمن يتولى أمرها، والعامة أسرع إلى الفتنة وأكثر استجابة من الخاصة.

وعرف شيوخ القبائل أن مَنْ لَمْ يستجب سيكون عرضة للجزاء والتنكيل والسجن وقبائلهم قد ملأت قلوبهم الدعايات والإغراءات من ناحية، والتنفير من الحكومة السعودية.

والجماهير إذا عبئت أدمغتهم، وأثيرت أحاسيسهم، واستدرت عواطفهم، وهيّجت مشاعرهم بالباطل أو الحق، تكون سريعة الاستجابة، ويزيدها الشعور الجماعي قوة اندفاع، وقد رسخ في أذهانهم إلى درجة الإقناع ـ تقريباً ـ بحكم الدعاية المثيرة بأن الحجاز على وشك الثورة،

---

(١) محمد البدر ابن الإمام توفى غرقاً في بحر الحديدة في يوم ١٦ ذي الحجة من عام ١٣٥٠هـ، تاريخ اليمن للواسعي ص ٣٤١.

وكذا مرتفعات جبال عسير وأن عليهم أن يسارعوا في الثورة ولا يكونوا أضعف من غيرهم، وكل ذلك يصاحبه الأعطية العاجلة والإغراءات والوعود الآجلة.

كل ذلك جعل من المنطقة بركاناً يتصاعد دخانه وترتج صخوره وأركانه استعداداً للإنفجار، وضاع صوت العقل في غوغائية الجهل، حتى أن بعض المشايخ والعقلاء ضاعت أصواتهم وخفتت أقوالهم ووصموا بالخيانة والعمالة والمخادعة.(١)

وبعد الاستعداد خرج الحسن بجيشه إلى قرية الغراء جنوب غرب صبيا ومكث بها أياماً ثم قدَّم ابن أخيه عبدالوهاب الإدريسي على الطليعة وفي صباح الجمعة صلى ابن زعير صلاة الجمعة وكان قد استعد بالماء والأقوات وصعد إلى القلعة وتحصن بها، وفى المساء تقدم عبدالوهاب إلى الحفائر، وأمر الجيش بالهجوم على المدينة فاندفع أهل البوادي ينهبون كل ما وقعت عيونهم عليه، وضرب الحصار على القلعة سبعة أيام، ضربت خلالها بالمدافع إلى أن رفعت علم التسليم، فأسر ابن زعير ورفاقه وسيقوا إلى السجن والأسر في مدينة صبيا.

عَلِم ابن سعود من رجلَيه في جازان فهد بن زعير وتركي بن ماضي، ما يعده الإدريسي لثورته، فبعث ببرقية للإدريسي بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م فأجابه الإدريسي مؤكداً إخلاصه وولاءه، وادعى في برقيته أنه إنما كان قيامه للانتقام من فهد بن زعير أمير المنطقة وتركي بن ماضي لسوء معاملتهما له، وأنه ثابت في الإخلاص والولاء، في حين أنه كان يستدعي القبائل على جناح السرعة ويرسلهم إلى معسكره في قرية الغرا.

---

(١) انظر الملحمتين الشعبيتين للشاعر الشعبي حسن أبي دفاش عن تلك الفتنة وأهوالها وما جنى شعب المنطقة من ويلاتها، في ص ٢١٦ جـ١، وص ١٦٣ جـ ٢ وصور الفجائع التي قاساها الناس وما عبر عنه الشاعر باللسان وأحاسيس الشعب بحيث أعطانا صورة أو لوحة بالمشاهد والوقائع والمصاعب والمصائب في أروع بيان وأوضح عيان.

وأصدر أوامره بإرسال قوة من معسكره في الغرا للمرابطة في قرية (سواده) على طريق الساحل، كما أصدر أمره إلى مشايخ القحمة والشقيق بتخريب الطريق الساحلي.

وكان الملك ابن سعود قد ذكر في جوابه على برقية الحسن أنه قد أرسل لجنة لتقصي الحقائق وأشعره بأسماء رجالها وهم:

١ـ حمد السليمان.
٢ـ خالد القرقني.
٣ـ محمد بن شهيل.

وأن معهم قوة قليلة لمرافقتهم، وكانت السيارات التي تقل اللجنة والقوة الخفيفة قد تحركت من مكة يوم ٣ رجب عام ١٣٥١هـ ١٩٣٢م، وكان في خلد الملك لا تعدو مهمتهم التحقيق ورفع النتيجة. إذا كان الحسن صادقاً في أقواله، وإن كان الأمر على غير ذلك فلتشق طريقها إلى جازان وتنقذ رجاله المحاصرين.

سارت اللجنة في السيارات براً يباريها اللنش الرياض (زورق) بحراً يقل ثلاثمائة جندي، وبوصولها القنفذة فإذا بسفينة قادمة من جازان تقل الموظفين الحجازيين في الإدارة المالية، وعلى رأسهم مديرهم عبدالله قاضي، فعلموا منهم أن الحسن قد ثار، وأنهم حوصروا مع الأمير ابن زعير في القلعة، وبعد سبعة أيام استسلموا بعد أن ضربت القلعة بالمدافع، فرحلهم الحسن الإدريسي في هذه السفينة وأخذ فهد بن زعير ورفقائه أسرى إلى صبيا، فعلمت اللجنة أن الأمر قد تعدى التحقيق، وأن الإدريسي قد أعلن الحرب وباشره، فأبرقوا للملك، فأمرهم بمتابعة السير والاتصال بالإدريسي لعل وعسى.

وعندما وصلت اللجنة إلى (الرقبة) بين القحمة والشقيق، وجدوا أن الطريق غير صالح، فبينما يجيلون الفكر، فإذا الرصاص ينهال عليهم، فنزلت جماعتان من الجند من السيارات، الأولى تزيل الصخور والأخرى تتبادل الرمي مع المقاتلين.

وأخيراً انهزم المعترضون ووالت السيارات سيرها، وعند قرية سواده المعسكر الثاني للإدريسي نشب القتال بين اللجنة ومرافقيها من الجنود وجنود الإدريسي، ولم يستمر القتال أكثر من نصف ساعة وهُزمت قوات الإدريسي، واستأنفت السيارات طريقها إلى جازان، وفي الصباح تقدموا إلى جازان، والقوة التي معهم لا تزيد عن ثلاثمائة مقاتل تقريباً، وعند مشاهدة جبال جازان أمر قائد الجيش ابن شهيل أن يتقدم مائة، يحتلون الحفائر مورد ماء جازان، وفي أثناء تحركها إذ هم يشاهدون فارسين مقبلين يصيحون: البشارة دخلنا جازان وكان الفارسان من رجال اللنش الذين اقتحموا المدينة الخالية وامتطوا صهوة جوادين لإحدى الأسر الإدريسية وخرجا ليبشرا حملة السيارات، فتقدمت الحملة إلى جازان التي قد سبق أن احتلها رجال اللنش.

أما الإدريسي فبعد اقتحام جنوده مدينة جازان، عاد إلى صبيا، وترك حامية فيها لا تزيد عن عشرين شخصاً ـ بمجرد أن هاجم رجال اللنش المدينة ـ انسحب من انسحب إلى خارجها، وقتل من قتل.

ومنهم من قاتل فقتل، وماذا يصنع عشرون مقاتلاً ليس مع كل منهم أكثر من عشرين فشكة أمام ثلاثمائة مقاتل مزودين بالسلاح الكامل؟

أما الحسن فقد انسحب من صبيا صبيحة ذلك اليوم إلى جهة الحسيني، ثم منها إلى بلدة ضمد، وتواردت القوات السعودية من عسير على رأسها عبدالوهاب أبي ملحة، ومن بادية الطائف بقيادة خالد بن لؤي، وآخر بقيادة عمر بن ربيعان، وأخيراً وصل عبدالعزيز بن مساعد يقود عشرين ألفاً، وانتهى بفرار الحسن إلى الحدود اليمنية في الشرق الجنوبي.

إن القوات السعودية لم تتعقب الإدريسي إلى صبيا، بل إنه في اليوم الذي احتلت جازان، وصل الخبر عصراً إلى صبيا، وباتت المدينة في المقعد المقيم، وفي الصباح الباكر علم الشيخ محمد يحيى باصهي، وهو من وزراء الإدريسي الأسبق ومن أعيان المنطقة ومن أكبر أصحاب

الأموال فيها، فأحب أن يقوم بخدمة الإدريسي ولابن سعود تحقن الدماء وتعيد الأمور إلى مجاريها، فسار من داره إلى قصر الإدريسي واستأذن فأذن له وكان في نظر الإدريسي ـ من الممالئين لابن سعود، ويعتبر من المسجلين في القائمة السوداء عند الإدريسي، فاستأذن في الكلام وقال: يا سيدي قد إنك ترى ما وصلت إليه الحال والقوات السعودية في جازان، وأهل صبيا قد رحل أكثرهم، وأسراك ابن زعير ورفاقه في السجن، فإن تروا أن أقوم بخدمة لكم فعلت، فأجاب الإدريسي ما الذي تراه.

قال: ترسل الآن لفهد بن زعير وتركي بن ماضي وتنقلهما مع رفقائهما من السجن إلى دار أخرى مريحة ثم تتفاوض مع فهد بن زعير، بعد أن تأخذ منه العهد والميثاق بأن يسعى بالرفع لجلالة الملك، بتوقف القوة في جازان والعفو عن الماضي، وتتصل برقياً بابن سعود معتذراً، وتطلب منه أن يعطيك عهد الله في العفو عما مضى، وأن يكون الحال بينك وبينه كما كان في الماضي من بقائك في مركزك، ورجال ابن سعود كالعادة في مراكزهم الإدارية والمالية، وأن يصدر ابن سعود عفواً ينشر في الجريدة الرسمية، وفي أثناء هذه... المراجعة يتوقف التحرك منك ومن الكتيبة التي في جازان، فإذا قام ابن سعود بما طلبت منه من إعلان العفو ونشره في الصحيفة الرسمية، فذاك وإلا فتتصرف لما تراه في مصلحتك.

فالتفت الإدريسي باشاً مظهراً الموافقة قائلاً له تفضل الآن وفي الصباح إن شاء الله تصل إلينا مبكراً لنأخذ في التدابير التي أشرت بها.

وفي الصباح بكر محمد يحيى باصهي إلى قصر الإدريسي، فوجد القصر خالياً وعندما سأل أحد المارة، قال له إنه خرج مبكراً إلى قرية الظبية، وأنه أمر بترحيل عوائله قبله، فإذا باصهي في المقعد المقيم.

وفي نفس الوقت فكر باصهي في أمر الأسرى المسجونين، وخشى من أن يفتك بهم من الجهال، فأخذ بعض مواليه المسلحين وراح إلى معتقلهم وأخرجهم إلى داره وسلحهم، ثم استدعى من بقي من وجهاء صبيا وأخبرهم بالواقع، وطلب منهم معاهدة ابن زعير، وأقبلت في تلك الأثناء

بعض شيوخ القرى القريبة وعاهدوا.

وكلف فهد بن زعير بعض رجاله بالتوجه في سيارة إلى جازان يخبرهم كتابياً بما تم، ويطلب منهم رفع الواقع لجلالة الملك، وفي ثاني يوم وصلت برقية من جلالته مضمونها: (إن جلالته يستصوب ألا يكون جماعة منكم في صبيا وأخرى في جازان، وأن الأحسن أن تجتمعوا جميعاً في جازان حتى تصلكم القوات التي تكفي للقضاء عليهم فطلبوا من باصهي مرافقتهم خشية على حياته، فاعتذر بأنه لا يمكنه أن يترك عوائله وأهله وموظفيه وينسحب، فحذروه من مغبة ما سيناله من الإدريسي فلم يتجاوب معهم فرحلوا إلى جازان وبقي هو في داره بصبيا، وفي اليوم الثاني أمر الحسن بالهجوم على باصهي في داره ونهب أمواله وقتله، وكان ذلك...، وتفرق المهاجمون من رجال القبائل وبقيت صبيا خالية ، وفي اليوم الثالث لهذا الهجوم وصلت القوات من عسير واحتلت صبيا الخالية وجعلت معسكرها في المدينة نفسها حتى وصلت القوات الأخرى.

أما الحسن فقد ارتفع من الظبية إلى الحسيني، ومنها إلى ضمد، في الشرق الجنوبي لصبيا، ثم رحل منها بعد أيام فجعل معسكره في قرية (الزَّبارة) في جنوب شرق أبي عريش، ومكث هناك أياماً، وعندما تواردت القوات السعودية ارتفع إلى (الحرث) ثم إلى جبال العبادل، والقوات السعودية تطارده إلى أن فر إلى اليمن لاجئاً فأمر الإمام بإقامته في زهب حجر شرق حرض.[1]

أما الإدريسي فلم يصل قرية المضايا لأنها لا تبعد عن جازان إلا بـ ٢٢ كيلاً، ولذلك وضع فيها تجمعات من القبائل، وفي يوم ١ رمضان هجمت القوات الحكومية على القرية ودار القتال الذي انتهى بقتل شيخ الحكامية علي بن أحمد حكمي وإخوانه والكثير من قبيلته، كما قتل قائد التجمع (الكلاس).

---

(١) الزهب: بالزاي، اسم يطلق على الحقل الزراعي ـ اصطلاحاً في تهامة، وزهب حجر ـ هذا ـ قرية صغيرة معروفة بهذا الإسم في داخل الحدود اليمنية.

وسكـان بلدان المنطقة قد انسحبوا إلى المرتفعات الجبلية والقسم الأكثر دخل إلى جهات (حرض وميدي)، وبعد انتهاء شهر رمضان بعثت الحكومة لجنة، أمنت كل من أراد من أهل المقاطعة العودة، فعاد الناس إلى أوطانهم، علماً أن ليس كل أهل المنطقة قد فروا، بل أكثر القسم الشمالي من المنطقة من بيش إلى الدرب قد ظلوا في أوطانهم لأنهم لم يشتـركوا في الثورة وأهل الحزون التجأوا إلى الغابات والمرتفعات في المنطقة نفسها.

هذا هو المـوجز لتلك الثورة الفاشلة ـ أما التسجيل الكامل لتأريخ المنـطقة القديم والحديث بما في ذلك تأريخ الإمارة الإدريسية والثورة الأخيـرة ـ فليـرجـع القارئ ـ إن أراد مشكوراً ـ إلى كتاب المخلاف السليماني في جزئيه (١٢٥٠ ص)، الطبعة ٣، مزين بالخرائط والوثائق التأريخية.

إن قبائل المنطقة في السهول والجبال، معروفة في التاريخ بالشهامة والشجاعة والوفاء بالعهود، وقد وجدت تلك القبائل في الحكومة السعودية منـذ دخلت أولاً في حمـايتهـا، ثم بعـد ضمها، وجدت الأمن والرخاء والاستقرار، ولم تكن تلك الثورة المرتجلة نتيجة تذمر واستياء، ولا عن رضا وقناعة من قبائل المنطقة، بل هي اندفاع من الإدريسي، وإنما الناس فطروا على أن ينقادوا لمن يتولى أمرهم، فقد كان الإدريسي يهدد كل من لا يستجيب له أو لا يسـاهم في الثـورة بأنه سيصبح عرضة للجزاء، ومصادرة أملاكه، وإزاحته عن المشيخة، ومثل ذلك من التهديدات.

وقـد دفـع الإدريسي إلى ذلك عدة جهـات، الأولى قد أعياها الغزو المسلح والمنطقة أصبحت تحت الحماية فراحت تشتغل من وراء الستار، وتحرض وتوعد، وتنشر الدعايات في الخفاء بأن الحكومة السعودية قد أصبـح مقضيـاً عليها، وأن الإمام يحيى تعهد بأنه بمجرد قيام الثورة ستهب جيوشه لمساعدتهم وأن الحجاز قد ثار وأن مرتفعات عسير في سبيل الإعداد للثورة، وبذلك لا سبيل إلى وصول جيش من ابن سعود،

لا من طريق الحجاز ولا من طريق عسير، ومثل هذه الدعايات التي لا ترتكز على أساس.

أمــا الأخرى تتمثل في الحزب الشريفي (الدباغين)، فقد أوقدوا نار الفتنة في الشمال فقضي عليها وأحبطت قبل أن ترى النور، وفي الجنوب جرت على الشعب والمقاطعة الشرور والدمار وقُضي عليها.

وإذا رجعنا إلى الملاحم الشعبية التي قيلت في تلك الثورة الفاشلة، والتي هي من المــلاحم التي تعبــر تعبيــراً صادقاً عن نفسية الشعب ومشاعره الخاصة لاتضح الأمر للدارس الحصيف.[1]

وها هي المنطقة يشاهد كل إنسان بعيني رأسه ما هي فيه من نهضة زراعية وتعليمية واقتصادية وعمرانية كسائر مناطق المملكة العربية السعودية.

نعم لقد أصدر بن سعود عفواً شاملاً عن كل ما حدث من جماعة أو أفراد ممن اشتركوا في تلك الثورة، والعفو عما مضى أو أحدث في تلك الفتنة الشيطانية، سواء حقوق الحكومة أو حقوق الأهليين مثل ـ أموال باصهي ـ وغيره ـ أو أموال الحكومة سواء الحسن الإدريسي أو أسرته أو غيرهم، وقد عاد جميع الأهالي ولم يعترض أحد سبيلهم، ولم يؤاخذ أي فرد منهم، لأن الملك لا يصدر ذلك العفو إلا عن قناعة بأن الشعب غلب على أمــره، ودفع إلى تلك الفتنة دفعاً، والذين دفعوهم معروفون، فكيف يؤاخذهم وهو على علم بالأسباب والمسببات؟ ولو اغتنم الحسن الفرصة وتفاوض رأساً مع الملك ـ ولو أن ذلك غير ممكن بالنسبة إليه في ذلك الوقت، وإنما لو فعل لكان ذلك خيراً مما وصل إليه الأمر بالنسبة إليه، فلا الدباغين نفعوه ولا الإمام يحيى حماه، فقد سلمه مع أسرته، فظلوا عند ابن سعود مكرمين إلى أن لقي أكثرهم ربه، وأخيراً ها هي الحكومة قد أعادت أملاكهم إلى ورثتهم، وتصرف لهم المقررات والرواتب الشهرية،

---

(١) أنظر ص ١٥٨، ١٦٣، ٢٤٨، ٢٥٩ من كتابنا الأدب الشعبي في الجنوب جـ ٢.

منـذ أن سلمهم الإمام يحيى وإلى يومنا هذا، ومن مات منهم تصرف مقرراته لعائلته.

إن الحسن الإدريسي ظل في (زهب حجر) يتحرك في تصرفاته برأي الإمام يحيى، الذي احتواه سياسياً وحربياً، وبالأصح يحركه الإمام يحيى كيف يشاء ومتى شاء وبدلاً من أن يتجاوب مع ابن سعود ويشير على الحسن الإدريسي باغتنـام العفو، أقترح اقتراحاً جديداً خلاصته عقد اجتماع بين مندوبي ابن سعود والإدريسي في مدينة ميدى، فاستجاب ابن سعود وعمد مندوبيه، واستدعى الإمام يحيى الحسنَ وحضر، كما حضر المندوبون السعوديون وعقد الاجتماع، وبدلاً من أن يُبارك الإمام -بسعي حميد-الوفاقَ بين المندوبين السعوديين والحسن الإدريسي ويحثه على العودة مغتنماً العفو الشامل وأن يتحفظ الحسن تحفظاً معقولاً بإعادته على ما كان عليه بعد أن طلب من ابن سعود أن يتولى أمر البلاد في سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م. فإذا بالحسن يعبر عما في نفس الإمام ويطلب أن تعاد إليه إمارته وحقوقه كاملة، لا كما كانت في عهد الحماية في سنة ١٣٤٥هـ وما بعدها، وبعد أن أبرق وطلب من ابن سعود تولي أمر المنطقة وإسنادها إليه، بل أن تعاد إليه إمارته كاملة كما كانت قبل الحماية.

وهـذا شرط لا يمليـه إلا المنتصر ولا يطلبه إلا الغالب، لا الناقض للمعاهدة والمتنكر للصداقة والمهزوم في نفس الوقت.

ومعنى ذلك لو سلمنا جدلا ورضي المندبون السعوديون فمعناه أنها تحققت كل آمال الإمام يحيى، بحيث يضم النصف الباقي تحت الأدارسة في الشمـال إلى النصف الذي قد أخـذه في الجنوب. لأن الإدريسي ستكون المنة للإمام في عودته إلى إمارته.

هذا هو موقف الإمام مع الأدارسة، وهو بالأمس القريب يقول عنهم في برقيته المؤرخة ٤ شعبان سنة ١٣٤٥هـ ـ ما نصه حرفياً: (بينما نحن في حال جمع الأنصار لما حدانا إليه، ما بلغكم من جرأة الأدارسة على الله والإسـلام والمسلمين بإدخـال النصارى إلى بلاد المسلمين، إلى

فرسان وتمكينهم من ذلك) فهل يعلم القارئ الكريم أن الأدارسة اتفقوا مع شركة بريطانية للتنقيب عن النفط لا أقل ولا أكثر، هذا ما يعنيه الإمام بإدخالهم النصارى، مع أن تلك الشركة تفاوض منذ زمن سابق، وعندما علم ابن سعود والأدارسة أبرموا معه معاهدة الحماية، نصح الإدريسي بإبطال تلك الاتفاقية التي هي متدنية في العطاء وقوضت الشركة خيامها ومعداتها وانتهت.

ولنعد إلى فقرات برقية الإمام يحيى: (مع إهمال شريعة الله وإضاعة أحكامها واتباع غير سبيل المؤمنين) هل تدرى أيها القارئ الضمير يعود إلى من، يعود إلى الأدارسة.. (ونقول علمتم أن الأدارسة ليسوا من أهل الديانة في شيء، ولم يكن لهم حمية إسلامية عربية لإدارة صالح المسلمين وإعزاز العرب التي بذلها، ذل الإسلام، وأنى يكون ذلك في مثل أولئك) نكتفي بهذا ولنا إلى البرقية عودة أخرى.

وأخيراً وبعد مجادلة ومحاورة لم يكتب لها النجاح اقترح الإمام على ابن سعود بقاء الإدريسي لديه وأنه يتعهد ويضمن حسن سلوك الإدريسي بضبط تصرفاته، وعدم قيامه بأي عمل يثير الغبار أو يشعل الفتنة والفساد ضد ابن سعود في منطقة جازان، وذلك مقابل مخصصات شهرية للإدريسي وعائلته وحاشيته، وقد وافق ابن سعود على ذلك توقياً من تطور النزاع بينه وبين الإمام يحيى إلى ما لا يحمد عقباه بين المملكة واليمن مما يتيح التدخل الأجنبي في شبه الجزيرة فأبرما اتفاقية بالواقع.

مع أن هذه الاتفاقية تناقض ما نصت عليه معاهدة (العر) سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٣م بين الملك والإمام يحيى - انظر المعاهدة في قسم الوثائق.

لقد برهنت الأيام أن تقديرات الإمام يحيى غير صائبة، وأن الالتواء في السياسة لا تجد على صاحبها شيئاً، وقد توقى ابن سعود وترَّوى وتحرى حتى لم يبق للصبر مجال، وكان ما أراده الله من النصر والخير للبلاد.

محمد طاهر رضوان
قائد الجيوش الإدريسية

أشرنا في الفصل الأول ـ إلى قضية الاحتلال الإنجليزي للحديدة، وما جرى بعد ذلك منه هجوم بعض قبائل القحرى على المدينة، وما كان من أسـر بعض قبـائل القحرى للبعثة السياسية الإنجليزية المتوجهة إلى صنعاء من الحديدة والتدابير الإدريسية التي كانت أكتنفت القضيتين، ودور قائد الجيوش الإدريسية في جنوب تهامة.

وقد قرأت في بعض المصادر الأجنبية أنه في أثناء ثورة مصطفى الإدريسي وقـع انشقـاق بين قبيلة القحـرى، أدَّى إلى أن انشطرت إلى قسمين، أحدهما مع الشيخ محمد بجاوي، والآخر انتخب محمد طاهر شيخاً لبعض تلك القبيلة.

والمصادر الأجنبية ـ كما أشرنا قبله ـ تقع في بعض الأخطاء والخلط ولهذا نقول:

مـن هو محمد طاهر؟

اسمه الكامل محمد طاهر رضوان وآل رضوان عشيرة معروفة كنانية النسب تعرف بآل رضوان وتسكن في (حله) ـ ضيعة في عروج كنانة من عروج صبيا ـ وعندما قام الإدريسي بثورته كان في عنفوان الشباب ومن المعـروفين بالفتـوة والشجاعة فكان مع من رشحه الإدريسي في مهام ثورته، وقد بعثه في عدة مهام عسكرية واشترك كقائد في بعض الجيوش الإدريسية، في جهة «قوز أبي العير»، وقد ورد اسمه في مذكرات سليمان شفيق كقائد في القوات الإدريسية.

وقد أثبت محمد طاهر وجوداً عسكرياً بشخصه، وعندما شعر الإدريسي بالتجهيـزات التركية عليه، وتجمعاتها في مدينة جازان، استنفر القبائل

لمقاومة تلك القوات، واستقدم محمد طاهر من الشمال، وأسند إليه قيادة قوات القبائل التي أمرها بضرب نطاق الحصار على القوات التركية في جازان.

وقد أخبرني شيخ معمر يعرف باسم (العيافي) من قبيلة الحكامية، قال: (لقد اشتركت في معركة الحفائر وأنا شاب مكتمل الرجولة، فكانت مواقعنا في الجنوب الغربي من قرب البحر، قرب الموقع المعروف بـ (السويس) إلى شمال الوثبة، وفي شمالنا قبائل المسارحة إلى قرب المعبوج، ويليهم مسارحة الشام إلى الحفائر، وشمالهم قبائل وادي جازان وضمد إلى طرف المنجارة الشرقي ومن بعدهم إلى البحر قبائل صبيا والجعافرة وغيرهم).

إلى أن قال: (وفي ليلة خروج الأتراك للهجوم علينا، وصل رجل من صبيا يسمى (عيسى أبو فايع) على بغلة فارهة يصيح وهو سائر على معسكرات القبائل الإدريسية بملء صوته يقول الشيخ محمد طاهر رضوان، الترك مبرهة عليكم، فلا أحد منكم يرمي رصاصة حتى يصبحون قريبين منكم جداً، أو يصبح رصاصكم يصيبهم إصابة قاتلة ومن خالف فلا يلوم إلا نفسه).

فخرج الأتراك من جازان طوابير وافترقت إلى ثلاث فرق حتى توسطت المسافة بين جازان وشجر الحمض الذي مرابطة فيه القبائل.
فتفرقوا إلى ثلاث فرق، الأولى وجهتها إلى الشمال نحو المنجارة، والثانية إلى جهة الحفائر ـ مورد الماء ـ ، والثالثة إلى جهة الوثبة، ثم انتشرت، ولما قاربت مواقع القبائل المرابطة في الحمض تقدم أحد ضباطها الشجعان، وكان يعرف باسم (الأشرم).

وحسب الأمر الذي سمعناه من المنادي أخلدت القبائل إلى السكون حتى لكأن ليس بين الحمض تلك الجموع المتكاثرة، وَوَالى الأتراك زحفهم البطيء، حتى أصبحوا ليس بينهم وبين خط القبائل إلا نحو مائتي ذراع أو أكثر قليلاً، وكان الأشرم قد سل سيفه متقدماً فأرداه أحد أفراد قبائل

مسارحة الشام، ويسمى الرديني برصاصة لم تخطىء مقتله وأطلقت القبائل دفعة من النيران من أول المنجارة إلى الوثبة، ومن ثم انهزم الأتراك، واقتحمت صفوفهم القبائل بالسلاح الأبيض، كنا نسمع صوت المنادي وقد اندفعت القبائل وهي تطارد الأتراك، يقول: وراهم - وراهم، أي جِدُّوا في مطاردتهم).

وعندما تقدمت الجيوش الإدريسية إلى جهة الجنوب كان محمد طاهر على رأس تلك القوات حتى دخلت حرض، ثم ميدي، ومن بعدها إلى (أبي حلق) ومن ثم كانت مهمته قيادة القوات الإدريسية المتجهة صوب الزيدية وقبائل صليل وقبيلة القحرى، وقبائل العبسية وقبيلة الجرابح حتى أخضعهم للحكم الإدريسي، ووالى سيره حتى استولى على باجل وما حولها، ومن ثم تقدم على جبل (ملحان) وما حوله فحرك استيلاء الجيوش الإدريسية على جبل ملحان وما حولها سخط الإمام يحيى فبعث قائده إسماعيل الوادعي على رأس قوة جيشه فاحتلت مركز جبل ملحان.

عند ذلك أمر الإدريسي أحد قواده محمد بن زيد بن الحسين فتقدم حتى ضرب معسكره بسوق الولجة في حال أن أكثر قبائل ملحان لم تخضع لجيش الإمام يحيى، ومنهم قبيلة المعازبة وأهل بدح وهباط، فكانت الحرب بينهم وبين قائد الإمام، إسماعيل بن حسن الوادعي سجالاً، وإنما الغلبة كانت بجانب أنصار الإدريسي من أهل ملحان، وفي شهر صفر تواردت القوات الإدريسية بقيادة محمد طاهر وهادي هيج وغيرهم ومعهم بطارية من المدافع وصعدت القوات الإدريسية إلى جبل ملحان ودارت المعركة التي انتهت صلحاً بين القائد الإدريسي وقائد الإمام يحيى، على انسحاب القائد إسماعيل بن حسن الوادعي قائد الإمام يحيى، من مواقعه في جبل ملحان إلى الجبال التابعة للإمام يحيى، وبذلك استعادت القوات الإدريسية نفوذها على جبل ملحان .

وهناك كانت وظيفة محمد طاهر مزدوجة عسكرية ومدنية - أي قائد الجيوش الإدريسية - وعامل المنطقة الجنوبية وبعد تسليم الحديدة للإدريسي أصبحت ضمن منطقة إدارته .

وفي عام ١٣٣٨هـ تقدم من باجل يقود الجيوش الإدريسية على جبال ريمة وما حولها.[١]

مصطفى الإدريسي ومحمد طاهر

ظل محمد طاهر على عمله ووظيفته كقائد للجيوش الإدريسية في الجنوب وحاكم إداري لتلك المنطقة طيلة حياة الإمام المؤسس محمد بن علي الإدريسي حتى وفاته في شعبان سنة ١٣٤١هـ.

واستمر على عمله في الفترة الأولى من إمارة ابنه الأمير علي بن محمد الإدريسي، ومع ابتداء ثورة مصطفى الإدريسي، أراد احتواء محمد طاهر إلى جانبه، فأعياه أمره، فاحتال عليه طالباً منه القدوم إلى مدينة الحديدة، التي قد وطد نفوذه فيها، ومن ثَمَّ أبقاه لديه في الحديدة، وأعلن ثورته وعندما تقدم مصطفى من الحديدة، يقود جيشه إلى الزيدية، استصحبه معه.

إلا أن محمد طاهر بوصوله الزيدية مع مصطفى، تمكن من الهرب ومعه خمسين جنديا ممن لم يحالفوا مصطفى على ثورته، وعاد إلى مركزه في باجل، وأخذ من ساعته يؤلب القبائل على مصطفى الإدريسي، بصفته خارجاً عن الشرعية، وثائراً على قريبه الأمير علي، فأقبلت عليه قبائل القحرى والجرابح والغبسية.

ولم يسع مصطفى الإدريسي، إزاء تحرك محمد طاهر ضده، إلَّا أنْ يستعين بمنصب الزعيم الصوفي،[٢] منصب المراوعة لاستمالة قبائل القحرى وغيرهم إليه، وتقدم مصطفى إلى موقع يسمى التربة، وهو موقع وسط بين الحديدة والزيدية.

---

(١) ذيل نشر الثناء الحسن للوشلي ص ٢١٠.

(٢) المنصب هو الزعيم الصوفي ـ انظر ص ٩٥ من كتابنا التصوف في تهامة (ط ٢) «المنصب» لغة ومصطلحاً وتأريخياً وصوفياً.

واستطاع منصب المراوعة عبدالقادر الأهدل التأثير على تلك القبائل وانخـزالهم عن محمـد طاهـر، وانضمامهم إلى مصطفى، وبذلك تمكن مصطفى بالتقدم إلى باجل، وبعث مندوبين إلى محمد طاهر، طالباً منه الاستسلام وتسليمه ما لديه في مركز باجل من القوات والمدافع والسلاح والذخائر.

وعندما امتنع محمد طاهر، ضرب عليه مصطفى نطاق الحصار، وضرب حصنـه بالمـدافع وعلى بيوت بعض مشايخ القحرى، الذين ظلوا على ولائهم للأميـر علي، مثل علي مزربة وإسماعيل بغوي ومؤيدين مقاومة محمد طاهر.

وتحت الضغوط والقوة وافق محمد طاهر بواسطة منصب الحدادية عبده إبـراهيم عابد، مستسلماً، وبذلك استولى مصطفى على جميع الذخائر والعتاد التي في باجل.

وبقية القصة من ثورة مصطفى إلى مقدم قوات الأمير علي من جازان، وتقـدمها إلى الزهرة، ثم الزيدية، ثم الحديدة وفرار مصطفى إلى بلاد الزرانيق معروفة، ـ وقد أشرنا إليها قبله ـ .

ومن أراد التوسع فلينظر ـ مشكوراً ـ إلى التفاصيل الوافية في كتابنا المخلاف السليماني.





الفصل الثالث

السعودية واليمن

١٣٤٥هـ - ١٣٤٩هـ

١٩٢٦م - ١٩٣٠م



عناصر البحث

تزامن ثورتين - تلاحم الحدود - تنومة - قرار عبدالله بن عائض - اختلافات الادارية - انهيار خط الدفاع - بين شخصيتين - المعاهدة اليمنية الإيطالية - اتصالات بين الملكين - حاشية عن محمد حميد - الوفد في صنعاء - الوفد اليمني - جبلا «العر» و«منبه» - معاهدة العر:

(تزامن ثورتين عربيتين)

لقد تزامن نضال العاهلين الكبيرين ابن سعود ويحيى حميد الدين لصالح وطنيهما، ففي الوقت بل على وجه التحديد في سنة ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م، كانت هزيمتان للجيش العثماني، الأولى في القصيم على يد ابن سعود، والأخرى في اليمن الأعلى على يد ابن حميد الدين.

وكان أحمد فيضي باشا أحد قواد الحملة التركية في القصيم قد تلقى أمراً من الباب العالي بالتوجه إلى اليمن، فسلم القيادة لزميله صدقي باشا ـ الذي قدم من المدينة ـ وتوجه على جناح السرعة إلى اليمن.[1]

بيد أن كلا من العاهلين ليس له أي اتصال أو صلة بالآخر، وإن كانت الأقدار شاءت أن يكون الهدف واحداً، وهو قتال الأتراك، وتحرير كل منهما لوطنه، وإنما الغرض والغاية تختلفان . وعلاوة على ذلك، فبعد المسافة بين الجهتين بحكم مواصلات ذلك العهد، والوجود العثماني الذي يسيطر على الجزيرة العربية، تجعل الاتصالات بين العاهلين غير موجودة.

ومضت الأيام والشهور والأعوام والحالة لم تتغير، فالاتصالات لا وجود لها بين الطرفين، وتكاد تكون الحالة نفسها بين الحسين شريف مكة والإمام يحيى حميد الدين.

وجاءت معاهدة دعان سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م التي احتوت الإمام وجمدت نشاطه ضد الأتراك، بما اعترفت به له من النفوذ المذهبي في المنطقة الزيدية من اليمن.

---

(١) نجد الحديث للريحاني ص ١٤٨.

وظل ابن سعود يناضل حليف الأتراك ابن الرشيد في نجد، وفي سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م أعلن الإدريسي ثورته في المخلاف السليماني وعسير، وتوسع في بداية الأمر إلى غامد وزهران ومشارف بيشة، مما ترتب عليه قرب اتصاله بحدود ابن سعود، ويرجح أنه من هناك بدأت الاتصالات بينه وبين ابن سعود، وفي نفس الوقت زاد بعد المسافة الجغرافية والسياسية بين الإمام يحيى بن حميد الدين وابن سعود، لأن المنطقة الإدريسية أصبحت بعداً سياسياً وجغرافياً جديداً بين العاهلين.

وظل ذلك البعد إلى سنة ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م، فقد تغيرت الجغرافيا السياسية لشبه الجزيرة العربية، فقدم الإمام يحيى من معقله العتيد في جبل شهارة إلى صنعاء، وسلمه الوالي العثماني محمود نديم،[١] ما كان باقياً تحت حكم الأتراك في اليمن الأعلى - مثل صنعاء وشهارة وما يمتد بين صنعاء وصعدة - واليمن الأسفل - مثل تعز وأب وما يتبعهما - إلى حدود المحمية البريطانية في عدن، كما سلمه في تهامة زبيد وحيس والمخا وباب المندب، كما استلم الإنجليز من الجيش العثماني بقيادة سعيد باشا الذي كان مركز قيادته في مدينة الحوطة من منطقة (لحج) وما عرف بالمحميات التسع، وكان الجيش الإدريسي قد استولى من الجيش التركي حرباً على جبلي برع وريمه وجبال بني سعد وجبال عبال.

ووصلت الأوامر السلطانية بالتسليم لمتصرف عسير، محيى الدين باشا بواسطة الإدريسي - كما قد ذكر قبله - وفي ذلك إشارة ضمنية لتخويل الإدريسي للاستيلاء عليها، وقد تم ذلك - فعلا - بموجب معاهدة صبيا بين الإدريسي وآل عايض، فأصبحت الحدود الإدريسية متاخمة لبلاد الإمام يحيى من الناحية الشرقية الجنوبية نفس الحدود السعودية الحاضرة بعد ضم ابن سعود لعسير ولم يعترض الإمام يحيى لا بالقوة ولا بالاحتجاج على الإدريسي طيلة حياة الإدريسي المؤسس. ولا على ضم ابن سعود لعسير بعد ذلك في سنة ١٣٣٨ - وإنما حصل ذلك بعد معاهدة الحماية سنة ١٣٤٥هـ.

(١) ملوك العرب للريحاني ص ١٩٢.

بعد نقض اتفاقية صبيا

نقض آل عايض إتفاقية صبيا، وأصبحت مرتفعات عسير التي هي إمارة آل عايض في مهب الريح تتجاذبها القوى العربية الثلاث:

١ـ ابن سعود في الشمال الشرقي.
٢ـ الملك حسين من الغرب الشمالي والغرب.
٣ـ الإدريسي من الجنوب.

وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول.

ولا نعلم أي تدخل في ذلك الصراع السياسي والحربي للإمام يحيى في موضع مرتفعات عسير ـ أطلقنا عليها اسم مرتفعات تمييزاً لها عن الإمارة الإدريسية التي كان يطلق عليها اسم عسير ـ أيضاً ـ مجازاً.

(تلاحم الحدود السعودية والمتوكلية اليمنية)

شاءت الأقدار أن تتفوق السياسة السعودية، وتضم مرتفعات عسير إلى سلطنة نجد، فأصبحت الحدود السعودية متاخمة للحدود اليمنية في تلك الجهة من بلاد عسير من ناحية ظهران الجنوب في سنة ١٣٣٨هـ.

ومع أن الحدود أصبحت متصلة، فلم نقف ـ فيما تحت أيدينا من المصادر ـ على أي اتصالات رسمية بين الجانبين أو اختلافات أو نقاش لا حدودية ولا سياسية إلى سنة ١٣٤٠هـ والمعارك دائرة بين الجيش السعودي والهاشمي في أطراف شهران الغربية، وبين بلاد قبيلتي بالأسمر وبالأحمر، وكان المد السعودي قد أصبح متدفق التيار، والملك حسين يشعر بقوة تدفقه الذي سوف يغمر الحجاز، وهناك ازداد تنبه مخاوف الإمام يحيى الذي قد اتصلت حدوده بابن سعود، فكان القاسم المشترك الحذر والخوف من المد السعودي ـ هو سبب التقارب بين

الحسين والإمام يحيى، فتحالفا سراً وعقد بينهما اتفاقية صداقة في ٢٧ شوال سنة ١٣٤٠هـ ـ يونيو ١٩٢٢م، وكان في تلك المعاهدة المادة التي تنص على أن العدوان على أحد الطرفين الإمام والملك حسين ـ عدوان على الطرف الآخر ينبغي مقاومته من الطرفين المتفقين بكل وجه ممكن، ومن البديهي أن العدوان المنتظر المشار إليه هو ما يتراءى لهما من خطر الزحف السعودي.

ومن البديهي أن يعتبر ابن سعود هذه الاتفاقية ضد سياسته وبلاده.

(تنومة)

في سنة ١٣٤٠هـ وصل محمل حجاج اليمن إلى مدينة أبها ـ المسمى بـ (محمل الكبسي) ـ وكان القتال دائراً بين الجيشين السعودي والهاشمي، وكان عامل أبها هو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم الرجل المعروف بحنكته وحزمه فاستقبل محمل الحجيج الاستقبال الحسن وأكرم وفادته.

وأدرك ما يهدد هذا المحمل من الخطر لو جاءت طريقه في الطريق الذي فيه المعركة دائرة بين الجيشين، فبادر بإسداء النصح إلى أمير موكب الحج بأن لا يسلك هذا الطريق، ونصحه بأن يسلك الطريق الآخر الذي هو بعيد عن الخطر، فلم يستمع رئيس المحمل لنصحيته؟ فاضطر أمير أبها لقاء إصراره بأن يأخذ منه وثيقة خطية بأنه سوف يسلك هذا الطريق بمحض إرادته وعلى مسؤوليته، وأن الحكومة السعودية غير مسؤولة عن أي خطر يحيق به أو شر ينال الحجيج وموكبهم.

وبعد ذلك لم يسع عامل أبها إلا السماح لهم، فكان سلوكهم في ذلك الطريق الخطر الماحق الذي كان يتخوف عليهم منه.

قُدر عدد محمل الحجيج بثلاثة آلاف، ومع بعضهم أسلحة نارية، وفي وادي تنومة بين بلاد قبيلتي بالأحمر وبالأسمر شاهد الجيش السعودي

هذا الجمع المتكاثر فظن أنهم من الجيش الهاشمي، أو مدد له تنكر في ملابس الحجاج اليمنيين، فدار القتال الذي أسفر عنه إبادة أكثرهم، وقيل أنه لم ينج منهم إلا خمسة أشخاص.

وهذا هو أول حادثة تقع بين الطرفين بصورة غير مباشرة، ومع ذلك فقد سارع عبدالعزيز بن إبراهيم أمير أبها بإرسال خطاب إلى الإمام يحيى، يشرح فيه المسألة، وما واكبها من أسباب وملابسات مع صورة من التعهد الذي كتبه رئيس المحمل اليمني الذي يقر فيه على نفسه وأصحابه أنهم يتحملون مسؤولية السلوك في هذا الطريق الخطر وأن الحكومة السعودية بريئة من كل تبعة أو نازلة تنزل بهم.

كما بعث جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود اعتذاراً خطياً إلى الإمام يحيى يعرب فيه عن شديد أسفه وعظيم حزنه للواقع، وأنه أمر بإرسال جميع مخلفات وأمتعة الحجيج إلى صنعاء، وفعلاً وصلت تلك الأمتعة والأشياء، وقد رد الإمام يحيى رداً جميلاً على رسالة الملك عبدالعزيز بن سعود وعامل أبها عبدالعزيز بن إبراهيم، وشكرهما إلا أنه في آخر رسالته للملك، طلبه أن يكون حكماً في الحادث المؤسف.

وإذا نظرنا إلى الظروف والملابسات واتفاقيات ٢٧ شوال ١٣٤٠هـ ـ يونيو سنة ١٩٢٢م بين الملك حسين والإمام يحيى، نجد أن في ذلك الحشد للحج والظروف التي رافقت محملهم والإصرار على سلوك الطريق الخطر، يجعل الجيش السعودي المرابط في تلك الجهات والمتحفز للقتال الدائر بينه وبين الجيش الهاشمي، يشعر بالريبة من ذلك الحشد، يضاف إليه أنه يوجد مع بعضهم أسلحة نارية والبعض يتقلد السلاح الأبيض، وقد يكون استراب الجيش السعودي في أنهم من الجيش الهاشمي متنكرين، وعلى كل فهو حادث مؤسف فهم إخوان لنا في العروبة والإسلام، تغمدهم الله بواسع رحمته وغفر لمن غرر بهم أو من تحمل تبعة سلوكهم الطريق المحظور.

وقد اتخذ الإمام يحيى ـ بالرغم من شكره على رسالتي الملك

عبدالعزيز وعامله على أبها من القضية (قميص عثمان).

وإلا فإنه قبل وقعة تنومة لم يكن هناك أي نزاع بين العاهلين أو مطالبات في حدود لا في تهامة الساحلية ولا في الجبال. بحسب ما لدي من المصادر.

(عبدالله بن عائض)

في سنة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥م حج جلالة الملك عبدالعزيز ابن سعود ورافقه في حجه أمراء آل عائض، المقيمون في الرياض، فانسل منهم على غرة ـ عبدالله بن عبدالرحمن آل عائض خفية إلى أن وصل إلى رجال ألمع، ونزل عند أحد شيوخها فأخفاه لديه، ومن مخبئه كتب للإمام يحيى بن حميد الدين، فوعده بالدعم بعد إعلان ثورته، فأسقط في يد عبدالله بن عائض حيث وهو يريد الدعم الفوري مع وصول السلاح إليه، والإمام يحيى من الحذر والحيطة ـ بحيث لا يصطدم مع ابن سعود ـ يطلب منه إعلان ثورته مسبقاً، فأيأسه وأرغمه موقف الإمام يحيى السلبي على أن يسلم نفسه لأمير القنفذة، الذي كتب للملك عبدالعزيز، فوصلت سيارة إلى القنفذة وأقلته إلى الرياض، فأبقاه مع أبناء عمومته المقيمين في الرياض.[1]

ونرجح أن هذا أول طلب من رجل خارج على النظام في عسير ـ بعد العهد العثماني ـ تقدم إلى الإمام فاستجاب له في حذر وسلبية.

---

(١) انظر ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ من كتاب شبه جزيرة العرب لمحمود شاكر.

(الاختلاف الأول بين الأسرة الإدريسية)

إن الخلافات بين الأسرة الإدريسية كانت قد سويت، كما أن الأمير علي استطاع التغلب على ثورة قريبه مصطفى الإدريسي، الذي ما قام بثورته إلا بعد ما عقد اتفاقية مع الإمام يحيى بعدم تدخله في النزاع، أو تحريك قواته، وذلك مقابل ترضية موعود بها متى ما انتصر، وقد انتظر الإمام متربصاً، ومنتظراً وهو يرى أنه الرابح، فإن انتصر مصطفى فالترضية مضمونة وسيخرج مصطفى من المعركة مهيض الجناح، وإن هزم وانتصر علي فلن ينتصر إلا بعد أن يكون قد نضبت خزينته وفل سلاحه.

بيد أن الأمير علي أعان الإمام على نفسه وإمارته بتصرفاته الرعناء، فما انتهت المعركة مع مصطفى حتى قام بإبعاد ونفي القادة والوزراء من رجال إمارته إلى مستعمرة عدن وغيرها، فلم يبق أحد من الوزراء والقادة والعمال الذين مارسوا الأمور وعاركوا الأحداث في أثناء حركة وحروب والده، مع الأتراك، ومع الإمام يحيى وشريف مكة، وكسبوا لوالده المعارك في الشمال والجنوب والشرق، كما كسبوا أو كانوا على قدم المساواة في المفاوضات والمحاورات مع رجال السياسة من الأتراك والإيطاليين والإنجليز.

وكذلك العمال الذين مرت على رؤوسهم الأحداث، فكانوا يعرفون كيف يصمدون وعيونهم مفتوحة وهم رابطوا الجأش لا يؤخذون على غرة، ولا ينامون على غرر.

فأقفرت البلاد من الكفاءات، وشغرت الثغور وأبدلهم بأغرار وأحداث لم تمر بهم التجارب ولا جرستهم الأحداث، وقادة الجيش وعلى رأسهم محمد طاهر رضوان قائد الجيش الإدريسي وعامل المنطقة الجنوبية من ريمه إلى وادي مور والذي أثنى على كفائته الرحالة والكاتب المعروف أمين

الريحاني[1] وغيرهم وغيرهم.

وقد ملأ مراكزهم بوزراء أحداث في مثل سنه وعمال على طرازه، فجعل على إدارة وقيادة المنطقة الجنوبية في محل محمد طاهر رضوان خاله عبدالمطلب بن هارون العباسي الذي وفد إلى المنطقة لمزاورة أخته أم الأمير من السودان.

والذي بدلاً من أن يجعل مقر مركزه في باجل حيث كان محمد طاهر ليشرف من هناك على الحدود التي بينه وبين الإمام يحيى، ويكون عيناً يقظة ساهرة، وحركة دائمة كما كان سلفه، يفتش ويراقب ويبعث جواسيسه، ويعين في الأطراف رجالاً معروفين بالدربة والشجاعة، جلس عبدالمطلب في مدينة الحديدة بعيداً عن كل ذلك لا هم له إلا الاسترخاء والتطلع من القصر للغادين والرائحين.

كان للإدريسي المؤسس قوة وحضور، يختار ويحسن الاختيار ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وعند كل عامل، ومع كل قائد عيون تراقبه وتوافيه بأخباره وسياسته وإدارته، فكان العامل يتمثل حضور الإدريسي معه أينما سار، فإذا ما فَرَط من العامل أدنى قصور طلب مثوله بين يديه، وبادهه بكل ما يعلمه، فينهار العامل بين يديه معتذراً منيباً، حتى أن بعض السذج كانوا يعتبرون ذلك ـ بحكم عرف ذلك العهد من كراماته ومكاشفاته.

فإذا الأمير علي قد فاته ذلك كله، نفى من وجوده أرباب الكفاءات، ولم يحسن الاختيار فيمن يخلفهم في مراكزهم المهمة، ومع كل ذلك فليس له حضور، لا شخص يتمثله في جولاته، أو رقباء وعيون يوافونه بكل ما دق أو جل، بل ترك الحبل على الغارب واستكان في جازان.

---

(١) ملوك العرب جـ ١ ص ٢٥٤ حيث قال: وبعد الظهر جاء يزورنا الشيخ محمد طاهر رضوان عامل باجل وقائد العسكر الإدريسية فيها، فسلم واعتذر وهو يشتغل في الليل ويصعد صباحاً إلى ربوة خارج البلد لينام، سألنا عن السياسة الأوروبية وعن الإنجليز وعن مصر والهند سؤالات دلت على عقل وعلم فيه لا يفتقران، بخلاف العادة العامة، إلى شيء من الحكمة والذوق، فقد كان مستخبراً مستفيداً دون رأي خاص له يبديه، ولكنه فيما يختص ببلاده كان مفيداً مفضلاً.

كانت الحدود بين الإمام يحيى والإمام الإدريسي مشكلة المشكلات، وليس بين الطرفين معاهدة حسن الجوار بالمعنى المتعارف عليه دولياً، ولا حدود مخططة بعلامات وصوى، تدعمها اتفاقية بشرعيتها، والحدود في مناطق جبلية وعرة، وقد تفصلها شقة حرام كما كان الوضع بين الحجيلة وعبال، وحدود على ذلك الوضع موضع خلاف ونهزة لاهتبال الفرص السانحة لكل منهما، ورجال الإمامين متحفزون كل منهما على حدوده، والمواقع الاستراتيجية محصنة بأوكار المدافع تتبادل القذائف لأقل الأسباب وأتفه المخالفات.

ومن وراء ذلك السياسة وأساليبها، من استمالة وإغراء وترغيب وترهيب لزعماء ورجال قبائل الحدود، وما وراء الحدود في الجهتين.

كان الجانب الإدريسي أمتن قوة، وأكثر توفقاً في اجتذاب القلوب، وترضية الخواطر، والسخاء الوافر وعدم التشدد في استحصال الخراج والعوائد، فكانت الدبلوماسية الإدريسية ناجحة في السعي، فهم سُنيّو العقيدة شافعيو المذهب مثل الإدريسي نفسه، فأهل ريمه وبرع والحجيلة هم شافعيون بل أن سياسة الإدريسي اجتذبت حتى الزيود من الشيعة.

تلك الصفة التي كانت متوفرة في السياسة الإدريسية في حياة مؤسسها كانت صدمة لمحبيه المتعلقين به بعد وفاته المفاجئة، وفي نفس الوقت متنفس ليستنشق منه الإمام يحيى نسيم الأمل، والإطلالة على أمانيه وتطلعاته، وزاد في مطمح الإمام يحيى أنه لم يخلف الإدريسي من يماثله، فإذا لم يكن الإدريسي كما يشهد غير واحد متفوقا في الدهاء والسياسة على الإمام يحيى فهو يماثله، فانقلب الوضع وشالت كفة الميزان وأصبح التفوق الأدبي والسياسي من نصيب الإمام بالنسبة إلى الأمير علي.

فالآن لا شيء فخلف الإدريسي الأمير علي مشغول الفكر، أولا بمعارضيه من الأسرة وبعدها اشتغل بنفي الوزراء وإبعاد القادة وملء المراكز الشاغرة بمن على طرازه من الضحالة وتفاهة المدارك فانقطع رجاء المتطلعين والمائلين إلى الجانب الإدريسي، ونضب معين المقررات

والصلات للأنصار المتعلقين والراغبين في الدولة الإدريسية حتى من خارج حدودها.

أصبح الإمام يحيى يتطلع إزاء الحالة التي طرأت على الجانب الإدريسي بعين المطئمن، فأخذ في بداية التجربة يتقدم خطوة خطوة في حذر ويقظة، بالنسبة إلى ما كان يعرفه في الجانب الإدريسي، فإذا خطواته الأولى لا تثير الغبار أمامه، فتلا ذلك تشجيع الأنصار المتوارين، واستقطاب غيرهم من أنصار الجانب الإدريسي بالمال والوعود، والوعد بالمراكز والوظائف ونتيجة لذلك أخذ النفوذ الإدريسي في الضمور والنضوب التدريجي، ثم التقلص والانكماش على الحدود المباشرة، وعمال الإدريسي الجدد من الغفلة والسذاجة بحيث تتجاوز مداركهم البسيطة سياسة الاستقطاب والتدخل غير المباشر، ومن رفع منهم فيرفع بصورة مخففة فتصل إلى عامل المنطقة الجنوبية، ويرفعها بدوره للأمير علي الإدريسي، فلا تجد لديه من الاهتمام ما يشجع لا العامل الرئيسي في الحديدة، ولا العامل البعيد في الحدود.

يضاف إلى كل ذلك أن الأمير علي خرج من المعركة مع قريبه مصطفى الإدريسي، الذي كان قد اتفق مع الإمام على مهادنة مؤقتة استفاد منها الإمام في الاستيلاء على بعض المراكز الاستراتيجية المهمة، وكثف استمالات الاستقطاب للمشايخ والوجهاء، وتهيئة الجو لاستقطاب القبائل المتاخمة واستمالة ما هو أبعد مسافة نسبياً.

ثم ضم الإمام إلى جانبه واستمال سِلماً دون إطلاق رصاصة واحدة - جبال عبال والحجيلة وبني سعد - فخطته خطة بارعة فتلك القبائل والمواضع أصبحت بلادهم شاغرة من الحاميات، والأمير الذي لديهم للإدريسي على الوصف الذي وصفناه سابقا، صورة من الإهمال، ولا وراءه سند ولا إرادة قوية تسيّره، ومن هنا تشعر القبيلة بالفراغ الإداري، والخواء النفسي، وتجد في الجانب الآخر العزيمة لاستقطابها، وبراعة لاسترضائها، وبعد إرسال الأعطية والتمهيدات، يستقدمهم إلى الجانب الآخر للمعاهدة، ولا يرجعون إلى أوطانهم إلا بما يرضي خواطرهم،

وبرفقتهم كتيبة تحتل المكان، وعندها يتقدم أحد المتبرعين من المشايخ ويسر إلى العامل أن القوم كلهم قد خالفوا، بعضهم وصل بالجيش إلى طرف القرية، انج بنفسك فإني لك من الناصحين فينسحب بسرعة وينتهي الأمر.

وراح الإمام الذي استفاد من وجود محمود نديم الوالي التركي السابق ورصيده عند القبائل والمناصب في تهامة اليمن ، فبعثه إلى تهامة فعقد له اتفاقية مع منصب المراوعة عبدالقادر الأهدل ومنصب المنيرة، وغيرهما، وهؤلاء المناصب لهم تأثير أدبي ومعنوي من الاعتقادات التي تخالف روح الشرع، ويعتقد فيهم سذاج القبائل الضر والنفع من دون الله، وتمت الصفقة بعد أن أقنعهم بأن الإدريسي من الضعف بحيث أطمع الأجانب باحتلال البلاد، وهذه دولة مسلمة تحب أن تحمي البلاد، وتقيم الشرع، وأنتم خير من يدرك خلفيات الأمور، ومع النصح المال والوعود المغرية، فمهدوا لنزول جيش الإمام يحيى، فاستولى على باجل وصليل والعبسية والقحرى وغيرهم من القبائل القوية، واحتل قاعدة قبيلة صليل مدينة الزيدية، وبذلك عزل مدينة الحديدة، كل ذلك وعبدالمطلب يغط في غفلته ولم يستيقظ إلا وهو يرى نفسه في دوامة من الأراجيف، وحرب الأعصاب، والسلاح الخامس الذي وفد إلى الحديدة أو استتر فيها، فانهارت نفسه المحطمة، ومعنوياته الواهنة وأفقده كل أمل في التحرك أو النهضة للمقاومة.

وتوارد العمال وفلول الحاميات إلى مدينة الحديدة لأن جيش الإمام يحيى قد قطع عليهم خط الرجعة باحتلال الزيدية وابن عباس والصليف فزم أثاثه وركب سفينة شراعية مع من وصله من العمال، وغيرهم، ناجياً بنفسه من لا شيء وبدون مقاومة، وذلك في شهر رجب سنة ١٣٤٣هـ.

وظلت الحديدة بدون حاكم ولا حامية، وساد الهرج والمرج، فتبرع رجل من «الشطار» ويدعى إدريس من أهل بادية الحديدة، تبرع بالقيام بوظيفة محتسب، وضرب على يد العابثين الذين هو على معرفة وخلطة بهم،

وكان يأخذ من الأغنياء بعض الدراهم يهدىء بها السفهاء، فهدأت الحالة نسبياً، كل ذلك وعبدالله الوزير قائد جيش الإمام يحيى على بعد ثلاثين كيلاً من الحديدة، يحسب الحساب ويعد العدة قبل التقدم إلى الحديدة، لما ينتظره من مقاومة عاملها، وما يحسب له من وصول نجدات بحرية في السفن، أو قوات عن طريق البر تشق طريقها إليها، ومع أنه يعلم أن الشيخ هادي هيج زعيم الواعظات والذي يمتد نفوذه على وادي مور جميعه وعلى مدينة اللحية، قد استماله الإمام فاتفق معه على أن يسلم جيشه بلاد وادي مور ومدينة الزهرة وميناء اللحية.

على كل وبينما عبدالله بن الوزير يحسب ويقدر شأن القائد الذي لا يحب أن يخطو الخطوات إلا بحساب وتقدير صحيح، فإذا وفد من أهل الحديدة يرجوه الإسراع في دخول المدينة الشاغرة، فدخلها في اليوم الرابع لخروج عامل الإدريسي، وأخذ في ترتيب إدارتها فبلغه ما يقوم به رجل من شطار العامة من حسم الخلافات وفض المنازعات في الأسواق اسمه إدريس فظن أنه من الأدارسة، فبعث قوة من رجاله إلى مكان الرجل اقتادوه حتى مثل بين يديه فسأله أنت أدريسي؟ فقال الرجل: أنا رجل من أهل البلاد لا من الأدارسة، وبعد فهم حقيقته أمر بإطلاق سراحه.

ونفس هذه الحالة كانت مع عامل الزهرة الذي يأتي في المركز الثاني بعد عامل الحديدة، استعمل معه نفس الطريقة والسلاح الخامس، ومع أن مقره في قلعة حصينة ولديه حامية، فإنه تحت الضغوط والإرهاب النفسي فبمجرد سماعه لصوت (النفير) انسحب بسرعة واتبعته الحامية، فدخل جيش الإمام يحيى المدينة بسلام.

فر عبدالمطلب عامل الحديدة مع العمال وفلول الحاميات في السفينة الشراعية بحراً، في حال أن بعض عمال الأطراف قد وصل سريعهم إلى المخلاف السليماني، وتدفقت الأخبار على مسامع الأمير علي بجازان، فركب زورقاً شراعياً في سرعة وعجلة ليتوجه إلى جزيرة (كمران) طالباً المساعدة من الحكومة البريطانية، فكان الرد فاتراً مقتضباً، لأنها قد

طمـأنت الإمـام يحيى فعاد لمدينة ميدي، ليجد خاله عبدالمطلب الذي أخبره بكل شيء، واتفق الرأي على أن يجعل من قرية حبل أمام مدينة ميدي من الجنوب، خطا دفاعيا جديدا يقف في وجه الزحف الإمامي حتى يستنهض الأمير علي شوكات ومقاتلي المخلاف السليماني، لينهضوا في الدفاع واسترداد القسم المستولى عليه.

ومنها سار الأمير علي وخاله ومن قد وصل ميدي من فلول الحاميات المنسحبة إلى قرية حبل، ومن قصور سعيد اتخذ مركزاً لقيادة جديدة، ومن القرية وكثبانها خطا دفاعيا، وعاد الأمير إلى جازان وأخذ في إرسال ما تبقى لديه من ذخيرة، مع من استطاع أن يجندهم إلى القيادة الجديدة في قرية حبل، على بعد نحو عشرين كيلاً من ميدي.

في أثناء ذلك كان السلاح الخامس للإمام يحيى قد غزاها قبل الجيش واتصل تأثيره بشيخ ميدي الثاني، ربيع علي زيلع ورحيمه يحيى ثابت الذي يشتغل بوظيفة مدير المالية، والذي هو واسطة في استمالة رحيمه الشيخ ربيع علي زيلع، وعندما بلغ الأمير علي ذلك استدعى يحيى ثابت إلى جازان وأبقاه لديه تحت الإقامة الجبرية، فتلطف في طلب الإذن من الأمير علي في الرخصة لمزاورة عائلته، فسمح له، فتأخر أكثر من اللازم فطلبـه فاعتذر، فصدر الأمر على عامل ميدي بإشخاصه فماطل، وكان الأمير علي تعود منذ جعل خاله في خط الدفاع في قرية حبل أن يزوره لتفقد الدفاعات يركب سيارته من جازان قبل الظهر، فيقضي بقية العصرية عند خاله، ويعود في الليل إلى جازان.

استخفه في بعض مشاويره الطيش ودفعه في أثناء رجوعه من (حبل) المرور على بيت يحيى ثابت الذي ماطل في الرجوع إلى جازان، وعند باب الدار أمر عبيده (مواليه) باستدعاء يحيى ثابت فلم يستجب، فأمرهم باقتحام الدار والقبض عليه، إلا أن يحيى ثابت قد استثار قبل ذلك حمية ابن أخته علي بن ربيع زيلع، الذي يعتمد على مركز أبيه الشيخ الثاني للمدينة وعصبيته، وكان مرابطاً من داخل الباب هو وبعض مواليه، وعندما أقبل ثانية موالي الأمير لاقتحام الدار، أطلق عليهم النار فتراجع الموالي

واحتمـوا بجدار قريب، وأطلقوا النار، وأقبل عامل المدينة وشيخ ميدي الثاني وأبو المُدَافع عن خاله وغيرهم وهدأوا الأمير وطلبوه بأن يستدعي العبيد (الموالي) وأنهم يتعهدون بالدخول وسحب يحيى ثابت من داره.

في هذه الأثناء دبرت مسرحية ترتب عليها تهريب يحيى ثابت من الباب الخلفي، دخل بعدها عامل ميدي والشيخ ربيع وغيره ممن حضر والموالي وفتشوا الدار وعادوا، وأخبروا الأمير أن يحيى ثابت غير موجود في البيت وتعهد الشيخ ربيع بأنه سيحاول البحث عنه في المدينة حتى يتمكن من القبض عليه وإرساله إلى جازان.

(انهيار خط الدفاع وقتل القائد)

عاد الأمير علي الإدريسي إلى جازان، أما يحيى ثابت فقد سار من ساعته إلى بلاد عبس التي قد احتلها الإمام، ومن هناك أخذ في العمل السياسي داخل ميدي وخارجها، ومع سعيد صاحب قرية حبل والحصون التي فيها القيادة، وعندما استكمل يحيى ثابت اتصالاته واتفاقه مع سعيد تقدمت كتيبة من جيش الإمام يحيى ووقفت على مسافة خمسة أكيال تقريباً من القرية، وأطلقت دفعة من الرصاص وابتدأت المسرحية، وقام الممثلون بأدوارهم، ومنهم من يرجف ويصيـح أن جيش الإمـام أقبـل كالجـراد المنتشـر، وأن قسماً منه في بعض حصون سعيد من الليل، وتحرك أحد الممثلين البارعين ويطلع قصر القيادة ويدق على غرفة نوم القائد عبدالمطلب، الذي قد سمع صوت دوي طلقات الرصاص وقد كبلته الحيرة وهو مشدوه لا يستطيع أن يتصرف.

فبادهه قائلا: انج بنفسك هؤلاء الجبالية[1] نازلين من القصر الثاني وسيطبقون عليك، وقد أسرجت لك الحصان حتى لا تتأخر فنزل مسرعاً،

---

(١) الجبالية: نعت يطلقه أهل تهامة على سكان الجبال.

ووضع رجله في ركاب السرج، فإذا طلق ناري ينطلق من القصر المقابل ويـرديـه قتيلاً، وتفرق الممثلون إلى أفراد الجيش الإدريسي الذي قد انْشَدَه لسماع طلقات الرصاص من كل جانب، ويتبرعون بدورهم بأخبارهم بأن عبدالمطلب قد قتل، وأن جيش الإمام يحيى قد احتل قصره واستولوا على جميع القصور وأنتم في العراء، والذخائر قد استولى عليها فانجوا بأنفسكم فانسحبوا جماعات جماعات إلى ميدي وبعضهم تعدى ميدي شمالاً.

وسمع شيخ ميدي الأول أحمد طاهر بما صار، فاستنهض عشيرته ومن استجاب له وسار إلى (حبل) وكتب للإدريسي، وبوصوله إلى (حبل) وجد أن القرية قد احتلت والحصون مشحونة بالمقاتلة، فضرب الحصار على القـريـة والإدريسي يوافيـه ببعض الذخـائـر وبعض المجنـدين، بينما الإمدادات إلى المحصورين في الحصون تزداد والجيش المحاصر يقل، وأخيراً وصل جيش آخر اضطر المحاصرين على رأس الشيخ أحمد طاهر إلى الانسحـاب. إلى كثبـان تبعد عن قرية «حبل» بنحو ٧ كيلومترات واستجلبوا مدفعاً كان يضرب على القصور ولا يؤثر فيها بشيء.

وفي إحدى الليالي علم أحمد طاهر أن جيش الإمام يحيى قد تكاثر وأنه سيقطع عليه خط الرجعة، وأن مدينة حرض التي هي شرق ميدي بنحو ٣٥ كيلا قد استسلمت.

وأن زميله الشيخ الثاني ربيع علي قد اتفق مع جيش الإمام يحيى على تسليم المـديـنـة، فرفـع بالواقع إلى الأمير علي طالباً النجدة السريعة والذخيـرة فلم يسعفه إلا بإرسال شيخ الحكامية علي بن أحمد حكمي وعدد يسير من جماعته، إلا أن المخادعة من أكثر مَنْ في المدينة اضطرته بعد التشاور مع الشيخ علي بن أحمد حكمي إلى الانسحاب، فرأى من الحزم الانسحاب والتحصن في قصره داخل المدينة، وفي بعض القصور الأخرى، وفعلاً دخل وفرق من كان معه من أقاربه وعشيرته في قصره وفي قصر محمد يحيى باصْهي المقابل، وفي قلعتي ميدي الغربية والشرقية.

وبعد صلاة العشاء أقبل جيش الإمام، واستقبله من قد مالأه من أهل

المدينة يحملون الفوانيس وأدخلوهم إلى المدينة ولبعض القصور، فتبادلوا... الرصاص مع الشيخ أحمد طاهر وجماعته والشيخ علي بن أحمد حكمي اللذين اضطرا عند الظهر إلى الانسحاب من المدينة واللجوء إلى المضايا ومنها إلى جازان.

(بين شخصيتين)

إن سطوع وتألق شخصية عبدالعزيز ابن سعود في شبه الجزيرة كزعيم عربي استطاع بتفوقه السياسي والعسكري، ومعرفته الفذة بسياسة عصره، ونفسية أهل زمانه وطبيعة العرب في عهده مما جعله ـ بعد مشيئة الله سبحانه ـ يتصرف في حكمة ويسير على بصيرة، ويتغلب على خصومه الواحد تلو الآخر، حتى لم يبق في شبه الجزيرة إلا زعيمان:

١ـ عبدالعزيز آل سعود.
٢ـ يحيى بن حميد الدين.

والأخير يشعر بخطر ابن سعود بالنسبة إلى آماله وأمانيه وتطلعاته وأطماعه الواسعة وأحلامه العريضة في إشادة إمامة زيدية شيعية في الدرجة الأولى وعربية في الدرجة الثانية تشمل شبه الجزيرة بما في ذلك الأماكن المقدسة ليكون أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، وإنما على طريقته ونهجه المعروف البعيد عن روح العصر والأخذ بالنافع من أسباب الحضارة.

ويموت الإدريسي المؤسس، فيتنفس الصعداء ويسرع الخطى في سبيل تحقيق آماله فضم نصف الإمارة الإدريسية، بعد أن ضم ابن سعود مرتفعات عسير، وشعر الإمام يحيى أن ابن سعود قوة جديدة تكاد تحطم آماله فقال لعل وعسى أن يقف المد الجديد عند مرتفعات عسير العائضية وفي الإمارة الإدريسية بعد موت مؤسسها ـ ما يأمله من العوض، ما دام أن ملك الحجاز الخصم اللدود لابن سعود موجود، وقاربت الضرورة بالنسبة إليه وإلى الحسين في وجهة نظريهما، فعقدا معاهدة مكة ـ

السابق ذكرها ـ وما بين عشية وضحاها يطوي ابن سعود مملكة الحجاز تحت جناحيه.

إذن لم يبق إلا هو ويصعب على المرء أن تحطم آماله، وإنما علل النفس بالعوض في النصف الآخر من الإمارة الإدريسية.

فإذا بالإدريسي يطلب حماية ابن سعود فيصبح قد ارتفع أمامه سور شاهق وخندق عميق يحول بينه وبين ذلك النصف الذي كان يأمل في ازدراده.

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أماني من سُعْدى رواءً كأنما سقتك بها سعدى على ظمىء بردا

وقف الإمام يحيى وقفة الحائر يراقب تحركاته والنظر بعين الغيظ والغبطة والحسد لظهور هذه الشخصية القوية التي انداح نفوذها بسرعة، وبروزها كقوة دافقة، امتدت تغير الكثير من خريطة الجزيرة، فإذا أمله أن يصبح أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وخادم الحرمين، قد حال نجاح عبدالعزيز دون... مطمحه، وأعاد نفوذ الدولة السعودية الأولى، الذي شمل الحجاز والمخلاف السليماني وتهامة اليمن، وغيظ الإمام يحيى لم يغير الواقع، ولم يوقف دوران الفلك.

باتصال الحدود بين الإمام يحيى وابن سعود وكانت قد اتصلت بينهما في مرتفعات عسير في سنة ١٣٣٨هـ ـ أي قبل اتصال الحدود بينهما في الجنوب من ناحية ميدي وحرض بسبع سنين ـ وذلك في جهة ظهران الجنوب وما حولها، فالمنطقة الإدريسية بعد اقتطاع الإمام يحيى لقسمها الجنوبي احتفظت بوجودها في قسمها الشمالي من شمال ميدي إلى رجال ألمع، وفي جبال العبادل والحرث في الشرق الجنوبي، وبني مالك في الشرق الشمالي وغرباً إلى البحر.

وإنما نخال أن الإمام يحيى عندما تماست حدوده بحدود ابن سعود سنة ١٣٣٨هـ لم يحرك ساكناً، على أمل أن تتاح له فرصة ضم الإمارة

مستقبلا، وفعلاً تمكن من ضم نصفها الجنوبي مؤملاً ضم الباقي، ولكن فوّت ذلك عليه طلب الأدارسة الحماية على ما تبقى تحت أيديهم، فرأى أن كل أحلامه قد انهارت ومطامحه قد تبددت فشدد النكير، وقام بما قام به من المطالبة والدعاوى التي حسمتها معاهدة الطائف وأقرت الحدود كما سنوضحه في الفصل الخاص بذلك.

ونرى ابن سعود يظهر التصبر وعدم الإثارة ويعمل في روية وهدوء فلم تثره ظاهرياً محالفة الإمام مع الملك الحسين بن علي ولو أن تلك الاتفاقية أثارت حفيظته لما تضمنته إحدى موادها التي تنص على أن العدوان على أحد الطرفين ـ الإمام أو الشريف حسين ـ عدوان على الطرف الآخر، ينبغي مقاومته من الطرفين المتفقين بكل وجه ممكن، وبصريح العبارة الطرف الآخر هو ابن سعود، وجاء بعد ذلك مباشرة ما حام وقيل حول محمل الحج اليمني، وما رافقهم من مظاهر وإصرار على سلوك طريق تدور فيها المعارك ـ لأن النجدة أو المدد لأحد الطرفين، ولو شكلية تقوي معنوياته وترجح كفته.

وقد يكون الإمام يحيى المعروف بحصافته ودهائه أراد بعدها أن يظهر بمظهر الشخص البعيد عن الشك في قضية محمل الحج، فأرسل برقيته المعروفة إلى ابن سعود والملك حسين يعرض فيها وساطته للصلح بينهما في مقابل التنازل عن القنفذة، وإنما تلك الوساطة جاءت متأخرة ولو أنها غير ودية لابن سعود، التي استطاعت قواته أن تستولي على معظم الحجاز.

وشاء الله استخلاص الحجاز لابن سعود، وما رآه من عقد مؤتمر إسلامي في مكة في تلك السنة لمناقشة أمور المسلمين، والحكم الجديد للمدينتين المقدستين بعد استيلائه عليهما، فوجه ابن سعود الدعوة إلى العالم الإسلامي، لحضور ذلك المؤتمر، ومن الحكومات التي دُعيت حكومة الإمام يحيى، الذي امتنع في أول الأمر، ثم استجاب بعد إلحاح، وأرسل مندوبه إلى مكة السيد حسين عبدالقادر للاشتراك في المؤتمر، وأرفقه بكتاب وهدايا، وفي إحدى محادثات المندوب مع ابن سعود، أثار مسألة

الحجاج بينما يرى ابن سعود أن تتناول المحادثات في الدرجة الأولى موضوع الإمارة الإدريسية،أنه في نهاية المحادثة التي لم تسفر عن نتيجة كتب ابن سعـود للإمام يحيى رسالة أبدى فيها رغبته في الإبقاء على الإمارة الإدريسية كحد فاصل بين الحجاز واليمن، وهو رأي وجيه ـ ويدل على بعـد نظر ابن سعـود ورغبته الأكيدة في عدم الصدام مع الإمام يحيى، وإنما الإمام يحيى ـ رحمه الله ـ يرى أن يكون التعويض جزيلا في موضوع الحجاج، وتقديم الأدارسة هدية أو ترضية.

إن معـاهدة الحماية هي في ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م، والحـدود بين المملكة واليمن متصلة ـ كما قد ألمعنا قبله ـ قبل هذا التاريخ بسبع سنوات من ناحية الظهران، في جهة مرتفعات عسير، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى أقول ـ للحقيقة وللتاريخ ـ إن قوات الإمام يحيى عنـدمـا اجتاحت من باجل إلى ميدي وحرض لم توقفها القوات السعودية، وهذا شيء يعرفه كل مطلع على التاريخ، بل لم يكن أي وجود للسعـوديين في الإمارة الإدريسية، بل الحقيقة ـ كما ألمعنا قبله ـ أن جيش الإمام يحيى لم يتحرك من ميدي شمالا، بل تحرك من حرض نحو صامطة، ومن الجبال الشرقية الجنوبية إلى العبادل وبلاد الحرث، وصدته قبائل المنطقة، فتراجع إلى قواعده، وهذا قبل الحماية أو بالأصح قبل أن يطلب الحسن الإدريسي الحماية بنحو سنة أو أكثر.

المعاهدة بين الإمام يحيى وإيطاليا وتطور الأطماع

إن معـاهـدة الحماية السعودية الإدريسية في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ ـ ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦م دفعت الإمام يحيى لإظهار تخوفاته، وإبراز ترقباته مجسدة في البحث أو الاعتماد على حليف ومصدر خارجي للأسلحة والذخائر، وهنا يجد إيطاليا التي طالما توددت إليه وتدلهت في هواه وهو يصد عنها يمنة ويسرة كما هو معروف عنه من الحذر، والبعد عن مخاطر التدخلات الأجنبية، وإنما في هذه الآونة (غطى هواك وما ألقى على بصري) فقد دفعته مخاوفه لعقد معاهدة مع إيطاليا التي هي حريصة

كل الحـرص على تقـويـة مركزها في البحر الأحمر وشواطئه الشرقية، وبالأخص المقابلة لمستعمراتها - أريتريا والصومال الإيطالي - وتم عقد المعـاهـدة المعـروفـة التي اعتـرفت بموجبها باستقلال اليمن بحدوده الحـاضـرة، كما تعهدت ببعث الخبراء لتنظيم شؤون اليمن مع تأمين الذخائر والأسلحة، كل ذلك مقابل امتيازات اقتصادية واستراتيجية من الأهمية بمكان وذلك في ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦م، وهى أول معاهدة يعقدها الإمام يحيى مع دولة أجنبية أوروبية يمنحها امتيازات اقتصادية.

ولم تكمل على تلك المعاهدة سنة كاملة حتى أبرم معاهدة سرية مع تلك الحكـومة الإيطالية، تعهدت له فيها بتأمين ما يحتاجه من السلاح والعتاد، وقد كان لها ضجة وصدى غير طيب على المستوى الدولي، لما حصلت عليه إيطاليا من أوليات وأفضلية في التجارة مع اليمن، وكأن تلك الضجة والدعاية رتبت بحيث تزامن زيارة عامل الحديدة محمد البدر ابن الإمام يحيى إلى إيطاليا.

هل يمكننـا أن نتسـاءل ضد من هذه الاتفـاقيـة؟ هي بالطبع ضد السعـوديـة الحكـومة العربية المسلمة خادمة الحرمين، والتي لم تباده شقيقتها بشيء من العداء أو التعدي، اللهم إلا أن إمارة عربية مسلمة التجأ أميرها - بعد أن استولى الإمام على نصف إمارته الجنوبي، وتمادى للاستيلاء على النصف الآخر - فطلب من ابن سعود الحماية، ومع ذلك فقد كتب ابن سعود رسالة خطية إلى أخيه الإمام يحيى هذا نصها:

الاتصالات بين الملكين

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، إلى حضرة فسيح الرحـاب، عالي الجناب، وافى الذمم، كريم الشيم، يحيى حميد الدين، حفظه الرب المعين.

جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مع الاستفسار عن رفاهيتكم لازلتم بحال الرفاهية والسرور، وقد سبق هذا كتاب فيه من الإفادات ما يلزم إن شاء الله وصلكم وأشرفتم عليه مسرورين،[1] ثم نعرض لحضرتكم، أنه كما كررتم على أخيكم بالتحفظ من الأجانب ودخولهم في هذه الجزيرة، وكثرة اشتغال المذكورين في أطراف عسير واليمن، وعلاوة على ذلك قد ورد إلينا مكاتيب من جميع رؤساء عسير، ومكاتيب من الأدارسة أننا إذا لم ننظر في شؤونهم يكونون مجبورين بالالتجاء إلى أي حكومة كانت، فنكون في إحدى الحالتين، إما أن نستلم البلاد أو نقبل السيادة عليها، واستقرارهم بالمحافظة على حقوقهم، وحيث أن الوقت حرج والمشتغلون في هذه الأمور كثيرون، فإنه ولم يسعنا إلا المراقبة بأحوالهم، وقبلنا أن يكونوا تحت سيادتنا على استقلالهم الداخلي في بلادهم، على شرط أن يمشوا على حكم الشرع والعدل بين الناس، وأن لا يتداخلوا في أمر حرب ولا صلح ولا امتياز ولا مفاوضات سياسية بدون مراجعتنا، وأخذ رأينا، وقد أجابوا وأمضوا على ذلك، وترون نص المعاهدة:

بموجب معرفتنا بعلو همتكم، ونظركم العالي، وحرصكم على اتفاق كلمة المسلمين، والدفاع عن حوزتهم وراحتهم، حبينا أعلامكم بذلك لموجب ثلاثة أمور، الأول كما ذكرناه أعلاه، والثاني: أننا اشترطنا على الأدارسة أن لا يكـون منهم أدنى حركـة في طرفكم، والثـالث رجـاؤنـا بالله ثم بمقاصدكم الحسنة أن تأمروا جميع محسوبينكم لا يتعدوا على أطراف الأدارسة ، فأمـا من قبل المراجعات فيما يختص بالأحوال التي بيننا وبينكم ـ فنحن مستعدون بما يريح خاطركم العزيز ويحفظ حقوقكم، والله المسؤول أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح، لأمر الدين والدنيا، وهذا ما وجب رفعه لمقامكم العالي والله يحفظكم ويرعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[2]

في ٢ رجب سنة ١٣٤٥هـ

---

(١) يفهم من المضمون انه سبق هذا رسالة من ابن سعود للإمام.

(٢) مذكرات الشيخ تركي بن ماضي ـ مخطوط ـ.

وهـذه صورة جواب الإمـام يحيى إلى جلالة الملك بشأن المعاهدة المنوه عنها

بسم الله الرحمن الرحيم

حضـرة السلطان النبيـل صاحب المقـام الجليـل عبـدالعـزيـز بن عبدالرحمن الفيصل حرسه الله ووفقنا وإياه لما يرضاه وأتحفه بالسلام الأسنى ورحمة الله وبركاته الكافلة لكل ما يهواه من الخير ويتمناه، بعد الاحترام نوضح لجنابكم الجليل: إنه بينما نحن في حال جمع الأنصار لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الأدارسة على الله والإسلام والمسلمين، بإدخالهم النصارى إلى بلاد المسلمين، إلى فرسان، وتمكينهم من ذلك مع إهمال شريعة الله وإضاعة أحكامها، واتباع غير سبيل المؤمنين إذا؟ وصلت إلينـا كتب وفيهـا قطع كثيرة من الجرائد الخادمة لأفكار الملل الكفـريـة، يكثـر الكلام فيها بين نجد واليمن، وتغرس العداوات، وتزين الشقاق، في مدح وقدح وتشويق، لقصد التحريض وبذر الفتن الخالقة لأقوال تحلق الشعر، ثم وصل إلينا من الشيخ محمد بن دليم كتاب فيه إيماء بقبولكم خداع وتغرير الأدارسة، وذلك ما تلقوه من أعداء الإسلام والمسلمين، كما يرونه ويحسبون له كل حساب، ويؤملون به بلوغ مآربهم الخبيثـة عنـد طغيـان الشقاق وإسالة الدماء، وإزهاق النفوس، وذهاب الأمـوال، وتـأجج نار الشرور، والتوصل في مشاق طويلة الذيول يتعذر إخمـادهـا، ويعـز إنقـاذ غريقهـا، وينقطع الرجاء معها عن جمع شتات المسلمين، ولم شعثهم وإعزاز شريعة الإسلام، وحماية المسلمين على أن يلتهمهم أعـداء الإسلام، فاستخرنا الله تعالى عن ذلك في المضي لما أردنـاه، وتقـديم الإيضاح إليكم لإثارة عاطفتكم الدينية، وحفيظتكم لما يرتكبه الأدارسة من الآثام وما يقصده الأجانب من فل حد المسلمين، وتفريق اجتماع الدين والعرب، ولم يبق لهم اهتمام في غير التشويش بين اليمن ونجد، لما يعتقدون من أنه إذا كان التطاحن بين الفريقين تم لهم إخضاع المسلمين وكسر شوكة الإسلام، وبلغوا من العرب كل مرام، وقد علم الله أننا نصد ونتجنب ونرد كل كلام ووفود، من أية دولة، أو بلاد قديماً أو حديثاً، وفي سبيل التفرقة بيننا وبينكم لما نعلمه من سوء المغبة

على الإسلام والمسلمين، فقضت الخيرة بتأخير ما قصدناه فكتبنا إلى العمال بتوقيف من طلبنا من الجيوش لتحرير هذا الكتاب إلى حضرتكم، فنقول قد علمتم أن الأدارسة ليسوا من أهل الديانة في شيء، ولم يكن لهم حمية إسلامية أو عربية لإرادة صالح الإسلام والمسلمين، وإعزاز العرب التي بذلها ذل الإسلام، وأن يكون ذلك من مثل أولئك، مع أنهم ليسوا إلا مغتصبين قطعة من بلاد اليمن من دون مشروعية استحقاق، وليت أنهم أقاموا شريعة الله وأجروا أحكامه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهدموا البدع وأمنوا البلاد وحقنوا الدماء وخدموا العرب والإسلام والمسلمين، ولم يطمعوا ولم يمكنوا الأجانب في شيء من البلاد، فلو كان منهم ذلك لكان لنا مندوحة في الإعراض، ولنا حق الأولية لطردهم من اليمن وإراحة الإسلام والمسلمين من شرورهم، وقد عرفتم الخليع علي بن محمد الإدريسي ولعله سيد القوم، فهل من يعان لقصده المشؤوم.

(.............. ويجعل أساساً للتشاجر والقضا[1] على العرب من نجد وغور تهامة)، فيشمت بالإسلام والعرب مشرك، فإن كل ما بلغ إلينا صحيحاً فهل في وسعنا جميعاً ما فيه تخييب آمال أعداء العرب والإسلام، ويصون رونق الدين، وليس ذلك إلا الإنصاف ومعرفة الحقوق وتأثير ما به صلاح الإسلام والمسلمين، وإطراحنا جميعاً كلام السفهاء الجاهلين الذين هم كالأنعام لا يعرفون إلا المحسوسات، على أن من الناس من يتقرب بكلام أحلى من الشهد هو ممزوج بالسم الزعاف خدمة لأي الملل الكفرية، فمهما، يمكن التدارك فأما أرسلتوا إلينا معتمداً للحل والعقد، أو نرسل إليكم كذلك، فتأملوا هذا بعين الإنصاف ففيه والله الصلاح وقطع لآمال الكافرين، فإن يصادف لديكم قبولا فهو المؤمل والمرجو، وإلا كُتِم عنا هذا.

والسلام على والدكم وأنجالكم الأماجد وشريف السلام ورحمة الله وبركاته.

في ٤ شعبان ١٣٤٥هـ

---

(١) هكذا في أصل مذكرات الشيخ تركي الماضي.

وندع لفطنة القارىء الكريم المقارنة بين الرسالتين واستخلاص النتيجة.

فهل هذه المعاهدة الإيطالية الإمامية هي رد الفعل على الحماية السعودية للإمارة الإدريسية؟ بحيث أوجبت كل ذلك فجعلت الإمام يحيى يخالف ما جبل عليه، ويخالف سياسته التقليدية، مما أوجب فتح اليمن في ذلك التاريخ أبوابها، أمام الأجانب وهو الذي يذكر في رسالته الجوابية على رسالة ابن سعود قوله (بينما نحن في حال جمع الأنصار لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الأدارسة على الله والإسلام والمسلمين بإدخال النصارى إلى بلاد المسلمين إلى فرسان وتمكينهم من ذلك...... إلخ).

بينما لا يعدو الأمر كما أشرنا إليه من قبل ذلك، بأن المفاوضات بين شركة نفطية بريطانية من عدة سنوات، تتفاوض للحصول على امتياز للتنقيب عن النفط، وافق الإدريسي على امتيازها وباشرت العمل، وعندما رأى أن عليه إجحاف في المردود اتصل بابن سعود فنصحه بإلغاء العقد، وفعلا تم ذلك وقوضت الشركة أطنابها ورحلت.

بالرجوع إلى مذكرات الشيخ تركي بن ماضي ـ رحمه الله ـ ومنها نورد نص الخطاب الملكي السعودي رقم ٥٥٦ وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

عــدد
٥٥٦

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود إلى حضرة جناب المحترم عالي الهمم كريم الشيم الأخ المكرم الإمام يحيى حميد الدين الأفخم.

حفظه الله ورعـاه

أما بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مع الاستفسار عن رفاهيتكم، وإنكم لا زلتم بكمال السرور، ودوام النعمة، وإن سألتم عن

أحوالنا فهي ولله الحمد ومزيد المنة والفضل، على غاية ما يرام من جميع الوجوه ولم يستجد عندنا من الأخبار ما يجب رفعه لحضرتكم، إلا عموم الخير والراحة والاطمئنان، نسأل المولى جل وعلا أن يتابع علينا وعليكم نعمته ويوزعنا شكرها، وقد سبق منا لحضرتكم كتاب فيه من الإفادة ما وجب بوقته، إن شاء الله تطلعون على الجميع مسروري الخاطر، كذلك يصلكم إن شاء الله حامل كتابنا هذا مندوبنا لحضرتكم حمد الخطيب ورفقاه، والمذكور مفوض من قبلنا ليتفاوض مع حضرتكم بما يجب بخصوص المفاهمة والاتفاق، على ما فيه خير وصلاح لنا ولكم، وحفظ لحقوق الجميع، ولنا وطيد الأمل بالله ثم بحضرتكم أن الاتفاق المنشود سيحصل، ويتم ولم يبق أثر لسوء التفاهم ومحل للخلاف، وتكدير الخاطر، ولا يخفى على حضرتكم ما في ذلك الاتفاق المطلوب مني، ثم من حسن العاقبة للجميع وللإسلام والمسلمين والعرب، ولا شك أن ذلك مما تأمر به الشريعة الإسلامية وترضاه الشيمة العربية، ونسأل الله أن يوفق الفريقين لما فيه النجاح لتلك المهمة النافعة، وأن يسدد الأفعال والأقوال من الفريقين، لتكون النتيجة حسنة حسب رغبة الجميع، هذا ما وجب رفعه لحضرتكم، والرجا إبلاغ تحياتنا للأنجال الكرام، ومن لدينا سيدي الوالد الإمام والإخوان والأولاد يهدونكم السلام ودمتم والله يحفظكم ويرعاكم والسلام،

في ١٤ شوال ١٣٤٥هـ

ملحق خير وسرور للكتاب رقم ٥٥٦ وتاريخ ١٤ شوال ١٣٤٥هـ.

أدام الله وجودكم: ثم إنه بموجب الوثوق وحب المواصلة حبينا تقديم بعض التذكرة مع مندوبنا، وهي سيفين من سيوفنا القديمة، وخمسة عشر بشتا من نسيج بلادنا، ولو أنها قليلة على قدركم العالي، ولكن بموجب معرفتنا بعقلكم، وأن حضرتكم تعلمون أن قدركم عندنا أعز من ذلك وغيره، تجاسرنا على تقديم ما ذكر، وأرجو قبوله ونسألكم السماح عن التقصير ودمتم محترمين.

وما دام أوردنا الخطاب الملكي، فأيضاً نرى من المستحسن إيراد ما جاء في تلك المذكرات:

(بعـد تحرير الكتاب والملحق للإمام يحيى وإشارة جلالة الملك بأن رئيس الوفد هو (حمد الخطيب) ورفقاه تأخر حمد الخطيب المنوه عنه بسبب المرض، وصدر الأمر الملكي بتعيين سعيد بن مشيط وعبدالوهاب أبـو ملحـة وكاتب هذه السطور[١] مندوبين من لدن جلالته إلى الإمام يحيى، وتوجه الوفد من أبها إلى صنعاء يحمل الكتاب والهدية الملكية، وذلك في ١٨ القعدة ١٣٤٥هـ، وكان السفر طويلا وشاقا، والطريق وعرة لا تجتازها الخيل والركاب إلا بكل مشقة، لذلك فقد مكثنا في طريقنا من أبها إلى صنعاء ٢٥ يوما يتخللها بعض الإقامات، في المراكز اليمانية للراحة والاستجمام، وكنا نحمل معنا تعليمات خاصة قد أشير فيها إلى النقط الهامة التي يجب بحثها مع الإمام يحيى، قدمنا صنعاء في ١٣ الحجـة فلاقتنا على مسافة ميل خارج السور ثلة من الجيش اليمني، وسرنا في الموكب إلى صنعاء ونزلنا في البيت المعد لنزولنا، وبعد ثلاثة أيـام حظينـا بالسـلام على جلالة الإمام، وأبلغناه تحيات جلالة الملك المعـظم عبـدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود، وسلمنا له الكتاب الملكي الكريم، وانصرفناً فيما بعد إن شاء الله، وقد انتدب الإمام يحيى (عبدالله بن أحمد الوزير) ورفقاه للتفاوض معنا في منزلنا، وقد استمرت المباحثات مدة لا تقل عن شهر، وكان الوفد اليمني يبدي تعصبا شديدا أثناء هذه الجلسات، وقد انتهت على غير ما يرام، وقد قمت بكتابة كل ما دار في هذه المحادثات الرسمية، فيما بين الوفدين السعودي واليمني، وعندما عزمنا على السفر، قابلنا الإمام يحيى، وأبدى أسفه الشديد لعدم الوصول إلى حل يرضي الطرفين، وأجبناه بأن الوقوف المتصلب الذي وقفـه منـدوبكم ومـرافقوه كان هو السبب في عدم الوصول إلى الحل المرضي الذي يرغبه الطرفان، وإننا نغادر هذه البلاد وكلنا أمل في أن تستـأنف المفاوضات في الوقت المناسب، ويسلك الجميع طريق العدل

---

(١) كاتب السطور ـ أي المذكرات ـ تركي الماضي نفسه.

والإنصاف، وبذلك يتم الاتفاق ويزول الاختلاف وسوء التفاهم القائم بين الطرفين إن شاء الله.

قلت إننا حظينا بمقابلة الإمام يحيى لطلب الإذن لنا بالسفر، وقد سلم لنا خطاباً لجلالة الملك أوضح فيه لجلالته بعض ما دار بين الوفدين من محادثات، لم تسفر عن نتيجة مرضية للجميع، وقد غادرنا صنعاء إلى أبها في طريقنا إلى مكة، وكنا نلاقي من عمال الإمام وموظفوه في المراكز التي مررنا بها حفاوة بالغة، كان سفرنا؟ من صنعاء في ٢٥ محرم ١٣٤٦هـ، وقدومنا إلى مكة المكرمة في أول شهر ربيع الأول، وتشرفنا بالسلام على جلالته، وشرحنا لجلالته كل ما دار بيننا وبين الإمام يحيى ورجال حكومته المنتدبين للتفاوض معنا، وكان جلالته مسروراً بما وقف عليه من معلومات قيمة كان أحوج ما يكون لها، كما أن هذه المفاوضات وإن كانت غير ناجحة إلا أنها كشفت النقاب عن النوايا التي يكنها العاهل اليمني، والمطامع التي يحلم بها نحو المقاطعة الإدريسية خاصة، والبلاد العسيرية على وجه العموم، وهناك نفر من أعيان أهالي المقاطعة (يميلون إلى الإمام)، ومن أولئك النفر محمد حيدر النعمي،[1] وهو من علماء تهامة

---

(١) ترجمة محمد حيدر القبى النعمى على الصفحات التالية:

محمد حيدر القبى النعمى
(حياته العلمية)

ترجم له الوشلي في تاريخه الموسوم بـ«نشر الثناء الحسن» ترجمة فضفاضة فقال: هو السيد العلامة الشهير والبارع المحقق النحرير القاضي محمد بن حيدر القبي النعمي ولد بقرية (الملحا) من أعمال بيش ثم قال ما ملخصه: شرع في طلب العلم قبل سن الحلم على عدد من علماء المخلاف السليماني فقرأ على يد العلامة حسن بن أحمد ثم على ابنه علي بن حسن بن أحمد في قرية القمري ثم على يد العلامة عبدالرحمن بن محمد الأساس الكناني وعلى العلامة القاضي إسماعيل بن حسن عاكش في علم الفرائض وسمع في الإحياء للغزالي: ثم رحل إلى جهة صعدة في هجرة ضحيان سنة ١٣١٥هـ وأخذ في تلقي العلم على فطاحل علمائها إحدى عشرة سنة كان في خلالها يزور وطنه لزيارة أهله وصادف إحدى فترات زيارته عودة العلامة الحجة إمام العصر محمد بن علي الإدريسي من مصر إلى وطنه صبيا، فقرأ عليه المصطلح من شرح القسطلاني من أول الجزء الأول منه من البداية إلى النهاية وحديث إنما الأعمال بالنيات من أول البخاري، ووريقات من القطر لابن هشام في النحو، وإجازه في جميع العلوم، كما قرأ في صبيا أيضا على العلامة

سالم بن عبدالرحمن باصهي الشافعي المذهب.

ثم استطرد بعد ذلك فيما للمترجم له من مؤلفات وختم ذلك بقوله: «وهو» أي المترجم له موجود ـ أي في وقت ترجمة الوشلي له ـ [1] في نحو الثلاثين من العمر ولازم للتدريس والإفادة والاستفادة في تلك البلاد الشامية ـ يقصد المخلاف السليماني ـ مع القيام بوظيفة القضاء الشرعي من طرف الإمام محمد بن علي الإدريسي. انتهى.

مؤلفـــاتـه

نستفيد من ترجمة الوشلي له أن لمحمد حيدر المؤلفات الآتية:

١ـ رسالة سماها تحفة المناظر وبغية المناظر ذكر فيها مشايخه وإجازاته، ومنها نقل الوشلي ما حرره في ترجمته كما يقول.
٢ـ رسالة سماها عقود الجمان في تعداد مشايخه.
٣ـ رسالة سماها تتميم التشاجير.
٤ـ رسالة جمع فيها سيرة شيخه محمد بن علي الإدريسي.
٥ـ حاشية على متن الأزهار، ويذكر أنه سماها باسمين أحدهما عيون الأنهار المتدفقة على حدائق الأزهار والثاني مختصر الوشاح من تعليق في مفتاح وما انضم إليه من الحواشي الصحاح.
٦ـ الجواهر اللطاف في أخبار صبيا والمخلاف ـ كذا ورد اسمه في تأريخ الوشلي.

حياته العلمية

عندما قام الإمام محمد بن علي الإدريسي بحركته ضد الأتراك كان محمد حيدر من رجال الرعيل الأول في تلك الحركة فولاه وظيفة القضاء في صبيا وبنجاح تلك الحركة أصبح من رجالها البارزين وتوطد مركزه أدبيا ومادياً واكتسب أراض زراعية واسعة وقد تعرض غير مرة لسخط الإمام الإدريسي ثم يشمله رضاه ويعود لمركزه القضائي، إن الإمام الإدريسي هو صانع تلك الثورة ومدرب رجالها فهم تلاميذ مدرسته وصنائع دولته ومحمد حيدر واحد من أولئك الرجال بل هو تتلمذ على يده علميا قبل أن يتتلمذ على يده عمليا فعاش كغيره مسيّرا بقوة تلك الشخصية القوية حتى توفاها الله وحل في محله ابنه على الإدريسي فكان من الفريق الذين يودون لو حل الحسن الإدريسي مكان أخيه وإنمـا الشعبيـة التي مع الابن لم تدع لهم الاختيـار فساير التيار حتى قام أحد أفراد الأسرة الإدريسية مصطفى الإدريسي بثورته المعروفة ضد الإمام الجديد فكان من ضمن رجال الدولة الذين مالئوه في الخفاء وعند التغلب على ثورة مصطفى شمله الإبعاد مع أغلب رجال الدولة الذين أبعدوا إلى خارج المملكة.

(في المنفى)

استقر رجال الدولة المبعدون في المحمية البريطانية ـ آنذاك ـ (عدن) وظل مع صديق صباه محمد يحيى باصهي يعيشان سويا ويعملان متحدين ويتنقلان معا بين عدن ومصوع وأسمرة وكذا بقية رفقاهم.

---

(١) يفهم من تاريخ الوشلي أنه زار الإدريسي في صبيا سنة ١٣٢٩هـ ونقدر أنه كانت هناك المقابلة.

(الصديقـان)

إن صداقة محمد يحيى باصهي، ومحمد حيدر القبي صداقة قديمة تمتد من عهد الصِّبا الباكر فقرية الملحا ضاحية من ضواحي صبيا فكان محمد حيدر إذا دخل صبيا نزل ضيفا على صديقه وبعد قيـام الحركة الإدريسية كانت إقامة محمد حيدر في بيت صديقه وساعدتهما تلك الصداقة على التعاون ومساعدة بعضهما في غير موقف من المواقف وضد غير واحد من خصومهما السياسيين وبطبيعة الحال كان التعاطف بينهما في المنفى أمتن وأقوى إلى أن حصل بينهما حدث[(١)] بسيط فرق بينهما واستقل كل منهما عن الآخر في الفكر والسكن والمعيشة والسياسة.

(محمد حيدر في اليمن)

وصل محمد حيدر القبي ومحمد طاهر رضوان وعلي بن محمد شبيلي الحازمي و «محمد عبدالله» إبراهيم بن عطيف النعمي وغيرهم بعد اتصالات بينهم وبين الإمام يحيى ونزلوا في ميناء الحديدة ومنها توجهوا إلى صنعاء فاشتغل محمد حيدر بالسياسة أو بالأصح سخر ليعمل في جذب المنطقة إلى حضرة الإمام، أما محمد طاهر رضوان فرجا الإمام بأن يسمح له في الإقامة على أراضيه الزراعية التي اكتسبها في وادي مور متخليا عن كل نشاط سياسي وأما علي بن محمد شبيلي الحازمي فقد رافق الجيش المتوكلي الذي أرسله الإمام لأخذ صامطة آملا أن يزحف به إلى بلدة ضمد فهزم الجيش بعد أن قُتل جانب كبير منه والباقي انسحب عائدا إلى بلدة حرض وقتل علي بن محمد شبيلي بعد هزيمة الجيش قرب قرية الجرادية وأما محمد عبدالله بن عطيف فعاد من اليمن إلى صبيا - وظل محمد حيدر مدة يسيرة في صنعاء ثم أرسل إلى ميدي في مهمة سياسية هي: استمـالة قبائل المخلاف السليماني للإمام، فأخفق في مهمته مما جعل الإمام يحيى ييأس من نجاحه، فطلبه ليعود إلى صنعاء، وبقي هناك كمستشار اسمي حتى كلف بمهمة سرية في المنطقة تحت ستار عودته إلى وطنه قرية الملحا في عام ١٣٤٦هـ، ووصل بصورة مفاجئة إلى صبيا ووصلها ليلا ونزل في بيت صديقه محمد يحيى باصهي وفي الصباح وصل محمد يحيى من صبيا الجديدة فرحب به وأخذه للسلام على الإمام الحسن ويقال إنه اعتذر من الحسن عن قدومه المفاجىء بأنه وصل لزيارة أهله والاستقرار في بلدته إن سمح له فأمره الحسن بالتوجه إلى جازان لمقابلة مندوب

---

(١) أخبرني أحد كتاب باصهي المرافق له في المنفى قال: كانت سعة أحوال باصهي المادية تمكنه من الإفضال وكان يعتبر نفسه وصديقه في المنفى شيئا واحدا. حتى اطلع صدفة - عفوا - على خطاب ورد لصديقه من أخيه في الملحا يفيده بغَلَّة مزارعه في تلك السنة فإذا هو مقدار وافر يغطي مصاريفه في بلده وفي المنفى ويزيد على الكفاية فأخذه في خاطره[(١)] وكأن محمد حيدر شعر ببعض الانقباض من صديقه ففهم الأسباب وانفرد عن صديقه سكنيا وفكريا، وكان محمد يحيى ويحيى زكرى وحمود سرداب بحسب مذهبهم السني وميولهم السياسية يرجحون الجانب السعودي وكان محمد حيدر وجماعة معه بحكم تعليمهم في اليمن أو ميولهم المذهبية أو مصلحتهم الشخصيـة يرجحـون الجـانب اليمني فتوجه باصهي ورفقاه إلى ميناء البرك السعودي ومنه إلى وطنهم وتوجه محمد حيدر وبعض الرفاق إلى اليمـن.

---

(١) كأن لسان حاله يقول إن صديق من سعة الحال بمكان ويحملني بنفسه.

جلالة الملك فقال أرجو السماح لي بزيارة أهلي ثم بعدها مستعد بالتوجه إلى جازان فسمح له وبعد أن مكث يومين وصله الطلب من المندوب صالح بن عبدالوهاب فتوجه إلى جازان وهناك نوقش ثم طلب منه العهد لجلالة الملك والتوجه إلى الحجاز ويقال إنه قال وصل لزيارة الأهل وأنه بعد أن يمكث أياما مستعد بالتوجه إلى الحجاز لمقابلة جلالة الملك والمبايعة هناك أو ماهو قريب من هذا المعنى ثم عاد إلى قرية الملحا ومكث بها فترة ثم رحل سرا بطريق البحر من مرسى قوز الجعافرة إلى اليمن، ثم رحل في سفينة أرسلت له من حكومة اليمن خصيصا.

(عودته إلى اليمن)

بعد عودته إلى اليمن أسند إليه وظيفة حاكم مدينة اللحية وكانت إدارة المنطقة بأسرها تحت شيخ مشائخ قبيلة الواعظات هادي هيج فوقع اختلاف بينهما واستمر وقتا ليس بالقليل وأخيرا - كما يقال - أصيب بمرض عقلي أو انهيار عصبي وبعض الناس يقول غير ذلك فظل في مدينة اللحية وأخيراً طلب ذووه من الإدريسي والمندوب السعودي السماح له فسمح له بالعودة إلى وطنه وعاد فعلا وتقرر إيقافه في جازان تحت المراقبة ثم صدر الأمر بسفره إلى الحجاز فتوجه به أخوه ومكث هناك إلى أن سمح له بالعودة إلى جازان وأخيراً سمح له بالتوجه إلى بلده قرية الملحا بحجة مرضه السابق فبقي هناك إلى أن قامت الحركة الفاشلة في رجب سنة ١٣٥١هـ.

(النهايـة)

روى غير واحد من كتاب محمد يحيى باصهي أنه بعد إطلاق محمد يحيى باصهي لابن زعير ورفقـاه من معتقله بعد فرار الإدريسي في صبيا وصل محمد حيدر من قريته إلى بيت باصهي للمواجهة وطلب الأمان وأنه عند دخوله إلى البيت لقى صديقه القديم محمد يحيى باصهي الذي استقبله ببشاشة واحتفاء فقال لصديقه: «اليوم» كما قال رسول الله في يوم الفتح «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» وفهم الصديق ما وراء المعنى فعانقه ودخل به إلى فهد بن زعير فعاهد وأعطى له أماناً خطيا. وانصرف عائدا إلى قريته، ظل في قريته ثم كأنه استريب في موقفه فمرت سرية من الجيش وعرج جماعة على قرية الملحا فقضت عليه رحمه الله تعالى: إن تلك الحركة الفاشلة كان حصـادها عدد من كبار الرجال بعضهم قضى عليه الحسن الإدريسي صبرا «كـ» محمد يحيى باصهي وعبدالله العتمي وبعضهم قضى عليه الغوغاء «كـ» حسن فاسخ من رجال صبيا المعروفين وبعضهم كان حصـاد تلك الفتنـة «كـ» محمد حيدر القبي، وعلي بن أحمد حكمي شيخ مشائخ الحكامية والكلاس ويحيى مقبول حكمي ومحمد بن أحمد عقيل من رؤوساء أبي عريش المعروفين وأحمد طاهر زيلع[1] وغيرهم - تغمد الله الجميع بواسع رحمته ورضوانه -.

(١) الشيـخ أحمـد طاهر زيلع شيخ مدينة «ميدي» انظر ص ٨٩١ جـ ٢ من كتابنا «المخلاف السليماني» ط ٣.

وتلقى علومه في صنعاء، وتأثر بالمذهب الزيدي ونشأت بينه وبين الإمام يحيى علاقات ودية، ولما بدا الانحلال والضعف يدب في جسم الحكومة الإدريسية نزحوا إلى صنعاء وشرعوا يحرضون الإمام يحيى على التقدم إلى المقاطعة وطرد الإدريسي عنها، ذلك الدخيل المغتصب على حد قولهم، وفي قدومنا إلى صنعاء، وجدنا محمد حيدر واقفاً لنا بالمرصاد ومقيم؟ في الطابق الأعلى من دار الضيافة التي نزلنا بها، وقد انضم بأمر الإمام إلى ابن الوزير ورفقاه، وكان بين الآونة والأخرى يدلي بحجج هي في صالح الحكومة اليمنية، وفي يوم من الأيام قدم لنا قصيدة من نظمه يحث الوفد السعودي على إزالة سوء التفاهم بين الحكومتين والعمل على إبرام معاهدة صلح بين الفريقين، وقد وصف الإدريسي بالجرباء التي تحاول أن تعدي الصحاح، حيث قال:

أيها الوفد انعموا طراً صباحا ... فعسى من سعيكم نرجو النجاحا
ذكركم قد جاوز الشرق معا ... وله في الغرب سر لن يباحا
فادأبوا لا تسأموا من طلب ... إن من يضجر لا يجدى؟ فلاحا
واقصدوا بالسعي وجه الله لا ... هذه الدنيا فما فيها صلاحا؟
واعلموا علما يقينا أنني ... ارتضي الصلح عشياً وصباحاً
وزنوا الأفكار في عاقبة ... واتركوا الجرباء لا تعدي الصحاحا
صحبة الأحمق تجني دائما ... لرفيق القوم بعدا وانتزاحا
وسلام الله يغشى دائما ... ملك الإسلام بدءا وافتتاحا

قلت: إننا قد أوضحنا لجلالة الملك عبدالعزيز، كل ما دار بين الوفدين، وكان جلالته حريصا كل الحرص على إزالة سوء التفاهم بينه وبين الإمام يحيى، على أسس صحيحة يسودها العدل والإنصاف، وكان الإمام يبادله هذا الشعور بالقول لا بالعمل، وفي يوم ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ تشرفت بمقابلة جلالته في جدة، وأبلغني بأنه عزم على انتدابي أنا وأمير قحطان الشيخ محمد بن دليم إلى صنعاء لاستئناف هذا الوفد مرة ثانية، وقال بأنه لم يتلق من الإمام يحيى شيئا بهذا الخصوص، ولكن بقاء العلاقات بينهما على هذه الصفة غير ممكن، ولا بد من انتدابكم هذه

المرة لعل الله أن يوفقكم إلى حل هذه المشكلة المعلقة بين المملكتين وكانت الرغبة من جلالة الملك في أن يكون السفر بحراً إلى الحديدة، ومنها إلى صنعاء، وذلك في أقرب وأيسر وقت، ولكن زميلي الشيخ محمد بن دليم أبدى عدم رغبته في السفر بحراً، وقال بأن السفر في البحر لا يناسبه ويضر بصحته، فوافق جلالته على السفر براً، وقد غادرنا مكة المكرمة بعد أن استلمنا كتاب الإمام يحيى مع ما يلزم من تعليمات تختص في الموضوع، وكان السفر طويلا وشاقاً للغاية، وهذه صورة الكتاب الملكي الصادر إلى الإمام يحيى.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود إلى حضرة جناب عالي الهمم كريم الشيم، حضرة الأخ يحيى حميد الدين، حفظه الله الرب المعين.

بعد إهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته، مع الاستفسار عن رفاهيتكم لازلتم، بموفور النعم، وعن محبكم، يشكر الله على مزيد نعمه بخير، ثم أن مشرفكم المؤرخ ٢١ محرم ١٣٤٦هـ وصل، وما عرف حضرتكم كان لدى أخيكم معلوم، بخصوص ما أبديتموه من حسن نواياكم ومحبتكم لاجتماع الكلمة، كلمة العرب، فهذا الذي نعهده من سجاياكم الحميدة ولا شك أنكم أهل لذلك، ثم أدام الله بقاكم ما هو خافيكم حالة الزمان وأهله والحقيقة، فأخيكم من أبدى محبة الاتفاق والتحذير من دخول الغير فيما بيننا إنه كثير، ولكن ينبغي أن يكون العمل مقدما على القول ومصدقا له فيما أبديتموه .... (١) ولا غرو أنه ليس بكثير عليكم لأنه عادتكم كل جميل، ويرجى منكم ذلك، ولكن مع الأسف أن عدم الاتفاق وعدم المباحثات التي تقرب الاتفاق، وترك بعض ما في النفس لجلب المصلحة ما حصل، وهذا كثير، لأسف يؤسف كل مسلم عربي ناصح، ولكن بموجب معرفتنا في غايتكم المحمودة، وما أبدوه لنا مندوبونا من حرصكم على الاتفاق صرنا مجبورين، نكرر عليكم طلب الاتفاق

---

(١) بياض في الأصل.

مرة ثاني، مع أنـه صار بعض الضجـر في النفوس التي ما تخفاكم حالهم ....[1] ولكن بموجب معرفتنا بما عندكم، ورجاؤنا الذي إن شاء الله ما ينقطع من حب الاتفـاق بنبـذ كل قول يدخل أدنى شك بيننا وبينكم، واعتمادنا على الله، ثم إننا نوفد إليكم محسوبينا الأمير محمد بن دليم وتركي بن ماضي، لأجل رجائنا في بلوغ آمالنا بالله ثم بكم، وإلحاق النفس هواها بمحبة التقرب والائتلاف فيما بيننا وبينكم، وهم مفوضون من قبلنا في جميع المراجعات، وعرفناهم بما يلزم كما أنهما واقفان على الحقيقة والغاية قديماً وحديثاً، نرجو من الله أن يوفقنا وحضرتكم لما يحب ويرضاه ويحقق أمل جميع المسلمين والعرب بالائتلاف والاتفاق وباقي المعلومات من روس المذكورين كفاية، مع إبلاغ السلام حضرات الأنجال الكرام، ومن عندنا الإخوان والأولاد يبلغونكم السلام والله يحفظكم.

في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ

ملحـــق

أدام الله وجودكم من أخيكم، حال تاريخه متوجهين إلى نجد إن شاء الله لأجل تغيير الهواء والسلام على الوالد والعزم إن شاء الله أن الصيام في مكـة المكـرمة، ومن خصوص مسألة الأدارسة معلوم حضرتكم أن الحركة مستحيل يصير حركات من جهتهم، أو أن يصير شـيء، كان وقع في أيـام حركـات بني مروان وغيرها، ولكن نحن مؤكدين عليهم، وعلى خادمنا ابن عبدالواحد - كونوا آمنين ومطمئنين الخاطر، الأمور إن شاء الله تكون وفق المطلوب.

انتهـــى.

إن ما استلمه الإمام يحيى من الأتراك هو من باب المندب إلى جنوب بلاد الزرانيق بما فيها ميناء المخا ومدينة زبيد.

وإن ما أَخَـذَه الإدريسي من الأتـراك هو من ريمـة في الجبال إلى الحديدة غرباً على البحر الأحمر، ومن رجال ألمع شمالاً إلى البرك على ساحـل البحـر الأحمـر غرباً، وهي الحدود التي شملتها معاهدة الملك

---

(١) بياض في الأصل.

عبدالعزيز ابن سعود مع السيد الحسن الإدريسي، وهذا ما يعتبره الوفد السعودي بموجب تلك المعاهدة من حقوق الملك ابن سعود، لذلك طالب الإمام يحيى بما استولى عليه من الإمارة الإدريسية.

وكما أشرنا سابقاً ـ إن التقارير السياسية في مصادرها الأجنبية قد لا تكـون مادة للتاريخ يعول عليها، لأنها لا تأخذ الحقائق من مظانها، وبالأخص في البلاد العربية التي كانت في ذلك الوقت شبه مغلقة في وجه الأجانب ومراسليهم، ومن الجهة الأخرى أن التقارير السياسية تخدم جهة معينة، وهذا هدف معروف، فمثلا كان الاختلاف في المفاوضات ليس على منطقة الأدارسة بل على منطقة نجران، وأحسن برهان نعتمد عليه في ملاحـظاتنـا هو عضـو الوفد السعودي السياسي الحصيف، والذي هو «دينمو» الوفد السعودي الشيخ تركي بن ماضي، فقد سجل في مذكراته خلاصة المفاوضات التي دارت في الجلسات، وها نحن نوردها نصاً منذ وصولهم صنعاء في يوم ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦هـ فقال:

(وقد استقبلنا أمير الجيش عبدالله الضميم على بعد ميل من صنعاء ومعه ثلة من الجيش اليمني، وتوجهنا إلى صنعاء، ومكثنا يومين قبل أن نحظ بمقابلة الإمام، وفي اليوم الثالث استقبلنا الإمام في قصره المعروف (دار السعادة) فرحب بنا، سألنا عن صحة جلالة الملك عبدالعزيز فأبلغناه تحياته وسلمناه الكتاب الملكي، فقرأه ثم انصرفنا إلى منزلنا، وبعد مضي بضعة أيام استقبلنا الإمام في قصره، ودار البحث في موضوع الاتفاق المنشـود، وأبـدى كثيـراً من الاهتمـام في ذلك، وصرح بأنه سينتدب القاضي عبدالله العمري الوزير الأول لجلالته والقاضي عبدالكريم المطهر رئيس ديوانه، للتفاوض معنا في دار الضيافة، وقد كان الشروع في ذلك، وتوالت الجلسات يومياً، وقد لاحظنا بأن الموقف قد تغير، واللهجة التي استعملت في المفاوضات السابقة قد تبدلت بغيرها، فكان فيها شيء من الاعتدال وحسن التفاهم، وفي المقابلة الأخيرة أبدى أسفه الشديد لعدم انتهاء المحادثة على الوجه الذي يرضي الطرفين، وقال بأنه قد أوصى رجاله بأن يتساهلوا ويتنازلوا عن الكثير من حقوقهم اليمنية، وأنهم قد

سلكوا هذه الخطة المرسومة ولم يبق إلا مسألة نجران، فإنه سيحكم فيها جلالة الملك عبدالعزيز، وإنه سيبعث معنا وفداً يمنياً لإكمال ما يجب على ضوء المباحثات التي أُجريت في صنعاء، وأنه مقتنع بأن جلالة الملك سيقوم بحلها وذلك بحكمته وكرمه المعهود، وعند ذلك رحبنا بهذه الفكرة وتأهبنا للسفر، ورافقنا الوفد اليمني المذكور وغادرنا صنعاء في ٤ شعبان ١٣٤٦هـ).

وأحسن ما نورده هنا ـ للحقيقة والتاريخ ـ ما ورد في مذكرات الشيخ تركي الماضي من النص الحرفي لرسالتي الإمام يحيى إلى الملك ابن سعود مع وفده والوفد اليمني الذي انتدبه الإمام يحيى للمفاوضات في مكة قال:

(بعد أن سلم لنا كتاباً لجلالة الملك، وهذه صورة الكتاب الصادر من الإمام يحيى إلى جلالة الملك.

حضرة الملك الخطير المستجمع لخلال الإعظام والتوقير جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود، أتحفه الله بكل مرام من مراضيه وكلل مساعيه الحميدة بالنجاح الذي يبتغيه وزانها بمواهب التوفيق وصرف عنها كل تعويق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ صدورها مسفرة من إحساس الوداد الصحيح، منطوية على إيثار الإيضاح، وحسن الإفصاح، عما يروق به التصريح، صحبة الأخ العلامة قاسم بن حسين ابن الإمام، والولد العلامة محمد بن زبارة، والولد العلامة عباس بن أحمد بن إبراهيم، ومعهم الشيخ الفخري عبدالله بن علي مناع، أرسلناهم إلى حضوركم الجليل ليكون منهم كلية الإيضاح عن الوجود، والأنساب القاضية بلزوم تقرير المصير فيما بيد المغتصب الإدريسي إلينا، مع كل ما هو معدود من خولان ابن عامر، وهمدان بن زيد، وما في ذلك من المحافظة على كرامة الجانبين، وبناء الأساس المتين لصفاء القلوب الدائم، إنه لا دافع لنا إلى مثل هذا التصريح أية رغبة في التوسع، والحصول على ما يجتنى من وراء ثمرة مادية، ونعتقد أن الحال لديكم مماثلة لما عندنا، ولكن في

الجبين ما يسمى بالمحافظة على الكرامة فيما يبنى ويؤسس على الاتفاقات الرسمية، فاللازم في أن ترعى الحقوق المشروعة للجانبين، وأن تخلو عما يهيء وسائل التقولات من رجالنا، فضلا عن الأعداء والحساد والمتربصين، بكل ما لديهم من تفكير وقوة في الحصول على المغامز والمهامز، ولا يخفى على مثل درايتكم أنه لا إخلال بالمحافظة على تلك الكرامة من جهتكم في حالة رعايتكم الحقوق المشروعة، بل فيها ما هو أعلا قدراً وأصح دلالة على وفور رغبتكم في وقاية الإسلام، وجزيرة العرب من كل حادث مرهوب، واهتماماتكم ستكون الكتلة النافعة فيها لدفع كل طارىء يمنع من نهوض الرغوب، وأملنا أنه بعد إيقافكم على الحقيقة الجليلة لكم يتضح لكم وضوحاً كاملاً لزوم ما صرحنا لكم به، وما ثم ما يوجب كثرة التردد من الفوائد المادية، إلا أن مراعاة الحقوق المشروعة لازم، ولا نخرج عن دائرة الإنصاف في طلب ما هو مشروع معقول، بل لا نظن أنكم ترغبون فيما نراه مخلًا في كرامتنا في أنظار أعدائنا وأعدائكم، وأما الائتلاف والتواد فهما حاصلان مستقران، ولا سبيل إلى انتفائهما إن شاء الله، وإن رغبت به أنوف أعداء الإسلام والعرب، ولكن المراد ما هو فوق ذلك من المعاهدة والمظاهرة والمناصرة والاتحاد من صميم القلب، وخلوص الاعتقاد، وما إلى ذلك من الآثار الصالحة الجالبة لاطمئنان كل موحد بأن لا سبيل لأعداء الإسلام إلى إنشاب مخالب أطماعهم في الجزيرة العربية، والقضاء على البقية من شوكة الإسلام وأهله، وهذا غاية ما نرجوه لنا ولكم صلاحا في الحال وذخراً للمعاد، وفقنا الله جميعا لكل عمل صالح يرتفع به شأن الإسلام والمسلمين، وتهدم به آمال المضلين والسلام عليكم.

حرر في ٣ شعبان سنة ١٣٤٦هـ

وبرفق هذا الكتاب من الإمام يحيى لجلالته هذه القصيدة:

صدرت للوئام زفرة محرور ... تؤم الرياض تشفي صداها
تقطع السهل والحزون وتطوي ... البيد طي السجل في يمناها
توضح الحالة التي نحن فيها ... معشر المسلمين عند انتهاها

فرقتنــا أيـدي العـداة فصـرنـا ... فرقــاً لا تطيـق تحمي حمــاهــا
وفـيئــات؟ تبــا لهــا من فئــاتٍ ... سبحت في شنــآنهــا أشيــاهــا
هي مثـل الحصــاء عديـداً ولكن ... آثــرت من حظوظهــا أدنــاهــا
واســتـخفت بنفسهــا وتعــامـت ... عن هداهــا فهــال منهــا عَمــاهــا
فقــدت وازع الهــدايــة حتــى ... لم تميـز صبــاحهــا من مســاهــا
وعـلى جهلهــا المهــون فكــانت ... في مقــام الحفــاظ أمثــال شاهــا
أي داء أشــد داءً من الجــهــل ... وأقــوى هدمــا لقــصــر بنــاهــا
ولهــذا عز الشــفــاء وظلـت ... حالة المسلمين تشكــو شجــاهــا

ومنهـــا:

وعـلينــا من الإله مواثـيق تدك ... الجــبــال، إن خنــاهــا
هي تدعــو إلى الوفــاق ... وتستنصــر منــا حميــةً تهــواهــا
وتنــادي: يا للشهــامــة والغيرة ... أيــن الحــفــاظ؟ أيــن نُهــاهــا؟
أحـكمــوا رأيكم سداداً وشــدوا ... عضـد الدين وادفعـوا أضـراهــا
وانـشئــوا منكـم دروعَ اتحــادٍ ... ووئــام يطولُ فيــكــم غنــاهــا
ما الذي يمنـع التآزر من إخوان ... ديــنٍ، يرضــي الإله إخــاهــا
ما الذي يدفــع المخــاوف عنهــا ... ليس إلا وفــاقــهــا ووفــاهــا
واقتناع النفوس عن طلب التوسيع ... للمــلكِ، في نصــيــب سواهــا
وإذا كان للنــفــوس جمــاحٌ ... كان للعــقــل ردهــا وهــداهــا
وبنــاهــا من وحــدةِ الرأي سداً ... وحــصــونــاً أمــام من ناواهــا
وضح الأمر حصحص الحق نادت ... ألســن الصــدق، هذه رجــواهــا
ولتــحــقــيــق ظنــنــا كان منــا ... بعـث وفـد الريــاض من آل طه
حمــلوا هذه «الألوكــة» عنــا ... ومــنــاهــم قبــولهــا وحِــبــاهــا
لمــلـيــك متــوجٍ من نــزار ... أنــجــبــتــه ربــيعــة في ذراهــا
ورأتــه شيبــانهــا علم الإجــلال ... بســطامــهــا وقــطب رحــاهــا
ملك مفــرد سري همــام ... قلدتــه سعــودهــا بحــلاهــا

ومنهــا:

ومن العـدل وهـو خيـر المـزايـا أثـرٌ للنــهـى ونـظم علاهـا
أن ترى عنـده مكـان اعـتبـار موصـلا للمـرام من مسـراهـا

إلى آخرها وهي أكثر من هذا.

(كما سلم الإمام يحيى رسالة أخرى للوفد السعودي جواباً على رسالة الملك ابن سعود غير التي أرسلها مع الوفد وهذا نص الرسالة:

«حضرة الملك الكبير والرئيس الأوحدي الخطير الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، رافقته منحة السداد، وشاد معاليه خطة الرشاد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ صدورها عن أحوال حميدة وآلاء من ربنـا جميلة عديـدة، وثقـة برب الملك واعتصام بمنشىء السحاب ومجري الفلك، بعد أن كانت المراجعة بيننا وبين مندوبيكم الكرام رأساً، وبين من عيناه للمراجعة معهم وكان أول ما علّمناهم به أنا مفوضون؟ لهم في نظر ما يصلح بين الطرفين ويحمد بين الفريقين، وأنه ليس المراد التطاول ولا التكاثر فإنما ذلك أتعاب ومشاق «لم يُرَحْ من مضاض رحلته من راحـة العالمين في تعبه»[1] غير أن الأمر الرباني في قوله تعالى: «**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**». الآية. هو الذي حدانا إلى تجشم الأهوال واقتحام العقاب الطوال العراض، ولا المراد أيضاً غير الإنصاف ومحافظة الحقوق للطرفين بلا اعتساف، ولما كان الإلحاح على المندوبين الكـرام في الإقامة وتوسيع المجال والاسترسال في المراجعات بقصد تمحيص ما فيـه الصلاح للطرفين، لاح لنا من غضون المحاورات أن صلاحيتهم محدودة، وعرفوا منا لحضرتكم خالص الوداد ومتين الاعتماد فطلبوا الإذن بالعودة المحمودة، التي سيكون إن شاء الله سبباً للحصول على الضـالة المنشـودة، والبغيـة المقصـودة ليكـون منهم لحضرتكم الإيضاح، والإفادة بما عرفوه لدينا من خلوص الولاء بإفصاح، فأذنا لهم

---

(١) من شعر الشاعر أبي تمام وقبله:

تلك بنات المخاض راتعة «والعود» في رحله وفي قتبه

بالسفر المبلغ إن شاء الله من الخير إلى الوطر، وليس هذا التفرق بيننا وبينهم تفرق اعتداء، بل تفرق سلم محض، معزز للخطة التي أثبتها طول المدى، وإننا لننظر منكم الإفادة، واعلموا قطعاً أنه لا يكون منا عدوان قط، وإن بعد عنا الإنصاف إرغاماً لمعاطس أعداء العرب والإسلام، وطمعاً فيما نرجوه من الاتحاد والالتئام، ولقد كان بودنا أن يكون ربط الوفاق مؤجلا، وأن لا يحول دون تعجيله حائل مهما أمكن الوصول إلى تحقيق ذلك، ولو بتضحية يمكن تحملها، ومع الاعتراف بأننا لا نرضى في شأن تنظيم ما بيننا من العلاقات بدون أحكمها أساساً وأمتنها إشادة، فنحن لا نحتاج إلى توضيح ما بين القلوب من الاتصال، وعمرانها بالوداد، وإن انتهاء تأجيل المذكرة الوفاقية لا يكون داعياً إلى فتور ما بيننا من المناسبات ومن إقبال الجميع على ما به صلاح الإسلام والمسلمين، ولم شعثهم وجمع شملهم، وجبر صدعهم، والله المعين.

وأفضلوا بإبلاغ أنجالكم الأماجد شريف السلام وهو عليكم في المبدأ والختام.

حرر في ٢١ محرم سنة ١٣٤٦هـ

زيادة خير لعله بلغ حضرتكم ما كان من الأدارسة من الدسائس والتشويشات حتى كان ما كان، وهذه بعد مسألة فرسان) انتهى.

وبعد عودة الوفد السعودي إلى مكة المكرمة تشرف بالسلام على جلالة الملك عبدالعزيز وسلمه رسالة الإمام يحيى كما سلمه الوفد اليمني الرسالة التي يحملها من الإمام، ثم رفع الشيخ تركي بن الماضي التقرير الآتي:

صورة خطاب مرفوع من تركي بن ماضي إلى جلالة الملك عبدالعزيز عن المفاوضات في صنعاء في ٢٠/١١/١٣٤٦هـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، وتقبيل أياديكم الكرام، أعرض لجلالتكم حسب الأمر توجهنا إلى صنعاء اليمن لتحديد

المفاوضات مع الإمام يحيى وزعماء حكومته فبموجب مطالعات خادمكم حول تلك المفاوضات حبيت أن أشرح لكم بعض ما يحسن ذكره، منها: الإمام يحيى ذو مطامع غريبة، ومراميه بعيدة، كلما تكلمنا معه في النقطة الممكنة لحل المشكلة زاغ منها، وإن كان يقول قولاً بأنه يطلب الائتلاف فله مقاصد بعيدة، فتحقق لخادمكم أنه متربص للدوائر عن قصد، وله آمال لا سمح الله بتحقيقها، وليس له مقصد عدوان في الوقت الحاضر، ولا يريد حسم الخلاف، ولا الاعتراف بالحدود المعلومة له وعليه بل يريد... ومكاتبة بغير نتيجة، ولا يزال يطلب في حل عقد اتفاقية مكة، وكم أوضحنا له بأن الإدريسي في قطعة من بلاد عسير، وأنه مسلم استجار بأخيه فأجاره سابقاً ولاحقاً، حتى طالت المحاورات بيننا وبين مندوبيه إلى نهاية أربعة وخمسين يوما، ونحن مقيمون في صنعاء فلم يكن له بد من إرسال مندوبين من قبله إلى جلالتكم، ونرجو الله أن ينهي الأمور على ما يرام، وأن يمن على الإسلام والمسلمين بوجودكم وعزكم ونصركم على رغم حسودكم أما أسماء المندوبين فهم السادة قاسم بن حسين ومحمد بن زبارة وعباس بن أحمد، هذا ما وجب رفعه ودمتم سيدي والله المسؤول يحفظكم والسلام عليكم مبدأ و ختام.

(بعد وصول الوفد اليمني إلى مكة المكرمة، فقد ظهر بينهم اختلاف في الرأي، كما أنه قد تبين أنهم مختلفون في المذهب، مع أنهم على المذهب الزيدي، ولكن محمد زبارة وعباس بن أحمد يميلون إلى اتباع مذهب السنة والجماعة، ويخالفهم قاسم بن حسين في التشيع الفظيع والابتعاد عن كل ما يوافق منهج السنة والجماعة قولاً وعملاً، وعلى أثر ذلك رفع قاسم بن حسين البرقية التالية للإمام، وهذا نصها تاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٣٤٦هـ).

(رجعنا من المدينة المنورة لله الحمد على البلاغ، وقد تفضل جلالة الملك المعظم بالأمر بالسيارات ونلنا من أمير المدينة غاية الإكرام، الإخوان أتعبونا إلى غاية، لا يستقر لهم عاقبة فكر، بل يكثر منهم التقلب قولا وفعلا، ولا يظن لهم في عاقبة، ولا نأمل حسن النتيجة، بل ملاشاة

أفكار بلا مراقبة ولا تجربة ولم يحافظوا على حقيقة السعي كما ينبغي، وكل هيئة لم يعين رئيسها صراحة فهي فوضى، نرجوكم الإفادة القاطعة الحازمة، أو فضلاً منكم قبول الاستعفى، ومكره أخاك لا بطل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(برقية من الإمام إلى رئيس مندوبيه)

من الإمام يحيى ملك اليمن إلى الصنو قاسم بن حسين أبوطالب ـ مكة ج ـ سرنا عودتكم بالسلامة من الزيارة، إلى مكة المكرمة وساءنا جداً ما اشتمل عليه إشعاركم من عدم الائتلاف، ومع هذا فهل يحسن أن يظهر عليكم مثـل ذلك لو فرض وقوعه، وأننا نأمركم بعرض هذا على رفقاكم للحفاظ على القيام على كرامة الوفادة والنيابة عنا، وليعلم الجميع أنه إذا ظهر لنا من أحد شقاق فإن العاقبة غير محمودة والسلام).

وكما يرى القاريء الكريم في هذه الجولة الدبلوماسية أن الحصيلة وفد سعودي يمكث في اليمن ٥٤ يوماً يعود بخطاب من الإمام لا يمسك المطلع منه إلا على ما يمسك الغربال من الماء، وخطاب جوابي من الإمام فارغ المضمون وقصيدة أشبه ما تكون بغزل الصوفية التي لا هي غزل حقيقي ولا أدب واقعي، ويـرافق الوفـد السعودي وفد يمني بدون صلاحية ولا تفويض يمكث بدون فائدة ويعود بدون نتيجة.

(قضية جبلي «العر» و «منبه»)

إن هذه الجبـال تابعة للإمارة الإدريسية، حتى اعتدى الإمام يحيى بدخول جيشه إلى تلك الجبال وضمها إلى حكومته، فوصل مشايخ تلك الجبال إلى الإدريسي وإلى أمير جازان صارخين من الاعتداء عليهم، فرفع للحكومة السعودية، فوصله الجواب السريع من سمو الأمير فيصل ابن عبدالعزيز، بأن يرسل احتجاجاً شديد اللهجة لعامل ميدي، بوصول الاحتجاج رفع عامل ميدي الاحتجاج إلى صنعاء، فلم ينف الإمام ذلك

الاعتداء، بل ادعى بأن أهل الجبال هم الذين طلبوا ذلك، وقد أورد الشيخ تركي بن ماضي في مذكراته النص الحرفي لجواب الإمام يحيى إلى عامل ميدي القاضي عبدالله العرشي نورده نصا بهذا:

من ملك اليمن الإمـام يحيى محمـد حميـد الدين إلى عامل ميدي القاضي العلامة عبدالله العرشي ـ حرســه الله

السـلام عليكم، سبق الجـواب عليكم تلغـرافيـاً أنه سيكون الإفادة والإيضاح عن شأن ما كتبه أمير جازان، وقد أردنا أن نكشف أمر تلك الجهات، فإنه وصل إلينا من عامل ساقين قبل وصول تلغرافكم بخمسة أيام، شرح الواقع وتفصيله مع أسباب فيما حرره خلاصته: إن هؤلاء (بني منبـه) و (أهل العر) ومن إليهم فريق من قبائل خولان بن عامر، وليسوا من تهامة، ولا من عسير[1]، قد كان منهم التردد إلى عامل ساقين غير مرة، وأرسلوا إليه طالبين أن يرسل معهم إلى تلك الجبال، والتي لا يقـوم ولا يعرف أهلها شيئاً من أركان الإسلام وآدابه، فلا يصلون ولا يصومون ولا يذكرون الله ولا يحجون، ولا تنطلق ألسنتهم بالشهادتين،[2] وكان من عامل ساقين إرجاعهم من لدنه، وعدم قبولهم، وقبول رهائنهم مرة ومرتين، وهذه المرة وصلوا إليه يلزمونه الحجة، ويصفون ما هم عليه من الفوضى، والمجاهرة بكل الشرور، فتكلف العامل بمساعدتهم طلباً لإصلاح أمة من الناس، وإنقاذهم من ورطة الهلاك، فأرسل بعض السادة العلماء، صحبة العُقَّال، بعد أن التزموا الطاعة ووضعوا رهائنهم، وكان لأهل تلك الجهات غاية السرور بوصول السَّادات العلماء ومن معهم، فالتقوهم إلى أطراف البلاد وأضافوهم ذلك اليوم أحسن ضيافة، ولم يرق في ذلك قطرة دم أو أدنى شاغِبة، على أنه لم يكن في البلاد ما يرغب أحد فيه حتى

---

(١) هنا نجد أن الإمام يحيى نفسه يعترف أن تهامة ـ أي تهامة عسير وعسير ـ مستثناة عن مطالبته.

(٢) هذه مبالغة تجاوزت حد المعقول، وإلا فالقرن الرابع عشر الهجري الموافق القرن العشرين الميلادي، هل يعقل أن يوجد في جزيرة العرب بلدة أو قرية لا يعرف أهلها أركان الإسلام وآدابه ولا يصلون ولا يصومون ولا يذكرون الله ولا يحجون ولا تنطلق ألسنتهم بالشهادتين، وإنما هي دعاو باطلة ومبالغة محجوجة لا يصدقها العقل ولا يقرها الفهم.

أن حاجات السادة والعلماء ومن معهم محمولة من بعد، وقد اهتم العامل بطلب من يعزم إلى تلك الجهة لتعليم أهلها الإسلام، وآدابه الشريفة، ولما وقفنا على ذلك الكتاب استحسنا ما كان من العامل المشار إليه، وشكرنا له ذلك العمل الذي يرضي الله والمسلمين، ومن مقترحات الوفد إلينا من لدن جلالة الملك، تركي بن ماضي ومحمد بن دليم أن الحد الفاصل بين البلدين من جهة الشام فهي خولان ابن عامر، فهل في هذا تحرش أو عدوان على أي أحد، وإرادة قدح زند بين اليمن ونجد، وأنا على غاية من التحفظ والمحبة للسلم بيننا وبين حضرة الملك، وحتى أنا تركنا مضايقته بما حكم والتزم من تهدئة قومه رغماً على ما نلاقيه من أوليائهم من التصديع وغاضين الطرف عما زعم الإدريسي النزول عنه، غير آيسين من لقاء نظرة حضرة الملك إلى ما يعود به الماء إلى مجاريه، ونرى من المحال حصول شقاق لعلمنا بما في ذلك من الضرر العام على المسلمين والإسلام، وما نجده من التوادد من الجهتين، وما نؤمله من روابط الصلات في ذلك ولا نخشى من غير الاغترار بمن يفتل على الغارب والكاهل، ويرى في تطاحن المسلمين غاية الرغائب والمآرب، يلزمكم إرسال هذا إلى جازان ليعجل إرساله إلى حضرة الملك للوقوف على الحقيقة والإفادة أوضح وأجمل طريقة. انتهى

رفع أمير جازان جواب الإمام يحيى الذي وصل إلى أمير جازان بواسطة عامل ميدي عبدالله أحمد العرشي.

وبعد تبادل عدد من البرقيات بين العاهلين، ثم الاتفاق بينهما على تعيين وفدين.

أ- وفد سعودي يتألف من:

١- عبدالله بن معمر رئيسا.

٢- أمير جازان عضوا

٣- عبدالوهاب أبي ملحة عضوا

٤- ابن دليم. عضوا

٥- محمد يحيى باصهي عضوا.

٦- عدد من الشخصيات من أهل المنطقة.

ب ـ يتألف الوفد اليمني من:

١ـ عامل ميدي عبدالله بن أحمد العرشي.

٢ـ إبراهيم حسن الرفاعي عضوا.

٣ـ عدد من الشخصيات المعروفة.

وكان الاجتماع في مدينة أبي عريش وأنعقدت عدة جلسات وأحتدم النقاش ساخناً وطلب الوفد السعودي انسحاب الكتيبة اليمنية التي احتلت جبلي (منبـه والعر) وعودتها إلى حدود اليمن، وبعكس ذلك تعلل الوفد اليمني بما ورد في كتاب الإمام يحيى الجوابي وغير ذلك من معاذير، ولم يتمكن الوفـدان من الوصـول إلى حل لإصرار الوفد اليمني على عدم الانسحـاب من المـوقعين، في حال أن تمسـك الوفـد السعودي بطلب الانسحاب، لأن الموقعين داخل حدود المنطقة الإدريسية.

وإزاء تعقُّد المفاوضات وعدم الوصول إلى حل حاسم اتفق رأيهما بأن يرفع كل فريق إلى حكومته.

وتبادلت البرقيات بين العاهلين، وأخيراً طلب الإمام في آخر برقية منه أن يكون ابن سعود حكماً في القضية، ولم يسع ابن سعود رغبة منه في حسم الخلاف وتنازل عن جبلي (منبه والعر) للإمام يحيى.

فكان في تنازل جلالته عن الجبلين المذكورين، ما يعبر حقاً عن رغبته في حقن الدمـاء، وتقوية التضامن، ورابطة الإخاء العربي بين عاهلين عربيين شقيقين.

فأبرق الإمام يحيى وشكر جلالته، مقدراً موقفه الأخوي، وبعث برقية يعلن فيها امتنانه.

وبـذلك ومن برقيـة الإمام يحيى التي سجلت في مضمونها اعترافاً بتحديد الحدود بين المملكتين الشقيقتين، بصورة لا لبس فيها مما يؤكده انضمـام قبائل بني مروان إلى اليمن، وقبائل بني الحرث إلى المنطقة الإدريسية التي تحت حماية ابن سعود.

إن هذا الوفاق والتراضي بين العاهلين قد أنهى الخلاف وحل محله الصداقة المتينة، وانتهت خلافات كانت ستؤدي إلى امتشاق الحسام، وإضـرام نار الفتنـة بين المملكتين الشقيقتين، والشعبين الأخوين في الدين والعروبة والتاريخ والجوار.

وبمـا أن القضيـة ابتـدأت بدخـول الجيش اليمني إلى الجبلين المـذكـورين في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٠هـ، وقد أخذ النقاش في القضية والمفاوضات بين الوفدين، ثم الرفع من كل منهما، وتبادل البرقيات بين العاهلين نحو ٥ أشهر وانتهت بإبرام اتفاقية حسن الجوار والصداقة بين المملكتين الشقيقتين، ثم التوقيع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠هـ ـ ١٥ يناير ١٩٣٢م، ومن البنود الهامة في تلك الاتفاقية ما يأتي:

١ـ وجوب تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين.
٢ـ وجوب معاملة رعايا الدولتين وفقاً لأحكام الشريعة.
٣ـ على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة الدولتين ـ أيًّا كان ـ حيث يتحتم على كل منهما إرجاع من يفر إليها من الطرف الآخر.
٤ـ إذا ارتكب أحد رعايا الحكومتين حادثاً في بلاد الطرف الآخر يحاكم المذنب في محاكم البلاد التي وقعت فيها الحادثة.

واتفق الوفدان على أن يكون العمل ببنودها ساري المفعول بعد موافقة العـاهلين عليهـا، وبـوصول الاتفاقية لجلالة الملك، أبرق للإمام يحيى بالموافقة على ما جاء في الاتفاقية من بنود، وقد ورد في تلك البرقية ما نصه:

(لقد وافقت على ما اتفقوا عليه، فأرجوا من الأخ أن يعلمني بموافقته لتبليغ الموظفين على أطراف حدودنا بتنفيذ ما جاء في الاتفاق).[١]

---

(١) الاتفاقية في قسم الوثائق والمعاهدات في آخر الكتاب.

فرد الإمام يحيى على جلالة الملك بتاريخ ١٥ رمضان سنة ١٣٥٠هـ ـ ٢٢/٣/١٩٣٢م، بموافقته وتأييده للاتفاقية وبنودها ـ كنتيجة حتمية لتلك الاتفاقية اعترف كل من العاهلين بواقع الحدود بوضعها في ذلك التاريخ وانتهاء النزاع على الحدود وطويت بذلك صفحة من الخلافات بين السعودية واليمن.

وبتبادل التصديق واحتفاظ كل من الطرفين بنسخة من الاتفاقية، وأعطت الحكومة السعودية صورة من الاتفاقية لكل سفارة من السفارات التي في جدة بتاريخ ٦ ذي القعدة عام ١٣٥٠هـ ـ ١٣ مارس ١٩٣٢م، ونشرت تلك الاتفاقية بجريدة أم القرى في ١٧ شعبان سنة ١٣٥١هـ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٣٢م.

إلا أن الدلائل بعد ذلك أثبتت بكثير من القرائن أن الإمام يحيى كان يبطن غير ما يظهر، ويعمل ضد تلك الاتفاقية في الخفاء، وكأن موافقته ما هي إلا إغتناماً للوقت ليتم تجهيز قواته وتوزيع جيوشه وإتمام استعداداته ليمكنه ذلك من كسب معركة خاطفة مع الملك ابن سعود.

معاهدة العر هي أول خطوة حميدة بين العاهلين لو صدقت النية من الإمام يحيى رحمه الله ـ فقد كانت أول اتفاقية مكتوبة مصدقة من الطرفين، فهي معاهدة صداقة وحسن جوار، وعدم إحداث أي من الطرفين الضرر ببلاد الآخر، كما تنص على وجوب تسليم المجرمين السياسيين ووجوب معاملة رعايا الدولتين وفقاً لأحكام الشريعة، كما تحتم على كل من الدولتين عدم قبول من يفر من طاعة دولته أيا كان، وإرجاع من يفر إليها من الطرف الآخر إلى دولته، كما تقضي إذا ارتكب أحد من رعايا الحكومتين حادثاً في بلاد الطرف الآخر يحاكم المذنب في محاكم البلاد التي وقعت فيها الحادثة.

إن إتفاقية العر هي اتفاقية بين الحكومتين، السعودية واليمنية، لا بين أمير ميدي وأمير جازان، فاتفاق وجوب المحافظة على الصداقة وحسن الجوار بين البلدين، وعدم إحداث الضرر بين البلدين، هي اتفاقية ليست

بين عاملين إداريين لأنهـا ليست من صلاحيتهما، بل هي إتفاقية بين دولتين بعـد أن قدم كل منهمـا أوراق اعتماده وتفويضه، ونصت نصاً صريحاً - (لقد اتفق الجانبان) - أي الوفد السعودي واليمني، على أن يكون العمل ببنود هذه الاتفاقية ساري المفعول بعد موافقة الملكين عليها.

بل إن ديباجة الاتفاقية نصت على ما هو أكثر من ذلك، حيث ورد بها ما يأتي (حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحيى بن محمد حميد الدين، وجلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه).

وفوق كل ذلك فقد أرسل ابن سعود برقية للإمام بموافقته على تلك الاتفـاقيـة كمـا رد عليه الإمام يحيى بن حميد الدين في ١٥ رمضان ١٣٥٠هـ ٢٢ مارس سنة ١٩٣٢م بموافقته وتأييده للاتفاقية وبنودها.

فكيف يعتبـره الوفـد اليمني اتفـاقيـة مؤقتة لأنها لم توقع من قبل العاهلين وما معنى تبادل البرقيات بين الملكين، وكل منهما ينص صراحة على تصديقه وموافقته على تلك الاتفاقية.

وإذا استعـرضنـا المفـاوضـات والرسـائـل والبرقيات المتبادلة بين العاهلين، لا نجد الإمام يحيى - رحمه الله - قد وجد ثغرة على ابن سعود يتهمـه فيهـا بالتـآمـر أو نقض العهد، أو تحريض أحد خصوم الإمام الملتجئين إليه، وهم كثير، أو بإخلاف الوعد ولو وضع يده على شيء من ذلك لفعل.

وهذا ما لم نلمسه في أية رسالة أو برقية من الإمام يحيى، وكما قد قلت سابقاً إن ابن سعود بشر ومظنة للخطأ والصواب، وإنما في المثل: من لزم شيئـاً شهـر به، فابن سعـود يحافظ بقدر الاستطاعة بالالتزام بالشـرعيـة، ومحـاولة الاتصاف بالمثاليات الأخلاقية، وهي عمليا - أي

الالتزام بالأخلاقيات ـ لها مردود كريم لأن أي شخص يحاول التمسك بها ـ بالرغم عما يقال أن السياسة لا أخلاق لها ـ يحظى بشرف الذكر ونبل الخلود، كما نجد أن السياسة الرفيعة تشجب الميكافيلية، وتعتبرها عملاً يتنافى مع ما اتفق عليه الناس من احترام الأخلاقيات، والأعراف الدولية سواء في المسلك الفردي أو السلوك الدولي.

لقد كانت معاهدة (العر) تقضي بوجوب المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتسليم المجرمين السياسيين، وغير السياسيين، وعدم قبول من يفر من طاعة دولته أيا كان، وإرجاع من يفر إليها من الطرف الآخر إلى دولته، وعدم إحداث أي من الطرفين الضرر ببلاد الطرف الآخر.

ومع ذلك فكان قيام ثورة الحسن الإدريسي ـ كما أشرنا ـ عن قول الشيخ مكي زكرى أنهم لم يقوموا بثورتهم ارتجالا، بل إن لديهم تعهدات من الإمام بواسطة ابنه البدر، بأنه سيكون في صبيا بعد الثورة مباشرة، ويشاركهم في المجهود القتالي بنفسه إلى غير ذلك، وأن اتفاقهم مع حزب الأحرار الدباغين ما هو إلا في الدرجة الثانية.

وها هو الحسن الإدريسي، خصم الإمام بالأمس وصديقه اليوم يفر إلى الإمام يحيى فيتلقاه بالأحضان والقبل، وعندما يطالب ابن سعود في تسليمه يجيب (ولا تخزني في ضيفي) ويجعل منه ورقة مساومة في يده كما أنه يطلق يده في العبث والفساد، وغزو القبائل في الحدود ومكاتبة شيوخ قبائل المخلاف السليماني وغير ذلك.

وفي الوقت الذي بعثت الحكومة السعودية صورة للبعثات الدبلوماسية المعتمدة في جدة، ونشرت الاتفاقية في الجريدة الرسمية أم القرى، نلاحظ أن الحكومة اليمنية لم ترسل صورة للبعثات الدبلوماسية القليلة في صنعاء من تلك الاتفاقية، أو تنشرها في الصحيفة الرسمية (الايمان).

بما يدل على تعمد إهمال ذكرها لحاجة في نفسها أو بالأصح في نفس الإمام يحيى الذي ينظر إليها كمسكن بسيط لغرض وقتي.

ومع ذلك فهو يسير سيراً في الاستعداد والتجهيز واستدراج القبائل السعـوديـة، وتنشيط الأدارسة للاتصالات بأهل الجبال السعودية ودفع عبدالوهاب الإدريسـي للقيام بتحركاته في الجبال.





الفصل الرابع

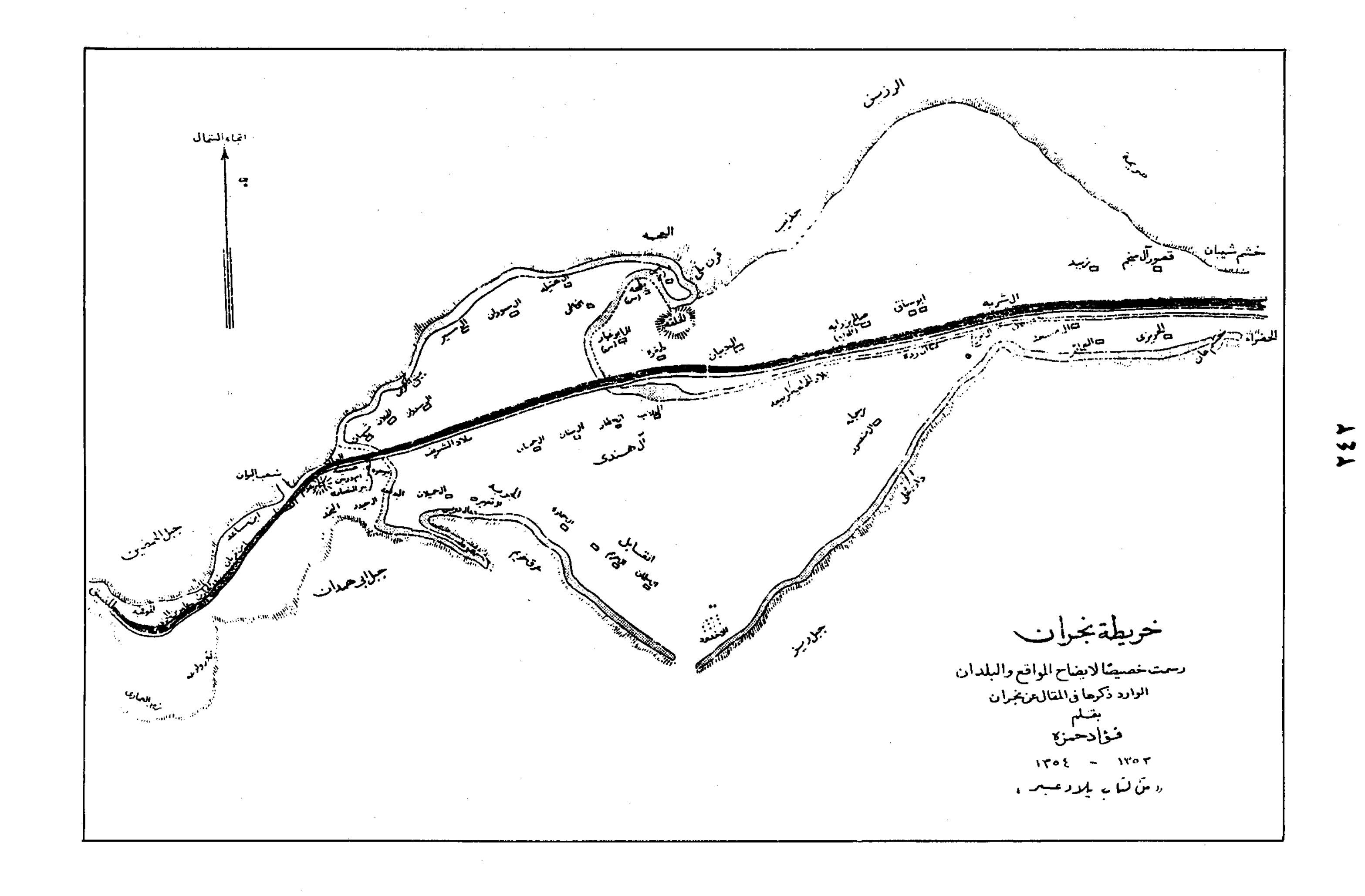
الاختلاف بين الشقيقتين

١٣٥١هـ - ١٣٥٢هـ

١٩٣٣م - ١٩٣٣م

عناصر البحث

نجران في التاريخ - مشكلة نجران - نجران بعد جلاء الأتراك - غزو الإمام يحيى لنجران - الأعمال العدوانية على الحدود - استمالة قبيلة بني مالك - ما بعد ثورة الإدريسي - استئناف الاتصالات - الاتفاق على إرسال وفد جديد إلى صنعاء - التعليمات للوفد - مشروع معاهدة - سفر الوفد إلى صنعاء - الجلسات الأولى والثانية والثالثة - لا ضير نرجو - برقية من حمد السليمان - برقية الملك الاحتجاجية - البرقيات المتبادلة - عودة الوفد إلى المملكة - برقيات متبادلة - وصول الوفد إلى الرياض - تقرير الوفد -



اتجاه الشمال
الرزين
خشم شيبان
زبيد
الشرفه
الجربه
جبل أبو همدان
خريطة نجران
رسمت خصيصًا لايضاح المواقع والبلدان
الوارد ذكرها في المقال عن نجران
بقلم
فؤاد حمزة
١٣٥٣ - ١٣٥٤
« من كتاب بلاد عسير »

(نجران في التاريخ)

إن قول الإمام يحيى: (إن مسألة يام ونجران يا حضرة الملك عافاكم الله أنهم من اليمن ما له مفْصَل، بل هم مُصاصة قبائل اليمن، ونحن أوضحنا لحضرتكم بما كتبناه إليكم، وعاد جوابكم بما هو المأمول، فنرجوكم ثم نرجوكم أن تغضوا النظر عنهم وتحسنوا التدارك لاستبقاء الصداقة، والود والوداد بيننا وبينكم، ولا ضرر عليكم إن كان منا إصلاح أمر يام، ولا نفع لكم إن تركناهم على ما هم عليه من الفساد).

فأولاً أن نجران، قد أوردنا أقوال مؤرخي وجغرافي العرب عنه،[١] ونضيف هنا ما جاء في تاريخ الطبري: (أنه وصل خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران، وأن بها من بني الأفعى أربعين ألفاً)[٢]، كما أن التاريخ يحدثنا أن من سكان نجران بني الحارث من مذحج، وأن بها قوماً من الأزد، وأن السيادة كانت لبني عبدالمدان من مذحج، وليس بدعا أن تكون السيادة في قوم، وهناك الأكثرية التي تساد ـ راجع كتابنا نجران في أطوار التاريخ ـ وعلى كل فلو أخذنا منطق الإمام لقلنا أن أكثر قبائل مصر من قبائل اليمن استوطنوها مع الفتح، ولا تزال في الجيزة، أماكن تعرف باسم القبائل، ولأصبح الحق للإمام بأن يطالب في قبائل لخم في العراق، وجذام في سوريا، وطي في شمال نجد، وأعاد التاريخ نفسه في دعوى هتلر في السوديت، وكل بقعة سكنتها القبائل الجرمانية، والنتيجة للدعاوى العريضة معروفة في التاريخ، وأقربها منا عهداً دعاوى هتلر نفسه في إحياء الامبراطورية الجرمانية، وموسليني في إحياء الإمبراطورية الرومانية. ومعروف حصاد تلك الادعاءات، ومصير أصحابها، وما حاق بألمانيا وإيطاليا في وبعد الحرب العظمى الثانية.

---

(١) «نجران في أطوار التاريخ» للمؤلف، ص ٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ص ٣٢١ جزء ٣.

(مشكلة نجران)

إن تقارب الحدود بين المملكة العربية السعودية واليمن في الشرق الجنوبي، كانت قد تقاربت منذ سنة ١٣٣٨هـ من ناحية (ظهران الجنوب) أما في عام ١٣٤٥هـ، فتقاربت الحدود للمرة الثانية من ناحية الجنوب الغربي والشرق الجنوبي إلى نهاية الحدود في الشرق الشمالي، وهي نفس خطوط الحدود في الوقت الحاضر إذا ما استثنينا ما استولى عليها الإمام يحيى قبل معاهدة العر كشدا وجبلي منبه والعر ـ بموجب ما أثبت في معاهدة الطائف واللجنة المنبثقة عنها ـ انظر الملحق ٣٢ تحديد الحدود بين المملكة اليمانية والمملكة العربية السعودية في آخر الكتاب.

بيد أن الاتصال الأول لم يثر ثائرة الإمام يحيى كما أثارها عندما التحمت الحدود من ناحية الجنوب الغربي سنة ١٣٤٥هـ، ويرجح أن سكوت الإمام يحيى على اتصال الحدود من جهة الظهران وما يليها لم تحرك الغيرة لديه بسبب ما كان طامعاً فيه ويؤمل الحصول عليه من التعويض في جهة أخرى، وهي القسم الباقي من إمارة الأدارسة، بيد أن دخول بقية الإمارة الإدريسية في الحماية السعودية أفقدته صبره، فأسفر عن صفحته، وأخذ يطالب بعسير الأعلى، والبقية الباقية من الإمارة الإدريسية، هذا هو الواقع ليس إلا.

إن نجران قد أوردنا في الفصل الأول ما ذكره متصرف عسير السابق سليمان شفيق باشا، في مذكراته التي قمنا بتحقيقها والتعليق عليها من أن نجران في سنة ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢م كانت إمارة مستقلة في جزيرة العرب كسائر الإمارات والكيانات الأخرى.

في حال أن نجران في الجاهلية كانت دائما تطلعاتها مع نجد، وكتب الأدب والأخبار زاخرة بلقائاتها، وتبادل الغزوات والمصالحات والمنافرات

مع قبائل نجد والحجاز.

أما في الإسلام فقد أوردنا ما ذكره الفاكهي وابن خرداذبه، هذا من الناحية الاجتماعية والإدارية، أما من الناحية الجغرافية، فإن استثنينا أبا محمد الهمداني فنجد جغرافي العرب كابن سعيد[١] وابن خرداذبه[٢] وصاحب لسان العرب،[٣] يوردوا اسمها إما أنها منطقة بذاتها، أو أنها من مخاليف مكة المكرمة.

إن ما اقترحه ابن سعود على الإمام يحيى عن رغبته في أن تكون مستقلة كحاجز بين الطرفين، فهو من باب سدِّ الذَّرائع، وحل المشكلات بين قطرين شقيقين.

ومع كل ذلك فقد تشدد الإمام يحيى ـ فقط ـ بادعائه في نجران من عام ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م وإلا قبل ذلك التاريخ ـ لم يسجل التاريخ محاولة لغزوها من قبله، مع الإشارة أنه قد تكرر قولنا في ما سبق أن الحدود تقاربت بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى منذ عام ١٣٣٨هـ.

(١) كتاب عمارة ص ١٢٧.
(٢) المسالك والممالك ص ١٣٣.
(٣) لسان العرب ص ٥٨٦.

(نجــران بعد جلاء الأتـراك)

لقد كان بعد العهد العثماني ـ كما كان خلالها ـ غير خاضع لجهة ما وإن كان أهلها يجاملون الأتراك مجاملة سياسية وأدبية مراعاة لمصالح طائفتهم الخاضعة للإدارة العثمانية في جهات (حراز) وغيرها، في اليمن الأعلى.

وقنع الأتراك بانتمائهم الإسمي، تحت زعيمهم الإسماعيلي (المكرمي) الذي يدين وأهـل نجران بالولاء الحقيقي لإمام طائفة الإسماعيلية في الهند، وترسل إليه زكواتهم، ويتلقون توجيهاته.

وبجلاء الأتراك بعد أن سلموا للإمام يحيى إدارة المرتفعات الجبلية من (صعدة) شمالاً إلى (المحميات البريطانية) آنذاك ـ اليمن الجنوبي حالياً مع زبيد والمخا ـ، وأصبحت حدود بلاد الإمام يحيى تماس حدود الإمارة الإدريسية، وفي الجنوب الغربي تفصل بينهما قبيلة الزرانيق التي ليست خاضعة ـ آنذاك ـ لأحد منهما، وفي القسم الجبلي تمتد الحدود بينهما من (عبال) في الجنوب الشرقي إلى بني مالك في الشمال الشرقي.

وضم ابن سعود بلاد عسير ـ التي تربطها عهود ولاء بآل سعود من عهد الدولة السعودية الأولى، وبذلك تلامست الحدود مع الحكومة اليمنية في تلك الناحية من ناحية ظهران الجنوب.

وبـدخـول القسم الشمـالي من الإمـارة الإدريسيـة تحت السيـادة السعودية تماست الحدود من الناحية الجنوبية الغربية والشرقية الشمالية بين المملكتين ـ كما أسلفنا ـ.

وبقيت نجران منطقة حياد مستقلة بأمر نفسها، لا حكم لأحد الطرفين عليها، وهي في نزاع قبلي مع قبائل الحكومتين تارة يدال لها وتارة عليها.

ومنذ التحام الحدود المباشرة بين الحكومتين أخذ كل طرف من الطرفين يهيىء الأسباب لاحتواء (نجران)، وأول وسائل الاحتواء الادعاء، وأرادت الحكومتان تحديد الحدود، فتم الاتفاق على إرسال وفد إلى صنعاء للتفاوض في موضوع الحدود فتألف الوفد السعودي من ابن مشيط وأبي ملحة وتركي بن ماضي والوفد اليمني من (عبدالله الوزير) ورفقاه، وبعد شهر من المفاوضات المضنية، لم تسفر المفاوضات عن نتيجة فعاد الوفد إلى مكة.

وفي ١٣٤٦/٥/١٢هـ انتدب وفد سعودي إلى صنعاء لاستئناف المفاوضات السابقة مؤلف من ابن دليم وتركي بن ماضي، ووصل الوفد السعودي إلى صنعاء، وانتدب الإمام للمفاوضة معهما الوزير الأول عبدالله العمري، ورئيس الديوان عبدالكريم المطهر، وتوالت الجلسات، ويقول الوفد السعودي إنه لأول مرة اعترف الوفد اليمني بسيادة ابن سعود على البلاد الإدريسية وعسير، ورسم ما يشبه الخريطة للحدود، وإن الاتفاق كاد أن يتم لولا مسألة نجران، التي تمسَّك كل من الوفدين بادعائها.

فالحكومة السعودية تعتبر نجران تابعة لها منذ تأسست الدولة السعودية الأولى حسب ما لديها من وثائق تاريخية، وأنها امتداد لحدودها الجنوبية الشرقية وضرورة دفاعية لنجد.

والحكومة المتوكلية، تعتبرها جزءاً مكملا لها، لا يمكن التفريط فيه.

وأهل نجران إسماعيلية في عداء عقائدي مع كل الفرق المذهبية، وتقليدي بالأخص مع الزيدية، وآخر حروبهم الطاحنة مع الزيدية وقعت في جهة طيبة من بلاد همدان في اليمن نفسه - في القرن العاشر - مع الإمام شرف الدين. الذي دمر معاقلهم، وهدم حصونهم هناك، وأجلاهم عن عاصمتهم المذهبية بلدة (طيبة) وشردهم وشتت جماعتهم، ففر زعيمهم جد مكارمة نجران إلى (الحديدة)، ومنها أبحر إلى القنفذة، ومن هناك اتصل بطائفتهم في نجران فاستقدموه ونصبوه زعيماً عليهم وذلك

سنة ١١٢٩هـ ـ ١٧١٦م.[١]

وهم ـ كالإسماعيلية ـ لا يرغبون في الانضمام إلى جهة، ويودون ـ آنـذاك ـ البقاء على حالتهم بين الجهتين، وحكم أنفسهم على الطريقة القبلية تحت زعامة المكرمي.

وفي نفس الوقت استغلوا التنافس السياسي عليهم بين المملكتين، واستفـادوا ماديـاً وتقـاسموا الأدوار بمهارتهم، ووظفوا ذكاءهم، لتعميق نفوذهم وتمحور تفردهم، وتنمية قدراتهم القبلية، وتمتين تمردهم وكانوا يقتسمـون الأدوار بمهارة وفطنة، فيتصل البعض بهذه الجهة والبعض الآخر بالجهة الأخرى للاستفادة المادية، وإن كان المكرمي نفسه، وأكثر شيوخهم يرون أن في كرم الرياض وسياستها المعروفة ما يقربه إليهم.

وعلى ذلك عاشت نجـران من سنـة ١٣٤٥هـ ـ ١٣٥٢هـ مستفيدة ومحاولة محاولة غير ناجحة أن تكون محايدة بين الجهتين.

(غزو الامام يحيى لنجـران)

في أوائل سنة ١٣٥٢هـ تراءى للإمام أن الفرصة سانحة ـ بالأخص بعد فتنة الإدريسي ـ والتجائه إلى الحكومة المتوكلية، وما سبق ذلك من فتنـة (حـركة الدباغين) في الشمال ظناً أن السعودية مثخنة بالجراح، ومهدودة القوى، بعد كل ما جرى، فعملت حكومته على إثارة فتنة محلية في نجران، وفي نفس الوقت أخذت في الحشد والتجهيز على حدود نجران للتدخل، وعندما قامت الفتنة المحلية زحفت جنودها على نجران، فقاومتها الأكثـريـة وتساهل معها الأقل، فمالت بحدها وجدها إالى تلك الأكثرية المتمثلة في (المكرمي) ومن يؤيده فسحقت قوتهم، ففروا ملتجئين إلى الريـاض، فدخلت قوات الإمـام إلى مركز المكرمي بلدة (بدر) ودمرتها، وأخربت بيوت المكرمي، ونبشت قبور أسلافه، وبذلك صبت الوقود على

---

(١) كتاب «في بلاد عسير» لفؤاد حمزة.

النار، فهب أنصار المكرمي فأجلوهم عن بدر، ثم توجه المكرمي زعيمهم الإسماعيلي وجماعات منهم إلى الرياض، مجددين ولاءهم الذي سبق أن عاهدوا الملك عبدالعزيز عليه بواسطة ابن مساعد في أبها ١٣٥٣هـ، فتمركزت القوات المتوكلية في حصون وادي نجران فقط، فأصبحت البادية وبلاد يام في يد المقاومة، وأصبح الوادي فقط محتلا بالقوات المتوكلية، وتمكنت المقاومة من تجميد نشاط القوات المتوكلية محصورة داخل الحصون، وتغير موقفها من الهجوم إلى الدفاع.

وعند اشتداد الأزمة بين المملكتين تقدمت سرية من الجيش السعودي، ورابطت في أسفل وادي نجران، وظل الموقف على الوجه الآتي:

١ـ القوات المتوكلية متحصنة في قصور وادي (نجران).
٢ـ البادية وبلاد يام ليست لأحد، والمقاومة مستمرة للجيش المتوكلي بكل شراسة.
٣ـ سرية من الجيش السعودي في أسفل وادي نجران.[١]

وظل الموقف على تلك الصورة حتى إعلان الحرب بين الشقيقتين فنشب القتال وتقدمت الجيوش السعودية في الميدان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي وانتهى بقبول الإمام يحيى للانسحاب من نجران وتحديد الحدود بين المملكة العربية السعودية واليمن والاعتراف بسعودية نجران وتسليم الأدارسة.

---

(١) مذكرات تركي بن ماضي ـ مخطوطة ـ.

(الأعمال العدوانية على حدود المملكة)

إن حدوث الاضـطرابات والأعمال العدائية التي قام بها عبدالوهاب الإدريسي والجيش المتوكلي على الحدود، وفي الجبال من داخل الحدود كثيرة، والرسائل التي يوجهها الحسن الإدريسي وغير ذلك والتي أهمها:

١ـ إطلاق الإمام يحيى الزمام لعبدالوهاب الإدريسي أن يعيث في حدود المنطقة من الناحية الشرقية الجنوبية في جهة:

أـ جبال العبادل.

ب ـ جهة العارضـة.

جـ ـ جبل فيفاء.

د ـ جبال بني مالك.

هـ ـ رسائل الحسن الإدريسي إلى مشايخ منطقة جازان يحرضهم على الثورة وأعمال العنفِ والشغب وإحداث الاضطرابات، وكان ولي عهد اليمن في جهات صعدة يَمده بالعون والرسائل والذخيرة.

٢ـ نزول الجيش المتوكلي ومهاجمته بلاد الحرث مما أوجب عاملها الشيخ محمد الشوكاني إلى الانسحاب إلى جازان.

٣ـ نزول الجيش المتـوكلي مع أعـداد كثيـرة من المـرتزقة إلى مركز العارضة، مما اضطر عامل العارضة سعيدان المحمد إلى تبادل الرصاص معهم، إلى أن جرح بطلق ناري وانسحب من المركز.

٤ـ الهجوم على جبل فيفاء وأخذ رهائن من أهله.

٥ـ استمالة آل خالد من بني مالك من قبل عمال الإمام، وإرغامهم على كتابة رسائل يطلبون مساعدتهم في الدخول في طاعة الإمام.

كل ذلك والحكومة رغبة منها في أن تنتهي المسألة بينها وبين الإمام يحيى جعلت معسكر قواتها أولا في جهة الواصلي الذي يبعد عن الحدود

بنحـو مائة وعشرين كيلاً، ثم في أبي عريش، وأخيراً في جهة صامطة، عنـدما تفاقم الأمر حرصاً منها على عدم الاحتكاك، أما مراكز الحدود كالموسم والطوال والحرث والعبادل والعارضة وبني مالك فلا يوجد في كل مركز من هذه المراكز أكثر من ٣٠ جندياً، وهذا هو الذي سهل للإمام يحيى وأغـراه باستمـالة قبـائـل الحـدود ثم اقتحـامها، هذه الهجمات والتعديات هي غير المؤامرات والرسائل التي قبض عليها عمال الجهات من الإدريسي ومن عمال الإمام، يحرضون القبائل على العصيان والثورة والإخلال بالأمن.

وقـد برهنت الأيـام على صدق رغبة الحكومة السعودية في تجنبها للقتـال، أمـا عنـدمـا حصحص الحق وأوجب الحال الدفاع عن البلاد والشـرف، فقد كان الهجوم السعودي المعروف الذي تكلل بالنصر في الميدانين الجنوبي الغربي والشرقي الشمالي.

إن موقف ابن سعود كان موقف الملك العربي المسلم الذي يحرص على السلام مع جاره وأخيه الإمام يحيى، إلا أن مطامع الإمام يحيى كانت فوق الصبر وطاقة الاحتمال، مع أن الإدريسي المؤسس قد اعترف في معـاهـدة ١٣٣٨هـ المعقودة بينه وبين سلطان نجد عبدالعزيز بن سعود، اعترف بأنه (ما كان في مملكته من القبائل والبلدان في اليمن ما هو في ملك آل سعود سابقاً تركه الإمام عبدالعزيز له[١]... كما أكد ذلك في معـاهـدة ١٣٣٩هـ، كمـا أوصى الإدريسي عبـدالعزيز على إمارته وأسـرته، وفي معاهدة مكة بين الحسن الإدريسي والملك عبدالعزيز قد نصت المادة الأولى: أن يعترف سيادة الإمام السيد الحسن الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢٠م المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية).

---

(١) انظر الاتفاقية في قسم الوثائق آخر هذا الكتاب.

ومع ذلك فلم يطالب بما أخذه منهم الإمام من تلك الإمارة وهي من الحديدة إلى نهاية مدينة ميدي ـ كما ألمعنا قبله ـ إلا أن الإمام يحيى لم يكن قانعاً بما أخذه بل يرغب في النصف الآخر الذي هو من شمال ميدي إلى نهاية الحدود مع السعودية في الشمال وكذا مرتفعات عسير.

ومع ذلك فإنه لم يف بما في معاهدة العر من تسليم الأشخاص المشاغبين سواء كانوا سياسيين أو غير سياسيين.

إن الإمام يحيى كما قال الوفد السعودي في التقرير المرفوع لجلالة الملك بتاريخ ٢٥/٦/١٣٥٢هـ أنه غير صافي النية لجلالة الملك بصورة غير مألوفة من ملك عربي مسلم، وقد علل الوفد ذلك العداء أنه من الممكن حمله محمل العقيدة الزيدية من جهة، والحسد الشخصي من جهة أخرى.

وقد يكون ما لاحظه الوفد هو قريب من الصواب، فالإمام يحيى من الناحية المذهبية كسائر أئمة الشيعة يرى نفسه أنه إمام العصر، وأن الإمامة حق شرعي موروث له، وأنه يجب على كل إنسان الانضواء تحت لوائه(١)، وإنما الشيعة على وجه العموم يرون أن التقية واجبة، فالإمام يحيى لو استطاع الإسفار عن صفحته لجاهر بالعدوان، وإنما عدم تيقنه بالفوز هو الذي جعله يتخذ من المماطلة درعا واقيا، وستارا لمقاصده الخفية، واتخذ من المماطلة السياسية ومن الشد والإرخاء وسيلة ومن طريقة الضم والاحتواء منهجا، ومن تحكيم الملك ابن سعود فيما يستحوذ عليه ذريعة، فهو يتحين الفرص وينتظر الوقت المناسب لتحقيق مطامعه، وكان يتبادل المفاوضات والبرقيات مع ابن سعود من جهة، ويعمل جاهدا في الخفاء لاستقطاب القبائل واستمالتهم، وإفساح الطريق للحسن الإدريسي وابن أخيه عبدالوهاب الإدريسي، الأول لبعث الرسائل إلى مشايخ المخلاف السليماني، يحضهم على الثورة، ويهيب بهم على

(١) أنظر ما أوردناه في بحثنا عن الخلافة والإمامة في ص ١٢٥ في تحقيقاتنا على كتاب (نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود). الطبعة الثانية.

الانقضاض، ومن جملة ذلك رسالة أرسلها إلى شيخ مشايخ بني شبيل محمـد بن أحمد مساوى مباركي، وأخرى إلى شيخ مشايخ الحسيني محمد بن حمود الذروي وغيرهم.

ثم استمالة قبيلة بني مالك وآل سلامة من قبيلة بني مالك ودفعهما على إثارة الغبار، وفتح القتال منهما ضد بقية جماعتهم من بني مالك، وإلا فأغلب عشائر آل خالد لم تنضم إلى من احتواهم الإمام يحيى، ولندلل على صحة مانورده بهذه القصيدة الشعبية التي تعبر في محتواها عن إخلاص تلك القبائل لابن سعود، والقصيدة قالها الشاعر شريف بن يحيى الخالدي من وادي الجنية، عندما وصلت الأخبار بتقدم جيش الإمام يحيى لاحتلال بني مالك بقيادة ولي العهد السيف أحمد:

يامن سبـوري ياصـل بن سعـود بالسلام
ويـخـبـره أنـا على عهـده وطاعـتـه
ولا يحيـر في طريقـه يحتـرك[1] همـام[2]
حشـد الإمـام لازوم ترويـنـا[3] معينتـه
بلادنـا متـواصـلة بدولة الإمـام
أحمـد حميـد الدين وصلتنـا حكـومتـه
نطالب ابـن سعـود بالقـوات والنـظام
احـنـا بنـي مالك رعـيـة من رعـيتـه
نبـهـت وأنـا حايـر في حيـرة المـنـام
وأشـوف نور من على جيـزان لمـعـتـه
فقـلت هذا قائـد بالجـيش والخـيـام
مقـدامـهم فيصـل وعصبـة من قرابتـه
حكـومـة ابن سعـود تنفى الظلم والظلام
ويـهـرب العـدوان خوفـا من شجـاعتـه

(١) يحترك: يتحرك.

(٢) همام: بهمة (٣) ترويـنا معينته: يمطرنا سحابه

ويــا قصــور الدرعـيــة بنيــانهــا حكــام
وبــاقـــي الأوطان تشــمــلهــا رعــايــتــه
احنــا نعــاضــد ملكنــا نســاعــده دوام
بأمــوالنــا والنــفس رهــن لإشــارتــه[1]

وهـذه القصيدة تعبر عن ميول وإخلاص بني مالك نحو الملك ابن سعـود، والشعـر الشعبي شعـر فطري، يعبـر فيه الشاعر عن مشاعر وعواطف الشعب نحو حكومته السعودية، والبدوي مفطور على الصراحة، والشاعر نظمها في الوقت الذي تجتاح قوات الإمام يحيى بلاد بني مالك وترغم المشايخ على تقديم الرهائن وتأدية الزكوات.

وعندما انتصرت الجيوش السعودية، وأعيدت الرهائن لآبائهم، ابتهجت قبــائل بني مالك، فاحتشد جماهير قبائلهم في مواكب هادرة لاستقبال الحــاكم السعـودي الجـديـد المسمى «النشمي» واستقبلوه بالعـرضـة والأناشيد الشعبية، ومن جملة ذلك القصيدة التي قالها أحمد بن مفرح الحرازي، وأخذت ترددها القبائل محتفلة:

واطرح كلام الله من لســن مقـدمــه
على جلالة المــلك ومــركــز «الحــمــة»
وله نقاى[2] ظاهر في البر والبحور
فك رهــايـنــا وقــد كانــت مرســمــه[3]
وحـيى بلادي بعــدمــا يبست من الظمــأ
واحنا عياله ننتظر للعهد ما نبور

ثم غدوا إلى النشمي بعرضة ثانية والشاعر ينشد والقوم يرددون:

ياســلام الله على النــشــمــي يعــود
وشــبــاب المــلك فيــصــل وســعــود

---

(١) انظر كتابنا «الأدب الشعبي في الجنوب» جـ٢ ص ٢٦٢.

(٢) النقا: الاخلاص ، وكل ما ينقي الشخص من الغش والمثالب.

(٣) مرسمه: مسجونه

وعلى عبـــــــد الـعـــــــزيز
خرج المظلوم من قيد الرسامة
قد أتـيـنـاكـم لتـجـديـد العـهـود
من بنـي مالك من أطراف الحـدود
وبقـى الوطـن عـزيز
كلما تلقون حبا وكرامة

وبانسحاب الجيش المتوكلي عادت بلاد بني مالك لحكومتها السعودية فقال الشاعر معبرا عن مشاعره وسروره:

يا مرحـبـا بعـداد خط الكـتـب بامـداد
وعـداد ما ينـتـج بلاد المـزارعـيـن..
ويـاحـكـومـتـنـا لك نصـرة ولك أيـادي
ولك من الله حامـيـة ضد المـعـانـديـن
الحـمـد لله يوم عودت للبـلاد
وعـادت الأفـراح على جميـع المـواطنين
عبـدالعـزيـز ملك الجـزيـرة حامي البـلاد
واحـنـا امـتـثـلـنا كلـنـا للحـق راغـبين
أهـل السعـادة والسخى والعـدل والرشاد
نور ينـيـر وتـبـشـرة للمـوحـديـن
ينفي الجهـل والظلم والطغيـان والفسـاد
وتـرتـدع كل الأعـادي والمـخـربـين[1]

إننا نورد هذا الشعر كدليل على تعلق الشعب عامة بمنطقة جازان وبني مالك خاصة في القسم الجبلي العائد للمنطقة نفسها، نحو حكومتهم ومليكهم ولم ينسهم الاحتلال المؤقت أو تستميلهم الرغائب التي بذلت لهم لصـرفهم عن الولاء والإخـلاص وهذا الشعر الشعبي مضت عليه ستة وخمسون سنة ولا زال محفوظا بالرواية إلى هذا التاريخ.

(١) كتاب الأدب الشعبي للعقيلي ص ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢ جـ٢.

ما بعد الثورة الإدريسية الفاشلة

جمـدت الثورة الإدريسية نشاط الاتصالات بين العاهلين فترة، عن موضوع الحدود وما يتعلق بها نحو أربعة شهور.

وإن كان لم تنقـطع الاتصــالات كليـا وإنما اقتصرت على موضوع الأدارسة والتجائهم إلى الإمام يحيى وما يقومون به من تحركات داخل حدود اليمن تعكر الصفو بين الطرفين ـ بعد القضاء على حركتهم الفاشلة.

ثم استـؤنفت الاتصالات لتصفية الخلافات العالقة بينهما، والاتفاق على بعث وفد إلى صنعاء لمواصلة التفاوض في إنهاء تلك الاختلافات وكانت رغبة جلالة الملك صادقة في إزالة كل ما ينهي تلك الخلافات بين السعودية واليمن ونتيجة لما تم صدر الأمر الملكي بتشكيل الوفد على النحو التالي:

١ ـ حمد السليمان الحمدان.

٢ ـ خالد أبو الوليد (القرقني).

٣ ـ تركي بن ماضي.

وتـوجـه الوفـد إلى صنعاء وزودوهم بالتعليمات التي سنوردها ومن الاطلاع على تلك التعليمـات السـامية تظهر رغبة جلالة الملك الأكيدة وتوجيهاته السديدة لما يرأب الصدع ويزيل الخلاف ويوطد أسس السلم بيـن المـملكتين الشقيقتين والشعبين العـربيين المسلمين، وتتـألف التعليمات من:

١ ـ مقدمة تشمل تسع مواد.

٢ ـ مشروع معاهدة بين المملكة العربية السعودية وبين حكومة الإمام يحيى.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليمات الصادرة للمندوبين المفاوضين مع الإمام يحيى حميد الدين

١ ـ مقدمة :

الذي يظهر من تصرفات الإمام يحيى أنه متردد في اتباع السياسة الصريحة معنا والتي سداها الإخلاص ولُحمتها حسن النية، لذلك فإنه في الدرجة الأولى من الأهمية أن يسير الوفد في عمله على قاعدتين أساسيتين:

١ ـ التعرف على نواياه وعمل ما يمكن لإقناعه بحسن نوايا جلالة الملك تجاهه وتجاه بلاده.

٢ ـ تجنب كل أمر يثير شكوكه أو يريبه، سواء في الحال أو في المستقبل، ويكون ذلك بإفهامه الأسباب التي حدت بجلالته إلى إرسال الوفد إليه وتجشم مشاق السفر وعناء الطريق للحضور إلى صنعاء، فالسبب الأساسي على مافيه عز العرب والإسلام والاتفاق على كل ما من شأنه أن يحفظ جزيرة العرب ويؤلف بين أهلها.

٢ ـ العلاقات :

إنه ولله الحمد والمنة لا توجد بين البلدين أية أمور توجب الخلاف، وأنه ليس لدى الوفد ما يقول، لأن ماتم بعد حوادث ألعُر، قد أظهرت الصداقة من الجانبين بأجلى مظاهرها، وقد عقدت بين الجانبين معاهدة صداقة بالبرقيات التي تبودلت بينهما، ثم من جهة أخرى تقدم جلالة الملك إلى الإمام يحيى باقتراح مؤداه تقوية الصداقة والألفة والسعي للظهور بمظهر الاتحاد المتين الذي لا تنفصم عراه، ومع ذلك فقد أراد جلالته أن يوفد الوفد إلى صنعاء حتى يكون حاضرا بين يدي الإمام ويطلع على ماعنده من اقتراحات خاصة بتقوية العلاقات وتزييدها، وأنه مستعد للمفاوضة فيها والبت في كل ما يعود بالفائدة على صداقة الجانبين.

٣ ـ المعاهدة الحالية:

إن المعاهدة التي وقع عليها في شعبان سنة ١٣٥٠هـ والتي أبرمها جلالة الملك وسيادة الإمام، معاهدة صالحة وما تزال قائمة، ونعده نحن بالمحافظة عليها، ونؤمل أن سيادته يكون حريصا كذلك على بقائها، وقد حلت هذه المعـاهدة نقطتين أساسيتين يمكن لو لم تكونا منتهيتين أن تسبب الخلاف لا سمح الله بيننا وهما:

١ ـ مسألة الحدود بين عسير السراة وعسير تهامة وبين اليمن.

٢ ـ تسليم المجرمين الذين يرتكبون أعمالا في بلاد الفريق الواحد ضد الفريق الآخر.

أما مسألة الحدود المشار إليها، فكما أشرنا أصبحت الآن منتهية لأن المعاهدة ثبتت ذلك، وجاء قبول سيادة الإمام يحيى بتحكيم جلالته بأن جبل العر ليس لجلالته بل للإمام يحيى، ثم اعتراف سيادة الإمام بأن فيفا وبني مالك تابعان لجلالة الملك، وجاء قبول سيادته قاطعا للأمر وباتا فيه وقاضيا نهائيا على أي ادعاء كان بإمكان تغير الحدود فالذي تحت يد جلالة الملك بالفعل هو لنا والذي تحت يد الإمام هو له، ولن نطالبه بشيء تحت يده، كما أنه لن يطالبنا هو بشيء مما هو تحت يدنا، إلا أنه منعا لأسباب النزاع وقطعا لأبواب الاختلاف فإن جلالته رغبة منه في إدامة حسن التفاهم والصداقة مع الإمام لا يمانع تبديل نصف قبيلة بنصف قبيلة أو قبيلة بقبيلة، لكي يكون أفخاذ القبيلة الواحدة في جهة واحدة، كما أن جلالته لا يمانع أيضا في تصحيح خط الحدود مع ذلك كضم شعيب إلى جانب واحد ومسيل إلى جانب آخر،فإذا كان للإمام رغبة في ذلك فإن جلالتـه يوافق عليهـا مع الممنونية لأنها ترفع الصراع وتمنع الاختـلاف بين بلاد منقسمة ما بين الجهتين، هذا إذا كان للمندوبين استناد على ما عندهم من المعلومات عن الحدود والقبائل يرون أن ذلك في مصلحتنا، وإن كانوا لا يرون ذلك في مصلحتنا فليأخذ اقتراح الإمام يحيى ويرفع لجلالته مع بيان رأيهم في ذلك.

وأمـا مسـألة تسليم المجـرمين التي بتت فيها المعاهدة، إننا نرى

الاحتفاظ بها والتمسك بها تماما كشرط أساسي لإدامة الثقة والعلاقات الحسنة، ولذلك فإننا نؤمل أن موقف سيادته في هذا الأمر مثل موقفنا، وأن يعلمنا بصراحة على ذلك لأن موقف سيادته في حوادث الإدريسي كان موقفا يناقض المعاهدة، وبناء على ذلك فإننا نطلب منه يعرفنا رأيه بصراحة وأن يبين لنا أمرين؟:

١ ـ هل هو مصمم على إنفاذ النص كما هو؟.

٢ ـ أو أنه لا يريد ذلك ويرى إلغاءه والسير على الطريقة التي سار عليها في حوادث الأدارسة سواء كان تجاه الدباغين وأتباعهم أو الأدارسة أنفسهم.

٤ ـ الحدود والاعتراف بها:

ذكرنا فيما سبق كيف أن المعاهدة المعقودة وحكم «العر»، وقد حل مسألة الحدود بين عسير واليمن، وذكرنا رأينا في التعديل الذي يمكن الموافقة عليه، وأما حدودنا فيما وراء عسير من الداخل ـ الشرق ـ فإنها كذلك مثبوتا فيها منذ عام ١٣٤٦هـ حينما زار ابن دليم وابن ماضي الإمام، وأعلمناه بأن أهل نجران تابعون لنجد وأنهم لازمون لنجد بموجب الضرورة، كما بلغنا، وأن سيادة الإمام وافق ذلك الوقت على أن ماكان من نجران وشمالا فهو عائد لنا وما كان من وائلة وجنوبا فهو عائد له حسب النص المشار إليه في المحضر، عن إمكان تعديل الحدود تعديلا بسيطا، كشعيب أو قبيلة، أو ما أشبه ذلك في عسير، فإننا لا مانع في إجرائه في نجران أيضا، وعلى كل من الضرورة أن يكون موقف الوفد من هذا الأمر أي أمر الحدود جليًّا واضحا، وأن يفهمه الإمام عند اللزوم وهو أنه من المستحيل أن يتغير موقفنا تجاه الحدود بترك بلاد عسير ونجران، أو أنه كان قصد الإمام أن يعيش معنا معيشة الصداقة والتفاهم فما عليه إلا الإقلاع عن التفكير بأمور لا يكون منها له نتيجة. إن ما تحت يدنا هو لنا لن نتنازل عنه كما أننا لا نطالبه بأن يتنازل عما كان تابعا للأدارسة قبل دخول قوات الإمام إلى الحديدة وميدي، وأن الذي نوافق عليه، هو التعديلات البسيطة التي أشرنا إليها، المقصود من ذلك أنكم

تعرفون نواياه إن كانت نوايا حسنة وقصده التحفظ لنا وله والسلامة بين الجميع، فالعمل على ماذكر أعلاه، وإن كان قصده غير ذلك يحب المراوغة فأنتم اعملوا.. على أن تكون الحالة كما هي، والكلام يصير في وقت آخر، المقصود لا توروه شدة توجب الكدر والخلاف،ولا تتراخون؟ في أمر يريده وفيه مضرة علينا.

٥ ـ المعاهدة الجديدة:

قلنا إننا نرى المعاهدة الحالية أداة صالحة ولا بأس من بقائها، ولكننا لا نرى مانعا من عقد معاهدة أخرى في حالة رغبة الإمام يحيى في ذلك، ومن الموافق أن يترك أمر اختيار ذلك إلى الإمام نفسه، فإذا كان راغبا في عقد معاهدة جديدة فمن الضروري معرفة الشكل الذي يريدها به؟

نعرض في هذا الباب حالتين وهما:

١ ـ العصرية التي تسير عليها الحكومات الأوروبية في عقد المعاهدات.

٢ ـ بقاء المعاهدة القديمة على حالها بعد تثبيتها.

فإن اختار الطريقة الأولى وهو ما نرجحه فاطلبوا منه المشروع الذي يقدمه وعرفونا بنصه برقيا، بعد تبديل ترتيب المواد حتى لا تكشف الشفرة ويمكن حلها لكي نرى رأينا فيه، وقد وضعنا النص المشروع فقدموا هذا له وستكون المخابرة متصلة بيننا لتعديل أو تبديل شيء من المواد.

٦ ـ الاتحاد والتعاون :

بما أن الذي ظهر لنا من تصرفات الإمام يحيى خلال الوقائع الإدريسية لا يشجع كثيرا على الثقة بنوايا المذكور المستقبلة فإننا لا ندري بصورة جازمة ما يكون للاتفاق الدفاعي الهجومي من قيمة عملية بيننا على فرض دخولنا فيه معه، ومع ذلك فإننا في حالة الدفاع عن سلامة الجزيرة العربية، لا نرى مانعا من قبول التعهد بما يأتي ـ ووضع ذلك في المعاهدة أو في مكاتبة ملحقة في المعاهدة:

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل فريق بما يأتي:

١ ـ الوقوف على الحياد التام.
٢ ـ المعاونة الأدبية والمعنوية.

في حالة الاعتداءات الداخلية يتعهد كل فريق بما يأتي:
١ ـ اتخاذ التدابير الفعالة لعدم تمكين المعتدي من الاستفادة من أراضيه
٢ ـ منع التجاء اللاجئين إلى بلاده.
٣ ـ منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو تشجيعهم أو تموينهم.
٤ ـ منع الإمدادات والذخائر والمؤن منهم.
٥ ـ تسليم من يفر منهم إلى بلاده أو طرده منها

٧ ـ التحكيم :

لا مانع لدينا مطلقا أن نتفق على إحالة كل خلاف يحصل بين الجانبين على التحكيم الذي يصدر ويوضع.. لذلك نص صريح واضح في المعاهدة (كتابة ملحقة بها) ويمكن الاستعانة بالنصوص الواردة في برتوكول التحكيم المعقودة بيننا وبين حكومة العراق، والموجودة في آخر مجموعة المعاهدات التي عندكم منها نسخة من قبل.

٨ ـ المؤتمر العربي في بغداد:

على الوفد أن يتخابر مع الإمام يحيى من أجل قضية المؤتمر العربي المنوي عقده في بغداد، أو أن يفهم أنه بالنظر إلى أن سيادته وجلالة الملك هما المستقلان دون غيرهما استقلالا تاما صحيحا، فإنه من الضروري أن يتبادل المعلومات عن كل الأمور التي لها علاقة بالعرب ومستقبلهم، ولذلك فإننا نحب أن نعلم موقف الإمام يحيى تجاه المؤتمر العربي وإننا نحب أن نكون وإياه يدا واحدة، ومن رأيٍ واحد فيما يتعلق بشأنه، أما المؤتمر فمع أن غرض القائمين به شريف، إلا أنه بالنظر إلى موقف أكثر البلاد العربية وبعض المتزعمين من العرب، فإننا نخشى أن يكون الغرض منه شيء آخر خلا ما هو معلوم عنه أو أن يحاول بعض النفعيين الاستفادة منه على حساب الآخرين..

أما أهل سوريا فلا شك أن قصدهم من المؤتمر الاستفادة على مقاومة فرنسا، مهما كانت الحالة ولكننا نعلم أن قوتهم لا تمكنهم من الوقوف في وجه فرنسا بالقوة، والأمر المهم فيه ربما يكون قائما بمساعي الأشراف وبإرشاد بعض الدول الأجنبية وإلهامها لأجل الاستعانة بالأشراف للاستفادة من البلاد العربية الأخرى المستقلة ومعلوم أن الذي يصيبه الضرر من مساع غير وطنية هو سيادة الإمام وجلالة الملك، ولهذا فإننا نطلب من يحيى أن يبين لنا موقفه لكي نعلم ماذا يجب علينا اتخاذه من تدابير للتفاهم على خطة العمل السلبي أو الإيجابي.

٩ ـ الاعتراف :

إذا طلب الإمام يحيى أن نعترف به بصفته ملكا على اليمن، فإنه لا مانع عندنا من ذلك على شرط أن يطلب هو ذلك، فإن لم يطلبه فلا تفتحوا بابه: أما نص الاعتراف فيكون كما يأتي:

يعترف ـ حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن بحضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز ملكا على المملكة العربية السعودية.

ملاحظة هامة :

إذا تم الاتفاق بينكم وبين الإمام يحيى على الحدود فمن الضروري تثبيتها في مادة تكون في المعاهدة ولا يمكن يعترف ليحيى بملكيته على اليمن قبل أن يعترف بالحدود، والحدود هي الموجودة في محضر الأحاديث التي كانت بين ابن ماضي وابن دليم ومندوبي اليمن، نراها لابأس بها لتكون أساسا للمادة في المعاهدة.



مشروع معاهدة بين المملكة العربية السعودية
وبين حكومة الإمام يحيى حميد الدين

الحمد لله نشكره ونصلي ونسلم على خير أنبيائه الذي جاء بالهدى ودين الحق ونستفتح بالذي هو خير، أما بعد فإن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين رغبة منهما في جمع كلمة الأمة العربية الإسلامية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها ونظرا لضرورة تثبيت الحدود بين البلدين في شكل عهدي - بعد أن تم القسم الأول من ذلك الاجتماع الذي عقد في صنعاء عام ١٣٤٦هـ بين مندوبي الفريقين، وتم القسم الآخر في المراجعات البرقية والتحريرية بتأريخ أيام جرى الاختلاف على مسألة (العر) وبناء على الاتفاقية التي عقدت بين مندوبي الفريقين، وحازت تصديق الفريقين الساميين المتعاقدين، والمشتملة على ثماني مواد والملحقة صورتها في صلب هذه المعاهدة تثبيتا لمفعولها الدائم ونظرا لرغبة الفريقين من إدامة السلام بين بلاديهما ورغبتهما في أن يكونا عضدا واحدا أمام الملمات المفاجئة من الداخل والخارج، ورغبة منهما في سلامة الجزيرة العربية فقد انتدب حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود وانتدب حضرة صاحب السيادة الإمام يحيى حميد الدين مندوبين مفوضين عنهما، وبعد أن اطلع كل من المندوبين على أوراق المندوبين الآخرين فوجدت مطابقة للأصول، اتفقا على المواد الآتية:

(المادة الأولى)

يسود بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمنية وبين حكومتيهما ورعاياهما سلم دائم وصداقة خالصة لا يمكن الإخلال بها،

ويتعهد الفريقان المتعاقدان أن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات التي تقع بينهما وأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات.

(المادة الثانية)

تؤسس بين البلدين علاقات التمثيل السياسي والقنصلي ويكون للممثلين في كل من البلدين حقوق الصيانة التي تقضي بها القواعد العربية والإسلامية وتتفق مع الحقوق الدولية.

(المادة الثالثة)

يتعهد كل من الفريقين بأن يمنع بكل مالديه من الوسائل استعمال بلاده قاعدة لأي عمل عدواني أو الاستعداد له ضد بلاد الفريق الآخر، وكل من يسعى لذلك فإنه إن كان من رعايا الحكومة التي يعمل في أراضيها فحكومة البلد تؤدبه أدبا بيِّنا وتردعه ردعا شديدا، وإن كان من رعايا البلد الآخر فإنه يلقى القبض عليه ويسلم لحكومته التي يعمل ضدها فتجازيه بما تقضي به الأحكام الشرعية، وعلى الحكومة التي يقع ترتيب العدوان، في أراضيها أن تخبر الحكومة الأخرى في الحال عن ذلك، وأن تجرى المراجعات البرقية والكتابية عند اللزوم لاتخاذ خطة مشتركة رادعة لأعمال أولئك المجرمين.

(المادة الرابعة)

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان، بأن يلجأ إلى التحكيم لأجل أي نزاع يقع بينهما، وأن يقبلا الحكم الذي يصدره الحكم، ويوضع للتحكيم ترتيب مفصل يعين كيفية طلبه وكيفية حصوله.

(المادة الخامسة)

إن الفريقين الساميين اللذين تجمعهما الجامعة الإسلامية العربية أمتهما واحدة، وأنهما لايريدان بأحد شرا وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون، وأنهما لا ينويان أية نية عدوانية تجاه أية أمة كانت.

(المادة السادسة)

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل فريق بما يأتي:

١ ـ الوقوف على الحياد.

٢ ـ المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

وفي حالة الاعتداءات الداخلية يتعهد كل فريق بما يأتي:

١ ـ اتخاذ التدابير الفعالة بعدم تمكين المعتدين من الاستفادة من أراضيه.

٢ ـ منع التجاء اللاجئين إلى بلاده.

٣ ـ منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو تشجيعهم أو تموينهم.

٤ ـ منع الإمدادات والذخائر والمؤن عن المعتدين.

٥ ـ تسليم من يفر منهم إلى بلادهم أو طردهم إليها.

(المادة السابعة)

يعقد بين الفريقين الساميين المتعاقدين اتفاق بريدي وبرقي لتسهيل المواصلات، وتزييد الاتصال بين بلاديهما.

(المادة الثامنة)

حررت هذه المعاهدة من نسختين، وتصبح نافذة من تأريخ إبلاغ الفريقين الساميين المتعاقدين بعضهما برقيا بالاطلاع على مواد هذه المعاهدة والموافقة عليها، ويجرى تبادل قرارات الإبرام بأسرع مدة ممكنة في المكان الذي يتفق عليه الفريقان.

كان هذا هو مشروع المعاهدة التي بعث بها جلالته مع التعليمات إلى الوفد السعودي في جازان وقد غادر الوفد جازان في ١ صفر ١٣٥٢هـ إلى صنعاء.

(سفر الوفد السعودي إلى صنعاء)

توجه الوفد من جازان في ١ صفر عام ١٣٥٢هـ، برا على السيارات يرافقهم بعض رجال الإمام وابتداء من خروجه من مدينة ميدي شاهد مظاهر الزينة ومباهج الأفراح والأعلام المرفرفة على البيوت والمباني الحكومية بشكل يلفت النظر، وعندما يسأل يجيب المرافقون إن ذلك ابتهاجا واحتفاءً بالاستيلاء على نجران فكانت إجابتهم تحمل في معانيها روح الاستفزاز للوفد وتقابل منه بالهدوء الرصين وضبط النفس وكظم الغيظ حرصا منه على ما تتطلبه مهمتهم في إنجاح تلك الوفادة لصالح الحكومتين الشقيقتين.

وصل الوفد إلى صنعاء واستقبلهم الإمام في قصره وقدموا له كتاب جلالة الملك، فأظهر لهم ابتهاجه بوصولهم واهتمامه بمهمتهم ثم استأذنوا في الانصراف إلى نزلهم بعد أن أفهمهم أنه شكل وفدا للتفاوض معهم من:

١ ـ الوزير القاضي عبدالله العَمْري.

٢ ـ رئيس ديوانه القاضي عبدالكريم المطهر.

وبعد فترة يسيرة وصل إليهم الوفد الإمامي في يوم ١٧ ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ ـ ٩ يوليو سنة ١٩٣٣م.

(الجلسة الأولى)

عقدت الجلسة الأولى وقدم خلالها الوفد السعودي المخطط الواضح للواقع الحدودي بين الطرفين وما يراه من التعاون بين المملكتين في الموقف الحاضر والمستقبل حسب مالديهم من تعليمات، وقبل الوفد في تلك الجلسة المناقشة حول مسألة الحدود اعتمادا على اتفاقية العرو ـ المشار إليها قبل هذا ـ والمصدقة من العاهلين بأن يكون العمل بموجبها ـ إلا أن الوفد اليمني أخذ يحاول التملص من تلك الاتفاقية.

ولم يكن موضوع طلب الوفد تسليم الأدارسة بموجب تلك الاتفاقية خيرا من موضوع الحدود فهي مماطلة وتسويف وأن الإمام يستحسن المفاوضة بشأنهم مع جلالة الملك.

وهكذا كل موضوع من المواضيع التي وصلوا بشأنها كان الرفض أو التعليق مما أظهر للوفد أن للإمام مطامع وغايات أبعد مما كان يعتقدونه وأصعب مما يأملونه.

وبعد ثلاث جلسات أو أكثر تبين للوفد أن لا خير يرجى ولا أمل يتحقق من وراء تلك المفاوضات، وبعدها كان نصيب الوفد شبه الترك وقريبا من الإهمال يتصل بهم بين الفينة والأخرى بعض الأعضاء ويعيدون على أسماع الوفد مطالب الإمام في منطقة عسير ونجران والمخلاف السليماني، إلى أن أصبح الوفد في ملل مع المراقبة الشديدة عليهم، مع التصنت والملاحظة على تحركاتهم وسكناتهم ومراقبة من يتصل بهم، إلى غير ذلك، وقطعت عنهم المخابرات اللاسلكية فيما بينهم وبين الحجاز.

ظل الوفد في صنعاء نحو شهرين على تلك الحال، مع منع إرسال برقياتهم وحجب البرقيات الواردة لهم، وإذا احتج الوفد على ذلك، كان الاعتذار جاهزا بحجة خراب جهاز اللاسلكي، والغاية من كل ذلك تجميد إقامة الوفد في صنعاء حتى يتم له الاستيلاء على نجران، فيكون الوفد السعودي وحكومته أمام الأمر الواقع الذي لا مفر منه.

وإزاء تلك الحالة كتب حمد السليمان إلى أخيه عبدالله السليمان في مكة الرسالة الآتية:

الأخ عبدالله السليمان..

سيدي نرجوكم ترفعوا لجلالة الملك بأنهم منعوا سحب برقياتنا إلى جلالته وقد منعونا عن السفر، ولا نعرف قصدهم نحونا، لكن نيتهم ردية، أردنا تعريفكم مختصرا لئلا يشتبهون ٤/٤/١٣٥٢هـ.

حمد السليمان

وعلى ذلك أبرق جلالة الملك للإمام برقيته الاحتجاجية التأريخية الآتية:

عدد ١٦٧٦ في ١٢/٤/١٣٥٢هـ

أرجو أن يكون الأخ بأتم الصحة والعافية، ثم يعلم الأخ أننا لم نرسل الوفد الذي تقرر إرساله بيننا إليكم، إلا لحسم المواد، وما يريح المسلمين ويرغم أعداء الدين.

وكنا ننتظر يوم وصول الوفد أن تصلنا برقية منكم بوصوله فلم تصل أقـام الوفـد تلك المدة الطويلة، وكأن خواطرهم ضاقت، ونحن ما رأينا لإقامتهم فائدة وكان باب العذر مفتوحا، وهو للمرض الذي كان ملمًّا بكم، نرجـو أن تكـونوا قد رزقتم الشفاء والعافية منه، كذلك أمرناهم يبقون رغبتكم وأبرقنا لهم بواسطتكم برقية بذلك، لم نر لها جوابا.

ومع ذلك أمرناهم بامتثال أمركم في البقاء، وكنا نؤملهم ونؤمل أنفسنا بإنهاء الأمور بنجاح، وللآن نؤمل أنفسنا بذلك، ولكن من تاريخ ٢٥ ربيع الأول إلى اليوم الثامن من ربيع الثاني لم نرَ منهم أيَّ برقية فاستغربنا ذلك.

يعلم الأخ أن أعضاء الوفد هؤلاء ليس عليهم جناية أو حجة وأن تتميم الأمور، وعدم تتميمها راجع إلى الله ثم لكم، ونحن في انتظار ما يقتضيه نظركم بالمسلك الذي يسلكونه.

ولكن إهانة الوفد وعدم مراجعتهم شيء عجيب جدًّا لأن هذا لا يسوغه مقـامكم منا، وليس في نظرنا موجب لا مادي ولا معنوي لا بالسر ولا العلانية ويقيننا أنه كذلك في نظركم.

على أن الأعمال التي عومل بها المذكورون لم تعمل لا في سابق الزمان ولا لاحقه، بين حكومات الإسلام وأمرائهم، السابقين واللاحقين ولا عند الأجانب.

لذلك لم يبق للسكوت مجال، فاقتضى أن نعرف حقيقة مقاصدكم التي نرجو أن تكون حسنة، وفيها عز الإسلام والمسلمين، والثاني استنقاذ الوفد الذي ليس لإهانته موجب، ولا لانقطاع أخباره موجب أيضًا عافاكم الله.

فأجاب جلالة الإمام يحيى بالبرقية الآتية بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ.

لم يكن ترك الجواب بالإفادات البرقية، إلا ثقة بالإفادة إليكم من وفدكم الكريم، وكان عذرنا سابقًا المرض الذي بلغ بنا النهاية، وقد مَنَّ الله بالعافية، وبقي بقية نسأل الله زوالها.

وعند اشتداد مرضنا، كان من القاضي عبدالله العمري من طلب حكماء من حكومة مصر، ومن حكومة العراق، فوصلوا، وقد كان منهم البحث وشرعوا في المعالجة لزوال العلة، والله هو الشافي.

أما ما أشرتم إليه من تأخير تلغرافات وفدكم إلى حضرتكم، فذلك واقع وكان قد رفع إلينا الوفد، وكان منا سؤال القاضي عبدالله العمري، فأفاد أن طائر الهواء الحديدي غير صالح، وأنه قد أرسل من صنعاء من يصلحه وذلك صحيح.

وكنا جلبنا قبل مدة طائر الهواء الذي بـ (تعز) بدلا من الذي كان (بالحديدة) وتأخر وجود المهندس لتركيبه، والآن العمل في إصلاح الأول وطائر الهواء هذا كبير السن وكثير الأمراض والعلل.

وأما منع التلغرافات إليكم فهذا أمر لم يكون قطعيا، وقد توجه الوفد إلى حضرتكم أمس الخميس، وحررنا إلى حضرتكم ما سترونه إن شاء الله وقد كتبنا الآن إلى (الحديدة) ليكون عرض طائر الهواء بالحديدة على الوفد ليعرف الحقيقة، وكونوا من صداقتنا على يقين ما دمنا على قيد الحياة فليس بيننا وبين حضرتكم إلا كل جميل ولله الحمد.. والسلام عليكم.

وبوصولها أبرق له جلالة الملك البرقية الآتية:
عدد ١٧٦٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢هـ

برقيتكم وصلت وسرتنا صحتكم، الحقيقة والله المطلع أن مرضكم مرض لنا لأننا نحب كل شخص من العرب يهمه أمر الإسلام والعرب، أما اعتذاركم من قبل برقيات الوفد فمقبول، كل ما يفعل المحبوب محبوب، والوفد خدامكم، والأخ أخيكم، والمصلحة عائدة للجميع، ولكن والله ما يهمنا إلا تعاطي أهل الأغراض، أذناب الأشرار الذين ما يخفون عليكم بالأمور بيننا وبينكم، ويصدرونها عن مصادر بطرفكم، وإذا اطلعتم على الجرائد رأيتم حقيقة ما نقول.

وما ذكرتم أنكم تداومون على صداقة أخيكم مادمتم بقيد الحياة فهذا هو مأمول فيكم، وأخوكم يعطيكم أمانًا على ذلك مازال الأمر ما يحوج للدفاع عن النفس والشرف، ولكن الذي أقوله لكم، وأؤكد لكم فيه، أن مايكون بينكم وبيننا من الاختلاف لا مصلحة لنا ولا لكم فيه، وأن أصابع أهل الأغراض من الخارج والداخل تأخذ ذلك فرصة ولا يسعى بالخلاف بيننا وبينكم إلا شخصان إما محب شُؤْمٍ، أو عدو يفرح بالدوائر على الجميع، وفكر بما قال الشاعر:

وأحزم الناس من لم يرتكب عملا
حتى يفكر ما تجني عواقبه

أحببت تقديم هذه البرقية لأمْرَيْن:
١ - الخبر عن صحتكم.
٢ - ما أحب تعطيل الجواب منا لكم.

وعندما يصل الوفد من جازان ويرفعون لنا أخبارهم، وما أبديتموه لهم فنكتب الجواب بما يقتضيه الحال عافاكم الله.

سفر الوفد إلى الحجاز

بعد رفع كتاب حمد السليمان إلى أخيه عبدالله السليمان بتاريخ ٤ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ ألح الوفد على رجال الإمام وبالأخص وزيره القاضي العمري في رغبتهم مقابلة الإمام للسماح لهم بالسفر، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى أمرين:

١ ـ إما إحياء المفاوضة والوصول إلى نتيجة سلبًا أو إيجابًا.
٢ ـ أو السماح لهم بالعودة إلى حكومتهم في حال تعذر ذلك.

وكنتيجة لإلحاحهم، سمح لهم سيادة الإمام بالمقابلة وتمت في يوم الثلاثاء الموافق ٩ ربيع الآخر، ولمَّا لم يلمس الوفد أية بادرة نجاح طلب السماح له بالسفر إلى حكومته فوافقهم، وتوجه الوفد من صنعاء في يوم الخميس الموافق ١١ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ يحمل رسالة خطية من الإمام لجلالته هذا نصها:
في ١٢/٤/١٣٥٢.

وصل الوفد الكريم ولم نجد فيه عيبًا إلا شدة التعصب والإخلاص لحضرتكم وقد كان الأخذ والرد بعد طول الإقامة لمانع أثرنا، الذي بلغ بنا النهاية وإلى الآن وآثاره باقية، وكان طلب حكماء من حكومتي مصر والعراق فوصلوا ونأمل قد تشخصت لهم العلة، والله الشافي.

اعلموا حرسكم الله أنه لم يكن بيننا وبين حضرتكم إلا كلية الصداقة والوداد ونؤمل أنا سنلقى الله تعالى على ذلك.

وآخر ما كان عليه البناء بيننا وبين الوفد الكريم في شأن الأراضي التهامية والعسيرية أن يكون بقاؤها كما هي عليه الآن؟، وفي مسألة قتلى تَنُومة أن يكون الخوض فيها للمراجعة بيننا وبينكم.

وفي شأن الإدريسي جعلناه بوجهنا وذمتنا ألا نساعده على شقاق، ولا

نرضى له، فإن حدث منه حادث فيدنا على يدكم عليه، ولا نراه يحدث نفسه بشقاق فقد عرف قدر نفسه، وقدر أعوانه وأصحابه، وهو الآن منقطع بنفسه لا يخوض في شيء ويشكو قليلا لقلة المخصص له من حضرتكم، فبالله تفضلوا بزيادة ألف ريال له، ولعبدالوهاب، وعائلاتهم وحاشيتهم،فهم ذوو تكاليف ويعتادون كثرة الإنفاق فأفضلوا بتلك الزيادة.

أما مسألة يام ونجران ياحضرة الملك عافاكم الله فأنتم تعلمون أنهم جزء من اليمن ماله مفصل، بل هم مصاصة قبائل اليمن، ونحن أوضحنا لحضرتكم بما كتبناه وعاد جوابكم بما هو المؤمل، فنرجوكم ثم نرجوكم أن تغضوا النظر عنهم، وتحسنوا التدارك لاستبقاء الصداقة والوداد بيننا وبينكم، ولا ضرر عليكم إن كان منا إصلاح أمر يام، ولا نفع لكم إن تركناهم على ما هم عليه من الفساد والهمجية.

ثم كان الاتفاق أخيرًا بالوفد الكريم، وكانت المراجعة في شأن المواد الأربع التي شملها كتابكم الكريم المرسل إلينا صحبة ابن ضاوي، وكان اختيار الوفد تأخير الخوض في شأن الأربع المواد، حتى يكون وصولهم إلى حضرتكم وسيوضحون لكم إن شاء الله، وإذا تفضلتم بالإجابة عن هذا الكتاب إلينا برقيا نحن ننتظر وننشد ماقال ابن الدُّمَيْنَة:

أبِنْ لي أفي يمنى يديك جعلتني
فأفرح أم صيرتني في شمالك

ودمتم محروسين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



البرقيات المتبادلة بين العاهلين
بعد سفر الوفد السعودي من صنعاء[1]

عدد ١٨٥٩

برقية من جلالة الملك إلى جلالة الإمام يحيى
بتأريخ ١٦ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ

تقدم لكم قبله برقية عرفناكم بها أنه بوصول الوفد إلى جيزان، وإخبارهم لنا بمضمون كتابكم نراجعك بشأنه، وقد وردنا منهم اليوم برقية لم يذكروا فيها إلا خلاصة كتابكم، فلم يتضح لنا المعنى المقصود من الكتاب، وكان في البرقية بعض الأغلاط التي جعلت غموضا في المقصود وقد أبرقنا لهم يرسلون نفس الكتاب إلينا، لأمرين:

الأول : الحرص على الصداقة وحسن المعاملة.

الثاني : ظهر لنا من فحوى الكتاب أن بعض الأمور العائدة لكم ملزومون بها في الجزم فيها، والأمران اللذان من جهتنا، سواء المختلف فيها أو المقررة تُؤَجلونها، أو تقبلونها على حالها

هذا الذي فهمناه من الخلاصة، ولعله متى ورد الكتاب بنصه يظهر لنا غير المعنى، ولكن رغبة منا في تقوية الصلات، وتدارك الأمور من أمر ما تحمد عقباه، حبينا مراجعتكم لنكون على بصيرة للاستعداد في الرد عليكم:

أولا : أخي تفهمون أن الملك لله ليس لأحد، وأن الأمور ليست بالوراثة ولو دامت لغيرك ما اتصلت إليك

(١) أوردنا ونورد الآن صور البرقيات المتبادلة بين الملكين لأنها من الوثائق التاريخية التي لا يرتقي إلى مستواها أي خبر موثق، وفيها الحجة الناصعة والدليل الواضح على رغبة جلالة الملك الصادقة فيما يزيل الخلاف وينهي النزاع بالطرق السلمية.

ثانيا : إن وراثتنا وآثارنا السابقة في بعض الأمور مفهومة ومعروفة، عند كل الناس. ولكننا لا نطالب بالأمور الفانية، ولا نحب الاعتداء على شيء ليس بأيدينا، إن محبتنا للزين، والاتفاق معكم ليس بخاف عليكم، كما تقدم، وقد أجبناكم لجميع ما بخاطركم في السابق، ونرى ذلك فعل جميل في محله، وتقرب للائتلاف والمساعدة، ولكن يظهر لنا مع الأسف أن القوم الذين عملوا ما لايخفى عليكم تدخلوا في بعض المسائل، لتفاقم الأمر لعلهم يدركون بعض الشيء مما خسروه في أعمالهم الأولى، ولكن الحمد لله فقد كان فيهم ماقاله صلوات الله وسلامه عليه: «الحمد لله الذي جعل آخر كيد الشيطان الوسوسة».

أخي تعلمون بأننا ما نُعْذَرُ من جهة الله، ولا من جهة الأمانة التي في رقابنا ولا من جهة الصداقة التي بيننا وبينكم حتى نقوم بالواجب، فإما ندرك المطلوب أو نعذر؛ وتعلمون أن شرفكم وشرفنا ودينا ما يسعنا إزاءهم إلا القيام باللازم على أمر واضح وبرهان بيّن، أرسلنا وفدنا وأعطيناه التعليمات اللازمة وحصل أمران أحزننا أحدهما وأسفنا للآخر:

أما ما أحزننا فهو اختلال صحتكم نسأل الله لنا ولكم العافية، وأما أسفنا فهو التأخر وعدم الاتفاق.

والآن فإن البنيان الذي على غير أساس ولا ثقة ما يصلح لديننا ولا شرفنا لا منًّا ولا منكم.

وكانت المراجعة بيننا وبينكم في المطلوب لنا ومنا، وسنكون على أساس يُقرهُ الدين والعرف العصري، مما يرغم به العدو، ويسر به الصديق، فهذا الذي نطلبه وهو مرادنا، فإن كانت الأمور ماتحصل إلا على الوجوه الثلاثة الآتية:

١ ـ لا تحصل راحة ولا طمأنينة لا لنا ولا للرعايا.
٢ ـ يلقى كل شيطان مارد ثقله له بذلك.
٣ ـ يكون مضحكة للأجانب.

فهذا أمر أظنكم توافقونا على أن عدمه خير من وجوده، فإن كان الأخ على ما نعهـده ويظنه المسلمون فيه فنحن نحب ذلك، ونعاهد الله أن نجري اللازم بالإنصاف من جهتكم، وعدم الخيانة من جهتنا، ونبرأ إلى الله أن نتكلم بأمر غير مشروع فليبرهن الأمر وليعطينا الثقة التامة على التفاهم على أساسات:

أولها مسألة الحدود والاتفاق على تثبيتها كما كانت في السابق، إلا أنَّ هناك لزوما لتعديل ضروري عائد للمصلحة بيننا وبينكم.

ثانيهما: إبعاد كل مفسد بطرفكم يحدث مشكلا بيننا وبينكم.

الثالث: مسألة (نجران) نفيدكم أننا ما نحب لهم ولاية، وليس هناك أمـر يقرن بيننا وبينهم لا دين ولا طمع، إنما هي مصالح ومضار بين الرعـايـا، ونحن مستعدون أن نتراجع فيما يحفظ مصالحنا ومصالحكم ومصالح رعايانا ورعاياكم بغير زيادة ولا نقصان، وهذا الذي يراه أخوكم وتستريح به النفوس، فإن أجبتمونا على ذلك فنحن مستعدون للأمر، فإما أن تبدي اقتراحكم بذلك، أو نبدي اقتراحنا.

فإن كان الأمر لا فائدة منه، وإنما كما ذكره أعلاه فإن المراوغة فيه شيء يأبـاه الدين والشــرع، وكما أن لأنفسنا علينا حقًا، فإن لشرفكم ومقامكم علينا حقًا أيضًا، وذلك بأن لا نكتمكم شيئًا، فإن أجبتمونا إلى ذلك فهو الذي نراه ونحمد الله عليه، ونسأله تعالى أنْ يوفقنا وإيَّاكم كذلك فإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونُشْهد الله أننا لا نحب الاختلاف، ونُحِبُّ لكم من الصلاح ما نحبه لأنفسنا، وأرجو من الله إن كان يعلم صدق نيتنا للإسلام والمسلمين فأسأله أن ينصر دينه ويُعْلِي كلمتـه، ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه فإن كان يعلم عندنا ضِدَّ ذلك فأسأله أنْ مَنْ كان يقصد الغش والخيانة والمراوغة أن ينتقم منه ويخذله، ويكفي المسلمين شره.

إنَّ أخاكم قد أكثر عليكم المقال، ولكن الشفقة ومحبة الاتفاق حملني على ذلك لدفـع المسؤولية عني وعنكم، وجعلها على من تسبب وخالف

الأمـر المشـروع، ومصلحة المسلمين، وإني أعاهد الله أن لا أتَعَدَّى الخُـطَّة التي تشيرون عليها وأن أعاملكم بالمعاملة التي تعاملونني بها وإني لا أبدأكم بشرٍّ إلا أن يكون دفاعًا عن الدين والشرف وأسأله أن يوفقنا وإياكم للخير.

فأجابه الإمام بالبرقية الآتية: ١٣٥٢/٤/٢٤هـ

ج: كثير من برقيتكم لم يظهر لنا معناه، مع تكرار أخذها من (مِيْدِي) ولكننا عرفنا المراد على الإِجْمَال، والمراد أنه لم يكن بيننا وبين حضرتكم عداوة ولا شقاق بل صداقة ومودة ووفاق، ونعتقد أننا نموت على ذلك إن شاء الله وعسى أن لا يصل هذا إلى حضرتكم إلا بعد وصول محررنا بعينه ففيه استكمال كل الأطراف، بما يجمع بين الغرضين.

فالحـدود كما ذكرتم في برقيتكم على ماكانت عليه، ومسألة (تَنُومَة) حَلُّهَا من حضرتكم، ومسألة الإدريسي قد جعلناه بوجهنا وذمتنا، أن لا نساعده ولا نرضى له بأدنى شقاق، وإن كان منه شيء فيدنا مع يدكم عليه، على أننا لا نظن أن يحْصل منه شيء قطعيًا، فلا تصدق من يعظم أمره، ورجونا من حضرتكم أن تزيدوا في مخصص الإدريسي ألف ريال شهريًا.

وفي مسألة يام رجوناكم أن تصرفوا النظر عنهم، فالمراجعة بما فيها الصلاح والفلاح بيننا وبين حضرتكم فهو من لازم الوداد.

ونظن أنه قد اتضح لكم ما لدينا لحضرتكم من الولاء، وأن كل أمر يخالف ذلك ساقط لدينا ومبذول.

ولم يظهر لنا ماهو يوافقكم فيما كتبناه مع وفدكم الكريم، ونؤكد ما تقدم منا لحضوركم غير مرة بأنا موالون لكم، غير مضمرين سوءا ما دمنا على قيد الحياة، إنما بعض الأمور نرى إهمالها مع كلية الصداقة والوداد.

برقية من الإمام يحيى

بتاريخ ١٨/٤/١٣٥٢

ج: لقد سرتنا برقيتكم إذ وافقت ما تنطبق عليه نيتنا فالحمد لله رب العالمين ولا سبيل لأشرار يسلكون به مايكدر الصفو، والمنتظر وصول جوابكم على ما حررناه لكم مع وفدكم الكريم والسلام.

برقية من جلالة الملك إلى جلالة الإمام

بتاريخ ٢٦/٤/١٣٥٢هـ

أخي حفظك الله ـ تلقينا برقيتكم الأولى والثانية، ونحن الحمد لله بحال الصحة، وأحطنا علمًا بما ذكره الأخ.

أمـا برقيتنا السابقة فالقصد منها الاستفسار عن كيفية العمل لحلِّ المـواد المطلوبة بيننا وبينكم، وسواء ظهر المقصود لحضرة الأخ مما كتبناه سابقًا أو لم يظهر فإننا نشرح للأخ ما عندنا في المواضع المشار إليها ونفرد لكل موضوع برقية على حدة ليسهل حلها، ويتوضح المقصود بصورة جلية، فإذا وصل ذلك فالنظر في الجواب تفصيلا وإجمالا له.

أما ما أشار إليه الأخ من المحافظة على الصداقة والولاء وأن نكون مطمئنين الخاطر من ذلك، وأنه لن يكون بيننا شقاق أو عداوة، فإنّ هذا متحقق عنـدنا إن شاء الله، ودليلنا على ذلك تكرارنا على الأخ بحسم المواد لتثبيت دائم الصداقة، وتأمين راحة الجميع ولْيكُن الأخ مطمئن الخاطر وليثق بأنه ليس عندنا إلا ما عندكم من المحبة والصداقة، وهو الذي ندين الله به باطنًا وظاهرًا وهذا هو الواجب على كل مسلم عربي نرجو الله أن يحقق ذلك ويجمع شمل المسلمين والسلام.

* * *

وفي تلك الأثناء وقع من قبيلة العبادل السعودية بعض الخلاف نتيجة تحريض الإدريسي، وتوجه أحد رجال الإدريسي (أحمد الأهدل) إلى صنعاء فأبرق جلالته للإمام بالواقع فوصلت منه البرقية الآتية:

* * *

إلى جلالة الملك الأخ عبدالعزيز

بتاريخ ٣/٥/١٣٥٢هـ

ج: بعض البرقيات إجمالا عجالة؟، أيها الأخ العزيز حفظكم الله كونوا على ثقة تامة من صداقتنا، ومع ذلك فوالله لا تجدون منا إلا الوفا والصداقة، وهذا إنما هو إنصاف للحقيقة لحضرتكم، وإلا نحن نعتقد أنكم لا تخافون منا ولا من غيرنا.

بشأن الأهدل وصل إلينا ولم نتفق به منذ وصوله، وبشأن (العبادل) فإنه قبل عشرة أيام بلغ إلينا نفورهم وخوفهم، وقد كتبنا لعامل (مِيْدِي) أن يقنعهم بلزوم طاعتكم، ولا يخدش أفكارهم البسيطة، ولا تهتموا بأيِّ أمرٍ لنا فيه أدنى اطلاع، ولا تحسبونا إلا كأحد إخوانكم، واحفظوا هذا عناً دائما مطلقًا، وكَذِّبُوا ما يخالف ذلك، ولسنا دجالة إلى أن نكتب لكم بالكذب الحرام، وكل الأمور إن شاء الله كما تحبون، ستوضح لكم إن شاء الله والسلام.

برقية من الإمام لجلالة الملك

بتاريخ ١٠/٥/١٣٥٢هـ

ما أفدتم به من أمر يام فهو اللازم لضبط الحدود من الطرفين لمنع كل ماعساه يحدث من الشقاق بين الحدود، مع انضباط أمور (يام) إن شاء الله لابد تجري الأمور كما تحبون، وإن مقدمات قصدنا رفع كل شر بين المسلمين عمومًا وخصوصًا فيما يتعلق بنا وبحضوركم والسلام عليكم

وصول الوفد إلى جازان:

وصـل الوفـد السعـودي عائـدا إلى جازان يوم الأحـد المـوافق ١٤/٤/١٣٥٢هـ ورفع برقية بوصوله لجلالته، ثم رفع بعد ذلك خلاصة كتـاب الإمام يحيى وبعد أيام توجه إلى الرياض بالسيارات عن طريق الحجاز، فإنه في ذلك التاريخ لم يكن للسيارات طريق إلى عسير فضلا عن نجد، وبطبيعة الحال إن قطع الطريق من جازان إلى مكة عن طريق غير ممهدة ولا مسفلتة يستغرق أيامًا وكذا من مكة إلى نجد.

وبوصولهم إلى الرياض وبعد مقابلة جلالة الملك سلموه كتاب الإمام يحيى ورفعوا التقرير المسهب عن مهمتهم في صنعاء والذي نورد منه مايأتي:

(يتضح لجلالتكم من مطالعة هذه الأوراق ما دار بيننا وبين الإمام يحيى من جهة، وبيننا وبين مندوبيه من جهة أخرى، وما بذلناه من الجهد والصبـر والأناة، لأجل الوصول إلى الاتفاق الصريح معهم، ليكون من ورائه الصلح والسلام، وعز العرب والمسلمين، وقد عملنا بكل ما فينا من قوة لبيان غايتنا السلمية ورغبتنا الخالصة، في الاتفاق وإظهارها بارزة ملموسة، ونظن أننا قد وفقنا إلى أبعد مدى من كلامنا وحركاتنا وتصرفاتنا في التعبير عن نبل مقاصدنا وإثبات شريف مرامنا، كما أننا وفِّقْنا بحسب اعتقـادنـا إلى الوقـوف على غايـاتهم الخفيـة وأغـراضهم المستـورة، ومـطامحهم البعيـدة الْمَـرمَى، وخـططهم وأساليبهم المتخذة نحونا في معاملاتهم وذلك بالرغم من مراوغتهم، وتطلباتهم والتزامهم جانب الغموض في المباحثات والمذاكرات:

إننـا نقول بملء الأسف إن جميع مجهوداتنا في الوصول إلى هذا الغرض النبيل قد ضاعت سدى، فكنا كمن حاوَرَ عَجْمَاء، أو نادى صخرة صَمَّـاء، ومـع شديد أسفنا من عدم وصولنا إلى مانتمناه، ومن إخفاق مساعينا السلمية فإنَّنَا نعلن رضا ضمائرنا من شيء واحد وهو أننا وُفِّقْنا إلى إزالة تلك الحالة المهيمنة بيننا وبين الإمام يحيى، وأزلنا قناع الريّب

والنفاق بصورة لا تترك مجالا للشك فيما يُنْصَب لبلادنا من أحابيل، ويدسُّ عليها من دسائس، ولحكومتنا بعد الوقوف على الحقائق أنْ تختطَّ منهجًا ثابتًا تسير عليه في المستقبل لأجل صيانة منافعها وحفظ أملاكها إلى أن تبدل ذهنية القابضين على زمام الأمر في اليمن، وتأتي طوارق الحدثان بما يجبرهم على مصالحتنا ومسالمتنا، ومعرفة أن هناك أمة عربية تتطلع إلينا وإليهم وتطلب منا ومنهم الاتفاق والاتحاد على مافيه العز للعرب والإسلام.

لقد رأينا الإمام يحيى غير صافي النية من جهة جلالتكم، بصورة غير مأمولة من ملك عربي مسلم، نحو بلاد عربية إسلامية مجاورة له، في فترة تاريخية عصيبة يرى فيها كل عاقل لزوم تسانُد العرب والمسلمين، وتعاقدهم، وقد أدهشنا وايْمُ الله هذا الشعور العدائي الذي لم نكن نتوقعه من مسلم عربي. وقد عجزنا من تعليل أسباب ذلك العداء الكامن بالرغم أنه من الممكن حمله على محمل العقيدة الزيدية من جهة، والطموح أو الحسد الشخصي لجلالتكم من جهة أخرى.

إن الإمام يحيى يكرهنا ويخافنا، ولكنه يحترز من محاربتنا ومجابهتنا وجهًا لوجه، وخطته التي يسير عليها تتلخص في أن يعمل على إفساد القبائل والأهالي التابيعن لنا، ويستعمل من أجل الغرض وسائل عديدة، منها بعض اللاجئين إليه من رعايانا، ومنها دعاة المذهب الزيدي الذين لهم صلات مع أشخاص في بلادنا، ثم إذا اعتقد أنَّ الفرصة سانحة أجْهَزَ على قطعة من أملاكنا بالحرب أو بالدس أو بالتظاهر بتحكيم جلالتكم، كما حصل في مسألة (الْعُرَّ) والمماطلة والمراوغة والتسويف من الوسائل الفعالة التي يلجأ إليها، غير أن غايته القصوى مرتكزة على الانتظار، وفرصة الفتن الداخلية أو الاشتباك مع أحد الدول للوصول إلى مايتمناه من أغراض لاحققها الله.

برقية من الإمام يحيى لجلالة الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٠هـ

بلغ إلينا تحشيد الجنود إلى الحدود، ولم نعرف سببا لذلك، فلم يكن منا غير المحافظة على الصداقة كما أوضحنا لحضرتكم مكررًا، وكل ما بلغ إليكم مما يخالف ذلك مَحْض افتراء، فاحذر ألا تُخْدَع لمن يريد طمس الإسلام وهلاك الجميع، فلا خير في الشقاق لنا ولا لكم، والغالب نحن وأنتم خاسر والسلام.

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢١هـ

لقد تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٧/٢٠ ولما بلغ الأخ تحشيد بعض الجنود، فهذا صحيح، وقد أخبرتكم بذلك في برقيتنا المتقدمة وأن حشدها للمحافظة على السكينة، وتطمين الرعايا ليستريح مبتغي العافية، ويقمع فساد صاحب الفساد ومبتغيه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فلا نكتم الأخ أنه حدثت أمور تدعو للريبة في الموقف رأينا الواجب يقضي بالاستعداد وهي:

أولا: وصل وفدنا وبلغنا ما كان بينه وبين مندوب سيادتكم، وأيضًا أن ذلك الكتاب الذي يحمله الوفد إلينا منكم مما دلَّ لنا أن هناك تبدلا في خطتكم.

ثانيًا: لقد انتشر في كثير من الصحف ما بعثتموه لبعض الناس عن مطالبتكم في بلداننا من المقاطعة، وعسير، ثم مافعلتموه في نجران وألحقتم بذلك مسألة الحجاج التي تعلمون براءتنا منها ولا حجة علينا فيها.

ثالثا: اطلعنا على ما نشرته جريدة «الإيمان» الصادرة في جمادى الأولى المعبرة عن خطتكم وما عزمتم عليه.

مجموع هذه المعلومات جعلتنا نعتقد أنَّ هناك تغييرًا في موقف الأخ نحـونا مما دعانا لاتخاذ الاستعدادات للطوارئ، وإرسال بعض الجند الذي بلغكم خبـره، وكنا عازمين على إرسال مذكرة للأخ نُبَيِّن له فيها حقيقة الموقف ، ونرجوه فيها إنهاء أسباب الخلاف الذي يعود ضرره على الطرفين، ويطمئن الرعايا ويكبح الأعداء، وقد أخرنا كتابنا انتظار ما نؤمله من الأخ من الإنصـاف، ورعايته لوحدة الإسلام والمسلمين، أما نحن فليس لدينا غير ماسبق أن أخبرناكم به وهو:

أولا: الاعتراف بالحدود وتثبيتها بمعاهدة.

ثانيا: إعادة الأدارسة.

ثالثا: مسألة نجران.

فإن كان سيادة الأخ على ما نعهده فيه من رغبة في الاتفاق فنرجو أن يصرح لنا برأيه بوضوح في المسائل الثلاث المتقدمة، ومن ثم الاتفاق على ذلك برقيًّـا بيننـا وبين حضرتكم بصورة واضحة، وإن أمكن عقد اجتماع في المكان الذي نتفق عليه لوضع المعاهدة بصورة نهائية، ولكنا نرجوكم أمرين.

الأول: تعجيل البت في المواد الثلاث.

والثاني: بيان الخطة بوضوح تام بدون غموض، هذا ما نرجو الإجابة عليه سريعا.

ونحب أن يتأكد الأخ أنه ليس لنا مقصد، أو مطمع فيما تحت يده ولا نبغي إلا السلم والعافية، وحسن الجوار، والصداقة بيننا وبينكم، بل الذي يجبرنا على الدفاع ليس لنا عنه محيد، وأسأل الله أن يوفقنا وإيَّاكم لما فيه الخير والصلاح للإسلام والمسلمين.

برقية جوابية من الإمام للملك عبدالعزيز

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٦هـ

وصلت برقيتكم، وسرنا وصولها وبحول الله لا يكون بيننا إلا ما يكبت الأعداء وهل تـرون حسن إرسال الوفد من لدينا إلى حضرتكم لإزالة سوء

التفاهم ورفع الاشتباه، وإيضاح الحقائق، وتقرير ما ينبغي وهل هذا كاف لحفظ السلام فأفيدونا برأيكم والسلام عليكم.

جواب الملك عبدالعزيز إلى الإمام

برقيا بتاريخ ٢٧/٧/١٣٥٢هـ

تلقينا برقية الأخ تاريخ ٢٧ـ٢٦/٧/٥٢ وشكرنا له إيضاحاته الثمينة وعلى الأخص بالأمر الذي يكبت الأعداء ويزيل سوء التفاهم، ونرجو من الله أن يمن علينا وعليكم بالهداية ويجعلنا وإيَّاكم ممن يطابق قوله عمله.

بعلم الأخ حفظه الله أننا لا نريد غير حسم المشكل، وإزالة سوء التفاهم وهذا إن شاء الله مبدأنا ومنتهانا.

أما اقتراح الأخ إرسال وفد إلينا فنحن نلبي كل طلب يراد به إظهار الحقيقة ويحصل منه راحة الإسلام والمسلمين.

ولكن الأخ يعلم أنه لنا عدة سنوات، ونحن نتبادل إرسال الرسل لحل المشاكل ولم تُغْن الوفود شيئًا، وتعلمون أن المسألة متعلقة بشخصكم وشخصنا ولا يمكن أن تُحلَّ عاجلا أو آجلا إلا بما نتفق عليه بيننا بأشخاصنا إن شاء الله، وتطويل الأمر ليس منه فائدة بل بالعكس، فإن التطويل يزيد في تعقيد الأمور، ويزيد في المشاكل، والذي نقترحه ونراه الأصلح، ولا نرى سبيلا لحل المشكل بدونه، هو البت في الثلاث المواد التي عرفناكم بها من قبل والتي أوجزناها في برقيتنا السابقة بصورة واضحة، إما نَفْي أو إثبات.

ولا يمكن أن تستقيم الأمور إلا بالله ثم بحزم المسألة وإيضاحها بصورة صريحة، وإن عدم الاتفاق عليها هو الذي يوجب على الأخ تلافي العاجل والآجل، فإذا وافق الأخ على ذلك وأعطانا عليه الجواب الذي نثق بالله ثم به، فتقديم الوفد منا أو منكم سهل لتسوية الأحوال في أي مكان.

برقية جوابية من الإمام

بتاريخ ٢ شعبان ١٣٥٢هـ

وصلت برقيتكم الكريمة، واعلموا عافاكم الله ما عندنا غير ما ذكرنا إليكم من الصداقة، وأنه لم يحدث منا ما يوجب الكلام فضلا عن تصادم الأقوام وإنَّا نعلم أن عندكم ما عندنا من محبة السلام، لولا ما يلقى إليكم من سماسرة أعداء الإسلام، من الكذب والافتراء والتشويش، وها نحن نسألكم بالله أن تصونوا ما بقي من الحشاشة العربية، وأن تتخذونا أخًا صادقًا ليس له غير ما يظهره ويؤكده من الصداقة، وكنا نظن أن سفر الوفد من لدنا سيوافقكم لاستشهاره بين الأمم، ولما سيكون منهم من رفع كل اشتباه، وتأكيد الصداقة والوداد، ومرحبًا سنوضح لكم أمر الثلاث المواد برقيًا كل مادة في برقية، ونسأل الله أن يجعلنا من المجابين فيه على كل حال، وعلى كل حال فلا تجدون منا غير حسن الإخاء والسلام.

جواب الملك البرقي

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٦هـ

تلقينا برقية الأخ في ٢ شعبان ١٣٥٢هـ وأحطنا علمًا بما ذكرتم من صداقتكم وأنــه لا يحدث من سيادتكم ما يوجب رفع الكلام فضلا عن تصادم الأقوام إلى آخر ما ذكرتموه من الألفاظ الثمينة التي نشكركم عليها.

ولقد سألتمونا بالله عن تدخل سماسرة أعداء الإسلام وتدخلهم معنا فنبرأ إلى الله من ذلك، ولا ولله الحمد ما أعلم في حياتي أنَّ للأجنبيِّ تأثيـرًا عليَّ في أيِّ أمْر كان أو يكون بيني وبين أحد من العرب، ولم يعــاونني أحد منهم، ولم يحرضني على ذلك منهم أحد، لأنهم يعلمون والحمد لله حقيقة ما عندي.

وكما سألتموني بالله أسألكم به سبحانه وتعالى أن تدققوا النظر في الأمــر، وتنهون الرأي فيما يصلح الله به حال المسلمين ويحقن الدماء

ونسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم متبعين ماقاله تعالى: ﴿**فإنْ تنازعْتُمْ في شَيء فردّوهُ إلى الله والرَّسول**﴾.

أما الحرب والسلم فمرجعه اليوم منكم وإليكم، ومطالبنا التي أخبرناكم بها والتي اجبتونا ببرقيتكم الأخيرة أنكم ستجيبون عليها لابد منها.

وليس لنا شيء من المقاصد غير الدفاع عن المطالب التي ذكرناها لكم ولا يمكننا السكوت عليها.

فإن كنتم تعلمون أننا اعتدينا على شيء من أرضكم، أو نكثنا لكم عَهْدًا، أو حاربنا لكم صدَيْقًا بينكم وبينه عَهْدٌ أخبرتمونا به والتزمنا لكم به، إذا كنتم تعلمون أنَّنا فعلنا شيئًا من ذلك مستعدون لكم بما يقضي برد العدوان والوفاء بالعهد، فإن كنتم تعلمون أننا لم نعمل أي عمل مُنَافٍ لما ذكرنا بيننا وبينكم فلا نطلب منكم غير الإنصاف والوفاء بالعهد، ومنع العـدوان على أي أمر لم يكن لكم منه مدخل من قبل ومن بعد، لهذا نسألكم بالله ثم بالإسلام ثم بدين محمد أن تنظروا في الأمر قبل حدوث مالا تُحْمد عقباه وينافي الشريعة والعقل.

برقية من الإمام يحيى إلى الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٥هـ

تابع لشفرتنا في ٥٢/٨/٢ وما أشرتم إليه من أجل نجران ويام تذكروا ما كانت به المراجعة بيننا وبينكم من قبل الحركة عليهم، وما أفدتم به علينا مكررًا ومع هذا فسندع الحكم لنا على حضرتكم وإلى فهامتكم أنتم أنفسكم، وليس لنا غرض هنالك يُغَيِّرنا معكم، لأن الأخ لا ينسى سعينا في إرجاع الهاربين من أهل المخلاف السليماني إلى بلادهم بعد فرارهم، حتى أمرنا من لم يرجع بعد تأمينكم أرجعناه جبرًا والسلام عليكم.

برقية جوابية من الملك للإمام يحيى
بتاريخ ١٣٥٢/٨/٨هـ

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٨/٥ التي يذكر فيها الأخ من جهة (نجران) و (يام) وأن المراجعة كانت بيننا وبينكم من قبل الحركة عليه، وإفادتنا لكم مكررة، وتطلبون الحكم منا علينا بأنفسنا، وأن ليس لحضرتكم غرض هناك بغيرنا وتُذكِّروننا بمسألة الهاربين من أهل المخلاف السليماني وإرجاعهم إلى آخر ما ذكرتموه.

أخي ما نحب التطويل في مثل هذه المراجعة، ولكن الظروف تحملنا على ذلك لأمرين.

أولا : الصراحة التي عودنا ربُنا إيَّاها مع جميع الخلق.

الثاني : مجانبة الهوى والاقتصار إلا على ماليس عنه محيص.

أما احتجاجكم علينا ببرقيتنا قبل الحركة فلم يخطر لنا على بال أن يكون بين الأخ وأخيه، أو الصديق وصديقه أمر غامض لهذا الحد.

كما أنه لم يخطر ببالنا أن يدخل فكركم أن تتصوروا بأخيكم الغباوة إلى هذا الحد.

ولقد حدث حينما وردتنا برقيتكم بشأنها وأن رآى أحد رجالنا أن وراء الأمر بعض المحاذير ولكن وثوقنا بالله ثم بكم وتباعد الأسباب التي توجب الأمر الغامض بيننا وبينكم أنكرنا ذلك، وأجبناكم بما عندنا جوابًا على سؤالكم أن ليس لنا مداخلة مع (يام) سوى أهل (نجران)، وأفَدْناكم بما يلزم تطْمينًا لخاطركم ولإيضاح أمرين:

الأول : أن (يام) ليس لنا تداخل فيهم، إلا في أهل (نجران).

الثاني: تعلمون مداخلتنا مع أهل نجران وأهله من قديم، ولم يكن شيئا حديثًا، وأنَّ ذلك لمصلحتنا ومصلحتكم، ولم يكن لنا غرض من الأغراض

الأخرى. وطلبتم ببرقية أخرى توضح لكم الأمر فبينا لكم أنه لا يمكن أن نخالف ما كان بيننا وبينكم بالسابق، مما قد كان تمَّ بين تركي ابن ماضي وابن دُلَيْم، وبين مندوبيكم في صنعاء مما ظَلَّ العمل عليه إلى التاريخ الأخير:

هذا هو الواقع ولا نعلم سببًا يقضي بنقض ما بيننا وبينكم، كما أننا لا نعرف السبب الذي حملكم على أن تفعلوا بأهل نجران مافعلتم.

فلما أرسل إلينا أهل نجران الكتب التي وصلتهم من حاشيتكم ظهر لنا أن الأمر قد تَغَيَّر، وأنَّ الخُطَّة قد تبدَّلتْ، ولكن رغبة منا بالسلم ومحبة للراحة عجلنا بإرسال مندوبين إليكم لحل المشكلة، وحصل على المندوبين ما حصل ولم ينظر في هذا الأمر معهم، فثبت عندنا أن هذه المشكلة العظيمة (كلام غير مفهوم في الأصل) والطريقة الثانية التي نرجو الله أن لا يقدرها.

ولما تفاقم الأمر، وتواردت إلينا الكتب المرسلة من حاشيتكم لأهل (نجران) تبين أنه لم يكن الغرض من ذلك الاعتداء عليهم، إلا لتقريبهم منا والتجائهم إلينا فكررنا الأمر عليكم، ودفعنا الأمور بصبر جديد، إلى أن يحل أوان هذه المراجعة.

أما التحكيم فلا ظَهَرَ لنا المقصود منه، فإن كنتم تأمروننا أن نحكم لكم فهذا شيء غريب، وإن كان هذا الفهم غلطًا، وأن الأمر على الحقيقة التي نظنها فيكم فإننا نشرح ما عندنا، وهو آخر ما عندنا في قضية (نجران) فإن قبل حصل به المطلوب، وإن رفض فليس وراء رفضه غير فرْحة الأعداء والنكاية بين المسلمين.

والذي نراه أن يكون (نجران) بحدوده، بلادا محايدة بيننا وبينكم لا نملكها ولا تملكونها، وأن لا نتدخل في شؤونهم الداخلية، ويظلون كما كانوا عليه في السابق من زمن آبائنا وأجدادنا وزماننا وزمانكم، وأن تكون المعاملة حسنة بيننا وبينهم ومنا ومنكم.

فإن حدث من أهل نجران علينا أو عليكم أمرٌ مخالف يوجب تأديبهم نتراجع نحن وأنتم، ندعوهم إلى السلم والعافية، فإن قبلوا فالحمد لله، وإن لم يقبلوا واقتضى تأديبهم فنشترك وإيَّاكم في القول والعمل حتى يَفيئوا للحسنى ويتركوا العمل الخبيث، هذا الذي يحفظ به الشرف وتحصل الراحة وتزول المشاكل، ويحفظ شرفنا وعارنا من جهتهم.

أما استشهادكم بأهل «المخلاف السليماني» وإرجاعكم إيّاهم. أخي عافاكم الله نبين للأخ بغير عَيْبٍ بيان الأخ لأخيه، ونقول ما أبعد هذا من هذا، فأهل المخلاف السليمانيٍ، لم ترجعوهم إلا بموجب العهد الذي بيننا وبينكم ويا ليت الوفاء بالعهد شمل من سواهم لتتم الراحة والسكون للجميع، وزيادة على ذلك فقد طلبتم منا عفوًا عاما فعفونا عنهم، وتركنا مايلزمنا شرعًا وعقلا من حقوق الحكومة التي نهبوها وأموال الرعايا مثل باصهي وغيره التي سرقوها تلك الأعمال التي تسخط الله وعبيده الصالحين فتحملنا ذلك كله من أجل حضرتكم، هذا الذي عند أخيكم بَيَّنَهُ لكم، فنرجو إمَّا قبول صريح وهو ظننا بالله ثم بكم، وإما نفي صريح، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأرجو أن تعجلوا بحسم المواد الثلاث لأن ليس من التأخير فائدة، وأن في تعجيلها دفعًا لمكايد الأعداء وراحة المسلمين عامة، ومنعًا للتشويش بين الرعايا ونسأل الله التوفيق.

برقية من الإمام يحيى إلى الملك عبدالعزيز
بتاريخ ١٣٥٢/٨/٩هـ

تابع لبرقيتنا ٩ شعبان سنة ١٣٥٢هـ بشأن الإدريسي تفضلوا وضحوا لنا ما هو غاية المراد منه، ولكم علينا الالتزام به، وعليكم عطف النظر إليه، فقد بلغوا من الحاجة إلى غاية السَّفَالة، ولهم عليكم حقوق ليس لهم علينا منها شيء، ولا تظنُّوا إلا خيرًا، فليس لنا من سياسة غير الصدق، ولا تخزوني في ضيفي، عافاكم الله، وفيما كتبنا لكم من البرقيات الكفاية، فكل ما فيها هو الذي لا نتزحزح عنه والسلام.

جواب الملك عبدالعزيز إلى الإمام

بتاريخ ١٢/٨/٥٢هـ

تلقينا برقيتكم المؤرخة ٩/٨/٥٢ بشأن مسألة الإدريسي فقد أوضحت أمرين. سألتمونا غاية مرادنا من الإدريسي وأنكم ملتزمون به، والثاني أنه له حق وأنه في غاية الضنك.

نبيِّن للأخ أنه ليس للإدريسي علينا أيُّ حق سابق، فعلنا الجميل معه، وقابلنا من الخيانة والغدر بالذي لا يخفاكم، وإن ما أجريناه معه من الجميل لم يكن إلا لأمرين.

الأول : مراعاة لخاطركم .
الثاني: محبة للسلم والعافية للجميع .

أما المراد من الإدريسي فهو نفي الأذى، ودفع الدسائس التي لا تخفى عليكم ظاهرًا وباطنًا، فإن كنتم تريدون الأمر الحاسم في مسألة الإدريسي فليس لها إلا أحد أمرين : إما أن يقدم علينا ونعطيهم أمان الله، ونتعهد لهم برد أملاكهم مع مساعدتنا لهم، وإما أن ترفعوه إلى صنعاء، فإذَا تَمَّ الاتفاق بيننا وبينكم على المواد الباقية فبحول الله وقوته ما نَدَعُ عليهم قاصِرًا فيما يصلح أمرهم والله يحفظكم .

برقية من الإمام للملك عبدالعزيز

بتاريخ ١٣/٨/١٣٥٢هـ

وصلت البرقيتان من الأخ العزيز بتاريخ ٥ و٨/٨/٥٢ والأهم المقدم أن يتفضل الأخ بمنع أجْناده عن تجاوز محطاتهم التي هم فيها، قبل أن يحدث ما يصعب علينا وعليكم تلافيه، ويخرج الأمر من أيدينا وأيديكم، بالدخول في ميدان الكفاح ودور امتشاق الصِّفَاح، ولكم علينا عهد الله وميثاقه أن لا يكون منا عدوان ولا تجاوز، وليعلم الأخ العزيز أنَّ الأمر عظيم فوق ما يتصور الخيال منا ومنكم.

ولا محذور من التأني، بل محذور من الاستعجال، فالأناةُ من الرحمن، والعجلة من الشيطان، وليعلم الأخ أنَّا لا نريد شيئًا من الشقاق بيننا وبينكم.

وأنَّ المكاتبات إلينا الآن من الحجاز وعسير وتهامة للاشتراك ضدكم، ولا نريد ذلك ولا نرضاه، ونشهد الله عليكم.

واعلموا أنَّ ثَمة من يتربص بالجميع الدوائر، ليبلغ من الطرفين مراده الخبيث، وتفضلوا أكِّدُوا على أمير جيزان ليترك التجاوز والتهديد لأهل المخلاف، فإنهم في غاية من الخوف، وهم على وشك النفور.

ولم نَرَ أحْسَنَ مما أشرنا به إليكم من بعثنا وفْدًا معتمدًا إلى حضرتكم العالية كما عرفناكم، ولنقطع آمال وكلام الأشرار، الذي لا اهتمام لهم إلا بالتحريض لإضرام النار، وأنَّ العوام يقولون: (ما على شر عجل) وصدقوا، وتفضلوا بالمراجعة مع ذوي الديانة والبصيرة من خيار أصحابكم، الذين لا غرض لهم ولا عوض.

ونحن محافظون على صداقتنا وأخُوَّتنا، ونشهد الله علينا، وعجلوا إفادتنا في هذا تَفضُّلا وإحسانًا، بما ترونه، وتفضلوا باعتبار هذا الكتاب من أخ نصوح صدوق، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى ما به عز الإسلام والمسلمين وأن يأخذ بنواصينا إلى ما يحبه ويرضاه، ونستعين به ونستخيره، من الدخول في حرب مظلمة الأنحاء،منقطعة الرجاء، إنما جعل بعض هذا مفتوحًا لما يكون في التَّشفير من الغلط العظيم المخل بالمعنى ودمتم وشريف السلام عليكم.

برقية من الملك عبدالعزيز إلى الإمام يحيى

بتاريخ ١٥/٨/١٣٥٢هـ

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/٨/١٣ التي تشير فيها إلى برقيتنا ٥ و٥٢/٨/٨ وقد رأينا أنكم أهملتم الجواب الحاسم على الأمور الثلاثة

التي هي مثار النزاع، وبالأخص تصفية الحدود، التي لم نَحْظَ منكم على جواب بشأنها، مع المراجعة فيما مضى عليها مدة طويلة، وأنَّ ما أشار إليه الأخ في طلب منع رؤساء الأجناد من تجاوز محطاتهم فإن رؤساء أجنادنا لم يتعدوا شيئًا مما ذكر، ولم يتجاوزوا محطاتهم البعيدة حتى عن أطراف حدودنا.

وأما الأقوال والأكاذيب فهي ترد لنا من أقوال بعض عمالكم، كما ترد إليكم وأمـا ما أشرتم إليه من تطور الحالة ووصفكم لخطورتها فلاشك عندنا في خطورتها.

ونحن لَمْ نُلِح عليكم من أشهر إلا لاعتقادنا بما ينتج عن التطويل من الأضرار العاجلة والآجلة.

إنَّ حسم الأمور، ودفع الشر هو بيد الله ثم بيد الأخ لا بيدنا، وقد أوضحنا لكم مطالبنا بصراحة لا مزيد عليها، وعملنا للسلم عدة سنوات، وبعثنا الوفد وصبرنا كثيرًا، ولم نَرَ من الأخ أمرًا حسَّاسًا يحسم الشر، وكنا نرجو أن يصلنا الجواب الحاسم بعد مافصلناه لكم من الرجاء، ولكننا لا نزال كما بدأنا، نحن لا نكره مجيء الوفد ولكنا أخبرناكم أنَّ الوفد عجز عن حل المشكل بيننا وبينكم، وما هناك أمور يتكلم فيها الوفد.

هنا ثلاث مواد عرضناها على سيادتكم مِرارا ونكررها الآن هي تحديد الحدود بيننا وبينكم بصورة قطعية، وتكتب بعهد مَكْتُوب، نجران تنازلنا في أمره وقلنا يكون قطعة محايدة بيننا وبينكم، كما أشرنا في برقيتنا المؤرخة ٨ شعبان ١٣٥٢، (٣) طلبنا إعادة الأدارسة طبق المعاهدة التي بيننا وبينكم وأفدناكم إن كان ذلك صعبًا فتكون إقامتهم في صنعاء تساهلا منا ومحبة في الراحة، فهذه المطالب الثلاثة لا نريد غيرها.

والسلم والحرب متوقف على كلمة تقولونها، إمَّا: (نَعَمْ) وإمَّا: (لا).

وهذا يوضح الموقف ويحل المشكل، وأما ما أشار إليه الأخ من كثرة المكاتبة التي وردت من عسير وتهامة والحجاز، فإن مثل هذه المكاتبات

لا نعيرها اهتمامًا، لأنَّ لدينا مثل ذلك الكثير من سائر أنحاء بلادكم، وإننا متكلون على الله مَنْ وفَى معنا، وفِيْنَا معه، ومن غَدَرَ بنا فالله هو الذي عودنا الجميل بنصره على كل من غدر.

وأما ما ذكرتم بشأن من يتربصون بنا وبكم الدوائر، فقد سبق أن حذرناكم منهم لذلك سعينا كثيرًا لحلِّ المشكل، ونحن الآن نطلب من الأخ جوابه الصريح في حلِّ هذا الإشكال، ولقد استغربنا كثيرًا لغموض جواب الأخ في البت أمام هذه الحالة الواضحة، والمبينة الخطورة ونخشى بل يترجح لنا أن تكون الخطة التي يسير عليها الأخ طبقًا لما ذكره بعض رجالكم، أمثال العرشي والعمري وغيرهم إذْ ذكروا أنه من خطة سيادتكم المطاولة معنا حتى إذا رأيتمونا اشتددنا في الأمور وحشدنا قواتنا إلى الحدود للدفاع عن كيان بلادنا تساهلتم في الأمر، ولِنْتُمْ في القول حتى تفتر همة جنودنا ونعيدهم، وحينئذ تجدون الفرصة سانحة لكم لتقوموا وتأخذوا ما تريدون.

وأني أحب أن أعيذَ الأخ بالله من مثل هذا الظن الذي إن كنتم تحبون السير عليه والأخْذَ به، فليس من وراء ذلك غير تعقيد الأمور، ووقوع المحذور، وشماتة الأعداء بنا وبكم.

وأما ما ذكرتم وهو من قبل لزوم مشاورتنا أهل الديانة وذوي العقول نفيدكم أن جميع رعايانا وأهل أطرافنا لا يحبون الفتن ولا يوقظونها، وإنما يحبون السلم والراحة، ولكن في حالة الذَّبِّ عن الشرف لا يؤخرون أنفسهم وأموالهم دقيقة واحدة، ولا يقبلون عن ذلك بديلا.

نسأل الله أن يوفقنا وإيَّاكم لما فيه الصلاح، ونستجير به من الدخول بغضبه والحقيقة أنه كما قال صلى الله عليه وسلم: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»

فيا أخي الحرب واستحكامه، والسلم واستقراره، هو كما أخبرناكم بيد الله ثم بيدكم، ونشهد الله وجميع خلقه أنَّنا لا نحب الحرب، ولا الفتنة، وأننا مدافعون عن بلادنا، وما تحملناه في أعناقنا من حوزة المسلمين.

برقية من الإمام إلى الملك
بتاريخ ١٩/٨/١٣٥٢هـ

تلقينا برقية الأخ العزيز المؤرخة ١١ـ٨ـ٥٢ و (نَعَمْ) لا نريد إلا حسم الأمر بيننا وبين حضرتكم، بأحسن الوجوه وأجملها، من دون تحكم من الطرفين، ولا بأس بما رأيتموه في مسألة الأدارسة من انتقالهم إلى صنعاء غير أن أهل تهامة يتعبهم بَرْدُ الجبال، وبَرْدُ صنعاء شديد جدًا، فإن ناسب لحضرتكم انتقالهم إلى زبيد، فالمسافة إلى صنعاء وزبيد متقاربة، سيكون الأمر منًّا عليهم، وعدم التدقيق وعدم نسبته لشيء؟

والمرجو منكم حسن النظر فيما يجبر حالهم، ويقوم بهم، ومنع التعرض على أملاكهم ومن يقوم بها، ففي ذلك فضل ورعاية، وحسن سمعة ومودة للعموم، ولا تلتفتوا إلى كلام من يقول: إن لنا غرض يخالف ما نكتبه لحضرتكم والسلام عليكم.

جواب الملك إلى الإمام
بتاريخ ٢٠/٨/١٣٥٢هـ

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٩/٨/٥٢ باحترام، وأجمل ما رأيناه فيها منذ كانت المراجعة بيننا وبينكم الكلمة العزيزة التي تقولون فيها: أنكم لا تريدون إلا حسم الأمور بيننا وبينكم بأحسن الوجوه، وهذا الذي نؤمله فيكم في السابق واللاحق.

ذكرتم أنكم توافقون على انتقال الأدارسة إلى صنعاء، ولكن نظرًا لحالة البرد ترجحون انتقالهم إلى زَبِيد، وتحثوننا على العطف عليهم.

أخي عافاكم الله: إنَّ إلحاحنا عليكم بشأن الأدارسة ليس اهتمامًا ولا مخافة منهم إن شاء الله، وإنَّما القصد إبعاد سُوءْ التفاهم بيننا وبينكم، وإنَّنا نوافق على انتقالهم لـ (زبيد) وثقتنا بالله ثم بكم سواء بشأنهم أو

بشأن غيرهم وثيقة قوية ولا نقصر عنهم، ولكن أخي كما قيل: (بالْفَخُ أكْبَر مِنِ الْعُصْفُور).

هناك المادَّتان اللتان راجعناكم بها، أهم ما يكون، وهما اللتان تنحسم المواد بحسمها، وهما في الضرورة مادة ومعنى، ولا حاجة لأن نشرح لحضرتكم أكثر مما سبق وشرحنا، أنَّ بِحَسْمِهما يرجا إن شاء الله الصلاح في العاجل والآجل وفي تأخير حسمهما الذي نحاذر وتحاذرون.

أخي : سبق أن أشرت لكم ببعض ما يجول بصدري، أؤكد ذلك لكم الآن ـ إعْلَمْ والله الذي لا رب سواه أنني أحبُّ أن أفدي بالمال وبعض العيال لكي لا يكون بيننا وبينكم أي سوء تفاهم بالكلام فضلا عن التعرض للحسام، وأنني لا أريد زيادة في الملك، و لا تَطَوُّرٌ في شيء من الأحوال، الأمر الذي يجب لنا عليه هو حماية الدين والأمانة التي في رقابنا، ولا يمكننا التأخر عن ذلك ما دمنا نجد إلى ذلك سبيلا، فأرجوكم ثم أرجوكم النظر في إتمام حسم المادتين لأنَّ الجرح معهما كبير فإن بُوْشِر بالدواء يرجى له السلامة، وإن كبر الجرح وأهْمِل دواؤهُ كان منه الفساد الكبير، الذي يؤدي إلى الهلاك، وأحب أن أقول أن الحالة تحتوى على ثلاثة أمور:

أولا : التقارب بيننا وبينكم.
والثاني: نظرا لحالة الإسلام والعرب وموقفهم في الحال الحاضر.
والثالث: وهو أكبر كل ذلك: المحاذير من أن يجري الماء في غير مجراه مما نخافه ونحذره.

وأنتم أعلم به منا فهذا الذي في ضمير أخيكم، الذي يشهد الله عليه فإذا وفقتم في نظريتكم البعيدة، وتأكدتم نتائج الأمور تفادون في ذلك أعظم مما نتفادى واعلموا هداكم الله التي قالها الشاعر العربي:

تُهْدِى الأمُوْرُ بِأهْلِ الرَّأي مَا صَلُحَتْ

فأرجوكم السرعة في الجواب على المادتين والله يحفظكم.

برقية جوابية من الإمام للملك
بتاريخ ٢٢/٨/١٣٥٢هـ

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ١٥/١٨/٥٢ في يوم الخميس ٢٠ منه والله يعلم أنَّا نكره الشقاق بيننا وبينكم إلى النهاية، وأنتم غلب عليكم سوء الظن، فلم تحملونا على سلامة، ولم يخطر لنا على بال ما ذكرتم من إرادتنا المطاولة لقصد تفتر همة جنودكم، ولا نظنُّ العمري، وعامل ميدي يقولان، القول من المفترين، مازالوا يسعون بكل صورة لبث الضغائن، ووجدوا من حضرتكم أذُنًا سامعة، نعم حيث لم يرق لديكم بعثنا وفدًا، فلا بأس إن شاء الله وقد انحلت عقدة الأدارسة بما تفضلتم به من الإفادة بشأنهم، وما أجبنا به عليكم فتفضلوا وأوضحوا لنا كيف يكون تحديد الحدود؟ بيننا وبينكم إيضاحًا شافيًا، وهل يكفي عن تلك المعاهدة بكل صداقة وأخوة بصورة جَليَّةٍ من غدر وخيانة وتشويش، فتفضلوا بتعجيل الجواب في هذا الشأن لنوضح أمر بلاد (يام).

وإنه يسرنا مضيُّ الأسبوع في سلام، ونخاف انْقداحَ نار الشقاق وقد عجل هذا الدفع ما تتهمونا به من إرادة المطاولة والسلام عليكم.

برقية جوابية من الملك إلى الإمام يحيى
بتاريخ ٢٣/٨/١٣٥٢هـ

تلقينـا برقيـة الأخ المؤرخة ٢٢/٨/٥٢ بتاريخ ٢٣ منه وقد ذكرتم كرهكم للشقاق معنا، والله المطلع بما في الصدور، والله يعلم أنَّ كرهنا للخلاف معكم أعـظم وأشـد، وأصَرِّحُ لكم بوضوح أنه إن كان قصدنا الشقاق والاختلاف معكم فاسأل الله أن يَخْذِل من كان قصده ذلك، وإنه يعلم الله أن أحبَ ما نسعى إليه هو السلم والراحة مع سائر الخلق، وعلى الأخص مع حضرتكم فأسـأل الله من كان قصده ذلك أن يُمِدَّهُ بالعز والتأييد ويديم له الراحة والأمان.

وما أشرتم إليه من حملنا إيَّاكم على غير حسن الظن ، وإننا نتلقَّى أقوال المفترين، وأشرتم إلى ما رويناه لكم عن أقوال العرشي والعمري، أما ما ذكرناه عن المذكورين فما شهدنا إلا بما سمعنا، وأما أهل الشر فلا شك أنهم يكثرون أمام الشقاق، ونرجو من الله أن يكبت من كان فيه شر للإسلام والمسلمين.

أما مسألة الأدارسة فكما جرت المراجعة بشأنهم سهل انتهاؤها متى انتهت الأمور الأخرى، كما ذكرنا للأخ من قبل.

أمـا سؤالكم عن كيفيـة تحـديد الحدود، فإنَّ كيفية تحديد الحدود معروفة واضحة لا إبهام فيها، فالحدود تعين بيننا وبينكم على الأساس الذي كان بين منـدوبكم ومنـدوبنا في صنعاء في جمادى الثاني عام ١٣٤٦هـ أيام كان وفدنا مؤلفًا من ابن ماضي ومحمد بن دليم، ثم مالحق بذلك من تعـديل أيام حكمنا في قضية (الْعُرِّ) فتعين هذه النقطة بين البلدين بعهد صداقة وإخاء مكتوب بيننا وبين الأخ.

فهذه هي الطريقة الحاسمة في مسألة الحدود، كما وأنَّ أمَلَنَا وطيد متى نفذ ذلك أن يكون بيننا وبين الأخ أقْوى عُرَى الصداقة والإخاء، هذا وأرجو من الأخ أن يعجل الجواب بهذا الصدد، وفي المادة الثالثة والله يحفظكم.

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٦هـ

تلقينـا برقيـة الأخ العزيز المؤرخة ١٩ـ٨ـ٥٢ وشكرنا لحضرتكم ما أبداه من الفرار من إضرام النار، وهو المؤمل من حضرتكم رَأفَةً بحال المسلمين ولم يكن بيننا وبين حضرتكم غير الجميل، ومحبة السلام من الطرفين، لولا ذو الأغراض القبيحة، وإنَّ غالب الظن أن هذا الأمر ينتهي بالسلام وتأكيد الصداقة برغم أنوف المحرشين.

وقد طلبنا من حضرتكم إيضاح المراد في مسألة الحدود، ليكون درس ذلك ولا يخفى أنه كان استعجال الأخ لحشد الجنود، وخوفنا من دسائس (المكـارمـة) الإسمـاعيلية، وأتباعهم، ومرُوَجِّي أفكارهم، ولكن في حلم حضرتكم وإنصافه ما يكفل كل نجاح والسلام عليك.

برقية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ٢٩/٨/١٣٥٢هـ

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٦ـ٨ـ٥٢ في ٢٩ منه وأحطنا علمًا بما ذكره من أمله بحسم الأمور بالسلم، وأملنا إن شاء الله كبير فيما أمَّلَهُ الأخ، ونرجو أن يكبت الله الأعداء، وينصر دينه ويُعْلِي كلمته.

أما مسألة الحدود، ومسألة (نجران) فقد عرفناكم بشأنها بوضوح لا مَزِيْدَ عليه، ولذلك نرجوكم التعجيل في الجواب، وإقراره بما يحفظ السلم ويؤمن الراحة.

أمـا من قبل تحشيد جنودنا فقد أوضحنا لكم أنه لا قصد لنا بأيِّ مشاغبة أو فساد، ولم يكن ذلك إلا لما أوضحناه لكم في السابق، فتكونوا على يقين من الأمر كما عرفناكم بالسابق أنَّ الحرب والسلم بيد الله ثم بيـدكم، لأنه ليس لدينا مطالب تطلبونها منا حتى نجيبكم عليها، وإنما المطلوب من حضرتكم فنرجوكم الإجابة على ما تقدم لتحسم المواد ويُكْبَتَ الأعداءُ، وإنَّ كل تأخير في حسم الأمر لا ينتج إلا الفساد على الجميع ونخشى من عواقبه.

أما ما ذكرتموه من استماعنا لأقوال الناس فهذا ليس من عادتنا، وإنما أعمالنا مركبة من أمرين:

١ ـ السعي للسلم بكل ممكن مع الناس عامة ومعكم خاصة.

٢ ـ المحافظة على الذمة والشرف لا غير.

والذي نكـرره على حضـرتكم العـزيـزة هو الإسراعِ بحسم المواد،

والاستعجال فيها لأنه لا سمح الله إن حصل أدْنَى شيء ففي الزوايا خبـايا، ما نحب أن تظهر ونحب السلم على الدوام، وأن تكون المحبة مستـديمـة، والأمر في الحل والعقد كما عرفناكم أعلاه، وإثارة الأمور وتسكينها بيد الله ثم بيدكم والسلام.

برقية من الإمام يحيى إلى الملك عبدالعزيز

بتاريخ ١ رمضان سنة ٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٢٣ شعبان ١٣٥٢هـ وتأكد لدينا أنه لا شقاق ولا عداوة بيننـا وبين حضـرتكم، فمَحىَ الله المحـرشين أعداء السلم والعرب والمسلمين فما هو لديكم هو لدينا بكل معناه.

عُقْدَةُ الأدارسة كما ذكرتم، وعُقْدَةُ الحدود مُنْحَلَّة إن شاء الله بما هو غايـة المـطلوب منا ومنكم، وذلك بربط معاهدة حُبِّيَّة سلْمِيَّة دينية لمدة عشرين سنة، يثبت فيها كل من الطرفين على ما بيده فعلا من البلاد، ولنلقى الله قبل انتهاء هذه المدة وبهذا انحلت العقدة الثانية على وفق المراد في الحدود وغيرها.

على أن التَّوَادَّ والصداقة حاصلان من قبلُ، ولولا الغاشون.. أخذهم الله وانتصف منهم لما سمع أحدٌ من ذلك شيئًا في غير الصداقة.

برقية من الملك للإمام

بتاريخ ٢ رمضان

تلقينا برقية الأخ في سلخ شعبان ٥٢ مساء اليوم الثاني من رمضان ٥٢ وقد أحطت علمًا بما تفضلتم من أن لا شقاق ولا عداوة بيننا، وأنَّ القصد هو الائتلاف والمحبة، وترك ما يفرح الأعداء، ويحقق آمالهم، وإنَّا نشكر الأخ على بيانه الذي هو عين مالدينا، ومقصدنا وغايتنا، وهو الذي ندين الله به:

ذكـرتم أنــه قد انحـل من المطلوب عقدتان الأولى مسألة الأدارسة والثانية مسائل الحدود، التي اقترحتم فيها عقد معاهدة حُبِّيَّة سلمية دينية لمدة عشرين سنة تثبت فيها الحدود، ويكون لكل من الطرفين فيها البلاد التي تحت يده، ورجوتم أن تلقون الله قبل هذه المدة، ولا يكون بيننا أدنى خلاف.

إنا نشكر الأخ على اقتراحه هذا، وإنَّا نقبل ونؤيد اقتراحه، ونقبل أن تثبت الحدود بين الطرفين، ويكون لكل فريق ما تحت يده من البلاد، وأن تعقد بيننا وبينكم معاهدة صداقة كما ذكرتم سلمية دينية لمدة عشرين سنة، هذا هو مرادنا، والذي نحبه عاجلا وآجلا، وبهذا تكون العقدتان قد انحلَّتَا إن شاء الله تعالى، بمساعدة حضرتكم ونيتكم الصالحة، وبفضل الله ثم برجـائنـا سبحـانـه وتعالى أن تُحَلَّ العقدة الثالثة بأحسن من العُقْـدَتَيْن، وكذلك نرجو من الأخ التعجيل بِحَلِّ المسألة الثالثة، ليمكن تعيين المندوبين لوضع صيغة الاتفاق النهائَي الذي يفرح به كل مؤمن محب للإسلام والعرب.

* * *

تصعيد الأحداث والتعدي على بني مالك
وإبراق الملك للإمام يحيى

برقية الملك عبدالعزيز إلى الإمام

بتاريخ ٢٩/٨/١٣٥٢هـ

أخي بلغنا اليوم خبر يكدر الخاطر، وهو أنَّ فرقة من (بني مالك) وهم آل خالد وآل مسلمــة تخلفـوا مع جمـاعتهم، وأنهم وصلوا إلى بعض موظفيكم، وقدموا لهم رهائن واتفقوا معهم، وأمدوهم ببعض الذخيرة، وقد أوجب هذا انزعاجنا، لأننا لم نَفْتَحَ بابًا لأحَدٍ بذلك، والآن آخرُ الأعذار انتهت، وإنه كلما طال الزمان يَتَوَلَّدُ مثل ذلك وأزود، فإن كان المقصود هو التطويل وتحريك الفساد فهو الذي نخشاه، ونرجو من الله الإعانة، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن كان الأمر على ما وضحتموه لنا، كما هو أملنا بالله ثم بكم فنرجو إنفاذ أمرين:

الأول : تعريفنا بمسألة الحدود والمعاهدة عليها التي هي رأس كل شيء لحسم المواد.

الثـاني: أن تمنعـوا مأمـوريكم عن التـدخل، وتسليم كل مفسد حسب المعاهدة بيننا وبينكم.

فإن كنتم تَدَّعُوْنَ أن الأمر غير صحيح، فنرجو أن تعطونا عهد الله وميثاقه وبالشرف الإسلامي العربي، أنَّ هذا لم يكن ولا تدخلتم فيه، وأن تسرعوا بحسم المادتين اللتين هما مثار الخلاف، (الحدود) و (نجران).

لأنه لا فائدة من تأخيرها، وذلك حرصًا على السلم والعافية، ومخافة من وقوع ما نخشاه نحن وأنتم، فنرجو سرعة الإجابة الصريحة والله يحفظكم.

برقية جوابية من الإمام يحيى للملك

في ٥ رمضان ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٩/٨/٥٢ يوم الثلاثاء ٢/٩/٥٢ من شأن (بني مالك) نَعَمْ، بلغ إلينا ذلك، والحقيقة لا أهمية له، فحكمهم حكم أهل (المخلاف) غاية الأمر التعويل على حضرتكم لتأمينهم وتسكين روعتهم، وتقرير أمورهم، فالخوف معهم من مَعَرَّة الجيوش، وكان سبق إلى حضرتكم أنْ تتفضلوا بالتأكيد إلى أمير جيزان، لما به رفع فزع أهل البلاد، وترك تخويفهم وتهديدهم، ومع إمكان المراد باللِّيْن لا معنى للتخشين، فتفضلوا بالأمـر بصـونهم، ولا يكنْ لكم فكرة منهم، فليس لنا غرض، ولعل وجه المسـاعـدة لهم من بعض أصحـابنـا، لما يرونه ويسمعونه من بعض أصحابكم من التصميم على العدوان والحرب، وعلى الجملة فلا يدخل بالكم ذلك، وقد بلغ إلينا ولا نبرأ من صحتها وعدمها.

إن كان زحف طائفة من جندكم إلى (نجران) واعتداؤهم على أصحابنا بضرب المدافع نرجو أن لا يكون لذلك صحة، والحاصل أنه لا إرادة لنا ولا غرض لأي شقاق بيننا وبين حضرتكم، ولا تغيير حال.

هذه البلاد على ماهي عليه يكون معلومًا، بل وترون تصل إلينا كتب ممن يريدون إضرام النار، ولم نجب عليها بنفي ولا إثبات والسلام.

برقية من الملك إلى الإمام
بتاريخ ٨ رمضان سنة ٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥ / ٩ / ٥٢ في مساء الثامن منه، وأحطنا علماً بما جاء فيها، ونسأل الله أنْ يَمُنَّ علينا وعليكم بالهدى والتوفيق، ويقينا وإياكم شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

أخي : أُحُبّ أن أتكلم معكم كلام مسلم عربي، لا يحب الشقاق، ونبرأ إلى الله من الكذب والبهتان.

يتلخص ما جاء في برقية الأخ بأمور ثلاثة:

١ ـ مسألة المخلاف.
٢ ـ مساعدة بعض أصحابكم لـ «بني مالك».
٣ ـ مسألة «نجران».

أما مسألة «المخلاف» فكان علينا ألا نَرُدَّ عليكم بها، لأنها مسألة داخلية، لا دخل لنا بداخليتكم، كما أنه لا دخل لكم بداخليتنا ورعايانا ولكن نظرا لأنه سبق منا أن عرفنا الأخ تعريف أخ لأخيه من جهتكم نحب توضيح الواقع لكم.

أما أهل «المخلاف» فَحَاشى أن يكونوا قد جزعوا من الجنود المرسلة إليهم، أو تِحدث في قلوبهم خوفاً، بل إنها إن شاء الله تؤمن خوفهم، وأقسم لكم بالله أني ما أتكلم معكم إلا كلامًا صحيحًا، إن أهل «المخلاف»

جميعهم أحرص منا على المسألة إذا استثنينا الذين وصلوا إلى طرفكم، وطرف الإدريسي هذه الأيام، وما عدا الأشقياء من (آل خالد) من (بني مالك) الذين صار تحريكهم بسبب أصحاب حضرتكم كما ذكرتم.

وجميع أهل المخلاف لما سمعوا بالحركة اجتمعوا إلى أميرنا، وطلبوا العهد والميثاق أنَّ النفس بالنفس والدم بالدم، ورجوه أن يعمل معهم عملين:

الأول: أخذ رهائن منهم، وذلك لم يكن من عادتنا، وإنما نزولا على طلبهم قبل منهم رهائنهم.

الثاني: طلبوا نزول جند من قواتنا لمساعدتهم في الداخل والخارج. هذه هي الحقيقة لا مِرْية فيها.

أما المسألة الثانية: وهي مسألة (آل خالد) ومساعدة أصحابكم لهم فهذه مسألة آسفتنا كثيراً وأحزنتنا إلى آخر درجة لأمرين:

١ ـ أنا ما ظننا يصير أي سبب لأحد من عمالكم في ذلك، نظرا لما تكرر منكم إلينا من المواثيق والعهود، أما العذر عنهم بما وصلهم من الأراجيف فكان ينبغي ألا يكون، لأنه سبق أن عرفناكم بأراجيف كثيرة بلغتنا من جهتكم على جهتنا، فطمنتونا وقنعنا بأن لا صحة لها، فكان الواجب على الأخ وعماله أن يتركوا الأقوال ويتثبتوا، وأن يثقوا بالله ثم بنا، كما وثقنا بالله ثم بكم.

والثاني: أن الأخ يحرضنا على مراعاة أهل (المخلاف) وعدم الحركة عليهم.

أخي: هذه نصيحة مقبولة، ولكنها كان يجب أن تكون من قبلكم لأصحابكم لأنهم أولى وأحرى إذ كانوا هم الذين حركوا الفتنة على الرعية، والحقيقة أن هذه مسألة وخيمة وليس لها عندنا حل إلا أمرين.

الأول: وثوقنا بالله ثم بكم، واعتمادنا عليه، ثم على الصدق بأننا ما

عملنا ولا نعمل شيئا ضدكم، يخفى عليكم، ويظهره الله اليوم أو بعده إن شاء الله.

الثاني: مخاصمتها وحلها عند الله ثم عندكم.

وأما مسألة الرعايا وتطمينهم فهذا حق واجب، وليس عندنا لهم إلا حكم الشريعة وما أنزل به القرآن، الأولى قوله تعالى: ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله** ﴾... الآية.

والثانية: ما قصه الله تعالى عن ذي القرنين، وهذا الذي نعمل به مع جميع رعايانا وليس عندنا من الحكم إلا ما أنزل به القرآن، وما جاءت به سنة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أحسن كافأناه، ومن أساء فجرمه على نفسه، يبذل له النصح باللسان فإن أبى فليس له إلا السنان.

وأما مسألة ما حدث في (نجران) فأقسم لكم بالله الذي لا رب سواه أننا ما رضينا ولا علمنا ولا أمرنا، وأن جميع أمرائنا وقوادنا نؤكد عليهم ليلا ونهارًا بمنع العدوان بالكلام فضلا عن غيره.

وأن المسألة هي علينا أكبر مما هي عليكم لأمرين:

الأول: يأبى الله أن نعطي كلاماً ونخالفه بالفعل.

والثاني: حبنا في الراحة والسَّلام.

والحادثة وقعت كما عرفناكم، ولكن الابن فيصل وفقه الله عمل اللازم ووبخ الفاعلين وعاقبهم، وعزل الأمير، وأمر بحبسه.

وثقوا بالله الذي لا رب سواه أنه لا يأتيكم منا لا قليل ولا كثير يعلمه الله ويخفى عليكم، من غدر، ولا من مكر، والله على ما نقول وكيل.

أخي: إنَّ إلحاحنا عليكم للتعجيل في حسم المواد هو مخافة مما وقع لأن الاختلاف يقع الشر فيه من أحد شخصين، إما صاحب غرض ويحب الفتنة، أو من جاهل يريد الإصلاح فيعمل الفساد، فثقوا بالله من جهتنا، واحرصوا على سرعة حسم المواد لعل الله يدفع الشر بين المسلمين.

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٦ / ٩ / ٥٢

قد بلغنا ما كان، ونعوذ بالله من الْحَوْرِ بعد الْكَوْرِ، فهل بقي شيء من التأمل من الجهتين، حتى تنتهي المراجعات إن شاء الله، فلا ينبغي من أحد منا أن يتغافل عما يكون من أتباعه في الجانب الآخر.

فقد سبق لكم ما سبق مراراً متعددة، وأنه لا إرادة لنا في الشقاق ولا فيما يخالف الصداقة بيننا وبين الأخ العزيز، ولا نخرج عن هذه الطريقة إلا مكرهين، والله يجعل هذا الشهر قادمًا علينا وعليكم بكل خير وأن يجعلنا ممن أدرك شهر رمضان فغفر له.

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٩ / ٩ / ٥٢

تلقينا برقية الأخ المفيدة قبول ما أبرقناه إليكم في ربط المعاهدة عشرين سنة وفي الحدود، وفي الحقيقة فيما أبرقناه الوفاء بالغرض، وسيبقى الكلام في مسألة (نجران) والخشية معنا من انخداعكم للمكارمة، الذين أفدتم إلينا سابقاً، أنه لا رابطة بينكم وبينهم لا دينية ولا دنيوية، وقد كان حدث تحركات في (نجران) فنرجو منكم منعكم الحركات إلى انتهاء المخابرة الودية كما أسلفنا إلى حضرتكم بتاريخ ٦ رمضان ١٣٥٢ والسلام.

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١١ رمضان ١٣٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٩ رمضان ١٣٥٢ مساء ١١ منه ذكرتم تحديد الحدود، ونحن عرفناكم بقبول ما ذكرناه للأخ جواباً على برقيته،

أما مسألة (نجران) فقد عرفنا سيادتكم ببرقيتين بتاريخ ٨ منه، والذي نؤكد لكم أن كل إنسان يعمل أي حادث يسبب مشكلا بيننا وبينكم سنقاومه أعظم مما تقاومونه أنتم، لأنه لا يقدم على مثل ذلك إلا منافق يحب الشر بين الإسلام والمسلمين، ونراه من الأعداء.

أما مسألة (نجران) و (المكارمة) فقد أبدينا لكم ما يلزم، كونوا على ثقة أن أنظارنا لا تريد الأشخاص، والقبائل أو الولايات، وإنما أنظارنا مقتصرة على ما فيه المصلحة العامة وكف النزاع، ومنع الشقاق في العاجل والآجل.

هذه غايتنا ونجزم ونتيقن إن شاء الله انها غايتكم أيضاً، لذلك نرجوكم حسم المواد حتى يحصل المطلوب من الراحة والسكون، وستجدوني إن شاء الله وفيًّا معكم وسنحمد إن شاء الله وإيَّاكم عُقْبى السلام والأمان والراحة لا عدمنا بقاءكم.

برقية من الإمام إلى الملك
بتاريخ ١٥ رمضان

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٥٢ وقد سبق إلى حضرتكم برقية مؤرخة ١٣ منه والمرجو من الأخ أن تكون الإفادة كما يليق بعالي قدره، وبما يحسن للإخوة والصداقة، وصالح الإسلام والمسلمين. وإرغام الأعداء والكافرين.

وليعلم الأخ أنه لا محذور قطعا من قبضنا لزمام يام، والاستيلاء عليهم بل في ذلك مصلحة عامة وخاصة.

ومن المحال أن يحصل منا أدنى عدوان، وخصوصا بعد المعاهدة الأخوية وأي محاورة قد حصلت في الحدود المتصلة بيننا وبين حضرتكم في هذه المدة الماضية فكيف يحصل بعد الآن في الحدود.

وعلى الجملة فالتعويل على حضرتكم وكريم خلقكم في الإفادة التي نتمناها ولا ضرر منها، ولا نفع في غيرها، ولا مصلحة في غير ما نؤمله ونرجوه لا دينية ولا دنيوية ولا سياسية.

ثم اعلموا عافاكم الله أنا لا نحول عن الصداقة، والمحافظة على الإخوة ما دمنا على الحياة، كما وعدنا حضرتكم مكررًا، ولا رحم الله من شوش أفكاركم وسعى لتغيير إفادتكم السابقة إلينا، ولا بُد من المستأجرين، ومع كريم خلقكم، وطرحكم أقوال المستأجرين يحصل كل مراد، وتنتهي المحاورات في ظرف أربعة أيام والسلام.

برقية من الملك لأمير جيزان
بتاريخ ١٧ / ٩ / ٥٢

علمنا برقيتكم وكل عدو إن شاء الله معثور، ولا يتأسف غير فاعل السوء ولابد اطلعت على برقيتنا لـ (يحيى) وأنت خُذْ بالحزم والعزم، ولا تفتر همتك، فليس عليك والله قاصر.

الجند الذي عندك من (نجد) و (عسير) كثير ولله الحمد، والجند متواصل من (الرياض) إلى فيصل أوله عند (فيصل) والثاني في (بيشة) والثالث يمشي من (الرياض).

وتعرف أن الأمور كلها بالله ثم بالحزم والعزم والهمة القوية، وأنتم أجمعوا جماعكم على الحدود واضبطوا أنفسكم عن التعدي، إلا أن هاجمكم أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله، لا تهاجموا أحدًا حتى يبدأكم بالهجوم وأبشروا بأن الله خاذل إن شاء الله كل عدو.

برقية جوابية من الملك إلى الإمام
بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٥٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٥ / ٩ / ٥٢ بعد أن تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣ و ١٥ منه الملحقة ببرقيتكم الأخيرة بشأن (نجران).

أمَّـا ما ذكرتموه من حرصكم على السلام وكبت الأعداء فهذا شيء نشكركم عليه واعتمادنا على الله، ثم عليه سابقاً لاحقًا، أخبرناكم سابقاً أننا لا نأخذ أقوال الناس، وإنما نثق بالله ثم بكم، ولكن بعد ما صرحتم لنا بما فعل في جهة (العبادل) وبني مالك، رأينا تفاوتًا عظيما، بين ما ذكرتموه لنا سابقًا ووثقنا بالله ثم به، وبين ما أخبرتمونا به مؤخراً.

إن أخاكم والله المطلع ليس عنده قول أو عمل يخالف ما قد أبديناه لحضرتكم وقد أوجب الدَّهشة، ودعى للاستعداد للطوارىء، وهذا الذي نخشاه أن يفرط الأمر من اليد، فلا يهمنا (بني مالك) و (العبادل) إنما اعتمدنا على الله ثم على الصداقة، وعلى عوائده الجميلة، نترك كل شيء ونعمل جهدنا في الإصلاح، فإذا ابتلينا أعاننا الله تعالى.

نرجع إلى ما ذكرتموه في مسألة (نجران) أخبرناكم أنه لا يوجد شفقة على توليه ولا نحب ذلك، إنما الشفقة على الراحة والإصلاح، وبما أن (نجـران) موقعه في جهتنا مُهم، ولا يمكن حله بسهولة، إلا بالنظر في المصلحة العائدة للطرفين، والأمر الذي يريح هو رأي أخيكم سدًا للذريعة، وتقريبا للإصلاح أن نتعاقد وإياكم على المسألتين اللتين انتهينا منهما، وهمـا إبعـاد الأدارسـة، وتضمن جميع حركتكم من جهته على المحل المذكور(؟)، والثاني أن تبقى الحدود كما كانت بيننا وبينكم منذ دخولنا في هذا الطرف، ونعقد معاهدة ودية لمدة عشرين سنة، ويعلن ذلك في الجرائد والمجلات، وأن يبعد العساكر منا ومنكم عن الحدود والمحلات، لمنـع الاشتبـاك وراحـة الرعيـة، وأما مسألة (نجران) فتؤجل وينتدب

مندوبون منا ومنكم عن الحدود، والكل يبدي المشكل الذي عنده، حتى يُتَوصل إلى حل سلمي، يحفظ مصلحتكم ومرادكم ويحفظ مصلحتنا ومرادنا، فهذا الذي يراه أخوك.

فإذا وافقتم على ذلك، فنرجو أن يتقرر شكلها مكتوبة بيننا وبينكم، ثم تكتبونها من جهتكم وتوقعونها، ونكتبها من جهتنا ونوقعها، وترسلونها لولدنا فيصل عن طريق نجلكم في (صعْدة)، ونرسلها لنجلكم في (صعْدة) عن طريق ولدنا فيصل، أو يَقْدُمُ بها الوفد من جهتكم، أو يقدم بها الوفد من جهتنا، للمكان الذي نتفق عليه، وأعاهدكم بالله أنه ليس لأخيكم قصد إلا حل المشكل وأنه لا يأتيكم من قبلنا غدر ولا خيانة، إلا أبديه على واضح فأرجوكم الإسراع بالجواب على هذا والسلام.

برقية من الإمام للملك
بتاريخ ١٥ رمضان ٥٢

بعد تحرير البرقية بتاريخ ١٥ رمضان وصل الولد سيف الإسلام بعض (البرنز) رصاص المدفع الذي كان حارب أصحابنا به في نجران وأنه تقرر تقرير محاربة جندكم في حرب عسكرنا الذي بـ (نجران).

وإن المدفع بَانَ مع الجيش فوق الحصينة، وما له علم بما صار بيننا وبين حضرتكم من المراجعة.

وأفاد أيضا أن جنودكم موجودة ببلاد (يام)، وأنه قد أمر بعزل بعض عسكر إلى حدود (بني مالك) و (فيفا).

وحالا كتبنا له تحذيرا عن الحادث، وأوضحنا له ما يدور بيننا وبين حضرتكم من المراجعة الودية. فأردنا بهذا إعلان حضرتكم لا يدخل ببالكم وكل أمر من جهتنا هو في اليد والسلام.

برقية جوابية من الملك إلى الإمام
بتاريخ ١٧ رمضان ٥٢

أخي: وصلتنا برقيتكم المؤرخة ١٥ رمضان سنة ٥٢ منتصف ليلة ١٧ منه تذكرون فيها من قبل الجند الذي أرسل من نجلكم إلى جهة (فيفا) و (بني مالك) وأنَّ هذا كان بعد حادث (نجران) أخي عافاكم الله أن هذا قد أخبرتكم به قبل مسألة نجران وقد أخبرتمونا أن بعض أصحابكم أرسل لـ (بني مالك) ثم أخبرتمونا أنكم أرسلتم لـ (العبادل) أيضًا، وقد شرحنا لكم ببرقيتنا بتاريخ ١٧ منه ما يلزم.

والآن نزيدكم إيضاحاً بأننا نعوذ بالله ونبرأ إليه من الحرب وتبعتها، وإننا نحب السلم، ولكن سوق الجند من جهات وكتب الإدريسي التي تحرض الناس على الفتنة ليقع الأمر بيننا وبينكم، فلا يسعنا إزاء ذلك إلا الدفاع.

فإن كان لحضرتكم رغبة في الصلح والسلم فاعملوا عمله، أو يرجع الجند منا ومنكم لأماكنه، وتتم المراجعة بيننا وبينكم في الحال الذي يصلح للجميع وإن كان القصد الكلام بيننا وبينكم في مسألة (نجران) لا يحصل إلا من طريق التهديد فهذا لا ينتج أمرًا صالحًا، ويحصل منه أمران.

١ ـ تهيج خواطر العالم.

٢ ـ ما يخفاكم حالتنا أننا ما نعطي السلم إلا مع السلم، وإنه إذا وقع التهديد فإننا نبذل فيه المال والنفس.

وإني أدخلكم على الله، ثم أدخلكم عليه، ثم أحملكم مسؤولية الحرب، أمام الله، ثم أمام العالم عن الوقوع في هذا الشر الذي لا نؤمله من حضرتكم.

وقد سبق أن تركنا جميع ما يقال، ونحن نرى الحقيقة ونكذبها، وثوقاً بالله ثم بوعودكم وعهودكم.

فإن كان القصد من هذه الحركات نشوب الحرب فقد بلغ الأمر منتهاه، وإن كان القصد السلم فطريق السلم كما عرفناكم والله يحفظكم.

برقية من الإمام إلى الملك
بتاريخ ١٥ رمضان ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٨ رمضان ١٣٥٢ وكذلك الثانية بالتاريخ المذكور وحمدنا الله على ما قد تم، فلا نكذبكم والإفادة عما كان في (نجران) وقد انحلَّت العقدتان الأدارسة والمعاهدة المشتملة على الحدود ولله الحمد، ولم يبق إلا ما أفاد به الأخ العزيز من ترك بلاد (يام) في الحياد، وذلك مشكل علينا مع كونها يمنية، ولا ولاية لأحد عليها، وليعلم الأخ العزيز أننا أحرص للمحافظة على السلم، خصوصًا بيننا وبينكم، وليس لنا إرادة لأقل أو أدنى عدوان وشقاق بيننا وبينكم، وراء أهل (المخلاف) وغيرهم ولا نقول فيها كما قلتم في (نجران)! بل نقول نحن من عونكم لتسكين روعتهم كما تحبون؟، وإنما الخشية معنا من انخداعكم (للداعي)[1] وأعوانه الذي أنبأتم أنه ليس بينه وبينكم رابطة دينية، ولا طمع لحضرتكم فيهم، وفي قبضنا زمام (يام) نوع لما أشار إليه الأخ من حقن الدماء ومنع العدوان، بين (يام) وبين غيرهم.

فليتفضل الأخ حرسه الله بالإيضاح للنهاية، وهل سيكون سحب الجند من بلاد (يام) طَوْعًا أو كَرهًا، مع عدم الموجب لذلك، موافقة لغرض (الداعي) وأعوانه، أم سيرجح الأخ الصداقة بيننا وبين حضرتكم وإنْ كَرِه (الداعي) وأعوانه، كما نرجح ونحب ونتمنى ذلك، وإن كان الأخ يسعى للسلم ورفع الأحقاد فنحن نُهَرْول إليه هرولة.

وتفضلوا بسرعة الإفادة لحل هذه المادة الثالثة أحبَّ الشقين.

---

(١) (الداعي): هو المكرمي رئيس «نجران» الروحي.

وقد بلغ إلينا عزم بعض عسكر من رازح إلى (العبادل)؟ وبعد أن شاع مشاركة جندكم و (يام) في مهاجمة (نجران).

وقد كررنا ما يلزم، وعلى الجملة فلا ترون من جهتنا أدْنى ميل إلى الشقاق وإنما يعمل بعض أصحابنا أعمال الدفاع لما يبلغ إليه من تبادل جيوشكم والسلام.

برقية جوابية من الملك إلى الامام
بتاريخ ١٧ رمضان ٥٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣ رمضان ٥٢ ليلة ١٧ منه أما حبكم للسلم والراحة فنحن نحب ذلك مثلكم، وقد كررناه عليكم مراراً.

أما مسألة (نجران) فقد وضحنا لكم أمرها توضيحًا تامًا سابقًا ولاحقًا، وعلى الأخص من جهة الحركة الأخيرة التي صارت، وأخبرناكم أننا منعناها وأقسمنا لكم بالله أننا ما رضيناها ولا علمنا بها، ولكن ماذا نقول: إذا كان أصحابكم يحركون الفتنة في (بني مالك) وتسوقون جندًا عليه، وبعض أصحابكم يسيرون جندًا عليه، وبعض أصحابكم يسيرون جندا من (رازح) على أطراف (العبادل) فهذا يعتبر أن الكلام ضاع، وأنكم قد أعلنتم الحرب وبدأتُم به، وهذا الذي كان يحذرنا الناس منه، وكانوا يؤكدون لنا أنكم عازمون عليه، وأنَّ الكلام الذي بيننا وبينكم مخادعة، ولكن ديننا وشيمتنا أبت علينا أن نقبل ذلك، وإنما قبلنا عهود الأخ ورضينا بالله ربا.

وجاء الفعل الأخير مصدقًا لما قاله الناس، ولم يبق في اليد حيلة فإن كان الأخ صادقًا في قوله فليمنع جميع الحركات، وليبعد الجند إلى آخر درَجة من الحدود، فإن كانت المراجعة ستكون وجندكم يمشي والإدريسي يكتب ويحرك، كما رأينا كتبه لأهل المقاطعة فهذا أمر لا يرضاه الله ولا تقبله النفوس الطيبة، فإن كان الأمر والقصد إغفالنا وأنتم عازمون على

ما عزمتم عليه فلا نقول إلا (حسبنا الله ونعم الوكيل ـ يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين).

برقية جوابية من الإمام إلى الملك
بتاريخ ٢٤ رمضان ٥٢

تلقينا برقية الأخ الثالثة المؤرخة ٥٢/٩/١٧ وحمدنا الله فقد آنسنْا منها السلام، وعز الإسلام والمسلمين، ذلك ما كنا نبغي، والذي كُنا نؤمله من حضرتكم وفي الحقيقة يا حضرة الأخ العزيز ما كان يوجب الحشد والتجهيز، وإنما هي نزعة شيطانية لا رحم الله من نزعها، وكلفكم وأغراكم، وعلى كل حال فنحن كما تحبون، ولا تجدون منا غير حسن الإخاء، في الشدة والرخاء، وحالا كتبنا إلى ولدنا سيف الإسلام، وأعلمناه بإفادتكم الكريمة، ومنعناه من كل حركة وعدوان وتجاوز، فتفضلوا بينوا وقت اجتماع المندوبين بـ (ميدي) أو غيرها حيث ما ترونه لربط المعاهدة الأخوية الدينية والدنيوية الشاملة لجميع الأطراف، وسيكون رفع كل الأجناد من لدينا ومن لدن حضرتكم، والتعويل على حضرتكم في العفو العام المطلق والتأمين الشريف الشامل لكل من تمايل إلينا من خوف معرة جيوشكم من (العبادل) و(بني مالك) ونحوهم لسكون روعتهم وزوال إفزاعهم، فهم في غاية الخوف والوجل.

وحين عودة كل هارب من (المخلاف) إلى مساكنهم، مع تطمينهم بالعفو والأمان، وإرجاعهم فيما كانوا فيه قبل الثورة (الإدريسية) لتسكن بذلك جميع الأمور، ولا يبقى للشيطان والعدوان مجال.

وسيكون إن شاء الله توقيع المعاهدة، منا ومن حضرتكم، ونشرها في الجرائد كما ذكرتم، وسبحان الله ما أحلى نشرها لدى ذوي الديانات الإسلامية، وأكثر سرورهم، واستغرابهم وتعجبهم لذلك مما كانت تنسجه أيدي الافتراء.

وفضلا وإحسانا وتطولا وامتنانا، حسن نظركم في شأن (يام) وقد وضحنا لكم بما لا يبقى معه اشتباه، فلا شك ولا ريب في ارتفاع المحذور.

ولا خير في تأخير الكلام في ذلك، وأساس تبدد المراجعات وإبقاء محل لتشويش الأفكار، وبذر الأشرار، ما يحصل معه إلا الشكوك والأوهام، ولا تنخدعوا «للداعي» فحقيقة أمورهم غير خافية على حضرتكم، ﴿ **لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلا لوَلَّوا إليه وهم يجمحون** ﴾، ومن العجائب أن والي عدن أخبر قبل أمس السبت أنها وصلت برقية من (عدن) بأنه كانت المعاهدة بيننا وبين حضرتكم ويبارك لنا بذلك والسلام.

جواب من الملك إلى الإمام
بتاريخ ٢٥ / ٩ / ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/٩/٢٣ وسرنا ما أوضحتموه، وعلى الأخص ما رجوتم من كبت المفسدين، وإنا نرجو أن يكبت الله أعداء هذا الدين ويعلي كلمته، وقد سرنا أيضاً ما تفضلتم به من محبتكم حسن الإخاء في الشدة والرخاء، ولا غرو فأنتم أهل لذلك، وإن ما تفضلتم به أيضا من إخبار نجلكم الكريم بمنع العدوان وطلبتم منا العفو عن المفسدين من (بني مالك) و(العبادل).

يعلم الأخ ولله الحمد أن العفو من شيمتنا، وقد سبق لعقلاء تلك الأطراف أن أخبرونا بالواقع، وطلبوا منا المحافظة التامة قبل أن يقع شيء.

ولكن وثوقا بالله ثم بعهود الأخ ووعوده ما ألقينا بالا، هذا من جهة ومن جهة ثانية ، لم نشأ أن يكون ذلك سبباً لاشتباك الشر، فمن أجل ذلك فإننا ممنونون، والجهال جهلهم على أنفسهم، وهم لا أهمية لهم، بحوله تعالى في أمر يُرْجا أو يخاف، وكما قيل: (من خان لك خان بك) وإنما يكبرهم السمعة، وظهور التداخل بالشؤون الداخلية، الذي يفرح الأعداء ويشمئز منه صاحب الشرف. ومن أجل ذلك فنحن قد عفونا عما وقع من جهالهم وسفهائهم، فنرجوكم منع التدخل وإبعاد الذين أمدوهم من جماعتكم عنهم، حتى يكون للعفو محل وتزول الشبهة.



الأمير سعود «الملك سعود»، «رحمه الله» والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة «رحمه الله» عام ١٣٧٣هـ في أبها عند زيارة الأمير سعود لأبها، ويظهر في الصورة قائد الدفاع تركي الراشد على يسار الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة.

وبهذه المناسبة، نخبر الأخ أنه لما وقعت هذه الحوادث الأخيرة، أتتنا أخبار من (عدن) وغيره تنبىء بفرحة الأعداء، وكآبة المحبين، وكان لذلك وقع سيىء في (نجد) حتى أشكل الأمر على أخيكم وساء الظن.

وكان ولدنا (سعود) ولي العهد سار إلى (أبها) على السيارات قبل وصول برقيتكم الأخيرة بثلاثة أيام، وكان تجهيز الابن (فيصل) من (الحجاز) ليسير بطريق الساحل، ببعض القوات التي عنده، ونبرأ إلى الله أن يكون ذلك مِنا حبا في الفتنة، أو حبا في التوغل في الحرب، وإنما هو محافظة على الغريزة، ومقابلة لتلك المفاجأة.

وبعد ورود برقيتكم الأخيرة تمكنا من إدراك سير الابن (فيصل) من الحجاز نظرًا للمواصلات البرقية بيننا وبينه، وأرجعناه إلى محله.

وأما (سعود) فنظرًا لعدم وجود مواصلات البرقية بيننا وبينه، لم نتمكن من إرجاعه، إذ يكون اليوم في (بيشة).

والحقيقة إن ما وقع أخيرًا كان له وقع سيىء لا لأهميته، بل نأسف على الاختلاف الذي ظهر من الحصن العزيز الذي هو حضرتكم، إذْ زعزع الثقة بالوعود التي كانت تصدر منكم، ولكن بعد ورود برقيتكم الأخيرة هدأت الخواطر، ورجونا أن تكون الأمور عادت إلى مجاريها القديمة، إن شاء الله، أما من قبل المندوبين فنحن نرحب بهم ويرى أخوكم أن يكون اجتماعهم في (أبها) لأمرين:

الأول: نظرًا لوجود ولي عهدنا فيها.

الثاني: لتوفر المواصلات في (أبها) مع الوفد.

فنرجوكم قبول اقتراحنا هذا، وتعيين الوقت الذي يصل فيه وفدكم حتى نعين فيه وفدنا لمقابلتهم، ونرجوكم تعجيل ذلك.

ثم نعرض لحضرتكم أمرين:

الأول: كونوا على ثقة بالله أن ما كنا عليه من حب السلم ظاهرًا وباطنا



الأمير سعود بن عبدالعزيز في صباه «جلالة الملك فيما بعد».

لا نزال عليه، ولا نعلم أننا أمرنا بخلاف ذلك، ونبرأ إلى الله منه ما لم يقع ما لا نعذر فيه، ونبرأ إلى الله من أن نأمر بأمر يخالف ذلك.

والثاني: إذا رأى حضرتكم أنه متى وقع المطلوب إن شاء الله من السلم والراحة كما نرجو، وترجون، فنرى أن ننتهز الفرصة بوجود الأخوين من أوليـاء العهـد قريبًا بعضهم من بعض، كي يجتمعان بعد ذلك للتعارف والتعاهد فيما بينهما من دون الشُيَّب، ونرى أن هذه الفرصة من التوفيق إن شاء الله أما من جهة (يام) فقد وضحنا لحضرتكم سابقا أن (يام) ما تهمنا مسألتهم والمهم حفظ الصالح وعدم الاختلاف عاجلا وآجلا.

ورجاؤنا أن ذلك يحل بين المندوبين بما يرضي الجميع، وتطمئن به الخواطر إن شاء الله ونسأل الله أن يحفظنا وإيّاكم، ويعيذنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ويؤيد الإسلام والمسلمين بحوله وقوته.

برقية من الإمام إلى الملك
بتاريخ ٢٤ رمضان ٥٢

في يومنا هذا وصل من ولدنا سيف الإسلام أنها تكاثرت الجيوش مع (يام) والمدافع، وهاجموا عسكرنا الذي في (نجران) بغاية الشدة، وكان ما كان ووصل من الولد عبدالله بن الوزير، من (عَبْس) أن جيوشكم لازالت تتكاثر إلى (المخلاف) حتى تشوش الأفكار، وكنا أبرقنا إلى الولد عبدالله ابن الوزير وأرسلنا كتاباً إلى سيف الإسلام بمعنى ما عرفناكم، وقد أكَّدْنا ما كتبناه إليهم الآن، فتفضلوا بتأكيد الأمر إلى أمرائكم والسلام.

جواب الملك إلى الإمام
بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٢ الذي تذكر فيها ما وصلكم من نجلكم العزيز عن (نجران) ونؤكد عليكم من غير تكذيب للابن

الكريم، أن ما وصله لا أصل له، لم تزد القوة منذ أشهر ولا جندي واحد، ولا مدفع ولا شيء من القوة، ونحن لم تنقطع أوامرنا عنهم في الصباح وفي المساء بمنع أي عدوان.

وما ذكره عبدالله بن الوزير، فقد يكون له شيء من الصحة.

إذ أنه بعد أن وقعت حادثة (العبادل) وحوادث (بني مالك) لم يكن هناك بُد من اتخاذ الأهْبَة للدفاع، فكان تقدم (الشويعر) إلى (صامطة) وبعض الجند إلى (المضايا).

وأمرنا بوضع قوة في (أبي عريش) وقوة في (الحسينية) كلها استعداد للطوارىء وحصل من ذلك في (نجد) رَجَّة دعت قُوَى (نجد) للتحرك من أماكنها.

وكان الابن (سعود) قد تقدمها في السيارات، كما أخبرناكم ببرقيتنا البارحة، وكل ذلك قبل وصول برقيتكم الأخيرة المؤرخة ٢٣/٩/٥٢ وبعد أن تلقيناها، أصدرنا الأوامر المشددة بتوقف كل حركة وتسكين الأمور لحد لا يعلم منتهاه إلا الله.

هذا الواقع شرحناه للأخ بكل جلاء ووضوح، وإننا نؤكد للأخ عهد الله وميثـاقه، عهد مسلم عربي، أنه ما يكون منَّا أيُّ اعتداء، ولا يمكن أن نخـالف الوعـد الذي اتفقنـا عليه مؤخرا وقد أكدنا على سائر الأمراء، فتفضلوا بالأمر بإرجاع من وصل (بني مالك) من قبلكم.

وكذلك بتوقيف كل حركة على الحدود إلى أن تنتهي المشكلة التي نبرأ إلى الله من شرورها، ونحن لم نرسل الابن (سعود) إلا ليكون أشد في منع أي عدوان، وتجاوز يقع في أي جهة من الجهات، ويسعى في توطيد الصداقة بيننا وبينكم، فكونوا واثقين بالله من جهتنا.

ورجـاؤنا أن تعجلوا أمركم لأمرائكم في الحدود بسحب ما بعثوا به لداخـل بلادنا، كما نرجو تعجيل أمر المندوبين، ونسأل الله أن يوفقنا وإيَّاكم لحقن دماء المسلمين في هذه العشرة المباركة من رمضان والسلام.

برقية من الإمام إلى الملك
بتاريخ ٢٩ رمضان

تلقينا برقيتكم المؤرخة ٢٥ و٢٦ / ٩ / ٥٢، وسرنا كل ما اشتملت عليه ولله الحمد والمنة، وعجبنا جدا لما رفعه ولدنا سيف الإسلام من خصوص الزحف على عسكرنا في (نجران) والضرب بالمدفع، وحصول القتل من الطرفين، حتى سمى لنا بعض المقاتلين من الزحفين، وعلى كل حال فقد زال المحذور، وارتفعت إن شاء الله جميع الشرور.

ورغبة في موافقة اقتراحكم لا بأس من أن يكون اجتماع المندوبين في (أبها) كما ذكرتم، وقد رأينا أن يكون رأس المندوبين من لدينا الولد عبدالله بن الوزير وقد طلبناه إلينا، وسيعزم من هنا بعد عيد الإفطار، بطريق (صعْدة) وسنعرفكم بيوم عزمه من صنعاء.

أخطرنا الآن برقياً إلى الولد عبدالله بن الوزير أن يخطر من بمعيته بالوقوف المطلق، ومنع كل حركة، وكتبنا إلى ولدنا سيف الإسلام بمعنى ما أشرتم إليه أن يرسل من لديه من (بني مالك) و (العبادل) ومن إليهم من يسكن روعتهم، ويعلمهم أنه قد كان من حضرتكم العفو المطلق، والأمان الكامل، وتفضلوا بإرسال رقم العفو والأمان، إلى ولدنا لإطابة نفس المحدثين، فهم في وجل عظيم، خصوصًا من إحاطة جندكم بهم، ولا لوم عليهم، مع ما كان منهم وإحاطة الأجناد بهم، وعلى كل حال فلم يبق غير حسن النظر في جبر خواطرهم، ورفع خيفتهم وعودهم إليكم بسلام، ويدنا ويدكم الآن واحدة، ولا التفات إلى كل ما حدث من الأشرار، ولابد من التعويل على حضرتكم في شأن بلاد (يام) وقد أوضحنا لكم ما تطيب به النفوس، وفيما بين (يام) وبين المحادِدِين لهم من القبائل، كما عرفناكم سابقاً بما تحبون، إن شاء الله.

نعم عافاكم الله بعد كتابة هذا وصل من ولدنا أنه بلغ إليه وصول أربعة (مواتر) إلى (نجران) ولا نظن صدق الناقل إلى ولدنا، مع ما أكدتم من المنع وتفضلوا بعطف النظر إلى معرفة الحقائق والسلام.

الوفد اليـــمني :

آخـر ما تم التوصل إليه، وأوضحته البرقيات المتبادلة، من الوجهة السياسية الموافقة على وفدين سعودي ويمني يكون اجتماعهما في أبها للنظر في المواضيع المعلقة وهي:

موضوع نجران ـ الحدود ـ معاهدة لمدة عشرين سنة ـ كف التدخل.

وكما مر بالقارىء الكريم في برقية الإمام الأخيرة والمؤرخة ٢٩ رمضان سنة ٥٢ وأن رئيس وفده عبدالله بن الوزير.

وبعـد عيـد الفـطر توجـه الوفد اليمني من (صنعاء) صوب صعدة للاجتماع بولي عهد اليمن والتشاور معه.

وأشعر الملك برقيًا بتحركه من صنعاء فأمر بتأليف الوفد السعودي المفاوض على الوجه الآتي:

١ ـ فؤاد حمزة.
٢ ـ الشيخ عبد الله بن زاحم.
٣ ـ تركي بن ماضي.
٤ ـ عبدالوهاب أبو ملحة.
٥ ـ دليم بن محمد بن دليم.

وأمر أحد أعضاء الوفد السعودي الشيخ تركي بن ماضي بالتوجه إلى (ظهران) الجنوب لانتظار الوفد واستقباله ولمرافقته إلى (أبها).

وصل الوفد اليمني إلى ظهران الجنوب، واستقبل استقبالا لائقاً، وبعد الاستراحة والاستجمام، استقل السيارات المنتظرة للتوجه بهم إلى أبها، يرافقهم عضــو الوفـد السعـودي تركي بن ماضي، وقـد أخـذ منذ أن

استقبلهم في دراسة نفسية رئيس الوفد اليمني عبدالله بن الوزير وسَبَرَ غور شخصيته، وقد سجل انطباعاته وخلاصة ملاحظاته الشخصية عنه بقوله: (كان كعادته يتظاهر بالقوة والشجاعة، ويضع الأمور في غير موضعها، وكان متغطرسًا متكبرًا.. ومع ذلك فليس عنده إخلاص للملكين، ويُرشح نفسه لولاية اليمن. وقد سبق لي به معرفة، قبل هذه الآونة وذلك حينما انتدبه الإمام لمفاوضتنا في صنعاء عام ١٣٤٦، ولم يكن انتدابه إلا دليلا على عدم حسن النية من حكومته).

وصول الوفد إلى أبها:

كان الوفد اليمني يتألف من أشخاص متوارين تحت شخصية ابن الوزير، وكان الإمام نفسه قصد ذلك، فهو لم يُشر في برقيته إلى الملك المؤرخة ٢٩/٩/٥٢ بتعيين الوفد إلى أسمائهم فهو يقول «رأس المندوبين من لدينا الولد عبدالله بن الوزير» بدون أن يوضح أسماء أولئك المندوبين كما عمل عندما أرسل الوفد في ٣ شعبان سنة ١٣٤٦ فقد سمى وفده فرداً فرداً.

وصل الوفد مدينة أبها في يوم ٢ ذي القعدة فاستقبل الاستقبال اللائق وأنزل في المنزل المريح.

وعقد الاجتماع الأول التمهيدي ولم يتعد الترحيب والمجاملة والأحاديث العامة حول مهمة الوفدين، بوجه الاجمال وسَبر غور نفسية كل طرف للآخر وانفضت الجلسة، وعلى أثر ذلك أبرق الوفد السعودي لجلالة الملك هذه البرقية: ٢/١١/٥٢ ـ جلالة الملك المعظم.

اجتمعنا بالوفد اليمني للسلام والترحيب، فكان الحديث عاما بشأن الاتفاق، وإن عملنا لغاية واحدة، عزة الإسلام والعرب، ولم نبعث معهم اليوم بشيء بغية راحتهم، ربما يكون الاجتماع بهم غدا، وقد طلبوا عمل تجربة لفتح المخابرة باللاسلكي بين «أبها» و«صنعاء» تسهيلا لتبادل البرقيات، وسنجرى ذلك حسب طلبهم. «ثم تواقيع أعضاء الوفد».

جواب جلالته على الوفد السعودي

علمنا باجتماعكم، ونرجو أن يتم الله ما فيه الخير، ومادام أن هناك سبيلا للسلم فلا تذخرون جميع جهودكم في سبيل الوصول إليه، ما لم يتعد الحد، ويكون هناك ما ضرره أكبر من نفعه، وبالله ثم بكم الكفاية، وجميع ما عندي أبلغتكم به من قبل، أسأل الله أن يوفقكم للخير.

الاجتماع الثاني :

في يوم ٥ / ١١ / ١٣٥٢ عقد الاجتماع الثاني بين الوفدين، ودارت المناقشة وكان رئيس الوفد اليمني عبدالله بن الوزير متوتر الأعصاب، مسرفًا في تفوهاته، وأخيرًا رفض البحث في موضوع (نَجْران) وتمسك الوفد السعودي بضرورة البحث في تلك القضية، وانفض المجلس دون نتيجة.

وبخروج الوفد السعودي اجتمع في مقر (فؤاد حمزة) وبعد التداول رفع لجلالة الملك بالنتيجة ثم تلاها بالبرقية الآتية بتوقيع فؤاد حمزة:

جلالة الملك:

رفعنا لجلالتكم برقية من الوفد عن جلستنا اليوم، وأوضحنا لجلالتكم أننا وجدنا من ابن الوزير حِدة زائدة، وقد ظهرت هذه الحدة منذ دخلوا حدودنا، فقد كانوا في الطريق يظهرون الغطرسة والعظمة، ويذكرون قوة الإمام يحيى، وأنه اشترى كذا وكذا من المدافع والرشاشات، وأنه، وأنه... الخ. وأشاعوا في اليمن أنكم تنازلتم عن (نجران) و (يام) وقد أظهر من الحدة في جلستنا فوق المعروف، وكان يقوم ويقعد متظاهرًا أنه يريد الانسحاب من الجلسة، وإني أنتظر إرشاد جلالتكم فيما ترونه، وغدًا إن شاء الله يتبين لنا الموقف أكثر من أمس.

فأجابهم جلالته بالبرقية الآتية
بتاريخ ٧ / ١١ / ٥٢

اطلعنا على ما كان بيننا وبين الوفد اليمني، وأن ما أظهره ابن الوزير من الحماقة لم يكن فألا حسناً للمستقبل، وأنتم سيروا معهم سيرا حسنا موافقا قابلوا اللين بمثله والشدة بمثلها، ولكن بأدب، وأخبروهم بأن الشدة لا تضر يحيى ولاتُذلنا، وإنما تعرقل المساعي السلمية، وإن كان المقصود من قدومهم الصلاح وحفظ الحقوق فذلك المطلوب، وإن كان الأمر غير ذلك فلا يأسف إلا فاعل السوء، والعاقبة للمتقين، أملي في إصلاحهم ضعيف كذلك حالا أمرت جنودي بالاستعداد، فإن حصل الصلاح فالاستعداد ما به نقص، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله. أما السلم فنحن نحبه ونقدمه على كل شيء.

توالي الجلسات:

وتوالت الجلسات بين الوفدين، وكان ابن الوزير في تحامل على فؤاد حمزة تحاملا شخصياً، ولا يتجاوب مع أعضاء الوفد السعودي في اقتصار البحث على المواد التي كانت موضع الحوار بين العاهلين، وهي «الحدود» ورفـع التعدي على الأقسام التي احتلتها الجيوش المتوكلية، وموضوع (نجران)، وإبرام معاهدة أخوية دينية سياسية بين البلدين، مما كان هو الغاية في اجتماع الوفدين، كمانصت عليه البرقيات المتبادلة، وكان ابن الوزيـر يُصر إصرارًا قاطعًا على عدم البحث في موضوع (نجران) أو انسحاب جيشهم منه، والوفد يرفع بدوره ما كان في كل جلسة من تلك الجلسـات التي تدور في حلقـة مفـرغة تتجه لعدم التجاوب من الوفد الإمامي وبالأخص في موضوع (نجران).

وكمـا كان الوفـد السعودي يرفع بما دار في كل جلسة، كان الوفد الإمامي بدوره يرفع للإمام.

وبتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ ورد للوفد السعودي الرسالة الآتية:

وفدنا الكريم في أبها ـ مكة المكرمة في ١٧ / ١١ / ٥٢

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أشرفنا على برقية الإمام يحيى لرئيس وفده التي زعم فيها أن مسألة (نجران) خلصت بيننا وبينه، وقد سمعنا في بعض برقياته لنا بعض الألفاظ التي فيها كذلك.

وقد تركنا الجدال معه منعا للنزاع، ورجاء أنه باجتماع الوفد يحل كل شيء مشكل، وبناء على ما أخبرتمونا به من كلام الوفد في جلساتكم السابقة، وبناء على ما رأيناه في برقية الإمام يحيى الأخيرة للوفد ظهر لنا أن الأمر على غير ما نظن، لذلك أحببت أن أوضح لكم ما عندي بصراحة.

أما دعوى أن بيني وبين الإمام يحيى كلامًا يبيح له التعدي على (نجران) فحاشا وكلا، وليس هناك غير البرقيتين اللتين تعلمونها وعندكم نصها، ومضمون الأولى أنها جوابا على برقية وردتنا من (يحيى) حينما قدم وفد (نجران) على (ابن مساعد) و (ابن عسكر) في أبها، فسئل سؤالا أجمل فيه بذكر (يام) ولم يخصص، فتطمينا لخاطره أجبناه بتلك البرقية ولم يخطر لنا أنه يريد أن يتعدى بأي عدوان أو أية حركة على (نجران).

وقد أفدناه أننا لا نحب المداخلة في (يام) سوى (نجران) ومداخلتنا في (نجران) لا للتولي عليها إنما هي أمور قديمة من آبائنا وأجدادنا عليهم، وأن لا يكون منهم حركة تحدث على أطراف العربان المجاورين لهم ولا يكون عليهم حركة تضرهم، هذا معنى البرقية ونصها عندكم.

وقد وردتنا برقية يستزيدنا إيضاحا في المسألة فأجبناه ليكون مطمئن الخاطر، وأن العمل بيننا وبينه في مسألة (نجران) هو على ما كان بين مندوبيه وبين مندوبينا السابقين (ابن دليم) و (ابن ماضي) في عام

١٣٤٦ ونص تلك البرقية عندكم.

ومعنى ذلك أن منـدوبينـا حين بينوا الحدود وذكروا أن من (وائلة) وجنوبا لـ (يحيى) ومنها وشمالا لنا.

والدليل الأعظم على تابعية (نجران) لنا في السابق واللاحق، الكتب الموجودة بينهم وبين آبائنا وأجدادنا، وسيرتنا معهم.

وكذلك لما جرى منهم بعض العدوان هاجمهم (الإخوان) في (بَدْر) فلم يعترض الإمام على ذلك.

أيضا ومن زمان (الدرعية) إلى الآن يجري من (أهل نجران) وعليهم حوادث من أهل (نجد) ولم يعترض عليها أحد لا من (الترك) من قبل ولا من (الإمام يحيى) من بعد.

وأنَّ (باديتهم) منذ ولَّانا الله (نجد) ثم (عسير) من بعده، ونحن نأخذ الزكاة منهم، فهذا دليل واضح مثل الشمس.

الثاني: أن الإمام (يحيى) لما قاتل (عبس) و (الزرانيق) لم يستفتنا لأنهم رعيته، ولكن سألنا عن (يام) لأنهم محسوبون علينا.

ونحن ظننا أن استفتاءه لنا بشأنهم، استفتاء الأخ لأخيه، ولم نظن أن وراء الغطاء شيئاً مخبوء ، وأن هناك أمرًا يُدَبَّرُ بليل.

ثم أرسلنا له وفدًا لحل المشكل، وليس بخاف عليكم حالة وفدنا في (صنعاء) ثم طلب منا الإمام (يحيى) بعض الإيضاح، وأخبرناه بأن الذي عندنا ثلاث مسائل:

الأولى : مسألة الحدود.

والثانية: مسألة الأدارسة لتسليمهم، أو إبعادهم عن الحدود.

وكان منه بعض الاستفهام في المسألة واقتراح بأن تكون المعاهدة بيننا وبينه لعشرين سنة، وأن تحدد الحدود بيننا وبينه فقبلنا اقتراحه،

واقترح علينا أن يبعد الأدارسة إلى (زبيد) فقبلنا ذلك أيضاً، واقترحنا عليه أن تكون (نجران) محايدة بيننا وبينه، فمن ذلك الوقت إلى الآن لم يحصل أي قرار بشأن (نجران).

وهـذا دليـل واضـح أن المسـألة لم تنتـه، ولا يمكن أن تنتهي إلا بالمساواة والإنصاف بيننا وبينه، ومع أنه قد صار (في الفخ أكبر من العصفور) وهي اعتداؤهم على الجبال، فقد أهنًّا أنفسنا وردعنا جندنا حبا في السلم والعافية لأن ذلك من رغبتنا.

ونظرا لما أبداه حضرته في برقياته بأنه يحب ذلك، ولديكم من الوثائق والمعلومات التي أخبرناكم بها من قبل أمور كثيرة ما نحب نذكرها في هذه البرقية.

إن الذي أثبته لكم وآمركم به، هو أن تجتهدوا في الإصلاح، وأشهد الله وملائكته أني أحب ذلك، فلو أفدي بالشيء الكثير، ما لم يمس الشرف أو يضطرنا على أمر ضرره علينا في العاجل والآجل أكثر من نفعه، ولعنة الله على الكاذبين. وقد أحببت أن أخبركم بهذه الصراحة، لأن هذا أول ما عندي وآخر ما عندي للإمام (يحيى) وآخر ما عندي لكم.

* * *

وعندما استلم الوفد السعودي البرقية اغتنم أول جلسة عقدت، وقرأ برقية جلالته على الوفد اليمني حرفيًّا، لم تسعفه الحيرة بجواب، وبعد صمت أعقبـه استفاقه، طلب رئيس الوفد اليمني صورة البرقية فأجابه رئيس الوفد السعودي بأنه وزملاءه سيفكرون في طلبهم، وران الصمت من جديد قطعه الوفد السعودي بقوله: هل تقبلون باقتراحنا الأول بشأن (نجران).

الوفد اليمني : لا.

الوفد السعودي: إذا أنتم تصرون على التمسك (بنجران) فهل تعلمون

بأن ذلك يؤدي إلى الحرب لا محالة.

الوفد اليمني: إننا أوضحنا ما عندنا وفي اعتقادنا أننا لم نُخطىء، وما تحملنا مشقة السفر إلا لاعتقادنا أن المسألة منتهية.

الوفد السعودي: ليس عندنا إلا ما أخبرناكم به.

الوفد اليمني: سوف نرفع للإمام بما تم.

وانفضت الجلسة، وانصرف كل إلى «نزله».

رفع الوفد اليمني للإمام بالواقع وما وصلت إليه المفاوضة، وما قرىء عليه في رسالة الملك إلى الوفد حول القضايا التي انتدب لها، وبالأخص حول (نجران) وإنما يظهر أنه لم يتلق أية تعليمات جديدة تُطري الموقف، وتلين من جفافه، أو ترطب من قسوته، فظل متوقفا لا يريم عن موقفه المتصلب في سلبية وتحجر.

واتصل الإمام بالملك برقيا، ويظهر أن هذا الاتصال نتيجة لما رفعه وفده وقد أجابه الملك بالبرقية الآتية:

في ٦ / ١٢ / ١٣٥٢ سيادة الأخ الإمام يحيى.
تلقينا برقية الأخ المؤرخة غرة الحجة ١٣٥٢، إنا نأسف لما وصل إليه

الموقف بسبب الخلاف والتطويل، الذي حدث مما لا يتحمله غيرنا، وقد سبق أن أخبرناكم بما فهمناه بأن رغبتكم في المطاولة بغية تعجيزنا وإملالنا كما ذكر بعض رجالكم، وقد نفيتم ذلك بالقول، وكانت النتيجة بقبولنا وصبرنا أن ألحقت (الجبال) بـ (نجران).

ثم تذكرون بأنكم توفون معنا بالعهود، وأنكم لم تقبلوا أعداءنا، وأنكم تعاملوننا معاملة الأخ لأخيه، والصديق لصديقه، وهذا كلام مع مقارنته بالأفعال التي فعلت أيَّدَتْ يأسَنا، وتقرر عندنا أن الأمر دُبِّر بِلَيلٍ، ما دامت الأقوال تنقضها الأفعال.

فالجبال قد أخذت بعد العهد، والأدارسة بعد الوعد برفعهم مدوا وساعدوا لعمل الفتنة، فلم يبق ما نرجوه من الصلاح.

والحقيقة أننا نحن الجناة على أنفسنا، أهملنا أهل (نجران) ثم لَبَّثْنَاهم عن العمل، ومنعنا المساعدة لهم رجاء التفاهم.

وكذا أهملنا أهل (فيفا) و (الجبال) وأوقفنا إمدادهم، طلبا للسلم إلى أن وقع ما وقع، وبعد هذا كله، وبعد أن أعْيَتْنا جميع المراجعات والمكاتبات واستنفذنا سائر الوسائل السلمية الممكنة، لم يبق لنا إلا أنْ نخبر حضرتكم بالصراحة التي نراها واجبة علينا، وكرامة لحضرتكم عن الخداع بأننا توكلنا على الله، واستمددناه من حوله وقوته، على أداء الواجب الذي يحفظ أمانتنا ويؤمن رعايانا، ويصون شرفنا، وأمرنا بالدفاع لإنقاذ بلادنا.

وقد أحببنا إحاطة حضرتكم بهذا العزم لتكونوا على بينة منه، وباب السلم مفتوح إذا أردتموه، وليس عندنا غير ما طلبناه في السابق وهو:

أولا: إخلاء (الجبال) وإطلاق رهائنهم، وترك أمرهم مِنَّا إليهم وتحديد الحدود بيننا وبينكم بمعاهدة.

ثانيا: إبعاد الأدارسة بالمحل المقرر.

ثالثا: المساومة بـ (نجران) بأي حال من الأحوال.

وإن الأعمال التي سنعملها إن شاء الله من الدفاع عن شرفنا لا يمنع السلم ونحن معذورون فيها.

وقد تقدمت الجنود متوكلة على الله، والتوفيق بيد الله.

برقية جوابية من الإمام يحيى للملك
بتاريخ ١٠ / ١٢ / ٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٦ / ١٢ / ٥٢ في يوم عرفة، ونشكر الأخ للإفصاح بتوجه أجناده علينا، فنقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، وإنا مع ذلك سنلتـزم السكون، راجين تلافي الأخ للسلم والصداقة خائفين من دسائس وأطماع الأجانب، ولم يكن هناك اختلاف في شيء قطعا غير ما عرفناكم.

[يـلاحظ أن الإدريسي كانت إقامته في موضع يسمى (زهب حجر) شرق بلدة حرض اليمنية قرب حدودنا الجنوبية، فتم الاتفاق بنقله إلى مدينـة (زبيـد) في الداخل والتي تبعد عن حدودنا نحو خمسمائة كيل تقـريبـاً، في حال أن الإمـام هنا يفيد أنه أمر برفعه من الشرقية إلى (صعدة) والمسافة بين (زبيد) التهامية، وجبالنا الشرقية وصعدة لا تقل عن سبعمائة كيل تقريبا].

إنا أمرنا برفع الإدريسي من الجبال إلى صعدة وكان آخر ما عرفناكم من تعويل أهل الجبال علينا لتأمينهم، ولما كان بـ (نجران).

أما وعدنا لكم من إرجاع (الجبال) وإطلاق الرهائن، ورفع الأدارسة كما تراجعنا به والمعاهدة لعشرين عاما وإبقاء الحدود كما هي عليه، فهذا نحن ملزمون به إلى الآن مع الإنصاف في بلاد (يام).

وتأملت ملاحيقه لما كتبناه إليكم من اعترافكم بأنه لا إخوة لكم في كل بلاد (يام) فلابد نوافيكم بعد هذا بلفظ برقيتكم، فلعلكم سهوتم عن ذلك.

ولا والله مانريد المطاولة ولا الشقاق، ولكن كم ترون على أخيكم ما لا

ترونه على أنفسكم، وتنسبون إلينا نقض العهود والله المستعان، أي عهد نقضناه، فتداركوا الأمور عافاكم الله، فإنه لا خير للإسلام والمسلمين ولا لنا ولا لكم في الشقاق بيننا والسلام عليكم.

حرر هذا في يوم عيد الأضحى الأكبر أعاده الله علينا وعليكم بالخير.

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٠ / ١٢ / ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٠ منه أما شكر الأخ لنا على الإفصاح وإخبـاركم بتوجه جنودنا، فيأبى الله أن يكون عندنا غير الإفصاح في جميع أقوالنا وأفعالنا.

وأما قولكم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) ونحن نقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل) على المعتدي منًا، المتجاوز على الحدود، ونرجو من الله من كان قصده الإصلاح والعافية أن يؤيده وينصره، ومن قصده الشقاق منا وأن يعمـل بالبـاطن غيـر عمله بالظاهر - أن يجعل كيده في نحره، ويكفي المسلمين شره ويشمت به الأعداء.

وأمـا السلم فأشهد الله وملائكته أني أحب السلم مع جميع الخلق ومعكم خصوصا، مثل ما أحب السلم مع والدي عبدالرحمن.

فأما خوفكم من دسائس الأجانب فنحن ولله الحمد أحرص منكم على ذلك ولدينا شاهد قوي، وهو لما كان مندوب حكومة بريطانيا يفاوضكم رأينا تعـديكم وتجـاوزكم على حدودنـا ورعـايانا تركنا مقابلتكم بالمثل، حتى تخلصوا معهم لئلا يقال: إنها دسيسة أجنبية، فهذا أكبر شاهد لنا.

وأما الخيانة في العهد فهذا مثل الشمس، انظر في برقيتكم دخلتم الجبـال وأرسلتم الإدريسي ليبث الدسـائس والفتن، بعـد قبـولكم رفع الإدريسي وعمل معاهدة عشرين سنة بيننا وبينكم، فهذا شاهد لنا أكبر من الجبـال على نقض العهد، وذلك دخولكم بلادنا بعد الاتفاق، ونحن تأخرنا عن العدوان بمثله لما رأينا مفاوضتكم الانكليز.

أما الآن فأهل الجبال رعايانا، وليس لكم حق بالمداخلة في شأنها بأي وجه من الوجوه، إلا أن تكونوا محتلين محاربين.

فأما أمانهم فقد أعطيناكم الأمان عليهم، والآن نعطيكم أمان الله، وعهد الله، أن ما يأتيهم مثقال حبة خردل جزاء ما فات، إلا إن عملوا فيما بعد أمرًا مخالفًا، والله واحد، ومن غدر في العهد الأول، غدر في العهد الثاني.

فإن كنتم تريدون السلم والعافية بيننا وبينكم، فأقول لكم:

المسألة الأولى: رفع جنودكم والإدريسي حالاً في ظرف أيام قليلة من الجبال وأطرافها، ويكون الإدريسي في المحل الذي تقرر بيننا وبينكم وتخلون الجبال، وتطلقون سراح مشائخهم ورهائنهم ونعطيكم عهد الله وأمانه، أننا ما ندخل الجبال حتى يأتيهم من ولدنا سعود كتاب عهد وميثاق.

المسألة الثانية: مسألة نجران، اختاروا فيها مسألتين، إما أن يكون محايدًا بيننا وبينكم، كما عرفناكم سابقاً، وإما أن يكون بأيديكم من أهل نجران ويام بلادهم ورؤوسهم لكم وما كان تحت أيدينا من أهل (نجران) و(يام) بلادهم ورؤوسهم لنا، وتعطونا عهد الله على هذا، أو توقف الأمور، وأوضح لكم ماتقدم حتى لا يكون مجالا للفرض والتأويل، إن قصدي من ذلك، أن وادي نجران الذي أهله تحت أيدينا لنا، والذي تحت أيديكم لكم، أما هدادة وبدر وحبونا فهذه لنا، وليس فيها كلام قطعا.

فإن كان هناك إنصاف فهذا الإنصاف، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله، فقد عذرنا، ولعنة الله على من يحب الحرب أو يثيرها.

ونرجو أن يكون هذا العيد المبارك فيه الصلاح والفلاح، وأن يعيده علينا وعليكم بعز الإسلام والمسلمين، وإصلاح ذات بيننا وبينكم، ونرجو الإسراع في الجواب، والبت فيما ذكرنا لكم قبل حصول ما لا يمكن تلافيه والسلام.

برقية من الإمام يحيى إلى الملك
بتاريخ ١١ / ١٢ / ٥٢

أوضحوا لنا ما هو الذي ترونه في أمر بلاد (يام) مع كلية الانصاف؟

برقية جوابية من الملك إلى الإمام
بتاريخ ١١ / ١٢ / ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١١ منه وتطلبون منا الإيضاح بشأن بلاد يام، وقد عرفناكم سابقا أن يكون محايدًا بيننا وبينكم، وأن تكون بلاد يام التي تحت أيديكم في السابق لكم، والذي تحت أيدينا في السابق لنا، مثل (هدادة) و(بدر) و(حُبونا) وهذا ما ذكرناه لكم في السابق، إذا صار نجران محايدًا.

ولكننا نوضح لكم مسألة (هدادة) و (بدر) و (حبونا) لأن (بدر) بأيدينا من سابق منذ دخول (الإخوان) ومعاهدتهم معنا، وكذا (حُبونا) وعمدتنا القرار الذي كان بين مندوبيكم ومندوبينا ابن دليم وابن ماضي عام ١٣٤٦، وذلك ما كان من (وائلة) وشمالا فهو لنا، وما كان من (وائلة) وجنوبا فهو لكم، وهذا الذي كنا نعتمد عليه في السابق واللاحق.

ولما جرى الاختلاف، وكان من تَعديكم على (نجران) طلبنا بالقرار المتقدم بيننا وبينكم، واقترحنا أن يكون (نجران) محايدًا، مع العلم أن (بدر) و (حبونا) و (هدادة) تكون على حال السابق لأنها بأيدينا وهذا الذي نقصده من ذلك، إذا حصل قبولكم الحياد في (نجران) كما أن (وائلة) وغيرها من (يام) تكون بأيديكم لأن الاشتراك في نفس (نجران) قد يقع اختلاف فيه، لذا أحببنا حياده لأنه أقرب للتفاهم وأضمن لحسن السيرة.

وحيث أنكم أصررتم على احتلال (نجران) وتفاقم الأمر، وكرهنا ذلك، وحبا للصلح والسلام، اقترحنا أنكم إذا لم توافقوا على حياد نفس (نجران) يكون مَنْ تحت أيديكم من أهل بادية وحاضرة لكم، ورؤوسهم وبلادهم، ومن كان تحت أيدينا من أهله حاضرة وبادية يكونون لنا برؤوسهم وبلادهم، هذا هو التوضيح الذي عرفناكم به أخيرًا، فنرجوكم التدقيق فيه، وإبعاد التأويل عنه والإسراع بالرد بكلام واضح لينفصم الأمر، وينقضي المشكل الذي عرفناكم به أخيراً.

ونرجو الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويكبت أعداء الدين، ويحقن دماء المسلمين، وأن يُخزِي كل عدو للدين .

فإذا عزمتهم على المسألة بـ (نجران) بإحدى الفئتين التي ذكرناها لكم على السلم والراحة والتفكير في جميع ما يؤمن ذلك، فنرجوكم حالا إخلاء الجبال وإطلاق الرهائن، وعدم المداخلة في شأن الجبال، وإبعاد الإدريسي إلى المكان الذي اتفقنا عليه، ونحن نعطيكم عهد الله وأمانه لا نغدر بهم وأن نجتهد بالإصلاح بكل ما نتمكن عليه، وأن الأمان الذي أعطيناكم إياه لا يختلف عنه.

على أنَّ أهْل الجبال ولله الحمد هم معنا الآن على أحسن حال، وقد عرفوا منزلة أنفسهم وحالهم منًّا في السابق، ولولا خشية إيقاع جنودكم بهم وإننا تركناهم في السابق، ولم نُمِدهُمْ، لأظهروا ما في أنفسهم بالفعل من الميل نحونا، نرجوكم التعجيل بالجواب بالصراحة والسرعة لنتمكن من تغيير خُطة جندنا وإيقافهم نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير.

فأجاب الإمام يحيى ببرقية مضمونها (إنكم تنازلتم عن يام ونجران في برقية سابقة).

فأجابه الملك بالبرقية
المؤرخة في ١٣ الحجة ١٣٥٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣ / ١٢ / ١٣٥٢ ونفيدكم خلاصة عن الحقيقة لأن التطويل لا فائدة فيه، أما (يام) وحالتنا وإياكم فيه، فليس عندنا زيادة على ما عرفناكم فيه، والصلح عليه والحرب عليه، ولم نَرَ من سبب لتعليل حضرتكم إلا التطويل في المسائل، لإدراك عمل ما فات، أما طلبكم منا أن نطلب البرقيات من مدير البرق فنحمد الله أن أشغالنا مضبوطة لا إهمال فيها وجميع البرقيات التي بيننا وبينكم موجودة لا نكرر منها شيئاً، وإذا قدر الله الاختلاف بيننا وبينكم، سننشر ما كان بيننا وبينكم في العالم الإسلامي بغير زيادة ولا نقصان، والكلام يطول ويعرض، وإذا تأملتم برقياتنا بهذا الشأن وجدتموها على الدوام مذكور فيها أن العمل بيننا وبينكم مسألتان:

الأولى: على يد مندوبينا محمد بن دليم وتركي بن ماضي ورفقاهم، فهذا لا نتغير عنه.

والثاني: ما عُقِد وتم في المؤتمر الذي انعقد أيام حوادث (الْعُر). فهل غير ذلك العقدين شيئاً؟.

أما اختصار الأمر في برقيتنا التي أشرتم إليها فليس القصد منه إلا أن وَفْدَنا كان مقدما إليكم لحل مشكل (نجران) وغيرها، وقد أوضحنا لكم ما عندهم وماعندنا، ولكنهم لم يلقوا منكم قبول، وقد حجزتموهم لديكم إلى أن أمضيتم أمركم في (نجران) فهل عندكم بشأن (نجران) و(يام) أحد أمرين.

١ ـ إما معاهدة تقضي بأن (يام) و(نجران) لكم.

٢ ـ أو أنكم أخبرتمونا حين تحرككم على (نجران) فأجزنا عملكم.

فهذه هي الحقيقة، وهذا هو المعول عليه، من جهة (يام) و(نجران) فليتفكر حضرتكم في الأمر، ولينظر من الذي تجاوز الحد على العهود في (نجران) و (الجبال).

هذا ردنا على برقيتكم، وأفكارنا قد أوَّلتموها، والحقيقة التي عليها المعول هو ما أبرقناه لكم مؤخرا ببرقيتنا بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١١ فتأملوها عافاكم الله.

كما أبرق له البرقية بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١٧ بشأن ابن الوزير.

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ١٧ / ١٢ / ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/١٢/١٧ وإنما أردنا بوصول السيد عبدالله بن الوزير إلى حضرتكم ليكون منه إليه من المراجعة ما نراه للعرض عليكم، والتفاهم الكامل، ولا بأس بهذا ياحضرة الملك لمدة يسيرة إن كان الوفاق، وإلا فلا يفوت عليكم شيء، والأناة من الله، والعجلة من الشيطان والسلام عليكم.

وقد أجاب عليه الملك بالبرقية الآتية

بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٣٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/١٢/١٧ يلح الأخ بوصول السيد بن الوزير إلينا ويطلب أن تطول المدة مدة يسيرة.

أخي إن هذا موجب للأسف، وقد صار الشك يقينًا، وأيدً سوء القصد وإنكم تريدون إتمام أعمالكم السابقة، فلا ابن الوزير ولا غيره من كبير أو صغير أن يحل المشكل بدون أن ينفذ المطلب الذي طلبناه، وهو فرض علينا إدراكه، ولا يمكن تركه، فإن كنتم تحبون الإنصاف والصلح والسلم

وحقن الدماء فلا يكون إلا به، ونحن لم نطلب شططًا، ولم نطلب إلا حقا تجاوزتم عليه ، إن العهود التي بيننا وبينكم أيام قدم إليكم ابن دليم وابن ماضي، ونقضتم معاهدة (العُر) التي عاهدتمونا عليها، ثم نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم في تحديد الحدود، وعمل المعاهدة لمدة عشرين سنة، ولم يكن لهذه العهود من جواب إلا استيلائكم على (فيفا) و (بني مالك) و(العبادل) وتقديم الإدريسي يشتغل بالفساد، وقد أشرفنا على كتاب منه لـ (محمد بن حمود) صاحب «الحسينية» وغيره يحثُّهم فيه على الفتنة، ويهددهم ويوعدهم.

إن مطلبنا الذي طلبناه منكم يقره كل منصف يخاف الله تعالى، طلبنا منكم تسحبون جنودكم من بلادنا التي دخلتموها بعد العهد بيننا وبينكم. وأن تطلقوا رهائن أهلها، وأن لا تدخلوا في شؤونهم، وقد أعطيناكم الأمان الذي طلبتموه لهم، وعفونا عنهم، ولم نعاتبهم على ما فات منهم، لأنهم معذورون إذ طلبوا النجدة منا لرد عدوانكم فلم نجبهم لاستبعادنا أن يقع ذلك منكم علينا.

ثانياً: طلبنا منكم الإنصاف في (نجران) واقترحنا أن يكون محايدًا بيننا وبينكم، وأن يكون ما بِجَنوبه من البلدان لكم، وما بشماله من البلدان أن يكون لنا مثل (بدر) و (هدادة) و(حُبوُنا) وما بينها، فإن كنتم لا توافقون على حياده فاقترحنا أن يكون مَنْ تحت أيديكم من أهل نجران لكم هم وبلدانهم، ومن كان تحت أيدينا من أهل (نجران) هم وبلادهم لنا، وهذا عدا ما هو واقع جنوب (نجران) أن يكون لكم، وما هو شمال (نجران) مثل (هدادة) و (بدر) و (حُبُونا) فهو لنا كما تقدم، وإني أكرر هذا الطلب، وأنا على خير رجاء بالنجاح، لأن المعاملة التي عاملتمونا بها آيستنا من النجاح، ولكن توضيحا للحقيقة، وبراءة للذمة.

أما إيقاف العمل بغير شيء ظاهر واضح غير قابل للتأويل مستعجل فوق العادة ليس بالإمكان، لأن الأمر قد فرط، وباب السلم مفتوح إذا عزمتم على إتمام ما كان تقرر بيننا، وقد مضى علينا عدة أشهر، والعدوان

يتمادى علينا، ولم تُجْدِنا جميع المراجعات فائدة، فلم يكن لنا مندوحة عن الدفاع الذي أمرنا به.

أما ابن الوزير فهو تحت أمركم، إن أردتم رجوعه إليكم رجع، وإن أردتم بقاءه في أبها بقى، وإن أردتم قدومه إلينا يقدم، وهو ولد كريم بين جماعته ورفاقته وأمره إليكم.

أما المراجعة والتعليل والتطويل فلا فائدة و لانجاح لها، والمسؤولية أمام الله ثم الرعيّة ثم أمام الناس، على من تسبب وماطل عافاكم الله.

وبعد هذه البرقية تقدمت الجيوش السعودية، ودار القتال كما سنوضحه في الفصل الخاص بذلك مفصلا.





الفصل الخامس

المطامع الاستعمارية

في

جنوب الجزيرة العربية



عناصر البحث

الاستعمارات - تمهيد - أول مستعمرة في جنوب الجزيرة - توزيع الغنائم الإدريسي وإيطاليا - الإدريسي وبريطانيا - إتصالات الإمام يحيي بإيطاليا جزاير فرسان وأهميتها الإستراتيجية - اعتراف بريطانيا - قدوم التنافس الحماية السعودية - سياسة بريطانيا - معاهدة لندن - معاهدة لوزان تدخل إيطاليا المكشوف - اتفاقية روما - اعتراف بريطانيا بضم ابن سعود لعسير، منطقة جازان - دخول السعوديين - جلاء الشركة البريطانية عن فرسان ..

الاستعماران البريطاني والإيطالي

إن خطط بريطانيا الاستعمارية في آسيا وافريقيا خطط محبوكة تنفذ في صبر وحكمة وأناة وكان في تفوقها الفكري والحضاري والعسكري والاقتصادي من ناحية، ومن الأخرى تأخر الفكر والوعي والعلم في آسيا وأفريقيا والشرق جعل منها اللاعب المتفوق، لا على الشرق فقط، بل على دول أوروبا التي لا تقل حضارة وقوة عنها، ومن مواقفها ومخططاتها ما نوجزه ـ طلبا للاختصار ـ ما يأتي:

١ ـ التنافس بينها وبين فرنسا على مصر وفوز انجلترا على حملة نابليون وإرغامه على الانسحاب من مصر، متخفيا، وما كان بعد ذلك من انسحاب حملته المعروفة.

٢ ـ قيامها بتأليف حلف أوروبي للقضاء على قوة محمد علي الناشئة وتحطيم أسطوله في «نافارين»، وحصر خديويته في مصر وأفريقيا تحت السيادة التركية، وانسحاب قواته من سوريا وشبه جزيرة العرب بعد أن هزمت على مشارف العاصمة التركية.

٣ ـ في عهد الخديوي إسماعيل تعاون الأوروبيون على الدخول من باب المرابين والقروض ووصول الدين المصري إلى أرقام خيالية، عرفت بريطانيا كيف تستغل الموقف بحيث أصبحت تتحكم في مقدرات مصر وامبراطوريتها.

٤ ـ فرض بريطانيا على مصر توظيف أعداد من الحكام والقادة في أجزاء مهمة من الامبراطورية المصرية جعلتهم في الظاهر كموظفين في الحكومة المصرية وفي الخفاء يخدمون مخططاتها الاستعمارية.

٥ ـ كان من أهم أولئك الموظفين الانجليز (جوردون باشا)[1] الذي جعل من نفسه حاكما انجليزيا في السودان، بحيث فرضته بريطانيا فرضا على الخديوي إسماعيل، وجعلت نفوذه يشمل جميع الأقاليم التابعة لمصر في أفريقيا الشرقية.

---

(١) الإسلام والحبشة ص: ٢٣.

٦ - عندما فازت فرنسا بمشروع حفر قناة السويس تمكنت بريطانيا من التسلل من الباب الخلفي للمشروع، عن طريق شراء ٤٧٪ من أسهم نصيب مصر وبذلك أصبحت الصوت القوي والوزن المرجح .

وبعد ذلك تمكنت من العمل الجاد ضد الدولة العثمانية والحكومة المصرية اللتين تسيطران على أغلب موانيء وشواطىء الساحل الشرقي للبحر الأحمر والشواطىء الأفريقية.

فعملت جادة في إيجاد مراكز استراتيجية ونقط تحكم فيما استولت على ما يأتي:

أ - ميناء عدن ١٨٣٨م

ب - جزيرة موسى ١٨٤٠م.

جـ - جزيرة أوباط التابعة لحاكم زيلع ١٨٤٠م[١].

ومن سياسة بريطانيا مع الدول الأوروبية أن تشركهم في الأسلاب والغنائم عقب كل معركة حربية أو سياسية حتى يكون التعاون مثمرًا، ولا تحصل المغايرة أوالصراع الذي يفقد روح التعاون، لذلك نرى أن فرنسا قامت بالاستيلاء على (أوبك) التي مع مرور الوقت توسعت أفقيًا فيما بعد حتى شملت الصومال الفرنسي، - منطقة جيبوتي وما حولها -، ولم يقف الأمر بين بريطانيا وفرنسا، فإن الطبخة الأوروبية تكون مكونة من عدة مواد وعناصر.

فتقوم إيطاليا بشراء ميناء عصب من شيوخ القبائل المحلية ١٨٧٠م، في الوقت الذي يتم هذا التسلط وتبرم الصفقات، كانت مصر التي تعود لها تلك الشواطىء تحت كابوس الديون، وتتخبط في نفس الوقت في أشراك فخ السياسة البريطانية وسنحت الفرصة المواتية ونضجت ثمرة السياسة البريطانية في مصر، فاستولت عليها سنة ١٨٨٢م، وبذلك لم تحكم مصر فقط، بل وما يتبعها من امبراطوريتها كالسودان وأوغندا وشرق

---

(١) مصر وشرق أفريقيا د. محمد صبري ص١٧.

أفريقيا والصومال وغيرها، ثم أرغمت مصر للانسحاب من السودان تحت ستار عجزها في القضاء على ثورة المهدي.

ومن خطط بريطانيا في الوقت الذي احتلت فيه مصر القضاء على الجيش والبحرية المصرية، ولم يبق لمصر سوى اريتريا والصومال والتي قد أصبحت في حصة إيطاليا.

في تلك الأثناء غطت المطامع على عيون الحكومات الثلاث، انجلترا وفرنسا وإيطاليا، وأخذت كل منهم تتصرف منفردة وتعمل لحساب نفسها. ومضوا في صراع محموم للاستيلاء على الجزر والشواطىء، وعقد كل دولة منهم المعاهدات مع رؤساء القبائل المحلية، وكاد الصراع أن يستحيل إلى حرب، ولكن كما هي العادة عندما يسخن الموقف إلى درجة الغليان يعودون إلى إيثار التفاهم، فعقدت الاجتماعات وقامت المفاوضات على قدم وساق ودخلت ألمانيا الحلبة وإن كانت انجلترا بيدها الورقة الرابحة بصفتها الوصية على مصر وأملاكها.

في الوقت نفسه أغرت تلك الأحداث إمبراطور الحبشة الذي يحظى بعطف دول أوروبا المسيحية مثله وتمده بالذخائر والمؤن والذي يعرف ان الجيش المصري في غاية العجز والإعياء فوالى ضغوطه حتى انسحب الجيش المصري، فتمكن «منيلك» إمبراطور الحبشة بمد نفوذه على الأملاك المصرية.

في سنة ١٨٤٨م تقاسمت الدول المتصارعة الامبراطورية المصرية بعد الأسباب المتقدمة:

١ ـ أصبح حصة بريطانيا في الصومال الإنجليزي وأوغندا، أما السودان فهو بين سحرها ونحرها.

٢ ـ حصة إيطاليا على الصومال الإيطالي وأريتريا.

٣ ـ حصة فرنسا على الصومال الفرنسي.

٤ ـ استولت ألمانيا على نصيبها فيما بعد الصومال الإنجليزي.

ومضت كل دولة في العمل على احتواء نصيبها بطريقتها وأسلوبها الاستعماري وباشرت الاتصالات التجارية والسياسية مع أهل منطقة نصيبها، وفي سنة ١٨٧٠م قامت إيطاليا بشراء ميناء عصب من شيوخ وأهالي هذا الميناء وأخذت تتوسع حتى استولت على أريتريا وميناءها مصوع من المصريين.

إن علاقة إيطاليا بجنوب غرب الجزيرة وتطلعاتها ابتدأت من تاريخ استيلائها على ميناء مصوع، ومنه تطلعت إلى ما وراء الضفة الشرقية، التي لا يفصلها عن المستعمرة الأريترية إلا عرض البحر الذي لا يتعدى أربعمائة كيلا، وهي مسافة قريبة بحكم الوسائل الحديثة التي استخدمت باستغلال الطاقة الجديدة في تسيير السفن آنذاك ـ، والمخلاف السليماني ـ تهامة عسير ـ وتهامة اليمن ـ هي الجهة المقابلة لتلك المستعمرة، وأخذ يتراءى في خيالها ألق الوقت الذي تستطيع فيه أن تملك الضفتين، أو أقله أن يكون لها نفوذ أو مركز اقتصادي ممتاز كخطوة أولى، فأخذت في جمع المعلومات عن تلك الجهات ورجالها والأسر النافذة وكل ما يفيد اهتماماتها المستقبلية، وعندما كانت تتهيأ لغزو طرابلس ـ ليبيا ـ، أخذت تخطط لفتح جبهة على تركيا في أقرب ناحية من مستعمرتها ـ اريتريا ـ فأخذت في البحث عن مَنْ يقوم بالدور المطلوب، فاتفقت سفارتها بمصر بالإدريسي الطالب الأزهري وهي تعلم، والحكومة الإيطالية على علم بما للأدارسة من مكانة صوفية ومركز ديني في المخلاف السليماني(١).

فاتفقت معه على أن يعود إلى مسقط رأسه، ويقوم بحركة تتمثل في مجهود حربي يشغل الأتراك بمعركة جانبية عن المعركة الرئيسية في ليبيا وفعلا تم الاتفاق، وقامت بمساعدته في كل أدوار ثورته بالمال والذخائر

---

(١) انظر كتاب المخلاف السليماني ص٦٢٦ جـ٢.

والمجهود الحربي، فأسطولها تعهد بحماية سواحله ومعاونته في ضرب بعض المدن، عندما تقدمت جيوشه عليها، وبعد انتهاء حاجتها توقفت عن إعانته بأي شيء، وكانت تطمح في أن يمنحها بارتباطه معها امتيازات في جزر فرسان أو غيرها، فلم تجد ما يغريها بإطالة صداقته، مع ما يتمتع به من المناعة التي تحصنه من ألاعيبها الاستعمارية وهناك بريطانيا في عدن والمحميات، والتي تعتبر - آنذاك - أن جنوب غرب الجزيرة والبحر الأحمر منطقة نفوذها، وتنظر بعين الحذر إلى علاقته بإيطاليا، فاتصل بها الإدريسي بعد انقطاع العلاقات بينه وبين إيطاليا، مما كانت نتيجته عقد معاهدة سنة ١٩١٧م - ١٣٣٦هـ المعروفة. بيد أن إيطاليا ظلت - بالأخص بعد وفاة الإدريسي المؤسس، وابتداء الضعف الذي دب في جسم الإمارة الإدريسية بحروبها مع الإمام يحيى - تتصل بمن توسم سهولة استغلاله، وتستقطب المغامرين حتى مَنْ ليس لهم ثقل ولا مراكز يستفاد منها بدون أن تحقق أي نجاح وعندما استولى الإمام يحيى على النصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية، أصبحت الاتصالات المباشرة سهلة بينه وبين أريتريا، في الوقت الذي كان قبلها ليس له من الموانيء إلَّا ميناء المخا المعروف وإلَّا شواطيء غلافقة والمندب التي هي أقرب إلى عدن ومقابلة للصومال الفرنسي.

وكانت النتيجة لذلك التوسع الإمامي هو الاتصال المباشر بحكومة إيطاليا الذي نجم عنه المعاهدة الإيطالية اليمنية المعروفة.

كانت سياسة بريطانيا في جنوب غرب الجزيرة هي عدم السماح لأية قوى أجنبية، وفي نفس الوقت الرضا بالحالة الراهنة، وتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند، وعدم تعرض ميناء عدن ومحمياتها لأي خطر أو اضطراب.

وعندما أثيرت مسألة عسير وضمها إلى الملك عبدالعزيز لم يكن ذلك بالنسبة لبريطانيا شيئا يقف في وجه مصالحها فهي تكتفي بتأمين مواصلاتها وعدم التعرض لمستعمراتها، مع ما تتسم به بلاد الملك عبدالعزيز من الانضباط والأمن، وتأمين مصالح الدول المجاورة، في

حدود الشرعية الدولية والاحترام المتبادل بين الدول المستقلة.

أما إيطاليا فكانت ترى في ضم الإمارة الإدريسية إلى الملك عبد العزيز قطع الرجاء وضياع الأمل وصد الباب، فإذا كانت توقفت عن الاعتراف بذلك الضم فلهذه الأسباب من ناحية، ومن الأخرى مجاراة لسياسة الإمام يحيى الذي أصبحت تربطه بها المعاهدة المعروفة، وهي ترى أنها لو انضمت الإمارة الإدريسية للإمام يحيى لأصبحت معاهدتها سارية المفعول على المنطقة الإدريسية، هذا أقرب ما نعلل به تمنع إيطاليا عن الاعتراف، وكما قيل في المثل عدو صديقي عدوي.

إن الدول الاستعمارية مع مطامعها فقليل أن تخرج بها تلك المطامع إلى الحرب مع بعضها، وكل ما هنالك أن المرونة السياسية تجعلها أن تتحكم في الأغلب وتحور إلى الحلول السياسية فيما يضمن مصالحها في أية منطقة أو مجال حيوي بوضع اتفاقيات تجعل حدا لمطامع ومصالح كل منهما، وعلى هذا أبرمت اتفاقية روما سنة ١٣٤٦هـ ـ ٧ فبراير ١٩٢٧م.

لقد ألمعنا قبل هذا أن مندوبي إيطاليا ترددوا غير مرة على الحسن وحاولوا إغراءه، وإنما أي عربي يتحاشى أن يكون طعمة سهلة للأجنبي فكان يتحاشى الوقوع في أشراكها مع أنه بين عدوين، الإمام يحيى في الجنوب وإيطاليا من الغرب، مما دفعه آخر الأمر إلى أن يختار الجهة المساندة وهي حماية الملك عبدالعزيز.



جزائر فَرَسَان وموقعها الجغرافي

من أكبر المجموعات الجزرية الواقعة في الناحية الشرقية للبحر الأحمر غرب مدينة جازان بنحو ٤٠ ميلا - تقريبا.

تقع بين ١٦/٥٤ درجة شمالا، ٤١/٤٣ درجة شرقا[1]، وتمتد طولا مسافة ٤٠ ميلا، يتوفر الماء في أراضيها، وفيها واحات معمورة بالنخيل ويشتغل أهلها باستخراج اللؤلؤ من البحر في السابق، وبها عدة قرى أشهرها مدينة فرسان، وواحة السقيد وقرية صير، وجزيرة قُمَّاح، وخولة وختب وقرى صغيرة أخرى كانت إلى قبل الحرب العظمى مما يشملها حكم الدولة العثمانية.

وفي سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠١م حاول الألمان الحصول على ترخيص من تركيا لإنشاء مستودع للفحم في جزيرة قماح، وشرعوا في إنشاء بعض المباني توطئة ليجعلوا منها قاعدة يستفاد منها حربيا في المستقبل، بيد أن تركيا بعد الموافقة الأولية تذرعت بعدة أسباب وسحبت الترخيص، فرحل الألمان منها، ولا تزال بعض المباني موجودة إلى هذا التاريخ، إلا أن ألمانيا بعد ذلك أبدت اهتماما محددا في جزيرة فرسان، وقدموا للباب العالي طلبا للحصول على امتياز فيها، فرفض العثمانيون الطلب بحجة أنهم يفضلون إعطاء الامتياز للعرب، وفعلا منح الامتياز لشخص من الرعايا العثمانيين اسمه يوسف عاصم[2] - تاجر قهوة وسكر في اسطنبول يتعامل بشكل رئيسي مع الحجاز واليمن - لاستثمار النفط في تلك الجزيرة إلا أنه في عام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م تقدم وليام هابكوك وهو مهندس تعدين

---

(١) المعجم الجغرافي للعقيلي ص١٢٥.

(٢) كتاب السلسلة الخاصة ٢٨ القوى والامتيازات المعدنية في إمامة الإدريسي في عسير تأليف جون. ترجمة مركز دراسات الخليج العربي ص٦، ٧.

في اسطنبول شرع يفاوض يوسف عاصم لشراء أو نقل الامتياز، نيابة عن شركة النفط الشرقية البريطانية، فتقدم يوسف عاصم بطلب للحكومة التركية لتخويله إجراء عملية البيع.

وأخيرا وافق عاصم على إتمام إجراءات البيع والتحويلة مقابل قيمة نقـديـة وحصص، وتمت الصفقـة وأخـذت الشركات البريطانية تتداول الامتيازات، حتى قامت شركة النفط الشرقية بنقل الامتياز إلى شركة نفط جزر فرسان، وفي أثناء المباحثات التي أجريت في لندن مع حقي باشا بسبب زيـادة العثمانيين في عوائد الضرائب وتكوين الاحتكارات، وبناء على أخذ التعهد بأن الشركة هي بريطانية صرفة تقريبا تم الإيعاز للسفير البـريطاني في اسطنبول في ٩/١/١٩١٤م، إعلام الدولة العثمانية أن تحويل ترخيص جزر فرسان إلى مدير شركة النفط الشرقية جورج روجرز، شرط مُلح للاتفاقية البريطانية تجاه الاحتكارات العثمانية(١).

وفي سنـة ١٣٢٩هـ وبعد نجاح ثورة الإدريسي وتقدم جيوشه إلى حرض بعث حملة بحرية استولت على جزيرة فرسان، فاستردها الأتراك، ثم استولى عليها الإدريسي للمرة الثانية.

وبالاستيلاء الأخير للإدريسي على الجزيرة رأت بريطانيا الاستفادة من استيلاء الإدريسي عليها.

وفي المعاهدة التي أبرمت بين بريطانيا والإدريسي سنة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م تعهـدت الحكومة البريطانية بحماية أراضي الإدريسي، وبذلك وقفت في وجـه المـطامـع الإيـطالية في تلك الجزر، وبعد شهرين من المعـاهـدة ـ تقريبا ـ اعترفت بريطانيا رسميا باحتلال الإدريسي لجزر فرسان، مقابل موافقته على عدم التنازل عن هذه الجزر لأيٍّ من القوى الأخـرى، بل إنـه في فبـرايـر ١٩١٦م ـ ١٣٣٥هـ تخوفا من انقلاب ميسوليني في إيطاليا، خامرها الخوف من ذلك الانقلاب خشية من أن

---

(١) المصدر السابق ص٥.

تغامر إيطاليا بالاستيلاء على جزر فرسان، فطلبت من الإدريسي أن يطلب المساعدة البريطانية في حالة الهجوم الخارجي على تلك الجزر(١).

وفي سنة ١٣٣٦هـ - ٢٢/١/١٩١٧م وقعت بريطانيا معاهدة ملحقة مع الإدريسي بهدف حماية جزر فرسان، وأنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من الممتلكات الإدريسية، كما تعهد الإدريسي بدوره بعدم التنازل أو الرهن أو تسليم الجزر لأية قوة أخرى.

إلا أن إيطاليا التي لا يزال لعابها يسيل على تلك الجزر، استندت إلى المادة ١٣ من معاهدة لندن في سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م، وقدمت مذكرة للحكومة البريطانية سنة ١٣٣٧هـ - ٣٠/١٠/١٩١٨م طالبت فيها بجزر فرسان الواقعة في مياه سواحل المخلاف السليماني، بحجة أن إيطاليا تجاور البحر الأحمر، وإلا فقد نصت المعاهدة البريطانية الإدريسية على الوقوف في وجه الاحتلال الإيطالي لتلك الجزر، مع أن إيطاليا تسيطر على أرخبيل دهلك وميناء مصوع، بيد أن بريطانيا رأت أن إبعاد الإيطاليين عن مطامعهم في جزائر فرسان مسألة حيوية للمصالح البريطانية، كما أن اتفاقيتها الملحقة مع الإدريسي، وفرت حماية الجزر، وضمنت مصالح بريطانيا الاقتصادية(٢).

إذاً التنافس البريطاني الإيطالي موجود على ساحة الصراع والتنافس من الحرب العظمى الأولى، - ولنا إلى الموضوع عودة.

إن إيطاليا - كما أشرنا قبله - بدأت تطلعاتها السياسية نحو المنطقة منذ ارتبطت بالإدريسي أو ارتبط الإدريسي بها في أول العقد الثالث عشر الهجري، بيد أن يقظة بريطانيا فوتت عليها مطمحها، وزاد في توقف مسعاها الخاسر، ارتباط الإدريسي ببريطانيا، التي تعهدت بحماية بلاده وجزر فرسان، التي جُل همَّ إيطاليا أن يكون لها موطىء قدم في تلك الجزر

---

(١) المصدر السابق ص٦.

(٢) المصدر السابق ص٦.

الغنية اقتصاديا، والهامة استراتيجيا، فظلت إيطاليا بعد ذلك لا تنظر بعين الارتياح إلى مركز الإدريسي، ولا إلى سياسته واستمرت على ذلك طيلة حياة الإدريسي المؤسس.

وعندما حصل النزاع والتفكك بين الأسرة الإدريسية ـ بعد موت مؤسسها ـ وزحفت سياسة الإمام يحيى، ـ على الصورة التي أوضحناها سابقا في الاستيلاء على نصف المنطقة ـ تقدمت إيطاليا والفرحة تغمرها بتأسيس علاقات سياسية واقتصادية مع الإمام يحيى الذي كانت العلاقات متوترة بينه وبين بريطانيا من جهة المحميات، عسى ولعل أن تحقق مع الإمام يحيى ما فشلت فيه مع الإدريسي، من امتيازات سياسية واقتصادية في اليمن على وجه العموم، وفي فرسان خاصة إلا أن الإمام يحيى لم يكن بالشخصية التي يسهل احتوائها، وإنما أخذ في سياسة الإرخاء والشد مما جعل إيطاليا تتعلق بحبال الآمال إن لم يكن في عهده ففي عهد من يخلفه، فاكتفت إيطاليا منه بالامتيازات الاقتصادية والعلاقات التجارية.

وأخذت من ناحية أخرى في معاودة الكرة بمغازلة الأمير علي أولاً ثم الحسن الإدريسي ثانيا، إلا أن اتفاقية الشركة الشرقية البريطانية للنفط فوتت عليها الفرصة للمرة الثانية.

وجاءت الحماية السعودية للمنطقة الإدريسية لتقطع حبل رجائها للمرة الثالثة، وكان في ذلك بالنسبة إليها تعميق سياستها مع الإمام يحيى وتشددها في عدم الاعتراف بالوضع الجديد للمنطقة بالحماية السعودية ـ مما سنوضحه فيما بعد ـ.

وكان إزاء هذه السياسة الإيطالية، ما حفز الانجليز لرد الفعل إزاء السياسة الإيطالية الجديدة التي:

١ ـ أخذت بالمكشوف تجدد مطامعها في جزائر فرسان الإدريسية.

٢ ـ ما نالته إيطاليا ـ أيضا ـ من امتيازات اقتصادية في اليمن من الإمام

يحيى خصم بريطانيا في مستعمرات عدن والمحميات.

٣ ـ اعتبار بريطانيا تلك المعاهدة ضد مصالحها في اليمن وتهديد لمواصلاتها نحو الهند، وبالأخص أن باب المندب هو في الأراضي اليمنية وللإمام يحيى حامية وقوة فيه.

٤ ـ إن بريطانيا تعتبر جنوب الجزيرة بما فيها اليمن وكذا الإمارة الإدريسية منطقة نفوذها ومجال مصالحها.

في سنة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م كانت هي السنة الأولى لابن سعود بضم الحجاز، وفي الثلاث أشهر الأولى كان اهتمام جلالته بوصول الوفود «في موضع الخلافة» وفي تلك الظروف الهامة، والوضع الجديد، وتشدد الإخوان، ومعرفة إيطاليا بالوضع الجديد ـ يشار في بعض المصادر أن إيطاليا حاولت عقد معاهدة معه، لان تكون لها قاعدة الشاطىء العربي لشبه الجزيرة، ولم تحدد الموقع بالنسبة للشاطىء العربي الذي يمتد من العقبة إلى ميناء البرك جنوبا ـ

وابن سعود المعروف بغيرته الدينية وأصالته العربية، والذي في متبدأ أمره وهو أحوج ما يكون إلى العون إبان نهضته في نجد، لم تطمع بريطانيا مع عظمتها في ذلك التاريخ وسيطرتها على مياه الخليج على وجه العموم أن تطلب من ابن سعود قاعدة، فكيف الآن وقد تغيّر الوضع واتسعت مملكة ابن سعود تطلب إيطاليا هذا.

وإذا قلنا إن طلبها ينحصر في المخلاف السليماني ـ تهامة عسير ـ ففي عام ١٣٤٤ ـ ١٩٢٥م لم يكن قد ارتبط بالحماية السعودية، وعلى كل فإن صح فقد قوبل ذلك الطلب بالرفض.

ومن سياسة بريطانيا ـ آنذاك ـ بل ما نعتبره من أهم مبادئها السياسية عدم السماح لأي قوى بأن تحتل أو تستأجر أية جزيرة أو موقع على سواحل البحر الأحمر الشرقية وبالأخص جزائر فرسان وجزيرة كمران.

إن جزيرة كمران نفسها استولت عليها بريطانيا عنوة أثناء الحرب

العظمى الأولى، وجعلت فيها حامية قوية ومطارا حربيا، وعلى تلك الصفة ليس مما يدخل في ذلك الوقت ـ حساب مطامح الإمام يحيى ولا إيطاليا.

وإيطاليا مهما كانت مطامعها ومطامحها فهي تعرف نفسها أنها أضعف حولا وطولا من بريطانيا بحرا وبرا وجوا، وإذا كانت إيطاليا وفق الحقيقة طامعة في تهامة عسير فهي لا تحاول ذلك من ناحية القوة وإنما باستقطاب الإدريسي، وهو ما قد فاتها سابقا، ولاحقا، فلم يبق لها إلا التمني بمساعدة الإمام يحيى بالسلاح والسياسة لاحتواء المنطقة، والإمام يحيى يشعر بما ينتظره لو تقدم إليها من المقاومة المحلية التي قد جربها في معركة صامطة، وفي معركة الحرث والعبادل، فكيف بعد ذلك مع تعلق الأدارسة بابن سعود والحماية الوشيك إبرامها.

ومع ذلك فبريطانيا حريصة على إبقاء الحالة الراهنة ـ آنذاك ـ ، وعدم الموافقة على تغير الأوضاع، لا بالنسبة لموقف الإمام يحيى بعد أن احتوى النصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية ولا بالنسبة إلى الإدريسي، وما بقي في حوزته، وهمها الأول ـ أي بريطانيا ـ هو حماية مصالحها وطرق مواصلاتها الحيوية للهند والشرق على وجه العموم.

وهي حريصة على تسوية الأمور سياسيًّا مع إيطاليا، التي يرأسها ميسوليني وما يختلج في نفسيته من المطامع والتوسع والمنافسة لبريطانيا، بالطرق الدبلوماسية والاقتصادية والاستقطاب والاحتواء، مما يجعل الدولتين تحرصان على عدم إفلات زمام الأمور من يديهما، وتسوية الخلافات والمنافسة بالطرق الدبلوماسية في النزاع الخاص بين الإمام يحيى والإدريسي.

والتنافس بين بريطانيا وإيطاليا بدأ ـ كما أشرنا قبله ـ قبل الحرب العظمى وعندما نجحت ثورة ميسوليني، وهب ليحقق تطلعاته إلى إحياء أمجاد الامبراطورية الرومانية، فقضى على المقاومة في ليبيا لتكون ركيزة لامبراطورية في إفريقيا، وعلى الضفة الشرقية في البحر الأبيض، ولتكون اريتريا الركيزة الثانية لمطامعه في شرق إفريقيا، والضفة المقابلة لها في

شبه الجزيرة العربية وكان المحور الرئيسي جزر فرسان، ولا نقول هذا تخمينا بل استنادا إلى الواقع التاريخي، فمطامع الحكومة الإيطالية منذ اتفاقها الأول مع الإدريسي وهي تلوح على سماء المنطقة بوجه عام وعلى فرسان بوجه خاص.

وكانت بريطانيا تراقب الوضع بيقظة واحتراس المقتدر متى ما دق ناقوس الخطر لأنها تعرف قوتها بالنسبة إلى إيطاليا.

وبعد انتهاء اتفاقية الإدريسي مع إيطاليا، وإبرام الإدريسي المعاهدة المعروفة مع بريطانيا سنة ١٩١٩م التي تضمنت حماية شواطىء الإدريسي وبعدها المعاهدة الملحقة التي اعترفت باحتلاله لجزر فرسان مقابل عدم التنازل عن هذه الجزر لأية جهة أخرى ـ والجهة الأخرى في ذلك الوقت هي إيطاليا ـ لأن بريطانيا ساورتها المخاوف من احتلال إيطاليا الجزر فكتبت للإدريسي قبل ذلك في شهر شباط (فبراير) ١٩١٦م ـ ١٣٣٥هـ ترجوه المحافظة على جزر فرسان، وأن يطلب مساعدتها في حالة الهجوم عليها.

واستنادا للمادة ١٣ من معاهدة لندن الموقعة عام ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٥م قدمت الحكومة الإيطالية مذكرة عام ١٣٣٧هـ ـ ٣٠/١٠/١٩١٨م طالبت فيها بجزر فرسان الواقعة على ساحل عسير لاعتبارات منها أن إيطاليا كانت قوة إسلامية ـ بزعمها ـ [1] وتجاور البحر الأحمر، وقد نصت المعاهدة البريطانية الإدريسية الموقعة في عام ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٧م على منع الاحتلال الإيطالي لتلك الجزر مما قد يؤثر بشدة على المصالح السياسية والاستراتيجية لبريطانيا العظمى في البحر الأحمر وعلى أرض الجزيرة العربية[2] ـ وقد أشرنا إلى ذلك قبله.

---

(١) هكذا في الأصل. ولعلها من دعاوى موسوليني الذي كان يدعي أنه حامي الإسلام بزعمه.

(٢) كتاب السلسلة الخاصة ٢٨ القوى والامتيازات المعدنية في إمامة الإدريسي.



سيادة الوزير محمد يحيى باصهى

إن إيـطاليـا تسيـطر حاليا على أرخبيل دهلك، وميناء مصوع على الســاحـل الإفـريقي المـواجه للممتلكات الإدريسية، وإذا سيطرت على مجمـوعـة جزر فرسان فإنها في هذه الحالة، تسيطر على طريق البحر الأحمر المؤدي إلى الهند.

واســتمــر التنــافس بين الدولتين على جزر فرســـان إلى أن توفى الإدريسي المؤسس، وفي ولاية ابنه الأمير علي أرسل المقيم السياسي في عدن مندوبا إلى الأمير، فأحاله على وزيره باصهي، الذي أخبره أن الأميـر علي الذي تولى مقـاليـد الأمور خلفا لوالده لا يرغب الاعتراف بالامتيـاز الأصلي الذي منحته تركيا ليوسف عاصم وباعه من الشركة البريطانية الشرقية ـ لأنه رفض معاهدة لوزان من أساسها، وإنما لا يمانع في إعطائه الأسبقية تجاه من يرغب من الشركات البريطانية، في عقد امتياز جديد شريطة أن يكون عطاؤه موازياً للعروض الأخرى.

وقبل ذلك بفترة بل على وجه التحديد في سنة ١٣٣٩هـ في تشرين أول (أكتـوبـر) عام ١٩٢٠م وصل مندوبان إيطاليان إلى جازان بشأن الحصول على امتيازٍ، وأبلغهم مسؤول الإدريسي بعدم مناقشة الموضوع حتى تتم تسوية السلامَ مع تركيا.

وبينما كانت المفاوضات جارية بين الإدريسي والشركات البريطانية، وقـد أشـرفت المفـاوضـات على الانتهـاء، قامت الشـركـة البـريطانية الساكسونية بإرسال أحد مندوبيها المسمى (مارتن) إلى عدن، لتصفية الخلافات بين السيد مصطفى الإدريسي وبينهم[1]، الذي تمكن في سنة ١٣٤٥هـ ـ ٣/١٠/١٩٢٦م من التوصل إلى اتفاق أدى إلى قيام الممثل البـريـطاني بتزويده ببعض الذخيرة، وبحلول نهاية شهر تشرين الأول

---

(١) بعد إزاحة الحسن الإدريسي لابن أخيه الأمير علي الإدريسي تجددت الاتصالات بين الحسن الإدريسي وقريبه مصطفى الإدريسي الذي بعد فشل ثورته على الأمير علي عاد إلى مصر، وعلى أثر تجدد الاتصال وصل من مصر إلى صبيا سنة ١٣٤٥هـ ـ ١٩٣٦م يحمل مشروع الاتفاقية المشار إليها هنا.

(أكتـوبر) من تلك السنة بدأت الشركة البريطانية الساكسونية عملياتها التنقيبية في جزر فرسان، ومع أن الأوضاع قد تغيرت واستولى الإمام على نصف إمارة الأدارسة، وقد أبعد الحسن الإدريسي ابن اخيه وتولى الإمـارة بدلا عنـه، وارتبـط الحسن بمشـروع معاهدة الحماية الوشيك التصديق عليه.

ومع كل ذلك لم يساور اليأس الإيطاليين في الحصول على امتياز جزر فرسان، وبدأوا بفرض ضغوطهم على سكان حدود بلاد الإدريسي، من أجل استمالة الإدريسي على نقض اتفاقية مكة مع ابن سعود، والتوصل إلى اتفـاق مع الإمـام يحيى[1]، وفي سنة ١٣٤٦هـ ـ ١/١/١٩٢٧م اشترت باخرة إيطالية مؤنا من جزر فرسان بأسعار خيالية لاجتذاب قلوب أهـالي الجزر وأرسلت أحد وجهاء فرسان في محاولة لإقناع الإدريسي بتوقيع معاهدة مع إيطاليا[2].

وهكذا كانت إيطاليا تخدم مصلحتها عن طريق إغراء الإدريسي بنقض اتفاقية مكة وإبرام معاهدة مع الإمام يحيى[3]، ولولا معرفتها بما تنتظره من مردود على مصالحها من الإمام يحيى لما فعلت.

إن الإنجليز مع انزعاجهم من التدخل الإيطالي المكشوف، مما ساعد الإمام يحيى ـ بما قدموا له من الذخائر والسلاح ـ في التفوق على القوى الإدريسيـة، فإنه لم يمد الإدريسي لا بالسلاح ولا بالذخيرة، حتى أن الأمير «علي» الإدريسي عندما لَزَّته الحاجة على السلاح، وازدادت عليه الضغوط من القوات الإمامية، ركب بنفسه في زورق إلى جزيرة كمران، ومنها اتصل بلندن شاكيًا، وطالبًا المساعدة، فكان الرد فاترًا مقتضبًا، لأن الحكومة البريطانية كانت قد اتفقت مع الإمام على تجميد نشاط الإمام

---

(١) كتاب السلسلة الخاصة رقم ٢٨ القوى والامتيازات المعدنية في الإمارة الإدريسية في عسير ص٧.

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة.

في نواحي المحميات، لقاء غض النظر عن تقدم تحركه للاستيلاء على القسم الإدريسي ـ كما قد ألمعنا قبله ـ.

ومع ذلك ظلت كل من بريطانيا وإيطاليا تتجاذب حبال السياسة في المنطقة، وكل منهم يحاول استرضاء الطرف الذي يحتضنه، إلا أن الشركات البريطانية كانت بالرغم عن توقف الحكومة الإنجليزية عن مساعدة الإدريسي بالذخيرة والسلاح، هم أقرب إلى نفسية الإدريسي، ولهذا نجد عندما تم منح الامتياز للشركة البريطانية، فوجئت إيطاليا بالنجاح الكبير الذي حصلت عليه الشركة البريطانية، ولم تضيّع وقتا من أجل جعل الامتياز غير نافذ المفعول، فقد تم إرسال أحد الموظفين الإيطاليين إلى صنعاء لمناقشة الإمام، وجهز الإيطاليون مع المندوبين اثنين من المدافع الثقيلة للدفاع عن مَعْدَنِ ملح الصليف، وبعد شهرين من ذلك كان الإمام يحيى يستعد لاحتلالَ جزر فرسان، ومضت الأيام والشهور ولم يستطع الإمام التحرك لاحتلال فرسان.

وفعلا بعد مكاتبات ومفاوضات واجتماعات في روما استغرقت خمس اجتماعات من سنة ١٣٤٥هـ ـ ١٠ يناير ١٩٢٧م، وفي ١٢ يناير نفسه وفي ١٤ يناير نفسه، وفي ١٥يناير ، وفي الاجتماع الأخير، وقد صرح المندوب البريطاني لرصيفه الإيطالي بأن الحكومة البريطانية تنظر بأهمية إلى وجهة نظر الحكومة الإيطالية بشأن اتفاقية مكة.

وقد ضمنت اتفاقية روما أن تقتسم كل من إيطاليا وبريطانيا النشاطات التجارية والاقتصادية والامتيازات النفطية فيما بينهما، على ألا يشمل ذلك أي نشاط سياسي بالنسبة للجانب الإيطالي.

وقد اتضح تعاون إيطاليا المكشوف لمصلحة حليفها الإمام يحيى، وتدخلها غير المقنَّع بين عاهلين عربين مسلمين، وإنما هي السياسة والمطامع الاستعمارية لا حبًا في الإمام يحيى ولا بغضا لابن سعود، وإنما تخدم مصلحتها التي قد أمنتها الاتفاقية اليمنية الإيطالية والاتفاقية السرية الأخرى بينهما بعدها.

ومن الناحية الأخرى فإن بريطانيا قد طمأنت إيطاليا باعتدال سياسة ابن سعـود وعـدم رغبتـه في استخلاص النصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية الذي استولى عليه الإمام يحيى، وقد أثبتت الأيام أن الملك عبـدالعزيز عندما استولى على ذلك النصف وهو الممتد من ميدي إلى الحديدة أعاده كاملا إلى اليمن ولم يطمع فيه، لأن الإخوة العربية والدم والدين واللغة، تجعل من الملكين أخوين، ومن الشعبين شعبا واحدا كما هي الحالة الراهنة.

وعلى كل فقـد اعتـرفت بريـطانيـا ـ بعد ذلك ـ بضم عسير للملك عبدالعزيز ـ كما هو معروف ـ وكان من تبريراتها لإيطاليا بهذا الاعتراف، أن الموقف في عسير قد تغير من الناحية المادية عما كان عليه أثناء محادثات روما، وأن معاهدة مكة قد وضعت تصرفات الإدريسي وصلاحيته في يد الملك ابن سعود لأن المنطقة أصبحت سعودية في العرف والقانون.





عضو الهيئة اليمنية في الحدود عبدالله المنّاع، محمد بن حسين «عضو سعودي» رئيس الهيئة في لجنة الحدود، والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة في لجنة الحدود، و«دليم أبو لعثة»

دخول السعوديين

لقد كان من شروط الامتياز الممنوح للشركة البريطانية ـ الساكسونية ـ مادة ـ تقضي أن يكـون الممثـل السياسي في عدن هو الحكم بين الطرفين، وأرادت الشركة تصديق الحكومة البريطانية على العقد كضمان رسمي، إلا أن الإدريسي لم ير ذلك، وقد كتب الممثل السياسي أنه إذا وافقت الحكومة على بنود الحكم فتكون قد أعطت موافقة رسمية، واتخذت دورًا جديـدًا، في تثبيت مصالحها في بلاد الإدريسي، وأنه إذا كانت السياسة البريطانية تتجه نحو عدم التدخل في القضية، فإن الإدريسي سيعتمد على ابن سعود، وتكون احتمالات التحكيم على نوع العلاقات بين بريطانيا وابن سعود[١].

ومع توتر الأزمة بين الإدريسي والإمام يحيى، طلب مصطفى الإدريسي من الشركة تأمين خمسمائة بندقية وثلاثمائة صندوق ذخيرة، ونظرا لذلك الظرف لبى الممثل السياسي تزويد الشركة بالبنادق قبل الحصول على إذن من وزارة المستعمرات، فوصل الأمر من وزارة المستعمرات بإرجاع البنـادق، لأن هذا الأمر ليس من شؤون الحكومة البريطانية في تعزيز موقف الإدريسي، لأنه تحت حماية ابن سعود.

وعندما علمت الحكومة البريطانية ببنود اتفاقية الحماية بين ابن سعود والإدريسي، أفهم الممثل السياسي في عدن الشركة أنه لن يكون مستعدا للتحكيم بصورة دائمة، وقد أيدت وزارة المستعمرات رأي الممثل.

وفي تشرين من سنة ١٣٤٦ ـ ١٩٢٧ وصل (كوبر) إلى زفاف[٢] من جزيرة فرسان إلا أن مندوب الإدريسي طلب في شهر كانون الأول القسط

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) زفاف: جزيرة من جزائر «أرخبيل» مجموعة جزائر فرسان.

التالي من حقوق الامتياز وقيمته خمسة آلاف جنيه استرليني قبل أوانه بقليل لأن.. الإدريسي في حاجة إلى النقود وللأسلحة لصد هجمات الإمام يحيى الوشيكة(١).

كانت التعـزيـزات الإيـطالية في البحر الأحمر وحول فرسان، تتزايد والبـاخـرة أرخميدس تطوف في سواحل الإدريسي وحول جزائر فرسان فطلبت الشركة البريطانية من حكومتها قوة لحمايتها في جزيرة فرسان من التحرشات الإيطالية، وهجمات الإمام، ومع ذلك وعمل الشركة مستمر(٢).

وتفـاقم الأمر في شهر حزيران ١٩٢٧م لأن أحد عملاء إيطاليا زار الإدريسي وعرض عليه شروط اتفاقية مغرية، وعلى أثرها تردت العلاقات بين الإدريسي والشركة البريطانية، وقامت القبائل بطلب المزيد من الأموال والأسلحة والإدريسي هو المحرض طبعا - وعلى أثر ذلك توقفت أعمال الشركة.

ولما وصل الأمر إلى هذا الحد بل في ١٩٢٧/٨/٢٦م أفهم ابن سعود القنصـل البـريـطاني في جدة مقترحا أن أفضل الحلول له ولبريطانيا هوالتفـاهم حول موضوع الخلاف، وفي ١٩٢٧/٩/١٤م أفهم القنصل البريطاني الحكومة السعودية بأن الشركة وافقت على مقترحات الملك ابن سعود في إجراء المفاوضة(٣).

ثم بعد ذلك بدأت المفاوضات بين الإدريسي وبين مفوض الشركة مع جانب أعضاء التحكيم السعودي الذي ضم الشريف «شرف عدنان» إلا أن تلك المفاوضات توقفت في نهاية الشهر.

ورفعت الشـركـة مذكـرة إلى ابن سعـود عن موضوعها مع الحسن

---

(١) نفس المصدر.
المصدر السابق ص٢٩.
المصدر نفسه ص٣١.

الإدريسي وأجابها ابن سعود في الشهر التالي، أنه أصبح واضحًا لجلالته أن أفضل الحلول لشركتكم والإدريسي هو إعادة النظر في بنود الامتياز وصياغتها على أسس ثابتة تضمن حقوق الطرفين، واقترح المفوض السامي في القاهرة على الشركة إرسال مبعوث إلى جدة لصياغة الاتفاقية تحت إشراف ابن سعود إلا أن المباحثات تعثرت.

ويظهر أن الشركة نفسها كانت غير راغبة في التوصل إلى اتفاقية جديدة مع الإدريسي مما جعلها تقرر إنهاء الامتياز، وبدأت فعلا عملية الرحيل في ١٦ أيلول سنة ١٩٢٨م، وانتهت في أواسط شهر أيلول من السنة نفسها من شحن جميع معدات الشركة ورحلت إلى غير رجعة.

إن إيطاليا بقدر ما حاولت إقامة علاقات دبلوماسية مع الملك عبدالعزيز على طريقتها مع الإمام يحيى فعجزت، ولذلك كانت تتعمد التحامل على الحكومة السعودية والمحاباة والتأييد للإمام يحيى، والحقيقة أن عداء إيطاليا لابن سعود لم يضره كما أن تأييدها للإمام يحيى لم يفده.، وإن كان من حكمة ابن سعود عدم الإيغال في العداء والوقوف وسطا في ود الصديق والتحفظ من عداوة العدو سواء كان شرقيا أو غربيا، وعرف بحكمته المعروفة وسياسته الحصيفة... كيف يوازن بين موقفه من عداء إيطاليا وصداقة بريطانيا.

وعندما قامت الحرب العظمى الثانية كان موقف حياد السعودية مشرفا حتى مع إيطاليا التي طارد الإنكليز بعض قطعها الحربية في البحر الأحمر، وأغرق بعضها فالتجأ جزء من جنود بحريتها إلى جدة فاستضافهم الملك ابن سعود وجعلهم في حمايته من أسر بريطانيا، وظلوا في جواره وضيافته حتى انتهت الحرب وتمت الهدنة فرحّلهم إلى أوطانهم.



الفصل السادس
امتشاق الحسام



عناصر البحث

الحرب السعودية اليمنية - تحرك الشريعر - الجيشان في الميدان الجنوبي الغربي - التمهيد للهجوم - التهيؤ - الهجوم - وصول الأمير فيصل - تحرك سموه إلى المخازن - مدينة ميدي - تعقب العرشي - مغادرة عمال الإمام لتهامة - التقدم من ميدي - الحالة في منطقة الحديدة - الاستيلاء على الحديدة وصول الشيخ عبدالله السليمان - تحليل عن الحدود - موقف العالم العربي من الحرب السعودية اليمنية - صدى الحرب السعودية اليمنية في العالم العربي المواقف الشعبية - الوفد - الأثر الإيجابي لمعاهدة تسليم الأدارسة - خطاب الشيخ تركي بن ماضي - تحليل عن المعاهدة - على هامش مؤتمر أبها وما بعده الوحدة الأجنبية - ابن سعود والوحدة - الأمم المتحدة.



الحرب السعودية اليمنية

لقد أشرنا قبله إلى زحف قوات الإمام يحيى على بلاد الحرث والعبادل وجبال بني مالك، ما عدا نشاط الحسن الإدريسي في بعث الرسائل لبعض مشايخ المنطقة، الذين بلغ من إخلاصهم أن يسلموا تلك الرسائل إلى حاكم المنطقة حمد الشويعر، إعراباً عن إخلاصهم والتزاما بصدق مواقفهم ووفاء بعهودهم مع الحكومة، وقد بلغ من تضامن قبائل المنطقة أن طلبوا من حمد الشويعر أن يأخذ منهم رهائن إن كان يشك في إخلاصهم، كما يفعل الإمام يحيى مع مشايخ قبائل جهته، فأجابهم أن الثقة بكم وثيقة ولم يعتاد جلالة الملك أن يأخذ رهائن في عموم مملكته، فأجابوه إذا كان الأمر كذلك فخذ من كل قبيلة مجاهدين، تنضم إلى حشود القوات السعودية المرابطة لدينا، فنحن أعرف بسبل وطرق تهامة اليمن، فقد قاتلنا على أرضها الأتراك، وستجد منا صدق اللقاء، فأثنى الشويعر على إخلاصهم ورفع الأمر للملك عبدالعزيز فصدرت الموافقة، وتقدمت كل قبيلة من قبائل المخلاف السليماني بمجاهديها.

كما استدعى حمد الشويعر حمود بن محمد سرداب وزير حربية الإدريسي وكان شيخا مجربا قد قاد القوات الإدريسية في غير ميدان، وأبلى بلاء حسنا وهو الذي كان يستدعي شوكة القبائل في العهد الإدريسي الأول، وعندما وصل إليه، طلب منه حمد الشويعر أن يكون قريبا منه في المعسكر وأن يرافقه للاستفادة من رأيه وتجاربه، فلبى الطلب بالرغم من كبر سنه.

كما أن قبائل الجبال التي استولى عليها جيش الإمام يحيى المتوكل نزل بعضهم إلى جازان فرارًا بأنفسهم من جيش الإمام يحيى، فشكرهم الشويعر على إخلاصهم ووسع عليهم في العطاء والمقررات وطمأنهم أنهم قريبا سيعودون إلى أوطانهم.

وكما سبق أن الشويعر قد ضرب معسكره في جهة صامطة، وعندما زادت تحرشات جيش الإمام يحيى، وعبث عبدالوهاب الإدريسي في جهة الجبال، رَتَّبَ الشويعر القوات السعودية تحسبا من اختراق المنطقة من ناحية الجبال الشرقية إلى الساحل على الوجه الآتي:

١ - وضع جيشا قويا في أعالي الحسينية لصد أي هجوم جانبي يأتي من قبل الجبال إلى جهة صبيا.

٢ - وضع قوات يعتد بها في جهة أبي عريش بقيادة ابن سلطان لتكون ظهيرا لمعسكر الحسينية، وفي نفس الوقت تصد أي هجوم يتقدم من جهة جبال العارضة والعبادل إلى جازان.

٣ - تقدم بمعسكره الرئيسي من صامطة إلى جهة الطوال من بلاد بني حُمَّد.

٤ - وضع قوات في المُوَسَّم على الخط الساحلي المباشر.

تحرك الشّويعِر من صامطة

صدر الأمر بتحرك المعسكر السعودي في صامطة إلى بلاد «بني حُمَّد» قرب الحدود المباشرة.

وظل هناك نحو شهرين وقد اجتمع تحت قيادته ما ينوف على ثلاثين ألف مقاتل، وإنما الأوامر كانت تصل إليه بالتوقف عن أي تحرش أو تعدي إلا إذا هوجم.

التمهيد للهجوم

إن لـ «حرض» أهمية (استراتيجية) نرى أن الكثير من الجيوش الغازية لتهامة اليمن تبدأ بمهاجمتها فـ«توران شاه» أخو صلاح الدين في تقدمه إلى زبيد هاجمها أولا، كما بدأ بمهاجمتها الإدريسي في حروبه مع الأتراك، وفي تاريخنا الحاضر هاجمها الجيش السعودي بقيادة الشويعر.

إن موقع بلدة حرض وسط بين الساحل والجبل، فالجيش الذي يستولي عليها يشطر البلاد إلى شطرين، ويتقدم منها في قلب المنطقة ويقطع كل اتصال بين المدن الساحلية وبلدان المنطقة الوسطى.

أقام الجيش السعودي ـ بعد انتقاله من أبي عريش ـ كما ذكرنا قبله ـ في ضواحي بلدة صامطة ثم نقل معسكره إلى بلاد بني حُمَّد ثم انتقل إلى أقرب نقطة من الحدود في بلاد بني حُمَّد بحيث لا تعدو المسافة بين الجيشين ١٥ كيلا.

وبطبيعة الحال فإن للجيشين استخباراتهما وجواسيسهما وعيونهما ممن يوافونهما بالأخبار وأدق المعلومات ـ على قرب تلك المسافة ـ كل ساعة تقريبا.

ولهذا فقد كان على قيادة القوات المرابطة في حرض عامل حرض علي السياني، وقد أعد خطته الدفاعية على عدوة وادي ابن عبدالله شمال حرض، وحفر الخنادق ووضع الاستحكامات الترابية، وأوكار للرشاشات، كما وضع خطا طليعيا متقدما مثل الخط الأول، وخطا ثالثا في أسفل البلدة يمتد شمالها الشرقي قاعدته قلعة المدينة، وهي قلعة حصينة بالنسبة إلى وسائل الدفاع آنذاك.

ويعتقد أنه كان يؤمل أنه يستطيع إيقاف الهجوم السعودي، حتى توافيه القوات المرابطة في عبس، كما هي خطة الإمام يحيى الذي كان يعتقد أنه بإيقاف الهجوم السعودي وكسر حدة زخمه، يمكنه المطاولة وأن تكون حرب استنزاف بالنسبة إلى بعد مواصلات الجيش السعودي من مركزه الرئيسي.

ويمكنه بعد ذلك القيام بالهجوم المضاد الجارف والاختراق، وتكون قد خارت قوى الجيش السعودي، واستنزفت موارده ـ كما يظن ـ ومن ثم فإن لم يكن النصر له تسوى المسألة وفقاً لرغبته.

إلا أن قائد جبهة الطليعة وعامل حرض (علي السياني) كان محتاطا

في تصرفاته الدفاعية، فقد شحن القلعة التي في جنوب شرق حرض، بالمؤن والعتاد ومواد البناء، احتياطا، فيما لو لم تصمد خطوط الدفاع فقد يكون له من القلعة موقع دفاعي يمكنه من الصمود حتى يعيق تقدم القوات السعودية المهاجمة، ولو بعض الوقت حتى تتوارد الإمدادات والنجدات السريعة إليه.

التهيّــؤ

لما أخفقت المفاوضات ـ كما أشرنا من قبل ـ صدرت الأوامر إلى سائـر الجبهـات السعـودية بالهجوم وحدد الوقت في فجر يوم الثلاثاء الموافق ١٨/١٢/١٣٥٢هـ.

لقد أشرنا ـ أنه لم يكن يفصل بين الجيشين أكثر من خمسة عشر كيـلا بل تقصـر المسافة في بعض المنحنيات إلى عشرة أكيال وأقل ومسافة كهذه لا تجعل للمباغتة قيمة، لأن عيون كل فريق تترصد حركات الآخر، وإنما قد يخطىء التقدير، وتخون الثقة صاحبها، وألمعنا إلى أن خطة الإمام يحيى هي المطاولة ما أمكن، ثم حرب الاستنزاف والدفاع على الحدود حتى تتهيأ الفرصة أو يحصل على ما يريد بالصلح والتسوية.

الهجـــوم

عبــأ حمـد الشـويعر جيشه وأمره بالاستعداد الكامل، والتهيؤ التام وانتظار ساعة الصفر، وبعث أرصاده وعيونه وجواسيسه على طول الحدود من ساحل المُوسـم إلى جبل (أبو النار) وقطع كل اتصال بين الجهتين، والمواصلات بين الطرفين.

وعنـد منتصف الليـل تحـرك المعسكر بأسره، واستعدت السيارات والمصفحـات والمـدفعيـة والرشاشات المحمولة في السيارات، وتقدمت الخيل في تؤده وهدوء، وبدأ الجيش سيره على طول جبهة حرض، وتوقف



هادي هيج

على بعد خمسة أكيال أو أقل بفرسانه ومصفحاته ورشاشاته ومدفعيته وسيـاراته، وعندما حان وقت صلاة الفجر صلى الجيش صلاة الخوف جمـاعـات جمـاعـات، وبعد انتهاء الصلاة صدر الأمر بالهجوم، ودوى الفضاء بشعار الهجوم بصوت واحد **(يامالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين)** وتلاه دوي طلقات النيران والمدفعية كالرعد القاصف، والزلزال الراجف، وانطلقت الفرسان ترج الأرض بسنابكها فارتجفت بلدة حرض من وراء خطوط الدفاع بسكانها فانخلعت القلوب من أبدانها.

وتقدمت الطلائع من الخيالة في جانب، والمصفحات والسيارات تباريها من الجانب الآخر كالسيل الحاشر، والطوفان الزاخر، يَطم ما قبله، ويرد ما يعترضه.

وانـطلقت عليهم النيـران من خنـادق الدفـاع واستحكامات الخطوط الأمامية وأوكار الرشاشات كجحيم البراكين، وإنما كما قال الراجز:

صادف درء السيل درء يدفعه   يرفعه حينا وحينا يضـــعـه

وسرعان ما اكتسح الخط الطليعي، وتلاه الخط الأول والثاني، وسقطت البلدة في يد القـوات المهـاجمـة، فانسحب القـائد حاكم البلدة (علي السياني) مع بعض فلول قواته واحتياطيه إلى قلعة حرض، فضرب على القلعـة نطاق الحصـار وتـوغل الجيش جنوبا خمسة عشر كيلا، وبعث سراياه للضواحي المجاورة، وقطع خط السلك بين حرض وعبس، وحرض وميدي، وميدي وعبس، واللحية والحديدة، وانسحبت فلول المجندين إلى أوطانهم وكلمـا مروا بمجنـدين ورأوا ما هم عليه سرت إليهم العدوى، فانسحبوا بدورهم إلى .. آخرهم وهكذا.

وتدفقت رسائل مشايخ تهامة على القائد الشويعر من وادي مور ومن باجل شرقا إلى زبيد جنوبا، ووصلت كتب هادي هيج أكبر مشايخ تهامة، وعامل وادي مور والزهرة واللحية بالموالاة، فأجابهم الشويعر بكل ما يطيب خواطرهم، ويطمئن نفوسهم ويستقطب ولاءهم.

وظل في حرض اثنى عشر يوما ينتظر تسليم القلعة، ووصول الأمير فيصل بن عبدالعزيز القائد العام للجبهة الجنوبية الغربية.

ظلت القلعة صامدة اثنى عشر يوما تصليها المدفعية نارها، والسياني يعمر ليلا ما تهدم منها نهارا، وفي مساء ليلة السبت الموافق ١٣٥٢/١٢/٣٠هـ التمس في هدأة الليل غرة وفرق أصحابه إلى جماعات صغيرة، وحدد لهم مكانا للتجمع بعيدا عن طائلة المعسكر في الناحية الشرقية، وقد تنكروا في زي القبائل المحلية، وترك جماعة قليلة يطلقون بين الفينة والفينة طلقات متقطعة وتسلل من القلعة ثم لحق من تأخر حتى لم يبق أحد فيها.

وفي الصباح كشف الأمر، فأرسلت سرية من الجيش لمطاردته فلم تظفر به.

وبعد أن رتب الشويعر شؤون حرض، واستقبل من استقبل من شيوخ قبائل تهامة اليمن تحرك بالجيش صوب قرية (المخازن) الواقعة شرق مدينة ميدي، وامتد معسكره من قرب حدودنا في جهة الموسم إلى وادي «حيران» بالحاء المهملة.



وصول الأمير فيصل بن عبدالعزيز لتولي قيادة الميدان

في يوم ٢٧/١٢/١٣٥٢هـ في نحو الساعة العاشرة صباحا بالتوقيت الزوالي، وصل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل مدينة جازان، بطريق البـر، ترافقـه زهاء مائة سيارة، وقد استعدت المنطقة من القحمة إلى المـوسم للاحتفاء بسموه فنشرت الأعلام ونصبت الزينات في كل قرية وبلدة، واستقبله الأهالي بالاحتفاء والابتهاج.

أما مدينة جازان فكان لها القسم الأكبر، والنصيب الأوفر، فاستقبله أهالي المدينة ووجهاؤها في «المطلع» بالتكبير والتهليل والابتهاج، فسار موكبه يشق الكتل البشرية حتى قلعة الدوسرية التي قد هيئت وفرشت وخفقت على أبراجها الأعلام، وبعد أن استقر به المجلس أذن للوجهاء والأعيان والمشايخ بالسلام على سموه، وألقى شاعر جازان الشيخ علي بن محمد السنوسي قصيدة الترحيب بسموه، كما أقام في الظهر وكيل أمير جازان سعود الشويعر مأدبة حافلة على شرف سموه، ودُعي إليها وجهـاء جازان، وأعيانه وشيوخه، ومشايخ القبائل المجاورة للمدينة وأعيان أهل أبي عريش وصبيا الذين توافدوا للترحيب والسلام على سموه، وبعد أن أقـام يومين تحـرك ركبه إلى (المُوَسَّم) فاستقبل من قبل أميرها والجيش والمعسكرات والأهالي، فظل فيه يومه وليلته، وفي الصباح تحرك موكبه إلى معسكـر «المخـازن» فاستقبـل استقبـالاً رائعًـا، وقضى بقيـة يومـه في «المخازن» ثم تحرك إلى المعسكر الرئيسي خارج قرية «المخازن».

تحرك سموّه إلى المخازن

كان المعسكر الرئيسي للجيوش السعودية قد أخذ في الاستعداد لقدوم سموه، والمسافة بين الموسم و (المعسكر) نحو ثمانية عشر كيلا تقريبا، وما أهل الموكب حتى اهتز المعسكر وهب لاستقباله بكل ضروب الإجلال والابتهاج والاحتفاء، وتقدم قائد المعسكر حمد الشويعر، مع ألف من الفرسان لاستقبال سموه على مسافة سبعة أكيال، وأطلقت المدافع تحية لسموه، وبعد أن استراح دقائق في السرادق الخاص الذي ضرب لسموه، أقبل قادة السرايا ورؤساء المجاهدين وشيوخ القبائل للتشرف بالسلام عليه.

ثم قام الجيش باستعراض رائع وأطلقت المدافع والرشاشات والبنادق فكان دوي قصف ارتجت له الأرض، ودوى الفضاء، وثار عثير ألفي فارس اشتركت في الاستعراض الرهيب فأطار ذلك بالبقية الباقية من صواب (العرشي) عامل ميدي وجيشه والسكان بين حرض وميدي وعبس، ووادي مور، وانسحب جيش معسكر عبس، مع قادته إلى الجبال وبعضهم إلى بلدانهم.

مدينة ميـدي

مدينـة ميـدي بحصـونهـا الشـامخـة، وقلعتيها المنيعتين، وعاملها (العـرشي) المعـروف ـ قبـل ذلك ـ بالدهـاء ظن أن ليس من السهل احتلالها، لذلك أخذ الشويعر وأركان حربه في إدارة أوجه الرأي ـ بعد التشـاور مع القيـادة العليا ـ واتخاذ الترتيبات اللازمة وإعداد الخطة الحكيمـة، والقيـام بالاستكشـافـات، وسبر مناعة استحكاماتها ومواقع دفاعها، وعدا حصونها وقلعتيها، هناك قلاع صغيرة على موارد الماء، ووكر للمدافع من الشمال، وقلعة في الطرف الجنوبي من جزيرة (الدويمة) التي

تمتد من ساحل الموسم إلى مرسى ميدي، أي أن قسما من الجزيرة في حدودنا، كما أن في مرسى ميدي الرئيسي ـ (الخور) قلعة، واستحكامات.

لذلك فقد أخذت المدفعية بضرب الاستحكامات والقلاع التي خارج المدينة، كما قامت سرية من معسكر المُوسَّم بغارة ليلية موفقة على قلعة الدويمة، قضت على حاميتها بالسلاح الأبيض.

كما قامت كوكبة من الخيل بعملية استكشافات، وحركه التفاف حول المدينة في وضح النهار، فتحركت من معسكرها (المخازن) متجهة شمالا ثم انحرفت غربا ما بين المدينة ووكر المدافع الشمالي إلى قرب ساحل البحر (مرسى البغلة) ثم مرت من غرب القلعة الغربية واتجهت جنوبا، والناس تشاهد تحركها من فوق سطوح البيوت والحصون، في دهشة وخوف، بدون أن.. تتحرك القوات التي في المدينة لاعتراضها، بل والعرشي نفسه يشاهدها من أعلى قصر باصهي ـ الذي هو مقر إدارته ـ وبعد أن اتجهت جنوبا أصدر أمره بالنفير على حامية القلعة الغربية بإطلاق قذائف المدفعية عليها، في حال أنها قد توغلت جنوبا وحجبتها الآكام، ثم سلكت ما بين ميدي وقرية (حبل) وعادت إلى المعسكر سالمة.

وعلى إثر ذلك أرسلت سرية فاحتلت قرية (حبل) كما أرسلت سرية أخرى فاحتلت قرية (الدير) مركز وادي (حَيْران) ـ بالحاء المهملة ـ وبذلك طوقت مدينة ميدي من جميع النواحي، وعلمت القيادة أن المعسكر الرئيسي في بلاد عبس قد انسحب، فأرسلت سرية لاحتلال بلاد عبس ومعها شيخ (عبس) السابق محمد الشوكاني الملتجىء لدى الحكومة.

ظل (العرشي) كالطير في قفص، محطم المعنوية قد تسلل من عنده من المجندين ولم يفضل لديه إلا الجيش النظامي فانعدمت لديه الرؤيا الصحيحة، والتصورات الواضحة، وساء ظنه بأعيان المدينة ووجهائها فزج بهم في السجن.

أخذ فكره يدور في دوامة من المتناقضات، وعقله يتخبط في أمواج من التشوشات والسلبيات فتارة يعزم على المقاومة، ويأمر ببناء استحكام وكر - الرشاش، في أعلى قصر باصهي - مقر إقامته، ودائرة عمله - فيبني على وجه السرعة ويستعد للحصار بالماء والأرزاق، وأخرى يعزم على الخروج متسللا كما فعل زميله - عامل حرض - السياني -، وأخيرا وفي ليلة ٧ محرم ٥٣ عزم سرا على الانسحاب خلسة، مع جيشه، وبصورة سرية استدعى ضباط الجيش وأوعز إليهم بأن يحضروا إلى ساحة مقره بعد المغرب بسراياهم مباشرة، موريا أنه سيهاجم المعسكر السعودي، على غرة، وبحضورهم سار بهم لناحية الشمال الشرقي قليلا، ثم أمرهم بالانحراف إلى ناحية الغرب إلى جهة (الميناء) وكان قد أمر بعدم إقلاع السفن الموجودة فيه تحسبا للفرار عليها، إذا ألجأه الأمر إلى ذلك وبوصوله إلى الميناء، وجد أن جميع السفن قد أقلعت، فصارح كبار جيشه بالحقيقة، وأمرهم بالانسحاب عن طريق الساحل إلى اليمن، وركب سيارة (كبيرة) ليسبقهم فتعطلت فركب بغلته وسار مع الجيش.

فشاع خبر انسحابه في المدينة، فإذا هي تندب حظها وتبكي شجوها، وكان وجهاء المدينة في السجن على رأسهم أحد تجارها إبراهيم بن حسن الرفاعي، فخرجوا من السجن وتم بعد التشاور السريع بعث رسول إلى «المخازن» على وجه السرعة يحمل مصباحا وعلماً أبيضاً لإخبار القائد بالأمر وطلب منه إرسال من يتسلم المدينة ويؤمن أهلها.

فسار الرسول فلقى دورية من دوريات الجيش فأخبرهم بمهمته فأركبوه وراء أحد الفرسان، وأسرع به إلى المعسكر، وأوصل إلى حمد الشويعر الذي استصحبه بدوره إلى الأمير فيصل فأصدر أمره في الحال بما يأتي:

١ - إرسال قوة خفيفة من الجيش لحفظ المدينة وتأمين أهلها.

٢ ـ إرسال دورية من الخيالة تطوف حول المدينة وتمنع كل متسلل من الخارج.

٣ ـ الأمر على القيادة بعدم دخول أي فرد من الجيش إلى المدينة ـ غير من ذكر.

وتقدمت القوة الخفيفة مع رسول الأهالي، ودخلت المدينة فاستقبلها وجهاء الأهالي وباشرت إجراءات حفظ الأمن، كما تقدمت دورية الفرسان وباشرت عملها بالطواف خارج المدينة، وقامت سيارة من السيارات التي تقل القوات الخفيفة تخبر القيادة بتسلم البلدة، وبوصولها قام سمو الأمير فيصل يرافقه حمد الشويعر ومعهما فرقة من الجيش إلى أقرب نقطة من المـديـنـة وظل سموه ساهرا طيلة ليله يصدر الأوامر والتعليمات، وعند شروق الشمس دخل المدينة واستقر في قصر باصهي مقر الحاكم الأول.

تعقب العرشي والجيش المنسحب

علمت قيـادة الجيش السعـودي بعـد استيلائها على مدينة ميدي، بحقيقة انسحابه برا بطريق الساحل، فقد كان الخبر لديها قبل ذلك بأنه ركب السفن إلى الحديدة، فصدر الأمر لسريتين من الجيش بمطاردته، وكان العرشي وجيشه المنسحب من ميدي في حوالي الساعة السابعة والنصف وصل إلى المرسى في حوالي الساعة الثامنة والنصف، فوجد السفن التي قد احتـاط بهـا قد أقلعت، ـ كمـا سبق توضيحـه قبله ـ والمسافة بين ميدي وحبل لا تتعدى الساعتين والنصف للماشي المتريث، فإنهم لم يقطعوها إلا في نحو ثماني ساعات، لأنهم إن قربوا من الشط غرزت دوابهم، وأقـدامهم، وإن بعـدوا عن الشـط خافوا أن تشعر بهم دوريات العدو، أو متخطفة القبائل، فإن الجيش المهزوم عرضة لكل شر، لهذا كان بطء سيرهم، ومع تباشير الفجر شاهدتهم دورية السرية التي في قرية حبل، والساحل يبعد عن القرية بنحو خمسة أكيال فعادت إلى رئيسها

وأخبرته بالأمر فأخذ في الاستعداد للخروج لاعتراضهم، فإذا سيارات السريتين مقبلة، فأخبرهم بأمرهم فتحركوا لمطاردتهم في سرعة وتصميم، وتقـدم فصيـل الرشاش، وعند مشاهدتهم قام بحركة التفاف لقطع خط سيـرهم، وأطلق عليهم النيران، ودارت المعركة واستمرت ثلاث ساعات ونصف أكثـرهـا في البحـر وبين الشورى وبالسلاح الأبيض، وانتهت المعركة بأسر العرشي ومن بقي من جيشه، وعادوا بهم إلى ميدي، فأمر بإرسالهم إلى جازان، وظلوا في الأسر إلى أن أبرم الصلح بين الحكومتين.

مغادرة عمال الإمام لتهامة

وبسقـوط ميدي، وعبس انسحب عمال الإمام من تهامة إلى صنعاء وغيـرهـا من القسم الجبلي، كمـا انسحبت بقية الجيش المتوكلي من مراكزها، وتقدم من لم يتقدم من شيوخ تهامة بالكتابة للقيادة السعودية بولائه أو القدوم بنفسه لتسليم بلادهم.

كما أكد الشيخ هادي هيج في رسائله بالولاء والطاعة، وطلب إرسال أمراء لمنطقته.

التقدم من ميـدي

نتيجة لذلك ولانسحاب القوات المتوكلية، وانهيار كل مقاومة في تهامة وما ترتب على معركتي حرض وميدي، وبعدهما معركة جنوب حبل وتصفية جيش العرشي بين قتيل وجريح وأسير، وأسر العرشي نفسه، وما ترتب على ذلك التمزق وحدوث الفراغات فقد صدر أمر الفيصل بإرسال عدد من الحكام العسكريين مع بعض القوات إلى الجهات الآتية:

مور ، والزهرة، وبني نشر، وجبال قيس، والزيدية، ومدينة اللحية.

وصدر الأمر على قائد الميدان حمد الشويعر بالتحرك بالجيش إلى الجنوب بطريق عبس ومنها إلى الزهرة، وسار الأمير فيصل في السيارات بعـده، فوصـل إلى (الزهـرة) يوم ١٦ محـرم وقد ضرب حمد الشويعر معسكره في خارج البلدة ووفود أعيان القبائل من جنوب تهامة وأطراف الجبـال تتـوارد جمـاعات جماعات، مقدمة ولائها، مُعَاهِدةً على السمع والطاعة ـ وبعد أن استراح برهة وأصدر تعليماته وأوامره إلى الشويعر سار إلى مدينة اللحية.

الحالة في منطقة مدينة الحديدة

أشـرنـا إلى مغادرة عمال الإمام يحيى لمراكزهم بعد احتلال مدينة ميدي وكان من ضمنهم عامل الحديدة الأمير الحسين ابن الإمام يحيى نفسه، وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه ـ فكما غادر مدينة (الحديدة) عامل الإدريسي عبدالمطلب بن هارون، منسحباً ناجيا بنفسه بدون حرب ولا ضرب، قبـل تسـع سنوات، وبعد أن ظلت المدينة شاغرة بدون سلطة تحكمها ثلاثة أيام ليدخلها عبدالله بن الوزير على رأس الجيش المتوكلي، هكذا انسحب الحسين ابن الإمام ناجيًا بنفسه، ثم بعده يغادرها قائد حامية المدينة (سليم بك) في زورق شراعي إلى جزيرة (كمران) وتَظل المدينة بدون سلطة تحكمها، حتى يبعث أهل المدينة رسلهم إلى الأمير فيصـل بطلب بعث من يستلم مدينتهم، ويـؤمن أهلهـا، وبشغور مدينة الحـديدة بفرار عاملها وحاميتها، وصلت سفن حربية بريطانية وإيطالية وفرنسية ورابطت في الميناء بحجة المحافظة على أرواح رعاياها وأموالهم.

وحـاولت السفن الإيـطالية إنزال بعض جنودها، وإنما كان ذلك وقد دخلت طلائع الجيش السعودي، التي كان همها وضع جنود في الميناء،

ولم يكن جنود السفن الإيطالية يعلمون بهم، وبدنوهم من الميناء برز لهم الجند السعودي ومنعوهم فعادوا إلى سفنهم، وبوصول الأمير فيصل أخبر بذلك فاتصل بجدة لاسلكيا، فاحتجت وزارة الخارجية إلى تلك الحكومات.

الاستيلاء على مدينة الحديدة وبلاد الزرانيق

وبوصول مندوب مدينة الحديدة إلى الأمير فيصل صدر أمره بما يأتي:

١ ـ بعث قوة من الجيش إلى مدينة الحديدة مع مندوب الأهالي مع كتاب بالأمان وتطمينهم والتأكيد على قائد الجيش والموظفين المدنيين المرافقين لهم بما يجب من تأمين راحة الأهالي وتسيير دفة الأعمال.

٢ ـ بعث قوة بقيادة الشيخ إبراهيم السبهان لتسلم مدينة الضحى التي طلب أهلها إرسال من يؤمنها.

٣ ـ بعث قوة إلى بيت الفقيه وبلاد الزرانيق ـ يرافقها شيخ مشايخ الزرانيق أحمد فتيني ـ الذين وصلت كتبهم ومندوبوهم بالسمع والطاعة.

٤ ـ بعث سرية من الجيش إلى بلاد قبيلة القحرى وقاعدتهم بلدة باجل بعد وصول رسلهم وكتبهم بالسمع والطاعة، واستولت السرية على كل ما حولها إلى جهة (الحجيلة) وما سامتها ، وبذلك تم الاستيلاء على كامل ما كان في حدود الإمارة الإدريسية السابقة.

٥ ـ أرسلت قوة من الجيش إلى جهة (زبيد) بقيادة عبدالله بن ختلان ، وفي طريقها استولت على وادي رمع، ومنه إلى (الحسينية) ومنها إلى ضواحي زبيد، وهناك اشتبكت بالقوات المتوكلية وظلت في قتال معها إلى أن حان الصلح.

دخــول فيصل الحديدة

وفي يوم ١٧ محرم ١٣٥٣هـ تحرك ركب الأمير فيصل من اللحية في طريقــه إلى الحديدة، في موكب مهيب، بطريق الساحل تستقبله القرى والبلدان والقبــائـل بالحفــاوة والابتهــاج والأفراح، وقرع الطبول ولعلعة الزغــاريد، حتى أشرف على مدينة الحديدة أكبر مدن اليمن الساحلية وميناؤها الرئيسي، وخرجت القوات السعودية لاستقباله خارج المدينة، التي قد رفعت الأعلام على قصورها ودوائرها، وخرج الناس لاستقباله ومشاهدة موكبه، وأطلقت المدافع تحية لسموه ولازال موكبه سائرا حتى وصل قصر الحكومة، مقر عامل الحديدة الحسين ابن الإمام يحيى، فأقبل وجهــاء المــدينــة وأعيانها، وقناصل الدول الأجنبية للسلام على سموه وبعــدهــا أصــدر توجيهــاتــه إلى الدوائــر الحكــومية، والمرافق العامة والمؤسسات الحكومية باستئناف أعمالها، وإدارة شؤون البلدة كالعادة المتبعــة، حتى يتم بأقصى سرعة وصول الأنظمة المرعية في المملكة، وبعد ذلك وصل حمد الشويعر مع سائر الجيش وضرب معسكره خارج المدينة.

وصول الشيخ عبدالله السليمان

وفي اليوم الرابع لوصول حمد الشويعر وصل الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية على متن باخرة خاصة، تقل سرية من رجال الأمن وجماعة من رجال الإدارة وأجهزة اتصالات لاسلكية مع موظفيها، ومكاتب للإدارات ومطبوعات رسمية ورؤساء موظفين.

وفي وقت وصــوله اتخــذت الإجــراءات في تنظيم الإدارات الإدارية والمــاليــة وغيــرهــا وملء شواغرها كما قام رجال الأمن، ورجال الإدارة الإداريــة بمــلء أطرهم وتشغيل أقسامهم وإدارة أعمالهم، وملء شواغر

الوظائف واستمرت الأجهزة الحكومية بالقيام بواجبها إلى أن تم تصديق المعاهدة التي أشرنا إليها آنفا، وتوجه بها الوفد العربي الإسلامي إلى صنعاء، وبعد توقيعها من الإمام بدأت الحكومة المتوكلية بتنفيذ ما قررته المعاهدة وهو:

- الانسحاب من نجران، وقد تم ذلك فعلا واستلمه مندوب المملكة.

- الانسحـاب من أقسـامنـا الجبليـة فيفا وبني مالك والعبادل وغيرها واستلمها مندوبو المملكة، سلمت الحكومة المتوكلية الأدارسة، وتسلمهم مندوب الأمير فيصل من جهة زبيد، ثم وصل بهم إلى مدينة الحديدة ومنها رحلوا إلى مكة.

وبـإنفاذ ذلك بدأت الحكومة السعودية في الانسحاب من الأراضي اليمنية التي استولى عليها الجيش السعودي.

وبـدأ أولا بالحـدود التي يرابـط فيهـا الجيش السعـودي في بلدة الحسينية في جهة زبيد وفي حدود الجبال التي شرق وشمال وجنوب باجل ومـا سامتهـا إلى (أسلم) و (مستبـا) و(بني مروان) ومن ثم المناطق الساحلية والوسطى، لقد تم ترتيب أعمال التسليم في الحديدة وتشكلت لجان لكل منطقة من مندوبين عن الحكومتين وسلمت المنطقة وموجوداتها بمـوجب وثائق وبيانات ووصل الأمير فيصل مدينة ميدي في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ.

والحقيقة أنه قبل هجوم الشويعر قد وصلته المكاتبات من شيوخ قبائل تهـامـة اليمن الذين هم شوافـع، والذين لا زالوا يتمنـون عودة الحكم الإدريسي الشافعي، ولم يمض على استيلاء الإمام يحيى عليها إلا نحو تسع سنوات، والتباين بين الزيود والسنيين موجود - في ذلك التاريخ - يضاف إلى ذلك أن بعض مشايخ تلك الجهة كانوا قد لجأوا أولا للحسن الإدريسي مثـل شيخ عبس السابق، والشيخ محمد القحم أحد شيوخ صليل، وشيخ مشايخ الزرانيق أحمد فتيني، وشيخ مدينة الزيدية بلغيث

فيروزي، وشيخ مدينة ميدي أحمد طاهر زيلع الذي قتل قبل ذلك وغيرهم من مشايخ تهامة.

وإيفاءً للبحث وإيرادا للحقيقة نورد ما جاء في مذكرات الشيخ تركي بن ماضي[1] حول النهاية للقضية السعودية اليمنية كما سجلها بقلمه في مذكراته حيث قال ما نلخصه بتصرف:

انتقـل عبدالله بن الوزير ورفقاؤه إلى مكة، وكان المرافق لهم عضو الوفد السعودي تركي بن ماضي - يقصد نفسه.

وبقى ابن الوزير في مكة ينتظر السماح بالسفر من جدة إلى عدن بحرا نظرا لاستيلاء الجيش السعودي على الحديدة، وهو الميناء الرئيسي لليمن واندفاعه جنوبا وشرقا إلى الجبال التي شرق باجل، وجنوبا إلى الحسينية قرب مدينة زبيد.

وشعر الإمام بهزة الزلزال، ورجة البركان الذي يحيق بمملكته، فأبرق لابن سعـود: (أيها الأخ: كفى ما قد حصل، وهذا الولد عبدالله الوزير مفـوضا منا لعقد المعاهدة) وحضر ابن الوزير لمقابلة الملك عبدالعزيز وتلقى الشروط التي يتم بها الصلح فكتب الملك بيده الشروط الآتية:

١ - تسليم الأدارسة.

٢ - الانسحاب من نجران.

٣ - الاعتراف.... الخ.

وحالا تسلمها ابن الوزير، استأذن للخروج للإبراق للإمام بها، وأبرق فعلا فوصلت موافقة الإمام على ذلك، وأبرمت المعاهدة وانسحبت الجيوش اليمنيـة من نجران والجبال، ودخلتها الجيوش السعودية، كما انسحبت

---

(١) مذكرات الشيخ تركي بن ماضي: هي سجل واف عن القضية السعودية اليمنية من أول وفد سعودي توجه إلى صنعاء إلى آخر وفد عاد منها وهو بحكم اشتراكه في تلك الوفود تعد مذكراته من أوثق المصادر.

الجيوش السعودية من تهامة اليمن الإمامية التي احتلتها في تلك الحرب، كما سنورده مفصلا.

بعـد وصــول برقية الإمام إلى الملك عبدالعزيز، وموافقة الإمام على شروط الملك، وفي أثناء إبرام المعاهدة كان وصول الوفد الإسلامي.



تحليل عن الحدود

إن معاهدة الطائف حسمت الخلاف ووضعت قواعد الصلح وتقرير الحدود بين السعودية واليمن ونصت على تعيين لجنةرئيسية يتفرع منها عدد من اللجان بالتساوي بين الطرفين لتقوم بمسح الحدود حسب بنود الاتفاقية وشروط الصلح مع معرِّفين ثقات من شيوخ مناطق الحدود وتوضح جهات كل قبيلة يمر فيها خط الحدود بين المملكتين مما يزيل كل لَبس ويدحض كل تأويل أو تفسير خاطيء وانتهت اللجان الفرعية والرئيسية من المخططات والمضابط والتقارير ووقعت من اللجان وتم بناء أربعين ومائتي عمود محكمة البناء على طول الحدود بين المملكتين البالغ أطوالها أربعمائة ميل من الربع الخالي في الشمال الشرقي إلى الساحل بين ميدي والموسم في الغرب الجنوبي حسب البيانات والمضابط والتقارير الموجودة في آخر هذا الكتاب في قسم الوثائق، وقد راعت اللجان مصلحة الطرفين وأحوال وظروف كل قبيلة مر بها خط الحدود والتضاريس والفواصل الجغرافية للجهات وكل ما ينهي الخلاف في الحاضر والمستقبل، وقد أتمت اللجان مهامها في وقت قياسي بالنسبة إلى مواصلات ذلك العهد وكانت اللجان اليمنية تسير في مهمتها مع اللجان السعودية وبصورة مثالية من الهدوء والوئام، وقد قام في ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م مندوب اليمن في مفاوضات المعاهدة وملاحقها عبدالله بن الوزير بالتحرك من صنعاء إلى ميدي وبوصوله إليها توجه من جازان في اللنش «الرياض» إلى ميدي يقل وفدا سعوديا مؤلفا من أمير منطقة جازان محمد بن عبدالعزيز بن ماضي ومدير المالية وبعض أمراء الجهات واستقبل الوفد استقبالاً كريمًا واستقل السيارة من ميناء ميدي إلى قصر الحكومة حيث كان عبدالله بن الوزير في الانتظار للوفد في قصر الحكم الذي بناه الإدريسي ـ سابقا ـ أثناء حكمه على ميدي وبعد التحية وتناول

الشـاهي أخذ الوفد إلى النزل المعد له في قصر الشيخ محمد يحيى باصهي ـ وبعد إقامة يومين عاد الوفد وصحبته عبدالله بن الوزير ويرافقه حكام مدينة اللحية وحرض وعبس وأبحر اللنش في الضحى ووصل جازان بعـد العصـر وقـد أُعِد احتفال حافل للاستقبال، والسيارات معدة عند الشاطىء، فأقلتهم إلى دار الإمارة ومن هناك إلى النزل المعد له في بيت الشيخ يحيى محمد يحيى باصهي وبعد رحلة سريعة إلى أطراف الحدود عاد يُطمئن الإمام بأن كل شيء طبقا لبنود وملاحق المعاهدة.

وقد تم كل شيء في أثناء تخطيط الحدود وممارسة اللجان لمهامها في دقة وانتظام وتسهيلات من الطرفين لإنهاء العمل الحدودي على الوجه المطلوب وغاية ما ينبغي أن توصف به هي تخطيط الحدود بين شقيقتين في جو من الصفاء والتفاهم البنَّاء بروح أخوية ليس فيها غالب ولا مغلوب، فالحدود بين الحكومتين هي الحدود التي كان عليها الوضع عندما تمت الحماية السعودية على المنطقة في سنة ١٣٤٥هـ، واعترف الإمام بمِلْكية السعـودية وملْكِيَّتها على مناطق نجران وعسير والمخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ بصفتها أجزاء من المملكة العربية السعودية والتي بَيَّن المستهل في مقدمتها والتي نصها الحرفي:

تنص المادة الرابعة على ما يأتي:

«خـط الحـدود الذي يفصـل بين بلاد كل من الفـريقين السـاميين المتعـاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي، ويعتبر هذا الخط حدا فاصلا قطعيًا بين البلاد التي تخضع لكل منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتبارًا من النقطة الفاصلة بين ميدي والمُوَسَّم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالا إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف

إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين مَنْ عدا يام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصغة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد. هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية، وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢هـ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية.
وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبدالعزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث إن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم في المملكة العربية

السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به، ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفا بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمنية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات، وبالمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات، وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة، وكثيرا ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين، إما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل - راجع بيانات وتقارير ومضابط خط الحدود التفصيلي في قسم المعاهدات والوثائق في آخر هذا الكتاب.

موقف العالم العربي من الحرب السعودية اليمنية

إن الأحداث في أية جهة من العالم في القديم والحديث لها أثرها وتأثيرها لا في منطقتها بل فيما حولها إن لم نقول فيما هو أبعد حتى بعض الأحداث المهمة يكون لها أثرها في المحيط العالمي إلى آماد طويلة.

فإن ما كان في حضارة اقريطش القديمة استفادت منه العصور فيما بعد ووسّع تفكير الإنسان وأفق خياله وأعطاه صورة من الماضي يستفيد مستقبلا منها.

لسنا بصدد دراسة التاريخ أو علم التاريخ وهذا شيء بعيد عن موضوعنا الذي نقصد منه أثر تلك الحرب في العالم العربي أولا وفي العالم الخارجي ثانيا.

إن الأحداث والمعارك والتغيرات سواءً في العالم القديم وفي القرون الوسطى أو في عصرنا الحاضر هي تجربة من تجارب الإنسانية مهما نأى بها الزمن أو أدنى بها الوقت. هي تجارب يستفيد الإنسان في مسيرة الحياة الطويلة منها، وظروف الزمن المتباعدة تستفيد منها الإنسانية في تاريخها الحاضر، ومن الخير أن تدرس الحوادث لا من الناحية الإقليمية الضيقة بل من الناحية الواسعة بوسع هذا العالم الذي نعيشه، فالتجربة الإنسانية مهما تقادم بها الزمن لا تختلف عن التجربة الحاضرة إلا في الملامح والتخطيط. فإن متطلبات التعاون الإنساني على رقعة الكون ورغبة حب التعايش في سلام وعيش كريم يستدعي التعاون إنسانيا وحضاريا ولا يكون ذلك إلا أننا نتأثر به من صدى وقائع الأحداث هذا في ما قبل فما بالك في عصرنا الذي أصبح العالم في القارات الخمس أسرةواحدة، لقد قَرَّبت وسائل المواصلات المسافات ووسائل الرؤية والسمع سكان العالم من بعضها البعض سواء كان مقروءا أو مسموعا أو منظورا، فبدل أن كانت تتأثر البلدة أو المدينة أو المنطقة فالآن تتجاوز الأحداث هذا النطاق الضيق إلى مجال العالم بأسره.

صدى ومردود الحرب السعودية اليمنية في العالم العربي

كانت السعودية واليمن هما الدولتان المتمتعتان باستقلالهما الكامل في المحيط العربي الذي يرزح في أغلال قيود الاستعمار في ذلك التاريخ المعاصر - ومعلوم ما كان - من كابوس الاستعمار الإنجليزي في مصر وسواحل الخليج والعراق وفلسطين وفي المحميات وعدن والاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان - وإنما مع معاناتهم فإن ميولهم الوطنية وانتماءهم العربي - حتى العرب غير المسلمين - شدهم إلى الاهتمام والمشاركة القومية وجدانيا وعاطفيا لما حدث بين الجارتين الشقيقتين ولما قاساه العرب وتلك الأقطار من المعاناة والانزعاج فهبت شخصيات من الزعماء والسياسيين في تلك الأقطار الشقيقة بدافع وطنيتهم ومشاركة

لجماهيرهم بالاتصالات بالملكين.

هذا على المستوى الشعبي بالنسبة إلى الشرق الأوسط، أما المغرب العربي فكان إذ ذاك له مشكلاته ومشاغله مع الاستعمار الفرنسي الذي أسدل العتمة على تصوراته عن إخوانهم وأقوامهم في آسيا حتى أن منهم - كمثل الجزائر الشقيقة - مَنْ استطاع أن يحرمهم من لغتهم العربية تمهيدا - في تخيّله - لفرنستهم.

أما الموقف الرسمي فقد قامت حكومة العراق في عهد الملك فيصل ابن الحسين عند تأزم الخلاف بإعلان رغبتها في التوسط فبعثت برقيتين إلى كل من الملك ابن سعود والإمام يحيى رغبت إليهما في إنهاء الخلاف وقد تجاوب الملك ابن سعود متمنيا أن ينتهي الخلاف وتحقن الدماء العربية المسلمة «فإن سوء التفاهم بينه وبين أخيه الإمام يحيى لم يكن في أمر حادث وإنما إلحاحاً منا عليه بالثبات على معاهدة واتفاقية سابقة»[١]..... الخ.

وبعد وفاة الملك فيصل ملك العراق جدد خليفته ابنه الملك غازي السعي والحرب قد استعر أوارها وطار شرارها فلم تثمر الوساطة[٢].

أما بقية الدول العربية فموقفها السلبي يتناسب مع عجزها عن مساعدة أي طرف فآثرت الحياد حتى أن صحفها لم تنشر ما يمكن أن يلمس فيه تحيز أو ميل إلى رجحان طرف على آخر وهي في نفس الوقت تحت النفوذ البريطاني أو الفرنسي.

المواقف الشعبية

ألمعنا قبله إلى اهتمامات وغليان العواطف الشعبية في البلاد العربية لتلك الخلافات بين السعودية واليمن، وشأن الإخوة الأقرباء - في كل زمن

(١) مجلة الفتح عدد ٢٦٠ في جمادي الأولى سنة ١٣٥٢هـ.
(٢) جريدة المقطم العدد ٧٤٧ ١٣ الحجة سنة ١٣٥٢هـ.

ومكان ـ يميل هذا إلى جهة والثاني إلى الأخرى وإن كانا يتفقان على قدر أحداث الخطب وتطور الحالة، فإن الأمة العربية ـ آنذاك ـ ولازالت تنظر إلى شبه الجزيرة بأنها عَرين العروبة ومصدر إشعاع الإسلام، وأن الدولتين المستقلتين هما الرجاء والأمل لهما فيما يتصورون ويأملون من المستقبل الأفضل ويكاد أن تتلخص المواقف الشعبية في البلاد العربية على وجه العموم كالآتي:

١ ـ في عدن المستعمرة البريطانية ـ آنذاك ـ بلغ الغليان والتعصب إلى التماسك بالأيدي في الساحات العامة والخصام في المجالس الخاصة وكان لا حديث إلا أخبار الحرب وانتصارات هذا الطرف أو ذاك ولكن عدن مستعمرة، فيجد الإنجليز في ذلك مادة ضعف تشغل الشعب وتجمد نشاطه عن مطالبهم القومية.

٢ ـ وفي مصر عقدت الجمعيات والمؤسسات الاجتماعات وحدثت المناقشات وألقيت الخطب بشجب تلك الحرب بين الجارتين العربيتين، وضمنتها البيانات الصادرة عن الاجتماعات والمؤتمرات بالتوصيات وتوجيه النداءات إلى الطرفين المتحاربين وسارعت جمعية الإخوان المسلمين وغيرها بإرسال الوفود لرأب الصدع ولم الشمل والمطالبة بمناشدة العاهلين لإيقاف الحرب، وتقرير إرسال اللجان إلى الطرفين، ونفس الحالة كانت في كل من سوريا والعراق وفلسطين ونشطت الاتصالات بين رجال الأمة العربية، وكان الإمام يحيى قد بعث ببرقيات عاجلة إلى غير واحد منهم وأسفرت الاجتماعات والمداولات والاتصالات بين القاهرة ودمشق وفلسطين بالتجاوب مع عواطف الجماهير، وقيام صاحب المنار رشيد رضا والنحاس رئيس حزب الوفد والأمير عمر طوسون بالإبراق للملكين متمنين عليهما إيقاف الحرب وكانت نتيجة عمل وتحركات تلك الزعامات تأليف لجنة للوفادة تتألف من:

١ ـ أمين الحسيني من فلسطين.

٢ ـ الأمير شكيب أرسلان بصفته زعيما عربيا.

٣ ـ محمد علي علوبة باشا يمثل الجماهير المصرية.

٤ ـ هاشم الأتاسي من سوريا.

٥ ـ الدكتور عبدالحميد سعيد عن جمعية الشبان المسلمين.

٦ ـ محمد رفعت باسم جمعية من مصر تسمى بالاتحاد العربي.

وانضم إليهم غيرهم ووصل الوفد إلى جدة في ١ محرم سنة ١٣٥٣هـ ـ ١٦ ابريل ١٩٣٤م[١]، وفي أثناء وصول برقية الإمام يحيى بقبول شروط الملك ابن سعود بإنهاء الحرب وصل الوفد العربي الإسلامي إلى جدة وقد يكون وصوله قبل وصول البرقية بيوم أو بعدها بيوم، ومن الشيخ تركي الماضي ـ نفهم أن برقية الإمام لجلالة الملك برجاء وقف تقدم الجيش السعودي، ورضوخه لقبول ما يمليه جلالة الملك من الشروط انهت الأمر فلم يبق للوفد إلا المباركة والتمنيات وشكر العاهلين.

الصحافة

في ذلك التاريخ لم تكن الصحافة العربية في المستوى التي هي عليه الآن وإن كانت قامت ببعض ما يجب، فلم يكن لها مراسلون حربيون في الجبهات وإن وجد مراسلون فلن يسمح لهم بالوصول إلى ميادين المعارك، وأنشط الصحف العربية ـ حين ذاك ـ الصحف المصرية، فكانت تعتمد في نشر أخبارها على ما يبلغها ويتصل بعلمها بطرق غير مباشرة وعلى البلاغات الحكومية التي لم تكن تصدر عن التفصيلات وإنما على ما توفق عليه الجيش السعودي من التقدم أو بعض التصريحات للإمام يحيى.

(١) مجلة الفتح عدد ٣٩٦ ـ ١٣٥٣/٢/١١هـ ص٢.

الأثر الايجابي

وعندما اطَّلع الإمام يحيى على البلاغ السعودي شعر بما يهز كيانه ويرج بنيان عرشه، فأسرع في الإبراق إلى ملوك ورؤساء وزعماء الحكومات العربية وكبار علماء المسلمين يستعديهم على ابن سعود ويبثهم تخوفه وكأنه لم يكن هو المماطل والمطالب بما ليس في ملكه ولا تحت يده ولا كأنه لم يف بمعاهدة العر ولم يحتضن الأدارسة الفارين إليه، ولم ..... ولم.....

وفي شهر الحجة سنة ١٣٥٢هـ ـ ٤ أبريل سنة ١٩٣٤م ـ تقريبا ـ صدر عن وزارة الخارجية البلاغ الآتي:

«لما يئس جلالة الملك من الوصول إلى حل مرض مع الإمام يحيى أمر الأمير سعود ليتقدم بجنده إلى الأمام، لمهاجمة القوات الأمامية للإمام يحيى، فتقدم الأمير فيصل بن سعود إلى (باقم) وتقدم الأمير خالد بن محمد إلى (نجران) و(صعدة)، أما أمير تهامة عسير حمد الشويعر فقد تقدم ببعض القوات إلى (حرض)[1]».

وفعلا تقدم حمد الشويعر واحتل بلدة حرض، التي لها أهميتها الاستراتيجية فهي على خط الحدود وفي نقطة الوسط بين الساحل والجبال، وإذا رجعنا إلى استقراء التاريخ نجد أن عبدالنبي بن علي بن مهدي الرعيني، عندما أراد مهاجمة المخلاف السليماني من اليمن، أول ما هاجم بلدة حرض التي كانت تابعة للمخلاف السليماني[2]، لقد أشرنا قبله إلى أهمية مدينة حرض من الناحية الاستراتيجية والتكتيكية، والآن نتناول ما

---

(١) تاريخ نجد لـ د. قليني ص٣٧٨.

(٢) في القرن السادس كانت ضمن بلاد المخلاف السليماني فهاجمها عبد النبي بن علي بن مهدي وقتل أميرها وهاس ـ وهذا مسجل في جميع المصادر التاريخية ـ يعرفه كل مطلع على التاريخ.



● جمع من مواطني أبها عام ١٣٥٦هـ، ويظهر في الصورة الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بين تركي السديري وخالد السديري «رحمهم الله». كما عُرِفَ مِنْ بين مَنْ في الصورة: ١ ـ عبدالله بن علي بن حميد «رحمه الله». ٢ ـ عبدالله بن علي بن مسفر «رحمه الله» ٣ ـ حمد بن مسعد بن مفرح.



الملك عبدالعزيز آل سعود وعبدالله بن الوزير رئيس الوفد اليمني.

لها من أهمية بشيء من التوضيح والاستعراض التاريخي.

كما أن توران شاه عندما تقدم إلى مصر للقضاء على دولة عبده بن علي مهدي عن طريق الحجاز فعند وصوله إلى المخلاف السليماني، أول ما هاجم تلك البلدة التي هي حرض.

كما أن حمودا أبا مسمار عندما تقدم من المخلاف السليماني للاستيلاء على تهامة اليمن باسم آل سعود، أول ما هاجم قبيلة بني مروان التي قاعدتهم بلدة حرض.

وهكذا الإمام محمد بن علي الإدريسي عندما تقدم من المخلاف السليماني للاستيلاء على تهامة اليمن، فهاجم أول ما هاجم واستولى على تلك البلدة. انتهى.

أشرنا قبله إلى صدور الأوامر الملكية إلى قادة الجبهات بالتقدم والهجوم في جهات «باقم» وغيرها وتم التقدم فعلا، كما أنه في جهة نجران في الجهة الشمالية الشرقية قد تم الاستيلاء على مواقع استراتيجية هامة.

وكان نتيجة لتقدم الجيشين الأول بقيادة ولي العهد سمو الأمير سعود والآخر بقيادة سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز، فقد الإمام يحيى معنوياته وثقته بالنصر فأبرق لجلالة الملك برقيته المعروفة التي هذا نصها:

«يكفي ما قد كان ونعوذ بالله من شر المتربصين بالإسلام الدوائر لتحقيق مطامعهم وبلاد (يام) تحت حكمكم وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد (نجران) وتفضلوا بطلب السيد عبدالله بن الوزير إلى حضرتكم لإكمال المعاهدة الأخوية».

وبوصول برقية الإمام يحيى لجلالته، ننقل الواقع من شخص له أهميته ومكانته واشتراكه في المفاوضات وإخلاصه الذي يقربه من مكان الثقة

الملكية وهو الشيخ تركي بن ماضي، فقد أورد في خطابه[1] ـ الذي نورد نصه في الحاشية :

---

(١) نص خطاب الشيخ تركي بن ماضي:

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ ٢/١١/٨٢

حضرة الأجل الماجد الأخ الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي الموقر بعد التحية والاحترام.

تلقيت ببالغ السرور والامتنان كتابكم المعبر عن شعوركم النبيل شاكرا لكم هذه الأريحية الفذة آسفا لأن لقاءنا بكم كان في لحظة خاطفة لم نتمكن من مجاذبة أطراف الحديث معكم والاستئناس بكم بعض الوقت.

وبشأن مسألة نجران والأقوال المتضاربة بشأن احتلال الحكومة اليمنية له فالحديث عن ذلك يطول غير أني سأحاول الإيجاز بقدر المستطاع.

كان نجران عقدة أو على الأصح عقبة في سبيل الاتفاق مقدما مع الحكومة اليمنية ولعلكم اطلعتم على الكتاب الأخضر وبه ما يدل على ذلك.

كنت مبعوثا لجلالة الملك إلى الإمام أنا والشيخ محمد بن دليم عام ١٣٤٦هـ واستأنفنا المفاوضة بشأن الحدود حيث جرى انتدابي في عام ١٣٤٥هـ أنا والشيخ أبو ملحة وابن مشيط وعدنا بدون نتيجة لأننا وجدنا عنتا شديدا وتدخلا في شؤون عسير ورجعنا من فورنا إلى مكة ثم عدنا فوجدنا الجو متحسنًا بعض الشيء وتفاوضنا مع الإمام أولا ثم مع رجال لا بأس بهم وهم القاضي العمري والقاضي المطهر ورفاقهم وتم الاتفاق على الحدود ولم يبق سوى نجران فقد قال الإمام سنرسل وفدا ونحكم الملك بشأنه وانتدب الإمام معنا كلا من السيد قاسم العزي والسيد محمد زباره والسيد عباس بن إبراهيم واستأنفت المفاوضات فلم يصح شيء وعاد الوفد في مستهل عام ٤٧هـ وكان نجران هو العقبة ثم جرت بعد ذلك أحداث يطول شرحها وأخيرا ثورة الإدريسي وهذه الثورة أسفرت عن نوايا الإمام الغير مشجعة وفي مستهل عام ١٣٥٢هـ كنا في صنعاء كوفد مؤلف من القرقني وحمد السليمان وكاتب هذه السطور وشرعنا في المفاوضات ولا شعرنا إلا بالإشاعات القائلة أن جيش الإمام دخل نجران وقد حاول الإمام بقاءنا مدة أطول ولقينا بعض العنت والضيق وكان الإمام يقصد من ذلك تصفية الحساب من جهة نجران ويجعلنا أمام الأمر الواقع وأخيرا وبعد المشقة سمح لنا بالسفر.

الجيوش اليمنية دخلت نجران بممالئة من جابر بن نصيب وحسن بن زيد أما أبو ساق وابن منيف والمكرمي فقد غادروا نجران طالبين النجدة من الملك وقد تمركزت هذه القوات في قصور نجران مستولية على الوادي وقد امتدت سلطاتهم إلى بدر ولكن القوة التي أخربت بيوت أهل بدر ونبشت قبور المكارمة لم تبقَ بل عادت إلى نجران ولم تجرؤ على التوسع في بادية يام.

وعلى هذا الوضع كان وادي نجران محتلا من قبل حكومة اليمن وباقي بلاد يام والبادية ليس بها أحد.. ثم تقدمت سرية سعودية خيّمت في أسفل وادي نجران واستمرت المناوشة بينهما وبين الجنود اليمنيين وأخيرا استقبلنا ابن الوزير ومن معه في ظهران ووصلنا أبها في=

(..... وعند ذلك حضر ابن الوزير إلى الملك وكنت ـ آنذاك ـ غير بعيد فكتب الملك بيده الشروط الأساسية للصلح:

١ ـ تسليم الإدريسي.

٢ ـ الانسحاب من نجران والجبال.

٣ ـ الاعتراف.

٤ ـ الانسحاب من الأراضي المحتلة.

وقد رفع ابن الوزير بهذه الشروط للإمام فوافق الإمام على ذلك وعقدت المعاهدة وانسحبت الجيوش اليمنية من نجران ودخلتها الجيوش السعودية.

هذه خلاصة عما ذكرتم ولكم تحياتنا ، وليس لدي مانعا من إسناد الرواية إليَّ.

المخلص

(توقيـــع)

= شوال عام ١٣٥٢هـ وكان الملك سعود ـ ولي العهد آنذاك ـ مخيما في الخميس وقد تشكل وفد برئاسة فؤاد حمزة وعضوية الشيخ بن زاحم والشيخ أبو ملحة ودليم بن محمد وكاتب هذه السطور وبدء التفاوض مع ابن الوزير فأبدى حماقة ونزقا لا يوصف وانفض المجلس بدون نتيجة ونشبت الحرب بين الفريقين على أثر استيلاء جنود الإمام على فيفا وبني مالك وغيرهما.

وانتقل ابن الوزير إلى مكة وكنت مرافقا له وبقى ابن الوزير ينتظر الإذن بالسفر من جدة إلى عدن.

ولما تم الاستيلاء على الحديدة والموانيء الأخرى وشعر الإمام بالخطر أبرق للملك قائلا.

أيها الأخ كفى ما قد حصل.

هذا الولد عبدالله الوزير مفوضا منا لعقد المعاهدة وعند ذلك حضر ابن الوزير إلى الملك وكنت ـ آنذاك ـ غير بعيد فكتب الملك بيده الشروط الأساسية للصلح.. وهي:

ـ تسليم الإدريسي. ـ الاعتراف.

ـ الانسحاب من نجران والجبال. ـ الانسحاب من الأراضي المحتلة.

بعد رفع ابن الوزير بهذه الشروط للإمام فوافق الإمام على ذلك وعقدت المعاهدة وانسحبت الجيوش اليمنية ودخلتها الجيوش السعودية.

هذه خلاصة عما ذكرتم ولكم تحياتنا... وليس لدي مانعا من إسناد الرواية إليَّ،

المخلص

(توقيع تركي بن ماضي)

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة ....

عدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ....
التاريخ ٢-١١-١٣٨٣هـ
المرفقات ....

حضرة الاجل الماجد الاخ الاستاذ محمد بن احمد عيسى العقيلي الموقر
بعد التحية والاحترام .

تلقيت ببالغ السرور والامتنان كتابكم المعبر عن شعوركم النبيل شاكرا لكم هذه الاريحية الفذة آسفا لان لقاءنا بكم كان في لحظة خاطفة لم نتمكن من مجاذبة اطراف الحديث معكم والاستئناس بكم بعض الوقت .

وبشان مسئلة نجران والاقوال المتضاربة بشأن احتلال الحكومة اليمنية له فالحديث عن ذلك يطول غير انى ساحاول الايجاز بقدر المستطاع .

كان نجران عقدة او على الاصح عقبة في سبيل الاتفاق مقدما مع الحكومة اليمنية ولعلكم اطلعتم على الكتاب الاخضر وبه ما يدل على ذلك .

كنت مبعوثا لجلالة الملك الى الامام انا والشيخ محمد بن دليم عام ١٣٤٦ هـ واستأنفنا المفاوضة بشان الحدود حيث جرى ابتدائى في عام ١٣٤٥ هـ انا والشيخ ابن طلحه وبن مشيط وعدنا بدون نتيجة لاننا وجدنا عنتا شديدا وتدخلا في شئون عسير ورجعنا من فورنا الى مكه ثم عدنا فوجدنا الجو متحسن بعض الشئ وتفاوضنا مع الامام اولا ثم مع رجالاته بعده وهم القاضى العمرى والقاضى المطهر ورفقاهم وتم الاتفاق على الحدود ولم يبق سوى نجران فقد قال الامام سنرسل معكم وفد ونحكم الملك بشأنه وانتدب الامام معنا كل من السيد قاسم العزى والسيد محمد زباره والسيد عباس بن ابراهيم واستؤنفت المفاوضات فلم يصح شئ وعاد الوفد في مستهل عام ٤٧ هـ وكان نجران هو العقبة ثم جرت بعد ذلك احداث يطول شرحها واخيرا ثورة الادريسى وهذه الثورة اسفرت عن نوايا الامام الغير مشجعة وفي مستهل عام ١٣٥٢ هـ كما في صنعاء كوفد مؤلف من القرقنى وحمد السليمان وكاتب هذه السطور وشرعنا في المفاوضات ولا شعرنا الا بالاشاعات القائلة ان جيش الامام دخل نجران وقد حاول الامام بقاءنا مدة اطول والقينا بعض العنت والضيق وكان الامام يقصد من ذلك تصفية الحساب من جهة نجران ويجعلنا امام الامر الواقع واخيرا وبعد المشقة سمح لنا بالسفر .

الجيوش اليمنية دخلت نجران بمناشدة من جابر بن نصيب وحسن بن زيد اما ابو ساق وبن منيف والمكرمى فقد غادروا نجران طالبين النجدة من الملك وقد تمركزت هذه القوات في قصور نجران مستولية على الوادى وقد امتدت سلطاتهم اليه ولكن القوة التى اخربت بيوت اهل بدر ونبشت قبور المكارمة لم تبق بل عادت الى نجران ولم تجرؤ

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة ....
عدد

الرقم ....
التاريخ ٢٠/١١/٩٨
المرفقات ....

على التوسع في بادية يام .

وعلى هذا الوضع كان وادي نجران محتل من قبل حكومة اليمن وباقي بلاد يام والبادية ليس بها احد .
ثم تقدمت سرية سعودية خيمت في اسفل وادي نجران واستمرت المناوشة بينها وبين الجنود اليمنيين واخيرا استقبلنا ابن الوزير ومن معه في نجران ووصلنا اليها في شوال عام ١٣٥٢هـ وكان الملك سعود ولي العهد — آنذاك مخيما في الخميس وقد تشكل وفد برئاسة فؤاد حمزة وعضوية الشيخ بن زاحم والشيخ ابوملحه ودليم بن محمد وكاتب هذه السطور وبدأ التفاوض مع ابن الوزير فابدى حماقة ونزقا لا يوصف وانفض المجلس بدون نتيجة ونشبت الحرب بين الفريقين على اثر استيلاء جنود الامام على فيفا وبني مالك وغيرها .

وانتقل ابن الوزير الى مكه وكنت مرافقا له وبقي ابن الوزير ينتظر الاذن بالسفر من جدة الى عدن .
ولما تم الاستيلاء على الحديدة والمراسي الاخرى وشعر الامام بالخطر ابرق للملك قائلا .
ايها الاخ كفى ما قد حصل .
وهذا الولد عبدالله الوزير مفوضا منا لعقد المعاهدة وعند ذلك حضر بن الوزير الى الملك وكنت آنذاك غير بعيد فكتب الملك بيده الشروط الاساسية للصلح .

١ — وهي تسليم الادريسي .
٢ — الانسحاب من نجران والجبال
٣ — الاعتراف
٤ — المعاهدة لمدة عشرين سنة
٥ — الانسحاب من الاراضي اليمنية المحتلة .

وقد رفع بن الوزير هذه الشروط للامام فوافق الامام على ذلك وعقدت المعاهدة وانسحبت الجيوش اليمنية من نجران ودخلتها الجيوش السعودية ..

هذه خلاصة عما ذكرتم ولكم تحياتنا ،،،
وليس لدي مانعا من اسناد الروايه الي

المخلص
تركي الماضي

تحليل عن المعاهــدة

يشير البعض على أن سدى ولحمة المعاهدة أنها بنيت على قاعدة لا غالب ولا مغلوب فابن سعود لم يطالب بتعويضات الحرب كما كانت تقضي بذلك الشرعية الدولية وقوانين الحرب بأن يطالب المنتصر بالتعويضات، لأن المعاهدة أبرمت على أساس روح الإسلام السمحة والطبيعة العربية الأصيلة التي يعف المنتصر أن يلحق الضرر بمهزوم فهي معاهدة بين طرفين متساويين.

وقـد تُحُـري في صيغـة المعاهدة نسق المعاهدات الدولية الحديثة وصيــاغة الكلمات صيغة دقيقة بحيث لا يتحمل اللفظ أية معنى سوى المعنى المقصود واختيار العبارات الواضحة التي ليس فيها إبهام ولا غموض.

وككـل معـاهـدة دوليـة تنصب في موضــوعها على أهم الأمور، أما التفـاصيـل فكمـا هي العـادة في المعاهدات الدولية تكون في ملاحق وبـروتوكولات خاصة مثل: التحكيم والنقط التي على خط الحدود لأنها تكون بعد المعاهدة، لأن المعاهدة لا تشتمل في العرف الدولي إلا على رؤوس المـوضـوعـات فمثـلا: تقـرير الحدود بين المملكتين في ثماني صفحات، وعهد التحكيم في صفحةونصف من الخطابات المتبادلة بين رئيسي الوفدين في أربع صفحات، وملحق المعاهدة حول الحدود، واتفاق لحل القضايا التي تعرض بين رعايا المملكتين في أربع صفحات، وبيانات بخـط الحـدود والنقط والمواضع التي يمر بها الخط من لجان الحدود المعينة من الطرفين من عشرين صفحة.(١)

والموضوعية في المعاهدة هي بناء العلاقات بين المملكتين على أساس إنهـاء النـزاع وإحـلال السلام بين شعبين شقيقين وبلدين متجاورين

---

(١) راجع المعاهدة وملاحقها في آخر هذا الكتاب.

وملكين عربيين مسلمين ويقول سلفاتور أبونتي رأيه بأن ذلك الصلح مفاجىء وإنه في الحقيقة أغرب من الحرب لأنه لم يكن يغير الموقف الذي خلفه احتلال السعوديين لعسير تغييرا يذكر، ولم يرغم الإمام على التنازل عن شيء من الأراضي اليمنية... برغم قسوة الحرب، وبرغم انتصارات الملك ابن سعود إلا أن هذا الصلح كما يقول أبونتي جاء بغير ما كان يتوقعه كل المراقبين العرب والأجانب، ويعتبر أبونتي تلك المعاهدة أنشودة من أناشيد الوحدة العربية[١].

وهذه شهادة أجنبي بعيد في نفس الوقت والموضوع عن أي تعصب لطرف من الطرفين أو محاباة لأيٍّ من الجهتين بينما هو شخصية أوروبية أطربته صيغة هذه المعاهدة التي تقمصت الروح الإسلامية من التسامح والإيثار والتساوي بين الطرفين بحيث لا غالب ولا مغلوب فلا تعويضات يطالب بها المنتصر ولا أية مكاسب مادية أو جغرافية.

وبالاختصار إنها معاهدة إخوة إسلامية وصداقة عربية أنهت الحرب ووصلت الرحم ومسحت على جروح المنازعات والاختلافات ووضعت أساسا لا لمصلحة البلدين فقط في الحاضر بل وللمستقبل والأجيال وفي نفس الوقت للأفق الواسع بصفة غير مباشرة في مصلحة الأمة العربية.

لأنها أزالت شقاقًا وأوجبت التعاون وألَّفت بين الأشقاء في المملكتين فرحم الله عبدالعزيز وتغمده برحمته ورحم الله الإمام يحيى وتغمده بعفوه ورحمته فإنهما من أبرز رجال الأمة العربية الذين يحفظ لهم التاريخ سجلا مضيئا وجهادا مشكورا في سبيل تحرير أرضهما.

إن المعاهدة من أهم أحداث التاريخ العربي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وجمعت بين الغاية السامية والهدف النبيل في مصلحة مملكتين عربيتين يجمعهما الأصل واللغة والدين والتاريخ المشترك، وتعتبر رائدة كأول معاهدة رأبت الصدع وعفت على الجروح

---

(١) تاريخ أئمة اليمن لسلفاتور أبونتي. ص٩٦.

وداوت داء الاختلاف بالدواء الناجع ولو أتبعت في كل خلاف عربي لكانت قد تحققت الوحدة العربية الحقيقية لا ما تلوكه الألسن وتسطره الأقلام في عصرنا الحاضر...

إن معاهدة الطائف مبنية على أساس روح الإخاء والإنصاف لمن يزن الأمور بواقعية وإلى مصلحة القومية العربية والإخاء الإسلامي لا من وجهة النظر الإقليمية الضيقة والعاطفة المحلية الأضيق، فاليمن والسعودية عضوان في الجامعة العربية والإخاء الإسلامي، وعضدان في جسد واحد وهو شبه الجزيرة العربية موطن العروبة ومهبط الإسلام، الذين اشترك أبناؤها من الشمال والجنوب في فتوحات الإسلام حتى خفقت على هضاب فرنسا.

أبعد ذلك الجهاد المقدس في نصرة الإسلام وعز العرب يصبح أخوان يتقاتلان على حفنة تراب من الأرض ويسيل الدم العربي من الطرفين، فبدلا أن كان الدم العربي المسلم يسفح في معركة القادسية وحطين وبلاط الشهداء في سبيل الله ومواقف الشرف والفتوحات الإسلامية التي غيرت وجه التاريخ وخريطة العالم أصبح الشقيق يتقاتل مع شقيقه.

في حال أن ابن سعود ـ في اعتقادي ـ أنه حاول جاهدا التوصل إلى ما يحسم الخلاف من :

١ ـ الاعتراف بالحدود.

٢ ـ تسليم الأدارسة، التي تقضي معاهدة العر بتسليم الفارين مِنْ دولتهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات.

٣ ـ الانسحاب من الجبال وأطراف المنطقة الشرقية التي احتلها الجيش المتوكلي.

٤ ـ الانسحاب من نجران.

فلم يتجاوب الإمام معه إلا بعد امتشاق الحسام وإطلاق النار، فرضي حربا بما لم يرضَ به سلما.

ومـع كل ذلك قبـل ابن سعـود وهو المنتصر فعلاً ومن موقع القوة استجابة الإمام بإبرام معاهدة صلح مشرف لا غالب ولا مغلوب ولم يطالب بغرامة حرب كما هو المتبع أن يمليها المنتصر وبحيث لم يخسر الإمام أي شبر من الأرض، لا في الجبال ولا في تهامة وبنفس الوضع الذي قامت عليه الحرب ثم الصلح فالمساواة بين الطرفين حصلت فلم ينسحب جيش الإمام ولم يأخذ الجيش السعودي شبرًا من الأرض وعاد السلام والصفاء بين الشعبين الشقيقين.

تلك المعاهدة التي ضمنت سلام وصداقة وإخاء فنقَّت الجو وأعادت الوئام وشدت روابط الإخوة وحددت الحدود بين الطرفين وبنت الأساس للتعاون الأخوي واعترف كل طرف بحق العيش والحياة الكريمة بما يشمله حكمه.

وتنص المادة الأولى على ما يأتي:

تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجـرد التـوقيـع على هذه المعـاهدة، وتنشأ فورا بين جلالة الملكين وبـلاديهمـا وشعبيهما حالة سلم دائمة وصداقة وطيدة وإخوة إسلامية عربيـة دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعا أو بعضها، ويتعهد الفريقان السـاميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختـلافـات التي قد تقـع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهد الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سرا وعلنا، ويرجون منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية:

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيته عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب

الجـلالة الإمام عبدالعزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعودية، ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ولخلفـائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملك على مملكة اليمن، ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة.

إن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمنية أوغيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وآل عايض أوفي نجران وبلاد يام.

كمـا أن جلالة الإمام عبدالعزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية واحتلال أو غيرهما في البلاد التي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها.

المادة الثالثة:

تنص المادة الثالثة على الطريقة التي يكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين.

المادة الرابعة:

بشـأن خط الحدود الذي يفصل بين البلاد لكل من الفريقين المتعاقدين ويعتبر خطاً فاصلاً قطعيًا بين البلاد التي تخضع لكل منهما.

وتوضح خط الحدود بين المملكتين اعتبارا من النقطة الفاصلة بين ميـدي والمـوسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالا إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي

بين بني جماعة ومن يقابلهم جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين مَنْ عدا يام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام، فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمنية وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ومضت المادة الرابعة توضح توضيحا بيِّنًا خط الحدود من ميدي إلى نهاية الحدود في الشمال الشرقي حسب أسمائها الموضحة في صفحة ونصف من القطع المتوسط ـ راجع النص الكامل لهذه المادة في صلب المعاهدات في آخر الكتاب.

المادة الخامسة :

نظرا لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهدًا متقابلا بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة:

تنص على سحب جنود كل من الطرفين فوراً من الحدود.

إلى آخر المادة ٢٣ حسب نصوصها الحرفية في تلك المعاهدات في آخر هذا الكتاب ويليها الملاحق.

على هامش مؤتمر أبها

مؤتمر أبها كان آخر المؤتمرات وبقية الرجاء وسرار للأمل وقد تفاقم الأمـر وازداد التـوتـر فكان الرجاء أن يكون في ذلك المؤتمر ما ينهي الخلاف ويحسم الأمر.

لقد كانت المراجعات والاتصالات البرقية بين الملكين قد حسمت - تقـريبا - موضوع تهامة عسير - أو - المخلاف السليماني، وموضوع الأدارسة، وتوقفت العقدة عند نجران، فإذا وفد الإمام يحيى يصر على طرح المواضيع الثلاثة من جديد، فظهر لجلالة الملك حقيقة نوايا الإمام يحيى من المماطلة لكسب الوقت وإكمال الاستعداد والتربص في الوقت المناسب للانقضاض، فأصدر أمره إلى قادة الجيش السعودي بالهجوم وأصدرت وزارة الخارجية البلاغ الآتي:

«لقد استنفذت حكومتنا جميع الوسائل السلمية بالطرق السياسية مع سيادة الإمام يحيى، ولكن سيادته بقى مصرًا وماضيًا في خطته العدائية من احتلاله لجبالنا الشرقية، واستعماله العسف مع أهلها، ومطاردة من لم يخضع له منهم، ولما لم يجدِ الصبر وجميع المراجعات طيلة سبعة أشهر معه شيئا، وقد صدر أمر جلالة الملك لسمو ولي العهد بالتقدم إلى الحدود لاسترجاع البلاد التي كان سيادة الإمام يحيى قد احتلها منتهزًا فرصة توقف جندنا ابتغاء الصلح»[1]

لقـد كان الهـجـوم قد ابتـدأ في فجـر يوم الثـلاثـاء المـوافق ١٨/١٢/١٣٥٢هـ وهـذا ما هو معلوم، وترتب على ذلك الهجوم التقدم السريع في الميدان الغربي الجنوبي وكذا في الميدان الشرقي الشمالي وإن كان الأول أسرع.

---

(١) تركي بن ماضي، مجلة الفتح عدد ٣٨٩ في ٢٠ الحجة ١٣٥٢هـ.

إن التقدم في تهامة كان سريعا فوقعت معركة حرض التي كانت معركة فاصلة ترتب على نتائجها انهيار المقاومة وانسحاب العرشي من مدينة ميدي، ثم سحق فلول جيشه، وانسحاب القوات الإمامية من تهامة إلى الجبـال، وتوافد قبائل تهامة على القيادة السعودية للدخول في الطاعة والمبايعة وإذا رجعنا للاستقراء والتعليل نجد أن قبائل تهامة ونفورهم وسخطهم من حكومة الإمام يحيى وإقبالهم على القيادة السعودية هو ما ينطبق عليه ما ورد في كتاب «اليمن عبر التاريخ» في قول مؤلفه: «.... موقف الرجعية - يقصد حكومة الإمام يحيى - السلبي في اليمن وتسامح حكامها الذين لا يهتمون إلا بمقدار ما يكفل لهم الاستمرار على عرش الحكم بالإضافة إلى ما ارتكبوه مع عمالهم من ظلم واستغلال وبث روح الطائفية والمذهبية والطبقية ونحو ذلك مما كان مدعاة للسخط والتبرم، جعل الأهالي ولا سيما أهل الأطراف منهم - يقصد أهل تهامة - يفضلون الانضواء إلى أي بلد مجاور معها وكان ذلك سيكفل لهم حرية أكثر وحياة أفضل وصوناً في الأموال والأعراض(١).

لقد كان للتقدم في الميدانين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي ما بهر أنفاس الإمام يحيى وحطم معنوياته على ما هو معروف عنه من ثبات الجأش في خوض المعارك مع الأتراك وحنكته السياسية في اتصالاته الدولية إلا أنه في هذا الموقف كان غير ذلك، ونكتفي هنا بإيراد ما جاء في كتـاب زيـد بن علي عنـاني من ضبـاط الجيش المتـوكلي بعنوان (مذكراتي) قوله: «...... ضاق الملك عبدالعزيز - أي بمواقف الإمام يحيى - فأبرق جلالته في يوم ٩ من ذي الحجة سنة ١٣٥٢هـ - «توكلت على الله وتقدمت الجيوش - ».

كانت المبادرة من المذكور بالحرب صاعقة لأنه ما كان يظن الإمام أن الملك عبدالعزيز سيبدأ الحرب، فطلعتُ ثاني عيد الأضحي إلى القصر لإخراج فني للمدفع، ولكن ميدي سقطت وظهر على الإمام الضعف الذي

---

(١) اليمن عبر التاريخ، الطبعة الأولى ص٢٨٨.

لا يستطيع أن يخفيه، كما كلمني القاضي محمد الحجري بأنه وجد الإمام وعلى عينه الدموع فقال له مالك وراءك الجبال الشامخة والقبائل العاتية، فقال البيت ملآن شرايف........)[1] ـ وقد أوردنا ذلك قبله.

إن الجيش السعودي بقيادة فيصل، وصل ـ كما أسلفنا ـ إلى مشارف زبيد في الناحية الجنوبية ومن الناحية الجنوبية الشرقية إلى الجبال التي شرق «باجل» وأقبل شيوخ جبال، فرع، الحجيلة، برع، ريمة من الشوافع يتدافعون لاستدعاء الجيش السعودي.

أما في الجبهة الشرقية الشمالية فقد استولى على بني جمة القريبة من صعدة.

وبسقوط الحديدة على تلك الصورة كشفت حقيقة ضعف حكومة الإمام وعرت وجهها أمام العالم الخارجي، لأنها من الموانىء الرئيسية المطلة على البحر الأحمر إن لم يكن ثاني ميناء بعد ميناء جدة من الناحية السياسية والاقتصادية، وتعد أكبر وأهم مواني اليمن، ولم يبق في حوزتها[2] إلا ميناء المخا، وهو ـ في ذلك التاريخ ـ ميناء ثانوي، وفي نفس الوقت مهدد بسقوطه في يد القوات السعودية القريبة من زبيد، وتكاد تكون القوات السعودية قد قطعت مواصلاتها البحرية بالعالم الخارجي، الذي كان هو الوسيلة للمواصلات العالمية في وقت لم يكن للطيران أهمية يعتمد عليها لا للمسافرين ولا للتجارة.

فبرقية الإمام برجاء كف الحرب واستجابة لشروط ابن سعود التي لم يستجب لها سلما، قد استجاب لها حربا، ولو تقدمت القوات السعودية بعد تلك الصدمة المذهلة، والحيرة المدهمة، يضاف إليها مقت الشعب اليمني لحكومة الإمام وأساليبه المحنطة، وسياسة الانغلاق والتقوقع، كل تلك العوامل السلبية كانت عونا على الهزيمة، وقد يقول قائل إن صعوبة التحركات العسكرية في الجبال قد أعيت الجيوش التركية، فنقول إن ما

---

(١) مذكراتي: زيد بن علي عنان ص١١٨، ١١٩ ط القاهرة ١٤٠٣هـ.

(٢) الضمير يعود إلى حكومة الإمام يحيى.

كان صعباً ـ سابقا ـ تسهله عدة عوامل منها ما تقدم ومنها ما كان من أقوى الأسباب في ذهاب سلطة الإمام في اليمن أخيرا، يضاف فوق ذلك أن الأتراك عنصر أجنبي يتعامل في غير جهته غريبا على الجهة وعلى أهلها في حال أن الجيش العربي السعودي يسير على خطط رتبت على الحرب الخاطفة والتحركات السريعة والتكتيك المرن والمباغتات المحسوبة، ومع ما يتصف به الحكم السعودي من العدل، والمساواة ومذهبه السني المحبب إلى أهل تهامة السنيِّ المذهب.

ومع كل ذلك فهناك رواية تقول: إن ابن سعود قد استعد بفيلق من عشرة آلاف فارس تسير في حوافي الربع الخالي ومنه إلى الجوف وتتقدم إلى صنعاء من الشرق الشمالي بحيث تسهل كل صعوبة وتضيع عملية الحساب من رأس الإمام.

إن الإمام رحمه الله كان يتدرع بأساليب تباين سياسة العصر، ودبلوماسية الوقت، فالعالم العربي يتطلع إلى الوحدة العربية لا إلى الوحدة الإقليمية التي يتذرع بها الإمام يحيى في الظاهر، أما في حقيقة غايته وهدف سياسته فهو إقامة حكومة زيدية شيعية، مع أن اليمن أكثر من نصف سكانه سنيّون شوافع، وينفرون من حكم الإمام وأساليبه مذهباً وإدارة.

وقد برهنت الأيام بانفضاضهم عن طاعة الإمام مع أول هجوم، ولولا تعقله ورضوخه، لكان ما تم في تهامة شمل النصف الجنوبي من اليمن نفسه جبلا وسهلا فإنه من رداع في الشرق إلى باب المندب والمخا في الغرب كل أهله سنيون شوافع.

إن هوس الإمام يحيى رحمه الله فيما يظهره من المطالبة بزعمه بالوحدة الإقليمية أو العنصرية هي من تخيلات الأوهام التي هام بها الكثيرون وأقربهم عهدا هتلر وموسوليني ومعروف ما كانت النتيجة. ـ وقد أشرنا إلى ذلك قبله.

إن الوحدة الإقليمية الضيقة أو العنصرية السلالية أو العصبية القبلية أساليب من بقايا الروح القبلية التي تنظر إلى من كان خارج القبيلة على أنــه أجنبي، فقد جاء الإسلام والعرب قبائل متفرقة عاشت في عزلتها وجهلها عصورًا وعصورًا، فجاء الإسلام فوحّد شتاتها ولم شعث قبائلها وبين عشية وضحاها، أصبحوا قادة الأمم وسادة العالم.

إن عش تفريخ القوميات التي هي أوروبا، أصبحت تتطلع جاهدة إلى الوحدة الأوروبية في حال أن أهل أوروبا أجناس مختلفة العناصر واللغة والتــاريخ، فما بال الوحدة العربية التي يَجْمعها الأصل واللغة والتاريخ وفوق كل ذلك الإسلام ـ الذي شرف به الله الأمة العربية ـ وهي عوامل تشد الأمة العربية وكل ما يعارضها من الوحدات الإقليمية المزعومة، أو تحت أي اسم أو شعار فلن يكتب لها البقاء بأن تقف في سبيلها لأننا لو أخـذنـا بهذا المنطق لأصبحت لكل حكومة أو إمارة وحدة إقليمية، ورجعنا إلى العصر الجاهلي، عصر الوحدة القبلية بحيث كانت كل قبيلة في محيطها الضيق كيانًا خاصًا مغلقًا.

فلا وحدة الهلال الخصيب ولا وحدة سوريا الكبرى ولا الوحدة اليمنية ولا غيرها من الشعارات المصطنعة تقف أمام ما يشد الجماهير العربية نحو الوحدة العربية الصادقة، والخالصة فإنها أمل وأمنية كل عربي من الخليــج إلى المحيــط وحدة في الأصل واللغة والدين والتاريخ والأرض والانتماء، فإذا كانت هناك شعوب كرخام الفسيفساء الملون، استطاعت بتجمعها أن يصبح لها اتحاد ووحدة وكيان ودولة لها ثقلها في العالم، وكلنا يعلم تباين أصولها واختلاف لغاتها وألوانها، فما بالنا بالأمة العربية الإسلامية التي تجتمع لها عناصر ومكونات الوحدة.

لقد بعث الله محمدًا بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وقد عاش العرب قبله آمادًا وآمادًا فلم تقم لهم دولة توحّد شتاتهم وتجمع تفرقهم فكان من إرهــاصــات النبـوة توحيـد تلك القبــائـل المتفرقة تحت راية الإسلام، فاستطاعت أن تخلق وحدة عربية، بل وحدة إسلامية، في دائرة أوسع من

الوحدة العربية وهي قوة إسلامية عالمية، فهل نعود القهقرى إلى تكوين وحدات إقليمية تدعو إلى تجمع إقليمي ضيق يفقد الأمة العربية أفضل مقوماتها ووجودها الاجتماعي والتاريخي والديني والسياسي.

إن ابن سعود العربي المسلم قام بعمل يعد من أنجع وسائل الوحدة العـربيــة في جزيـرتهــا فكوَّن وحدة عربية إسلامية تكونت من إمارات ودويلات متعددة لولا إرادة الله ثم مجهوده لما تكونت، ولبثت كل إمارة أو دويلة إلى ما شاء الله على ما كانت عليه قبل ذلك.

إن الوحدة عمل معجز حتى يهيىء الله لها الشخصية الفذة، والمصلح الملهم والزعيم القائد فيقوم بما تعجز عن تحقيقه أجيال، سيقول قائل: إن ابن سعود أقام هذه الوحدة الفريدة بالسيف، ونقول له: هذا الشعب الأمريكي أعظم شعب ودولة تكوَّنت وحدته واتحدت ولاياته، ليس بالرَّبتة واللمسات والقبلات بل ـ بعد الله ـ بحرب التحرير الأمريكية، حرب ضروس شاب من هولهــا الأطفال وفنيت في سبيل توحيد ولاياتها الأعمار حتى تكوَّنت وهاهي اليوم أعظم دولة على وجه الأرض، وهم أشتات من كل قطعة من أوروبا، ورجل الوحدة الأمريكية معروف؟

ولو أردنا إيراد الشواهد وضرب الأمثال لطال المشوار واستطال المقال والبـلاغـة في الإيجـاز والاختصار، والعبرة بالشواهد والأمثال وأحداث التاريخ والواقع والحاضر.

إن الأمم المتحدة وهي الهيئة الدولية، ينص نظامها الدولي علي مبدأ السيـادة للدول الأعضـاء، على الأرض والبلاد التي تتولى أمرها الدول المنتسبــة للهيئــة الدولية المتضامنين الذين يحق لهم عقد المعاهدات والمفاوضات الدولية.

لذلك جاء انسحــاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء اعترافًا صريحًا لإقرار شرعية الحدود الدولية والاعتراف بواقعها دوليًا.

وطبيعة الوضع الدولي الحاضر هو السياج الذي يقف في وجه أي تغير للحدود المعترف بها، فلا الباسك في أسبانيا أو البريتانيين في فرنسا

والاسكتلنديين في بريطانيا والأرجنتيين في أمريكا الجنوبية يغير الواقع.

والدولة القائمة تتعامل مع المنشقين لا بالقوة فقط بل يؤيدها الشجب والعقوبات من الأسرة الدولية.



الوثائق والمعاهدات



الملحق رقم (١)

معاهدة ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م
بين جـلالة الملك والإدريسي
وثيـقـة رقم ١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

يعلم به الناظر إليه والواقف عليه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على الإمام محمد بن علي بن إدريس لعقد الإخوة الإسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس إلى ذلك في التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وأن تكون اليد واحدة على أعداء الدين، فلمـا قدمنـا على الإمـام المـذكور سرَّه ذلك وأحبه حرصا على الخير والتعـاون عليـه فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الإخوة بين الإمامين المذكورين على مثل ما ذكر أعلاه فحيث كان في مملكة الإمام محمد بن علي من القبائل والبلدان في اليمن ما هو في ملك آل سعود سابقا تركه الإمام عبدالعزيز له لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته فعلى هذا لابد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منهما بما أوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية فصار الذي للإمام عبدالعزيز من القبائل جميع يام ووادعة ومن تبعهم من بني جماعة وسحار وشريف وقحطان ورفيدة وعبيدة منهم بني بشر وبني طلق وشهران وبني شهر وغامد وعسير غامد وجميـع قضـاء محايل منهم بني ثوعة وأهل بارق وترقش وأهل الريش وغيـرهم ممن تبعهم وجميـع قبائل حلي المذكورون[1] في ولاية الإمام عبدالعزيز وصار للإمام محمد بن علي الإدريسي تهامة سوى ما ذكر وغير

---

(١) الصواب: المذكورين.

ذلك مما هو تحت يده وله رجال ألمع من عسير خاصة ولا يعارض كل منهما من تحت يد الآخر وما ذكر لعبد العزيز بن عبدالرحمن من القبائل في السراة وتهامة ويام وغيرهم فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل وعليهما في ذلك التناصح والتعاون وبذل الجهد فيما أوجب الله عليهما مما يلزم في دين الإسلام فيمن تحت أيديهما هذا ما صدر وحرر منا يا نواب الإمام حيث كنا قائمين مقامه ومن الإمام محمد بن علي بن إدريس بحضوره وإمضائه صدر العهد والميثاق منا ومنه ومن نكث فإنما ينكث على نفسه والله ولي التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ١٦ الحجة ١٣٣٨هـ.

نائب الإمام

عبدالله بن محمد الراشد   **ناصر بن حمد الجار الله**

فيصل بن عبد العزيز المبارك

الختم محمد بن علي بن إدريس

الملحق رقم (٢)

المعاهدة اليمنية الايطالية
٢ سبتمبر ١٩٢٦

مادة ١ : تعترف حكومة جلالة ملك إيطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الإمـام يحيى الاستقـلال المـطلق الكـامل. ومع هذا فلا تداخل (تتدخل) حكومة إيطاليا المشار إليها في مملكة جلالة ملك اليمن الإمام بأي أمر من الأمور التي تناقض ما في الفقرة الأولى من هذه المادة.
مادة ٢ : تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل في التجارة بين بلاديهما.
مادة ٣ : حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بأنها ترغب أن تجلب طلباتها من إيطاليا، وذلك في الأشياء والآلات الفنية التي تساعد بجلب الفائدة في نمو اقتصاد اليمن ونفعه، وكذلك في الأشخاص الفنيين. والحكومة الإيطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير إرسال الأشخاص والآلات الفنية والأشياء بأنسب وجه في الأنواع والأثمان والرواتب.
مادة ٤ : ما ذكر في المادة الثانية والثالثة لا يمنع حرية الطرفين في التجارة والمطلوبات.
مادة ٥ : ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه إحدى الدولتين في بلادهما ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب إلى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الإشعار.
مادة ٦ : هذه المعاهدة لا يكون معمولا بها إلا من حين تصل إلى جلالة ملك اليمن الإمام يحيى مصدقة من جلالة ملك إيطاليا.
مادة ٧ : تكون هذه المعاهدة جارية ومعمول بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها، كما في المادة السادسة، وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر إذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها، كانت المذاكرة في ذلك.

مادة ٨ : ولما حرر في هذه المواد فجلالة ملك اليمن الإمام يحيى وسعادة كفـاليـري غسباريني بالوكالة عن ملك إيطاليا قد أمضيا هذه المعاهدة المحررة في نسختين متطابقتين باللغة العربية والإيطالية. ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الإيطالية معرفة تامة لدن جلالة ملك اليمن، ولأن المفاوضة التي تمت بين الطرفين بعقد الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية، ولأن سعادة كفاليري غسباريني قد تأكد لأن النص العربي هو مطابق للنص الإيطالي تماما، لذلك اتفقنا بأنه إذا نشأت شكوك أو اختلاف في تفسير النصين العربي والإيطالي، فالطرفان يعتمدان النص العربي وتفسيره بأصول اللغة العربية واعتبار هذا شرطاً.



الملحق رقم (٣)

معاهدة مكة المكرمة
بين الملك عبدالعزيز ال السعود
وبين الحسن الادريسي
١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ
(٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦م)

«رغبة في توحيد الكلمة، وحفظا لكيان البلاد العربية، وتقوية الروابط بين أمراء الجزيرة العربية، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد الاتفاقية الآتية:

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ، تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية : لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة، وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة : لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب، وإبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة : لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بحكم إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدى حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها، من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية، من حقوق إمام عسير، على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين.

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولا بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة : دونت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة.

وقعت هذه المعاهدة في ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م.

معاهدة صداقة وحسن جوار
بين المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها
وبين مملكة اليمن

حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحيى بن محمد حميد الدين وجلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه.

المادة الأولى : أن يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية : يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة : يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة : يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى في كل الحقوق الشرعية فما أشكل ولم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجعه إلى الملك والإمام.

المادة الخامسة : على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيرا أو صغيرا مستخدما أو غير مستخدم وإرجاعه إلى دولته حالا.

المادة السادسة : إذا أحدث حدث من أحد رعايا الحكومتين في بلاد الآخر فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة : منع الأمراء والعمال عن التداخل بالرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة : إن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالا.

هذا ما حصل به التراضي بين المندوبين من طرف سيادة الإمام ومندوبي جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على أن يكون العمل بهذه الثمان المواد بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها. وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٠.

التواقيع والأختام

القاضي عبدالله بن أحمد العرشي، سحار عبدالله بن علي مناع، أبو طالب بن محمد محجب، عبدالله بن محمد بن معمر، فهد بن زعير، عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة، محمد بن دليم أبو لعثه، حمد العبدلي، محمد بن علي الحازمي.

ملاحظة :

الغيت هذه المعاهدة بموجب معاهدة الصداقة الإسلامية والأخوة العربية مع اليمن.

الملحق رقم (٥)

معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل
بين اليمن وبريطانيا
١١ فبراير ١٩٣٤

المقـدمـة: بمـا أن لجلالة ملك اليمن حضرة الإمام من جهة، وملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من الجهة الأخرى، رغبة في الوصول إلى معاهدة على أساس الصداقة والتعـاون لمنفعـة الفـريقين، قد قررا عقد هذه المعاهدة، وعينا بصفة المندوبين المفوضين:

عن جلالة ملك اليمن حضرة الإمام حضرة صاحب السعادة القاضي محمد راغب بن رفيق.

وعن جلالة ملك بريـطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند وإيرلندا الشمالية حضرة صاحب السعادة اللفتنانت كولونيل برنارد راودون ريلي س ي. أوب المحترم، عن الهند كذلك حضرة صاحب السعادة اللفتانت كولونيل راودون ريلي س. ي. أوب المحترم، اللذين بعد تبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن اتفقا على ما يأتي:

المـادة الأولى: يعتـرف جلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الإمام ومملكته استقلالا كاملا مطلقا في جميع الأمور مهما كان نوعها.

المـادة الثـانيـة : يسـود السلم والصـداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق / العلاقات /

ـ بينهما من جميع الوجوه.

المـادة الثـالثـة : يؤجل البت في مسألة الحدود اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يوافق الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون إحداث أي منازعة أو مخالفة.

وإلى أن تتم المفـاوضـات المشـار إليهـا في الفقرة السالفة الذكر فالفريقان المتعاقدان الساميان يوافقان على بقاء الوضع القائم بالنسبة للحدود كما هي عليه عند تاريخ توقيع هذه المعاهدة، وأن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أي تعد من قواتهما في الحدود المذكورة، وأي تدخل من أتبـاعهما أو من جانبهما في شؤون الأهالي القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة.

المادة الرابعة : سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد أن تصبح المعاهدة الحالية نافذة المفعول، وبناء على الموافقة المتبادلة، ما يلزم من المعـاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادىء الدولية العامة.

المادة الخامسة :

(١) رعـايـا كل من الفـريقين المتعاهدين الساميين الذين يرغبون في التجارة في أقاليم الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية، ويتمتعون بنفس المعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية.

(٢) كذلك سفن كل من الفريقين المتعاقدين الساميين وشحناتها تتمتع في موانيء الفـريق الآخـر بنفس المعاملة التي تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية وشحناتها، وتعامل ركاب تلك السفن في موانيء بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان في سفن الدولة الأكثر رعاية هنالك.

(٣) تنفيذا لأغراض هذه المادة فإن ما يتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند:

أ ـ كلمة «أقاليم» ينبغي أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة وايرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته في المملكة المتحدة.

ب ـ كلمة (رعايا) ينبغي أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا، وجميع أهالي البلاد التي تحت حماية جلالته، وكذلك جميع الشركات المؤسسة في أي بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته.

جـ ـ كلمة (سفن) ينبغي أن يعد معناها جميع السفن التجارية المسجلة في أي بلد من بلاد اتحاد الشعوب البريطانية.

المادة السادسة : هذه المعاهدة تكون أساسا لكل الاتفاقيات التي ستعقد بعد ذلك بين الفريقين المتعاهدين الساميين حاليا ومستقبلا بقصد تقوية الود والصداقة، ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم تقديم المساعدة لأي عمل موجه ضد الود والصداقة المخلصة القائمة بينهما أو التستر عليه.

المادة السابعة : يصدق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع، وتتبادل وثائق التصديق في صنعاء ويعمل بها من تاريخ تبادل التصديق، وتبقى معمولا بها لمدة أربعين سنة. وتقريرا لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار إليهما إمضاءهما على المعاهدة الحاضرة، وقد كتبت هذه المعاهدة من نسختين باللغتين الإنجليزية والعربية، وإذا نشأت شكوك في تفسير شيء من هذه المواد فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربي. حررت في صنعاء اليمن في يوم ٢٦ من شهر شوال سنة١٣٥٢هـ الموافق ١١ فبراير سنة١٩٣٤م.

(٣٠)

معاهدة صداقة إسلامية وإخوة عربية بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية

حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى.

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها.

ونظرًا لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة.

وحبا في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما.

ورغبة في أن يكونا عضدًا واحدًا أمام الملمات المفاجئة وبنيانًا متراصًا للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية، قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وإخوة عربية فيما بينهما، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما:

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية:
حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء.

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن.

حضرة صاحب السيادة السيد عبدالله بن أحمد الوزير:

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق. وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية:

المادة الأولى : تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فورا بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وإخوة إسلامية عربية دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعا أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سراً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية : يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تامًا مطلقًا وبملكيته عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاما مطلقا. وبالملكية على مملكة اليمن. ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاما مطلقا وبالملكية على المملكة العربية السعودية. ويسقط كل منهما أي حق يدعيه

في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة إن جلالة الإمام الملك عبدالعزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرها. كما أن جلالة الإمام يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام.

المادة الثالثة : يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة: خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي، ويعتبر هذا الخط حدا فاصلا قطعيا بين البلاد التي تخضع لكل منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتبارا من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالا إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكل

ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام يباد وما يليها رمحل مريصغة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد. هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية، وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية.

وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبدالعزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به. ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفا بين أطراف قبائل المملكة العربية

السعـودية وأطراف مَنْ عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميـع الجهـات، وبالمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات، وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة، وكثيرا ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين، أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة: نظرًا لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهدًا متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فورًا عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر.

المـادة السابعة : يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين، ويرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبمـا يلزم بالشـرع فيمـا وقـع من جناية قتل أو جرح وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان، ويظل العمل بهذه المادة ساريا إلى أن يوضع بين الفريقين إتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المـادة الثـامنة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهدًا

متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما، وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشأه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها، أم كان ناشئًا عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية، وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة. ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءا منها وبعضا متمما للكل فيها.

المادة التاسعة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزا لأي عمل عدائي أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر. كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي:

١ - إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله.

٢ - وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير، فإنه يلقى القبض عليه فورا من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب، وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب، وفي الأحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى، وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته.

٣ - وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة، فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فورا

وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها وعده شخصا غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل.

المادة العاشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيرا كان أم صغيرا موظفا كان أم غير موظف فردا كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده. فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجيء والقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها، وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها.

المـادة الحادية عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالوساطة، ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.

المادة الثانية عشرة - يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقا للأحكام الشرعية المحلية.

المـادة الثـالثة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الإجرام والأعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل

من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر عن كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائناً ما كان وبالغا ما بلغ، وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه. وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وأن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أي حيف ولانزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً.

المادة الرابعة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفي عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والأملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده، ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فردًا أم هيئة أم حكومة أوالاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الإخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة، وأنهما لا يريدان بأحد شرًا، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون، وأن يبذلا وسعهما في سائر

المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أي عدوان على أية أمة.

المادة السابعة عشرة : في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية:

أولا : الوقوف على الحياد التام سرًا وعلنا.

ثانيا : المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

ثالثا : الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي.

المادة الثامنة عشرة : في حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهدا متقابلا بما يأتي:

أولا: اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانيا: منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها كما هو موضح في المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه.

ثالثا: منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم.

رابعا: منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين.

المادة التاسعة عشرة : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما. وفي إجـراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه.

المادة العشرون : يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت، ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل الفريقين في مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كأمة واحدة. ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون : يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠ على كل حال اعتبارا من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون : تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء ما نص عليه في المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته في التعديل.

المادة الثالثة والعشرون: تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف، وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإشهادًا بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه.

وكتب في مدينـة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

(التوقيع) خالد بن عبدالعزيز السعود

(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير



عهد التحكيم
بين المملكة العربية السعودية وبين مملكة اليمن

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك يحيى ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله، فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية:

المادة الأولى : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل بإحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه.

المادة الثانية : يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصًا، فإن قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعًا، وإن لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعًا، مع العلم بأن القرعة لا تجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيسًا لهيئة التحكيم ووازعًا للفصل في القضية، وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك.

المادة الثالثة : يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر. وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لاتزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزمًا للفريقين، ويصبح تنفيذه واجبًا بمجرد صدوره وتبليغه. ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذي يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك.

المادة الرابعة: أجور محكمي كل فريق عليه، وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما، وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى.

المادة الخامسة : يعتبر هذا العهد جزءًا متمما لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة.

وإقرارًا بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

(التوقيع) خالد بن عبدالعزيز السعود

(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير

بســـــم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبدالعزيز إلى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل الإمام يحيى حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله. أما بعد فإنه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول إنفاذ مقتضاها إلا في إثبات ما يأتي:

١ ـ أن يجري تسليم الأدارسة وإخلاء جبالنا في تهامة، وإطلاق رهائن أهلها حالاً.

٢ ـ أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتومًا ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وأن انسحاب جند جلالة الملك عبدالعزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره، وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من جلالة الإمام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

(التوقيع) خالد بن عبدالعزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبدالله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبدالعزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر ١٣٥٣ وقد أحطت علماً بما اشترطتموه سموكم لإنفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الأدارسة وإخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبـل جيوش جلالة الإمام يحيى من بلاد جلالة الملك عبـد العزيز وإطلاق رهائن أهلها، وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة، وعلى الأخص مسألة الحدود إلى أن يتم ترتيب الاتفاق الذي اتفقنا عليه لإنفاذه وأن انسحاب جند جلالة الملك عبدالعزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره، وأن كل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الإمام يحيى لقد أحطت علما بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعيًا من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير

بســـم الله الرحمن الرحيم

تحرير في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبـدالله الوزيـر إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبدالعزيز حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقاً بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبدالعزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الإمام يحيى، وأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بما هو آت:

١ ـ تسليم الأدارسة لجلالة الملك عبدالعزيز، وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبدالعزيز بن محمد الإدريسي، وسيسلمون حالاً لرجال سمو الأمير فيصل في تهامة، أما السيد عبدالوهاب الإدريسي فنـظرا لأنـه لا يزال إلى الآن في بلاد العبـادل فقـد اتخذت الوسائل

والوسائط لاستدعائه من تلك الأنحاء لتسليمه فإن لم يطع الأمر فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بشأنه مما يأتي:

أ ـ أن تمتنع حكومة الإمام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية وأن تمنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة.

ب ـ إذا أرادت حكومة جلالة الملك عبدالعزيز القبض عليه في الأراضي التي هو فيها فإن حكومة الإمام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها، وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته من أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبدالعزيز بغير شرط ولا قيد إذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية. وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين اشتركوا معه في عمله إلى الخارج إذا دخلوا إلى أراضي المملكة اليمانية.

٢ ـ أما من كان له تعلق بالأدارسة وحركتهم من الأشراف أو غيرهم فإذا أرادوا اللحاق بالإدريسي فلهم الأمان من قبل حكومة جلالة الملك عبدالعزيز والصيانة والاحترام والإكرام اللائق بحقهم. وإذا لم يشأوا ذلك فإنهم يخرجون من بلاد جلالة الإمام يحيى ولا يسمح لهم بالبقاء فيها، وإذا عادوا إليها مرة أخرى فيطردون حالاً ـ وينذرون بأنهم إذا عادوا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبدالعزيز، فإن عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بتسليمهم إلى حكومة جلالة الملك عبدالعزيز بغير قيد ولا شرط.

فارجو أن تعتبروا هذا سموكم عهدًا وثيقًا له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم، وعلى هذا عهد الله وميثاقه، وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبدالعزيز إلى حضرة صاحب السيادة الأخ السيد عبدالله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الإمام يحيى حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد فاتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الإمام يحيى بشأن الأدارسة وأتباعهم وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الأمانة والوفاء المأمول في جلالة الإمام يحيى، ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبدالعزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن عبدالعزيز إلى حضرة المكرم السيد عبدالله الوزير حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلادين، أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلادين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الأغراض والمنافع، فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبدالعزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبدالله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبدالعزيز حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلادين، وإنني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقا للطريقة التي كان السير عليها من قبل إلى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل، وأن ذلك سيكون مرعيًّا من جانب حكومتنا كما هو مرعيٌّ من جانب حكومتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع)

عبدالله بن أحمد الوزير

وننشر فيما يلي نص الملحق الأول والثاني المتعلقين بتحديد الحدود بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية ونص الاتفاق العام بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية لحل القضايا التي تعرض بين رعايا المملكتين.

بســــــم الله الرحــــمن الرحــــيم

ملحق لمعـاهدة الطائف

بتحديد الحدود بين المملكة اليمانية والمملكة العربية السعودية

الحمدلله الذي آخى بين المسلمين وألّف بين قلوبهم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة أنبيائه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد فنحن يحيى بن حميد الدين ملك المملكة اليمانية نظرًا لما جاء في آخر المادة الرابعة من معاهدة الطائف المنعقدة بيننا وبين جلالة أخينـا الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بتاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣ والتي تنص على مايأتي:

«أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمـل الوجـوه فيكـون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل، فقد تم الاتفاق على انتداب هيئتين مشتركتين لتحديد الحدود بين المملكة اليمانية والمملكة العربية السعودية بصورة فعلية، إحداهما لتحديد الحدود في تهامة والأخرى في الجبال وما إليها، وقد كانت هيئة تهامة المعينة من قبلنا مؤلفة من محمد بن ضيف الله بن غثاية ومحمد ابن قاسم نجم الدين وعبدالله بن عثمان، والهيئة المعينة من قبل جلالته لتحديد الحدود في تهامة مؤلفة من محمد السليمان ابن تركي وعبدالله قاضي وعبدالله بن عقيل، كما كانت الهيئة المعينة من قبلنا في جهات الجبال مؤلفة من عبدالله بن مناع كبير سحار وعبدالله الغبيري وإسماعيل ابن حسن عامل همدان ومحمد بن حسن الوادعي ناظرة ساقين، والهيئة المعينة من قبل جلالته لتحديد الحدود في الجبال مؤلفة من عبدالوهاب ابن محمد أبو ملحة وعبدالعزيز بن عبدالرحمن الثميري وإبراهيم بن زين

العابدين ودليم أبو لعثة وحسين بن مصطفى وطلعت وفا، وقد قامت هذه الهيئات بالاتفاق بتحديد تلك الحدود ووضعت الهيئة المشتركة التي حددت الحدود في الجبال تقريرًا واحدًا بتاريخ ٢١ شوال ١٣٥٤ موقعًا من مندوبي الطرفين عينت فيه مواقع الحدود في سائر الجبال وما إليها موقعًا موقعًا وبدأت بجبل الثار وانتهت بجور الودافة، ووضعت الهيئة المشتركة التي حددت الحدود في تهامة ثلاثة تقارير موقعة من مندوبي الطرفين الأول منها موقع بتاريخ رمضان ١٣٥٤ يبدأ من رصيف البحر رأس المعوج وينتهي عند الملوس، والثاني موقع بتاريخ ٢٧ شوال ١٣٥٤ يبدأ من أسفل مير عليا أطراف الوادي وينتهي عند أسفل جبل السودة من شرق، والثالث موقع بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٣٥٤ يبدأ من ملس السودة وينتهي عند جوار الوادف، وقد عينت فيها مواقع الحدود التهامية كلها موقعًا موقعًا، ونص تلك التقارير الأربعة كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير الحدود

بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية

(١)

في اليوم الخامس والعشرين من شهر شعبان ١٣٥٤هـ اجتمعت في ظهران، الهيئتان الموقعتان أدناه، الموفدتان من قبل صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز السعود ملك المملكة العربية السعودية ومن قبل صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين ملك المملكة اليمانية من أجل تقرير خط الحدود بين المملكتين المشار إليهما عملاً بما نصت عليه المادة الرابعة من معاهدة الطائف.

وكان الابتداء من أطراف البلادين المتجاورين فيهما من جهة الشرق إلى آخر حد في جهة الغرب حيث ينتهي العمل في ذلك بنظر هيئة تهامة.

وقد صار الاتفاق على أن يكون وضع أول إشارة في الحدود في - رأس جبل الثار - بين وائلة وبين يام. وأما القفرة المسماة (صلة) وما يتصل بها من جهة الشرق فبناء على الاختلاف الواقع بين وائلة ويام عليها وعدم اللزوم لوضع الأمارات فيها رأينا بقاءها حسب عادتها. وإذا حصل اختلاف عليها في المستقبل بين القبيلتين فيكون فيه الحل بشرع الله بموجب ما نص عليه في معاهدة الطائف.

وأما ما كان خارجًا عن صلة جنوبًا فإلى وائلة ومن إليهم، وما كان خارجًا عنها شمالاً فإلى يام.

وقد عقدت الهيئتان المذكورتان عدة جلسات دامت حتى تحرر هذا من أجل الغرض المنوه عنه آنفاً بحضور رؤساء القبائل المتحاددة، وبعد التحقيق ومصادقة رؤساء القبائل المذكورة بدون إجبار ولا إكراه تعينت الحدود وتقررت وميزت بأسماء جبال وآكام وأودية معروفة بأسمائها لا تتحول ولا تتبدل. وسيأتي ذكر هذه الأسماء مفصلة فيما بعد. وقد دونت في محاضر مختلفة التواريخ وصدقت من الهيئتين المذكورتين، وأخذت كل هيئة نسخة منها، وانتدبت الهيئتان رجالا أمناء من قبلهما ذهبوا لوضع علامات من الحجارة على طول خط الحدود بين كل كيلومتر وآخر إشارة تمهيدًا لبناء الساريات في الوقت الذي يتفق على تعيينه جلالة الملكين وعلى تعيين الأشخاص الذين يقومون بها والنفقات التي تنفق عليها.

وقد أعطي كل قبيلة بيانًا مصدقًا من الهيئتين بحدودها مع القبيلة المقابلة لها قطعًا لكل حجة ومنعًا لكل تشويش والتباس، ليعرف كل ذي حد حده ويقف عنده ويمتنع من تجاوزه والتعدي على مجاوره برعي أو غيره ومن تعدى عوقب من حكومته بما يكون به العبرة والارتداع بعد ذلك.

وهاك بيان الحدود من الشرق إلى الغرب:

ابتداء خط الحدود بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية بعد قفرة صله.

١ - جبل الثار. ٤ - ذراع الشاعة. ٦ - رأس العبلا.
٢ - جبل الأصيدة. ٥ - قاع عثيثة. ٧ - رأس الكوكب.
٣ - رأس مركوز عنبان.

٨ - رأس الصبر: المطل على السهل الممتد إلى حسوجخيمي على أن يبقى اليامون يردون الماء الذي في حسوجخيمي كعادتهم.

٩ - الفخذين.
١٠ - رأس عربة.
١١ - رأس عقبة نهوقة.
١٢ - عشارة.
١٣ - فرع مدر.
١٤ - جبل الثافرة.
١٥ - فرع الدغماء.
١٦ - مقبرة آل ثعلة.
١٧ - مقاشع.
١٨ - رهوة ضرك.
١٩ - جبل مرشحة.
٢١ - شحاط الغمرة.
٢٢ - صلفح.
٢٣ - جبل الاتم .
٢٤ - رأس جبل هضاض:

فما سال منه جنوبا فلوائلة، وما سال منه شمالا فلوادعه، وما سال شرقا فليام. وهنا ينتهي الحد بين وائلة وبين يام.

٢٥ - رأس الحنكة
٢٦ - جبل عار
} هذان الحدان بين وائلة وبين وادعة.

٢٧ - حلفة الحماد
٢٨ - الجدلية
} هذان الحدان بين بني حذيفة وبين جماعة وبين وادعة.

٢٩ - جبل وعوع: وأما الصخيرة فتبقى على عادتها السابقة فما كان ملكًا خاصاً لابن خير فهو يختص به، وما سوى ذلك فهو على ما جرت به العادة سابقا يكون بيد ابن خير، ومن تخلف بعده ويدفع سبع الغلة إلى سالم بن دمنان ومن تخلف بعده.

٣٠ ـ الشعبة
٣١ ـ ضراويه

} هذان الحدان بين سحار الشام وودادعة.

٣٢ ـ جبل فريض الراكه.
٣٣ ـ جبل عضد.
٣٤ ـ جبل فريض اسعر
٣٥ ـ جبل فريض المحدث.
٣٦ ـ جبل صبحطل.

} هذه الحدود بين سحار الشام ووادعه.

٣٧ ـ المزيرعة: فما سال منها غربًا فلسحار الشام، وما سال منها شرقًا فلوادعه.
٣٨ ـ شعب القوم.
٣٩ ـ رأس جلب علب.
٤٠ ـ الشعثاء: ما سال منها غربا فلآل نصر من سحار الشام وما سال شرقًا وشمالاً فلوادعة.
٤١ ـ مدفع الحنكة «أي رأس بن معلى» على أن يبقى كل من آل محض وسنحان وآل نصر على حقه في قرية الرهوة من أملاك كما كانوا عليه سابقًا وكما هم عليه الآن.
٤٢ ـ الصبصب.
٤٣ ـ نليد الكعل: ما كان من جهة الشمال فلآل محض من وادعة وجهة الجنوب لآل نصر من سحار الشام.
٤٤ ـ جبل آل محض: ما سال منه جنوبا فلآل نصر، وباقي الجهات لآل محض من وادعة وهنا، تنتهي الحدود بين سحار الشام ووادعة.
٤٥ ـ وادي الرابضة في المسنا، فالجهة الجنوبية لآل نصر من سحار الشام وباقي الجهات لسنحان من قحطان.
٤٦ ـ خشم العقلة في خرق: وهو الحد بين آل سعيد من سنحان وبين بني جماعة وبعد ذلك يبدأ الحل الفاصل بين آل تليد وبين بني

جماعة وهو يمتد من الشرق إلى الغرب الجنوبي.

٤٧ - تليد قشبة: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٤٨ - وادي مجزع القرض: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٤٩ - رأس الحمارة: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٠ - عقم الواكف: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥١ - رأس الشائنة: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٢ - جبل الجيش : فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٣ - سيل الجوه : فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٤ - قهر نعامة : فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٥ - جبل شفا الزبير: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٦ - جبل العجرمة: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٧ - جبل عرب: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٨ - نيد الشرياني: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٥٩ - وادي الرصيفي: فما كان منه شمالاً وغربًا فلآل تليد وجنوبًا وشرقًا لبني جماعة

٦٠ - قمع معروب : واما أصل وادي دنا من أم زراد إلى قمع معروب

إلى الرصيفي فهو مشترك بين التليدي والحبسي والثابتي، ومن وادي دفا شمالاً فلآل ثابت ولآل تليد، وغربًا وجنوبًا لأهل حبس ولآل يحيى من بني مالك، وشـرقًـا لآل ثابت. وأمـا جبـل ثهران فتصادق آل ثابت وآل تليد وآل القهر على أنه مشترك بينهم فيجروا فيه حسب عادتهم.

٦١ - جبل امقلحة: ما كان منه غربًا وجنوبًا فلآل يحيى ولآل حبس من بني مالك وما كان منه شرقًا فلآل ثابت من بني جماعة.

٦٢ - نيد جلال ٦٣ - نيد السحايا ٦٤ - نيد الرفصة	ما كان غربًا وجنوبًا فلآل يحيى وما كان شرقًا فلآل ثابت.

٦٥- جبل العريف الممتد من الشمال إلى الجنوب من نيد الرفصة إلى كتفـة وهـو الحد الفاصل بين آل يحيى وبين أهل حنبه فالجهة الغربية لآل يحيى والجهة الشرقية لأهل حنبة وقد أعطى لكل قبيلة منهما وثيقة بيدها في ما هو لها من جهة القبيلة الأخرى.

٦٦ - جبل السلم: فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.

٦٧ - حرف أمشينة: فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.

٦٨ - نيد المخطف: فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.

٦٩ - نيد الفسيح: فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.

٧٠ - قلة أم سحامي : فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.

٧١ - جبل المجدار: فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.

٧٢ - ساقية أم مغطيط: فما كان منه شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.
٧٣ - وادي أم شريفة: فما كان منها شمالا فلآل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا فلأهل جلحا من بني خولى.
٧٤ - نقيل الطفة: فما كان منها غربا وشمالا فلآل زيدان، وما كان منها جنوبا وشرقا فلبني خولى، وأما آل سبولة فما لهم في جبل شهدان من بيوت وأموال وغيرها فيبقون فيه على عادتهم.
٧٥ - نيد خرمة : ما كان منها غربا وشمالا فلآل زيدان من آل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا وشرقا فلأهل جلحا من بني خولى.
٧٦ - حياد الردحة : ما كان منها غربا وشمالا فلآل زيدان من آل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا وشرقا فلأهل جلحا من بني خولى.
٧٧ - بئر الشرح : ما كان منها غربا وشمالا فلآل زيدان من آل يحيى من بني مالك وما كان جنوبا وشرقا فلأهل جلحا من بني خولى.
٧٨ - نيد سرمه : ما كان منها غربا وشمالا فلآل زيدان من آل يحيى من بني مالك وما كان منها جنوبا وشرقا فلأهل جلحا من بني خولى.

٧٩ - نيد الوقر ٨٠ - نيد الفرو ٨١ - نيد الثرع	ما كان منها شرقًا وجنوبًا فلآل عياش، وما كان شمالاً وغربًا فلآل سعيد من بني مالك ويبقى آل سعيد يردون ماء جرعة التي في نيد الفرو كعادتهم السابقة.
٨٢ - مجنب البحار ٨٣ - الحنكر	ما كان منها شرقًا وجنوبًا فلآل عياش وما كان شمالاً وغربا فلآل خالد وآل عزة من بني مالك.
٨٤ - وادي الخرش ٨٥ - قرن مكحله	فما كان منها شرقًا وجنوبًا فلآل اللهب وآل أم دوشه

٨٦ - نيد شوكان ٨٧ - غباس	وما كان شمالاً وغربًا فلآل خالد وآل عزه من بني مالك
٨٨ - الخرق ٨٩ - تبرى أم ثميله ٩٠ - جور الودافة	فما كان منها جنوبًا مائلاً للغرب فلبني أم شيخ وشمالاً وغربًا فلآل خالد وآل عزة من بني مالك.

وهنا تنتهي الحدود بين بني مالك وبين بني جماعة وبين بني منبه.

وهذا آخر الحدود التي قامت الهيئتان الموقعتان أدناه بتقريرها فما كان واقعًا من شمال خط هذه الحدود فهو من المملكة العربية السعودية وما كان واقعا من جنوبه فهو من المملكة اليمانية باستثناء بعض نقاط الحدود - المنحرفة إلى جهة الشرق أو إلى جهة الغرب حسب اتجاه ميل الخط كما تبين ذلك بصورة مفصلة حذاء كل حد منها.

وبيانا لما ذكر وضع هذا القرار ووقع من الهيئتين، وقد حرر من نسختين باللغة العربية الشريفة. بيد كل من الهيئتين نسخة. وكتب في مدينة ظهران في اليوم الحادي والعشرين من شهر شوال سنة أربع وخمسين بعد الثلاثمائة والألف في ٢١ شوال ١٣٥٤هـ.

هيئتا تحديد الحدود بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية.

الهيئة المنتدبة من المملكة اليمانية

عضو	الرئيس
اسماعيل بن حسن	محمد بن حسن الوادعي
عامل همدان	ناظرة ساقين
عضو	عضو
عبدالله بن مناع	عبـــدالله
كبير سحار	الغبيري

الهيئة المنتدبة من المملكة العربية السعودية

عضو	الرئيس
عبدالعزيز	عبدالوهاب
ابن عبدالرحمن الثميري	محمد أبو ملحة
عضو	عضو
دليم ابو لعثة	إبراهيم زين العابدين
عضو	عضو
طلعت وفا	حسين بن مصطفى

(٣٤)

اتفـــاق عـــام

بين المملكة العربية السعودية ـ والمملكة اليمانية
لحل القضايا التي تعرض بين رعايا المملكتين

بســـــم الله الرحمن الرحـــــيم

بما أنه قد رؤى من المصلحة المشتركة وضع اتفاق عام بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية ينص فيه على القواعد المرغوب في اتبـاعهـا من الجـانبين حين معالجة القضايا والدعاوى والمشاكل والمطالبات الناشئة بين رعايا الفريقين المقيمين بجوار الحدود.

وبما أنه قد أشير في المادة السابعة من معاهدة الطائف إلى وضع اتفاق خاص بكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر الناشئة عن حوادث الاعتداء والجرح والقتل والغزو بين رعايا الفريقين بجوار الحدود.

وبما أنه قد نص في الكتابين الملحقين بمعاهدة الطائف المتبادلين بتاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣ بين حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد ابن عبـدالعزيز وبين سيادة السيد عبدالله بن أحمد الوزير على وضع اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال بين المملكتين سواء للحج أم للتجارة وغيرها من الأغراض والمنافع.

فإن كلًّا من حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن قد اتفقا على المواد الآتية.

المادة الأولى : تسهيلا لمعاملات الرعايا المقيمين على جانبي الحدود بين المملكتين يفوض من قبل المملكة العربية السعودية كل من أمراء

جيزان وأبها ونجران ومن قبل المملكة اليمانية ناظرة أشام وعمال ميدي وحرض ووائلة لإجراء المخابرات والمراجعات فيما بينهم كل فيما يتعلق بالرعايا التابعين لمنطقته أو فيما يتعلق بشؤون منطقته إجمالا بقصد حل القضايا والمنازعات والاختلافات والدعاوى والشكاوى والمظالم التي يدعي بها فرد أو أفراد في جانب واحد على فرد أو أفراد في الجانب الآخر من الحدود.

المادة الثانية : حين وصول مراجعة كتابية من قبل أحد الأمراء أو العمال المذكورين في المادة السابقة إلى الأمير أو العامل الذي يقابله في الجانب الآخر من الحدود يكون على الأمير أو العامل الذي يتلقى المراجعة أن يقوم فورًا وبدون تأخير باتخاذ كافة التدابير والترتيبات الموصلة إلى إنهاء القضية المكتوب له عنها فإن كانت القضية من المسائل الإدارية فإنه يعمل جهده لحلها وإنجازها وإن كانت من المسائل الشرعية فإنه يحيلها إلى القاضي الشرعي للنظر فيها طبقا للأحكام الشرعية المحلية، وإن كانت من المسائل الخلافية التي لم يمكن الوصول إلى حلها عن طريق المراجعات الإدارية فإنه يطبق عليها حكم الترتيب المنصوص عليه في المادة الخامسة أدناه.

المادة الثالثة : متى أحيلت للقاضي دعوى أو قضية بالشكل المُبَيَّن في المادة السابقة فإنه يباشر في نظرها بدون تأخير وإن كان الأمر يتطلب بإحضار البينات والشهود فإنه يعين لنظري الدعوى لحضور الشهود يوما هو أقرب ما يكون المدة التي تلزم لحضور الشهود إلى محله ويطلب من أمير أو عامل جهته أن يكتب إلى أمير أو عامل الجهة المقابلة له والتي تكون المراجعة حصلت بواسطته عن اليوم المعين بنظر القضية وعن أسماء الشهود المطلوبين ويطلب منه إرسالهم في الوقت المعين ويعتبر الكتاب الوارد من الأمير أو العامل عن شخصية الشهود كافيًا للتحقيق من شخصية الشهود وهويتهم، هذا إن لم يكن بيدهم وثائق أخرى تثبت شخصياتهم كجواز سفر أو تذكرة هوية أو ورقة مرور أو ما أشبه. ويجري إبلاغ الحكم الشرعي إلى أمير أو عامل الجهة الأخرى بنفس الطريقة

التي جرت فيها المراجعة الأولى.

المادة الرابعة: الدعاوى التي يفصل فيها بالحكم الشرعي المعتبر لايمكن إعادة البحث فيها أو مناقشتها أو عرضها مرة أخرى.

المادة الخامسة: متى كانت المراجعة الواقعة تتعلق بمسألة إدارية فإن الأمير أو العامل يبذل جهده لحلها على وجه العدل والإنصاف ويتراجع مع الأمير أو العامل الذي حصلت المراجعة منه عن التدابير والإجراءات التي اتخذها لحل القضية. وإن تبين بعد إجراء المخابرات أنه من المعتذر الوصول إلى حل مرض للقضية الإدارية المعروضة تتخذ الإجراءات بإحدى الطرق الآتية:

أولا: بعقد اجتماع من الأمير والعامل المختص لأجل حل القضية.

ثانيا: بتعيين لجنة متساوية العدد من الجانبين وهذه يصح أن يكون الأمراء والعمال رؤساء لها أو أعضاء فيها كما أنه يصح أن تكون من أشخاص من غير الأمراء والعمال.

ثالثا: بإحالتها بعد التحقيق من عدم إمكان الوصول إلى نتيجة مرضية برغم اتباع الطريقة الموضحة في الفقرتين السابقتين على التحكيم طبقا لنصوص الملحق الخاص بذلك من معاهدة الطائف.

المادة السادسة : بما أنه من المصلحة أن تكون بين الأمراء والعمال على الحدود صلات شخصية وصداقة مؤسسة على المعرفة والمحبة والتفاهم على ما فيه رضاء الخالق ثم رضا الملكين فإنه قد اتفق على اجتماع الأمراء والعمال المنصوص عليهم في المادة الأولى من هذا الاتفاق مرة في كل سنة على الأقل (وعند اللزوم أكثر) وذلك للتعارف والتشاور ولحل ما يمكن أن يكون محتاج الحل من القضايا الإدارية حسبما هو موضح في المادة الخامسة. ويكون الاجتماع في محل يتفق عليه مقدما ويكون مرة في الجانب العربي السعودي ومرة في الجانب اليماني على وجه التناوب وأما زمان الاجتماع فيتفق عليه بين الأمراء

والعمال أنفسهم وتعرض قراراتهم على الحكومتين من أجل الموافقة عليها وبعد حصول الموافقة التي لا يجوز تأجيلها أكثر من ثلاثة أشهر منذ انفراط عقد الاجتماع تصبح القرارات واجبة التنفيذ بدون تردد.

المادة السابعة : على الذين يجتازون الحدود بين البلادين أن يكونوا حاصلين على تصريح رسمي يجيز لهم ذلك، وكل شخص يجتاز الحدود بدون أن يكون حاصلاً على التصريح اللازم لذلك من أمير أو عامل الجهة التي يتبعها فإنه يكون عرضة للشبهات ولإمكان إرجاعه فورًا إلى الجهة التي قدم منها، أما الأذون والتصريحات التي يمكن إعطاؤها لمريدي العبور من ناحية إلى أخرى فتكون على الوجه الآتي:

أولا: إن الأشخاص الذين لهم أعمال مباشرة بقرب خط الحدود واعتادوا على العبور من ناحية إلى أخرى من القديم بسبب المرعى أو وجود مزارع أو بساتين لهم في الجهة الأخرى من خط الحدود أو بسبب اعتيادهم حضور الأسواق في تلك الجهة فإن الترتيب الحالي يظل على شأنه إلى أن يوضع ترتيب آخر في المستقبل، وفي حالة الطوارىء يمكن تقييد العبور كليًا أو جزئيًا كما إنه يمكن اشتراط الحصول على ورقة هوية أو رخصة أو أية وثيقة أخرى من الجهة التي يتبعها مريد الاجتياز تثبت شخصيته وأنه مرخص له بالعبور.

ثانيا: على الأشخاص الذي يقصدون بعبورهم الحدود الوصول إلى مراكز الحكومة أو إلى الأماكن البعيدة عن خط الحدود في الجهة المقابلة أن يحصلوا من الأمراء أو عمال الجهة التي يتبعونها على وثيقة رسمية تجيز لهم ذلك.

ثالثا: على التجار أو السائحين أو الحجاج الذين يريدون اجتياز خط الحدود أن يحصلوا على كل حال على رخصة من الجهة التي يتبعونها رسمية تجيز لهم العبور إلى الجهة الأخرى من الحدود. وفي حالة عدم حصولهم على الرخصة الرسمية المقررة لذلك يكونون عرضة للاشتباه فيهم وتوقيفهم وإعادتهم إلى الجهة التي قدموا منها.

المادة الثامنة : الرخص والوثائق الرسمية التي تجيز لحاملها حق العبور من جهة إلى جهة أخرى من خط الحدود حسبما هو موضح في الفقرتين (٢، ٣) من المادة السابقة هي كما يأتي:

أولا: جواز سفر رسمي صادر من الجهة ذات الصلاحية في إصداره.

ثانيا: ورقة مرور رسمية صادرة من الأمراء والعمال أو الدوائر الرسمية ذات الصلاحية في جانبي الحدود.

ثالثا: ورقة هوية مشعرة بشخصية حاملها وصادرة من جهة مسؤولة ومنصوص فيها على الجهة التي يمكن لحاملها أن يقصدها.

رابعا: كتاب من الأمير أو العامل في الجهة التي يتبعها المسافر إلى أمير أو عامل الجهة التي يقصدها يبين فيه القصد من سفره.

المادة التاسعة: تبقى الحقوق والعادات المتعلقة بحق الرعي والزرع والشرب على أطراف الحدود مضمونة ومصانة عن التعرض كما نطقت بذلك أحكام معاهدة الطائف، وإن حصل نزاع أو ادعاء بشأن كل أو بعض هذه الحقوق بين الذين اعتادوا الاستمتاع بها في جانبي الحدود فيعرض النزاع أو الخلاف في حالة عدم تمكن الأمراء والعمال من حله بالمراجعات السلمية فيما بينهم على اجتماع الأمراء والعمال أو على اللجنة المخصوصة المنصوص عليها في المادة السادسة أعلاه وفي حالة عدم الاتفاق تحال على التحكيم طبقا لأحكام ملحق معاهدة الطائف.

المادة العاشرة : بما أن مشترى وبيع السلاح وحمله ونقله ممنوع في المملكة العربية السعودية بموجب أحكام النظام الصادر في ١٣ رجب ١٣٥٤ فإن الرعايا اليمانيين إذا رغبوا في الدخول إلى أراضي المملكة العربية السعودية فيما وراء خط الحدود المباشر يسلمون ما في أيديهم من الأسلحة النارية أو القاطعة إلى النقاط الجمركية العربية السعودية أو الأمراء على الحدود مقابل سند استلام يعطى لأيديهم لكي يتمكنوا حين رجوعهم إلى حدود بلادهم من استلام أسلحتهم التي أودعوها بموجبه،

وكل شخص توجد في حيازته أسلحة برغم الأحكام النظامية فيجرى عليه حكم النظام المشار إليه.

وفي حالة رغبة اليمن في وضع نظام مماثل فإن الرعايا العرب السعوديين يخضعون للترتيب الذي يسن لذلك الغرض حين اجتيازهم لمناطق الحدود.

المادة الحادية عشرة: يمنع إمرار البضائع من جانب إلى آخر إلا عن الطرق الرسمية المقررة لذلك لأجل المرور على النقاط الجمركية لترسيم البضائع طبقا لأحكام النظام، وكل مخالفة لذلك تعرض مرتكبها لمصادرة أمواله وتطبيق أحكام نظام الجمارك الساري على التهريب والمهربين.

المادة الثانية عشرة: إذا كانت لأحد الرعايا في الجانب الواحد قضية في الجانب الآخر فمن أجل إثبات صحة ما بيده من الوثائق يلزمه التصديق عليها من قبل الأمير أو العامل في الجهة التي هو فيها، ولا يمكن اعتماد المعاملات أو اتخاذها بينات في الأحكام والدعاوى إلا إذا كانت مصدقة على حسب الأصول المتبعة.



(٢)

الابتداء من ساحل البحرى إلى آخر حدود بنى مروان مما يلى الحرث وإلى حدود وعلان

نمرة	اسم الموضـــــــــــوع	الجهة المبتدأ منها	الجهة المتجهة إليها	أسماء القبائل التابعة للحكومة العربية السعودية	أسماء القبائل التابعة للحكومة المتوكلية	مقدار المسافة متر
١	رصيف البحر تماما راس المعوج شامى منفذ رديف قراد	من الغرب	الى الشرق	العريبى بنى مروان	زيلع بنى مروان	١٠٠٠
٢	طرف الرسيب الشامي من الشورى					١٠٠٠
٣	فيلى العلم نمرة ٢ مسافة ألف متر					١٠٠٠
٤	فيلى العلم نمرة ٢ متصل بالرسيب القبلى مسافة ٣٠٠ متر					٣٠٠
٥	ميمن واصل إلى قاعدة الدنقور	من الشمال	إلى الجنوب	العريبى بنى مروان	زيلع بنى مروان	١٠٠٠
٦	متصل يمنا نحو الشرق موضوع طرف شجرة الرديف					١٠٠٠
٧	موضوع قبل كتف الحافية من الجهة الغربية					١٠٠٠
٨	موضوع شامى عن رديف القراد					١٠٠٠
٩	موضوع فوق رديف القراد					١٠٠٠
١٠	موضوع فى النقاريد نحو الف متر	من الغرب	الى الشرق	العريبى بنى مروان	زيلع بنى مروان	١٠٠٠
١١	موضوع فى النقاريد					١٠٠٠
١٢	موضوع فى النقاريد مقابل للفصلة					١٠٠٠
١٣	موضوع فى قزى ممتد من الفصلة مسافة الف متر					١٠٠٠
١٤	موضوع فى قزى ممتد من الفصلة مسافة ألف متر					١٠٠٠
١٥	موضوع فى بلاسم ممتد من الفصلة مسافة الف متر					١٠٠٠
١٦	موضوع فى بلاسم ممتد من الفصلة مسافة الف متر					١٠٠٠
١٧	موضوع فى شعيب أم ذيابة مسافة ألف متر					١٠٠٠
١٨	موضوع فى شعيب أم ذيابة مسافة ألف متر					١٠٠٠
١٩	موضوع فى مشعان مسافة الف متر					١٠٠٠
٢٠	موضوع فى مشعان حد القيوس	من الغرب	الى الشرق	القيوس بنى مروان	بنى زيلع	١٠٠٠
٢١	موضوع فى مشعان حد القيوس					١٠٠٠
٢٢	موضوع فى مشعان حد القيوس					١٠٠٠
٢٣	اتمام الشعبان وثم ينحنى قبله بين زيلع والقيوس والمسافة ٦٤٠ متر					١٠٠٠ ٦٤٠
٢٤	اتمام مشعبان أرض القيوس	من الجنوب	الى الشمال	القيوس بنى مروان	المفلى بنى مروان	١٠٠٠

نمرة	اسم الموضـــــــــــوع	الجهة المبتدأ منها	الجهة المتجهة إليها	أسماء القبائل التابعة للحكومة العربية السعودية	أسماء القبائل التابعة للحكومة المتوكلية	مقدار المسافة متر
٢٥	اتمام مشعبان أرض ابراهيم عثمان منقارا والحمدى					١٠٠٠
٢٦	واقع على خزن حاج شرقى محمد حمد مدحش مغفلى					١٠٠٠
٢٧	واقع فى غرب الحشيرة حد القيوس والمغفلى					١٠٠٠
٢٨	واقع فى خبتة الطينة قبلى الحشيرة					١٠٠٠
٢٩	واقع فى شعيب الحزب ·	من الجنوب	الى الشمال	القيوس بنى مروان	المغفلى بنى مروان	١٠٠٠
٣٠	واقع في خبتة الحزب					١٠٠٠
٣١	واقع فى زبارة السر					١٠٠٠
٣٢	واقع في سدادة خبتة السر					١٠٠٠
٣٣	واقع فى شعبة زمار السرحة					١٠٠٠
٣٤	واقع فيما بين أم القمع ومفجر الزمار بخط مستقيم نحو الشرق	من الغرب	الى الشرق	بنى حمد	المغفلى والحدادى	١٠٠٠
٣٥	واقع فيما بين أم القمع والقوبة بخط مستقيم نحو الشرق					١٠٠٠
٣٦	واقع فيمابين عداية المارويد وحدود القوبة بخط مستقيم نحو الشرق					١٠٠٠
٣٧	واقع فيما بين كشف المراويد وخزنة عسله					١٠٠٠
٣٨	واقع فيما بين مفجر الحوسية					١٠٠٠
٣٩	واقع فيما بين عداية الخوبة اليمنى نحو القبلة	من الغرب	الى الشرق	بنى حمد	المفلى والحدادى	١٠٠٠
٤٠	واقع فيما بين يمانى سداد الدعاسية					١٠٠٠
٤١	واقع فيما بين خرطة الحوسية					١٠٠٠
٤٢	واقع فيما بين سرحة المغربى بين الجدارة وبين مزيد والخط كما هو					١٠٠٠
٤٣	واقع فيما بين طريق جلبان إلى حرض المسافة ١٦٠مترا					١٦٠
٤٤	واقع فى السرحة التى على طريق جلبان إلى حرض					١٠٠٠
٤٥	واقع فى مقص الشعوب	من الغرب	الى الشرق	اشراف وعلان والقيوس	الأشرم من بنى مروان	١٠٠٠
٤٦	واقع فى مقص الشعوب					١٠٠٠
٤٧	واقع فى المحفور طريق وعلان إلى حرض					١٠٠٠
٤٨	واقع فى أبوصول يمنا من باضرة					١٠٠٠

نمرة	اسم الموضــــــــوع	الجهة المبتدأ منها	الجهة المتجهة إليها	أسماء القبائل التابعة للحكومة العربية السعودية	أسماء القبائل التابعة للحكومة المتوكلية	مقدار المسافة متر
٤٩	معمال بومشنى	من الغرب	الى الشرق	القيوس وأهل وعلان	الأشرم من بنى مروان	١٠٠٠
٥٠	خلفت الممشى					١٠٠٠
٥١	دنديقة صغيرة					١٠٠٠
٥٢	شامى الدنديقة الكبيرة					١٠٠٠
٥٤	قاعة جبل الدوحة					١٠٠٠
٥٥	شامى الذراع بأعلى تعشر ومنه مسافة للنمرة الأولى بنحو ٥٠٠٠ متر	من الجنوب	الى الشمال	القيوس وأهل وعلان	هضاب الجبال	٥٠٠٠
٥٦	مريح المعاين نحو الشرق مسافة ٣٦٠ مترا أسفل الجبل فوق الوادى	من الغرب	الى الشرق	حسن فقيه	هضاب جبال المير	٣٦٠
٥٧	موضوع فى خلفة المجروب	من الجنوب	الى الشمال	حسن فقيه	هضاب جبال المير	١٠٠٠
٥٨	موضوع فى ضلعة الحقافر					١٠٠٠
٥٩	روس الحقافر وأم الجابر					١٠٠٠
٦٠	شرقى المطينة فى أسفل الجبل إلى منض حالبية بلاد علي مدال	من الجنوب	الى الشمال	حسن فقيه	هضاب جبال المير	١٠٠٠
٦١	عشة السيد					١٠٠٠
٦٢	جبل ازيادى					١٠٠٠
٦٣	موضوعة رأس المتعس من الجهة الشرقية	من الجنوب	الى الشمال	الحكاميا	هضاب الجبال	١٠٠٠
٦٤	محجن شرق قرية بني الجراح ومزارعهم					١٠٠٠
٦٥	العشة فيما بين وادى ذياب ووادى القمارى					١٠٠٠
٦٦	اسفل عشة السرير شام					١٠٠٠
٦٧	دمنة السيد					١٠٠٠
٦٨	الملموس شمال المغياله					١٠٠٠

بما أن البيان الموضح بهذه الكشوفات التى هى ثلاثة صحائف من نمرة واحد إلى نمرة ثمانية وستين هى بيان المراسيم الموضوعة بالحدود فيما بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية من ساحل البحر إلى المغيالة آخر حدود بنى مروان وبما أنه صار وضع هذه الرسوم للحدود المذكورة باتفاق الهيئتين المنتدبة من قبل الحكومتين الموضوعة أسماءهم بهذا القرار وذلك بعد الفحص والتروى من أصحاب الخبرة من مشائخ القبائل التابعين للحكومتين وعليه صار كل ما هو شمال وغربى حدود المراسيم المذكورة هو تابع للحكومة العربية السعودية، وما هو جنوب وشرق مراسيم الحدود هو تابع للحكومة المتوكلية، وقد حررت هذه الوثائق على نسختين لكل من الحكومتين نسخة وقد صار مقابلة النسختين فوجدت صحيحة وعليه صار القرار والتوقيع

رمضان ١٣٥٤هـ

الهيئة المتوكلية

عضــو	عضــو	الرئيس
حمد بن قاسم نجم الدين	عبدالمطلب	عبدالله بن عثمان

الهيئة العربية السعودية

عضــو	عضــو	الرئيس
محمد السليمان بن تركى	عبدالله قاضى	عبدالله المحمد بن عقيل

بيان المراسيم الموضوعة بالحدود فيما بين الحكومة العربية السعودية والحكومة المتوكلية وهي التي أولها من بلاد الحرث

نمرة	المكان الموضوعة فيه	الجهة		بعد المسافة	اسماء العربان التابعين للحكومة العربية السعودية	العربان التابعين للحكومة المتوكلية	ملاحظات
		من	إلى				
١	أسفل مير عليا أطرف الوادى	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٢	أم لبدة	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٣	حجر العبد	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٤	مفجر جاضع أم ممرحاء	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٥	المطـــلاة	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٦	داحر مضه معلى	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٧	خلفة محرم صبايا	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٨	مفجر أمهدج	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
٩	غرب أم دهشيلة	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	منها ٢٠٠متر وثم ينحرف من الجنوب الي الشمال باطي وادى مهدج
١٠	خنقة أم سباقة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١١	ميد داحر امسوده	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٢	بمعطب	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٣	أسفل جبل أم عطب شرق	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٤	رأس محوفة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٥	رأس جبل امعطب	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٦	باطن الكامح من الغرب السودة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٧	رأس الكاخ امروى	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٨	نصف قايم بشير	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	بنى مروان	
١٩	شرق نبيره امروى	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٠	موضوع بالحشيرو	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢١	أبو الحلى	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٢	مد منوع قايم بالحشيرو	من الشرق	إلى الغرب	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	حايزة على بلاد مشول
٢٣	الموقـد	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٤	مشباح ام رنف	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٥	جاضع امحسن	من الشمال	إلى الغرب	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	مقابل بلاد بحى امسفود

نمرة	المكان الموضوعة فيه	الجهـــة		طول المسافة	اسماء العربان التابعين للحكومة العربية السعودية	العربان التابعين للحكومة المتوكلية	ملاحظات
		من	إلى				
٢٦	جاضع إمحسن الأعلى	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٧	روس بومض	من الشرق	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٨	غارب خطوة نسرة	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٢٩	غارب بومضهى امعرضه	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣٠	قايم أم البصل	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣١	عشرة سر مجدعة	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣٢	شرق عشاش خفينة	من الغرب	إلى الشرق	٣٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣٣	غارب حرم	من الشمال	إلى الجنوب	٧٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	اول الهيجه
٣٤	باامدغوى	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣٥	سر امدعانى	من الغرب	إلى الشرق	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣٦	عشة الموقد شمال المشاف	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	
٣٧	عشة الحرايج شرق مجدعة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الحرث العقارب	نهاية الهيجة
٣٨	أرض الفياح	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الملاحيظ العقارب	وينحنى الخط نحو المغرب الى طريق المغربة ارض زوملر ثم يرجع إلى الشمال
٣٩	خشم ملج	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الملاحيظ العقارب	
٤٠	باأزرض الفاصلة بين دهمى وحسن	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الملاحيظ العقارب	
٤١	بجبل محول	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الحرث الهزاهيز	الملاحيظ العقارب	
٤٢	رأس وادى مض	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الكعوب	الملاحيظ العقارب	
٤٣	غارب مدبع	من الجنوب	إلى الشمال	٤٠٠	الكعوب	الملاحيظ العقارب	
٤٤	غارب أم سوايد	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الكعوب	الملاحيظ العقارب	
٤٥	مفجر الوحشي	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	
٤٦	مهد العقم	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	
٤٧	قلة الخميسى	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	منحنى نحو الغرب لضم بعض مزارع للامام ثم يعتدل نحو الشمال
٤٨	رزمة العجبى	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	
٤٩	مدهوس رأس الملحة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بنى الحرث الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	
٥٠	رأس المروة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بنى الحرث الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	
٥١	لجح أم وعر شرق جبل تويرلق	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بنى الحرث الكعوب	بنى صياح وبنى دهلى	
٥٢	رفه أم حسيبى مفجر شرانة	من الجنوب	إلى الشمال	٧٠٠	بنى شراحيل	بنى عجيبى	
٥٣	المكاس قبلة وادى شرانه	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بنى شراحيل	بنى عجيبى	

نمرة	المكان الموضوعة فيه	الجهة		المسافة	أسماء العربان التابعين للحكومة العربية السعودية	أسماء العربان التابعين للحكومة المتوكلية	ملاحظات
		من	الى				
٥٤	شرق جبل لمشادفه	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٥٥	شرق شعب الريح	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٥٦	غرب الحكول	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٥٧	رأس الحكول	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٥٨	رأس الحصر اليماني	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٥٩	رأس الوادي الواقع بين الملحتين	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٦٠	مواضلاعة	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٦١	معقر الصيد	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٦٢	بين المشاقين	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٦٣	البحصة المريدية	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	
٦٤	أسفل جبل السودة من شرق	من الجنوب	إلى الشمال	١٠٠٠	بني شراحيل	بني عجيبى	

بما أن المراسيم الموضحة بهذه الكشوفات من نمرة (١) إلى نمرة (٦٤) بموجب البيانات وهى التى تبتدىء من المغيالة إلى السودة هى الحدود الفاصلة فيما بين الحرث رعايا جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود والحرث وبنى دهلى وبنى صيـاح من رعايا جلالة الإمام يحيى وما هو بجميع الخط من الغرب والشمال هو تابع لحكومة جلالة الملك عبدالعزيز وما هو شرق وجنوب هو تابع لحكومة الإمام يحيى أما القرى التي رؤيت متناظرة ومزارعها متداخلة وقد فصلها خط الحدود وهى المقبص والملاحيظ أولا وثم فيما بين مبروكة والمجهم ومجدعة ثانيا فهذه المزارع تتبع قراها وزكواتها للحكومة التي لها تلك القرية وكذا المزرعة التى لابن غاشى في قرية المعين ودخلت فى حدود قرية عبيد جنادة التابعين للملك عبدالعزيز فزكاة تلك الأراضى تابعة لزكوات المعين ولكون هذه لرسومات وضعت بنظر الهيئتين والأمناء وأصبحت هى الحدود الفاصلة فيما المملكتين وذلك تحت إشراف الجميع بعد التروى من معرفة الحدود معرفة تامة وبعد وقوف الجميع على جوانب مشائخ القبائل التابعين للحكومتين وعليه حصل هذا القرار وبالله الاعتماد في ٢٧ شوال ١٣٥٤هـ

الهيئة اليمانية المتوكلية

عضـــو	عضـــو	الرئيس
محمد بن ضيف الله بن غثاية	محمد بن قاسم نجم الدين	عبدالله بن عثمان

الهيئة العربية السعودية

عضـــو	عضـــو	الرئيس
محمد السليماني بن تركي	عبدالله قاضي	عبدالله بن عقيل

نمرة	المكان الموضوعة فيه	الجهة		المسافة	القبائل التابعين للحكومة العربية السعودية	القبائل التابعين للحكومة اليمانية المتوكلية
		من	الى			
١	ملس السودة	جنوب	شمال	١٠٠٠	العبادل	وقيش
٢	كرس أم زريبة	جنوب	شمال	١٠٠٠	العبادل	وقيش
٣	مهد غرنوقة خيط الماء	غرب	شرق	١٠٠٠	العبادل	وقيش
٤	بطن الوادى خيط الماء شرق غرنوقة	غرب	شرق	١٠٠٠	العبادل	وقيش
٥	مضجر القدرين	غرب	شرق	١٠٠٠	العبادل	وقيش
٦	حياد المزار	غرب	شرق	١٠٠٠	العبادل	وقيش
٧	مهد معلق ومهد الحيط	غرب	شرق	١٠٠٠	السحارى	وقيش
٨	قاعة عصامة خيط الماء	غرب	شرق	١٠٠٠	السحارى	وقيش
٩	محمر خيط الماء	غرب	شرق	١٠٠٠	السحارى	وقيش
١٠	جحا فى خيط الماء	غرب	شرق	١٠٠٠	السحارى	جهات شذا
١١	آل شرة	جنوب	شمال	١٠٠٠	الكعبى	الوقرى
١٢	خيط الماء وادى صراط	جنوب	شمال	١٠٠٠	الكعبى	عطيفى
١٣	خيط الماء رفيس مخسر	جنوب	شمال	١٠٠٠	الكعبى	عطيفى
١٤	قطع خيط الماء جبل الشوكان طرف جميلة	جنوب	شمال	١٠٠٠	الكعبى	عطيفى
١٥	وسط زراع الشرقيات وادى معطل	غرب	شرق	١٠٠٠	الكعبى	آل محمد
١٦	المــكيال	جنوب	شمال	١٠٠٠	بنى محمد العبادل	بنى محمد العبادل
١٧	معتق الواسط	جنوب	شمال	١٠٠٠	بنى محمد العبادل	بنى محمد العبادل
١٨	معتق السرير على خط الماء	جنوب	شمال	١٠٠٠	بنى محمد العبادل	بنى محمد العبادل
١٩	القــذلة	جنوب	شمال	١٠٠٠	بنى محمد العبادل	بنى محمد العبادل
٢٠	القــلة	جنوب	شمال	١٠٠٠	بنى محمد العبادل	بنى محمد العبادل
٢١	الســد	جنوب	شمال	١٠٠٠	بنى محمد العبادل	بنى محمد العبادل
٢٢	وادى المجايح	جنوب	شمال	١٠٠٠	آلة عطيف حمد ابن شوقه	آلة عطيف
٢٣	قلة ثوبان على قلة البولة	جنوب	شمال	١٠٠٠	آلة عطيف حمد ابن شوقه	آلة عطيف
٢٤	قلة العمريات	جنوب	شمال	١٠٠٠	آلة عطيف حمد ابن شوقه	آلة عطيف
٢٥	قلة المسة	جنوب	شمال	١٠٠٠	حمد ابن شوقه	آلة عطيف

نمرة	المكان الموضوعة فيه	الجهـــــة		المسافة	القبائل التابعين للحكومة العربية السعودية	القبائل التابعين للحكومة اليمانية المتوكلية
		من	الى			
٢٦	السقامى	جنوب	شمال	١٠٠٠	آلة عطيف حمد بن شوفة	آلة عطيف
٢٧	معتق الرديم	جنوب	شمال	١٠٠٠	آلة عطيف حمد بن شوفة	آلة عطيف
٢٨	نسيد المحرق	جنوب	شمال	١٠٠٠	آلة عطيف حمد بن شوفة	آلة عطيف
٢٩	غار جعار	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٠	القريحا السفلى	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣١	رأس الجو لأسفل	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٢	عارم شط السودى	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٣	حسر المشعر خيط الماء	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٤	حسر المجازع	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٥	المصـــــاور	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٦	سعي القابسية	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف
٣٧	حسر المنحريات	من الغرب إلى الشرق نحو الشمال		١٠٠٠	اللقبى	آلة عطيف

٣٨	خطوة قلقل	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٣٩	خطوة الدخيلة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٠	خطوة الجارد	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤١	خطوة نية	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٢	قلعة الصقر	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٣	رأس زراع فيفا	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٤	رأسع عمق	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٥	رأس شعب مراعى	جنوب	شمال	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٦	رأس نقيل خريان	جنوب	شمال	١٠٠٠	قيس	آلة عطيف
٤٧	أسفل نقيل خريان	جنوب	شمال	١٠٠٠	قيس	الزهور
٤٨	مفتح السترين	جنوب	شمال	١٠٠٠	قيس	الزهور
٤٩	ظاهر القتاد	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	الزهور
٥٠	ظاهر الجمل	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	الزهور

نمرة	المكان الموضوعة فيه	الجهـة		المسافة	القبائل التابعين للحكومة العربية السعودية	القبائل التابعين للحكومة اليمانية المتوكلية
		من	الى			
٥١	أسفل السوعة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	الزهور
٥٢	وادى الحلالة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	الزهور
٥٣	معذب همدان	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	قيس
٥٤	خطرة فالح	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	قيس
٥٥	طريق الجمال	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	قيس
٥٦	المصـــــيدة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	قيس
٥٧	المهمـــــل	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	قيس
٥٨	قلة الشيعة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	غمر
٥٩	قلة الباقر	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	غمر
٦٠	حبيل الظهرة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	غمر
٦١	حسر الغمرين	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	غمر
٦٢	أسفل محضوة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آل مشيخ
٦٣	أسفل النياعة	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آل مشيخ
٦٤	المنفـــس	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آل مشيخ
٦٥	الركيـــس	غرب	شرق	١٠٠٠	قيس	آل مشيخ
٦٦	مفتح الصهلات	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ
٦٧	نيد صروعة	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ
٦٨	مفتح الحيدر	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ
٦٩	رأس الدقيقة	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ
٧٢	الجحيرة	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ
٧٢	خطوة القفلة	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ
٧٣	جوار الوداف	غرب	شرق	١٠٠٠	بنى حريص	آل مشيخ

قد جرى تمييـز الحـدود المبينـة بعـاليـه وتـرسيمها فيما بين المملكة العربية السعـودية والمملكة اليمانية المتوكلية في حدود القبائل الموضـحة بيانهم بعاليه وهي نمـرة ١ إلى نمرة ٧٢ من أول حدود العبادلة التابعين للحكومة العربية وآل وقيش التابعين للحكومة المتوكلية متجهة نحو العبادل والمحادين لهم وكذا قيس وبنى حريص والمحـادين لهم من آل مشيخ وآل زهورى وآل عطيف وذلك بواسطة مشـائـخ القبائل التابعين للحكومتين مع الأمناء الذى ارتضاهم الجميع تحت نظر هيئات الحدود فما هو نحو الغرب والشمال فهو تابع للحكومة العربية السعودية، وما هو جنـوب وشـرق فهـو تابع للحكومة اليمانية المتوكلية، أما آلة عطيف التابعين للحكومة المتوكلية وآلة عطيف أتباع حمد ابن شوقه التابعين للحكومة العربية فنظرا لكون أراضيهم متداخلة فقد جرى التحديد وصار البعض من رعايا الحكومة العربية داخلا ضمن حدود الحكومة المتوكلية وهم تابعون للحكومة العربية وأسماؤهم أحمد بن شوقة ويحيى بن شوقة ويحيى بن أحمد بن شوقة وسالم شائع، وجابر جبران، وجبران شايع وكذلك صار بعض رعايا الحكومة المتوكلية داخلا ضمن حدود المملكة العربية وهم تابعون للحكومة المتوكلية وأسماؤهم أسعد بن حسن، وجبران أسعد وسليمان أسعد وكلا من هؤلاء يتبعه مزارعه وزكواتهم لحكوماتهم كما أن قبيلة آل محمـد متداخلة أراضيهم وقد جرى تحديد الحد فيما بينهم وكلما هو داخل حدود المملكة العربية فهو تابع لهم وما هو داخل ضمن حدود المملكة المتوكلية فهو لهم وكلا منهم يتبعه مزارعه وزكواته لحكومته ما عدى حسن بن أحمد الذى داخل حدود المملكة العربية فهو تابع للحكومة المتوكلية بمزارعه وبعد التروى والمقابلة وضع القرار هذا باتفاق الهيئات سدد الله خطا الجميع. في ٢١ القعدة ١٣٥٤هـ

الهيئة اليمانية المتوكلية		الهيئة العربية السعودية	
عضـــو		عضـــو	
محمد بن قاسم نجم الدين	رئيس	عبدالله القاضى	رئيس
عضـــو	عبدالله بن عثمان	عضـــو	عبدالله بن عقيل
محمد بن ضيف الله بن غثاية		محمد السليمان بن تركى	

فبعـد أن أطلعنـا على هذه التقـارير السالفة الذكر وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة فيما كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونبـرمهـا ونتعهـد ونعـد وعدا ملوكيا صادقا بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأى وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة فى تثبيت صحة كلما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

(٣٣)
ملحق
(٢)

لمعاهدة الطائف المنعقدة

بين المملكة اليمانية والمملكة العربية السعودية

نظرا لأنه تحقق الغلط فيما عملته الهيئتان بوضعهم العلم الحادى عشر رأس عقبة نهوقة وحيث أن عقبة نهوقة تابعة للمملكة اليمانية المتوكلية بموجب نص المـادة الرابعة من معاهدة الطائف فالعلم الفاصل الذى يكون اعتباره فاصلا بين المملكتين وذلك المحل يوضع تحت عقبة نهوقة ولأجل إزالة الغلط والتصحيح بموجب نص المعاهدة حررنا هذا.



استبيانات الكتاب



استبيان موضوعات الكتاب



استبيان الوثائق

الصفحة	البيـــــــــــــــــان
٢٨	رسالة من ابن مساعد للإدريسي
٤٨	وثيقة من قائد الجيوش الإدريسية

استبيان الخرائط

استبيان الصور التي في الكتاب

استبيان أسماء الرجال



استبيان أسماء الدول والإمارات والمدن والقرى والمواضع

أسماء القبائل والشعوب

المصادر

م	اسم الكتـــاب	اسم المؤلف
١	اليمـــــن	حسن محمد جوهر
٢	اليمن ماضيها وحاضرها	أحمد فخري
٣	قلب جزيرة العرب	فؤاد حمزة
٤	البـــلاد الســـعودية	فؤاد حمزة
٥	عشرون عاما في بلاد العرب	حافظ وهبة
٦	نجد الحديث ـ ط ٢	أمين الريحاني
٧	المخلاف السليماني	العقيـــلي
٨	شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز	خير الدين الزركلي
٩	مذكـــــرات	زيد بن على عنان
١٠	شبه جزيرة العرب	محمود شاكر
١١	السلسلة الخاصة للقوى والامتيازات المعدنية في إمامة الإدريسي في عسير	جون بالدري ـ ترجمة مركز دراسات الخليج العربي
١٢	صقر الجزيرة	العطـــار
١٣	المسالك والممالك ط أوروبا	ابن خرداذبه
١٤	تاريخ الفاكهي ط أوروبا	الفاكهي
١٥	الـــكامـــل	لابن الأثير
١٦	صفة جزيرة العرب	الهمـــــداني
١٧	مذكـــــراتي	الشيخ تركي بن ماضي
١٨	نفح العود ـ تحقيق ودراسة وتعليق	العقيلي
١٩	العقيق اليماني ـ مخطوط	عبدالله بن علي النعمان
٢٠	اليمن عبر التاريخ ط ـ أولى	أحمد حسين شرف الدين

م	اسم الكتـــاب	اسم المؤلف
٢١	الحكم العثماني في اليمن	د. عثمان أباظة
٢٢	ملوك العرب	أمين الريحاني
٢٣	مذكرات سليمان شفيق تحقيق وتعليق	العقيلي
٢٤	أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم	المقدسي
٢٥	تاريخ اليمن	عمارة
٢٦	المقتطف	عبدالكريم الجرافي
٢٧	تاريخ نجـــد	عثمان بن عبدالله بن بشر
٢٨	هدية الزمن من أخبار لحج وعدن ط القاهرة	أحمد فضل العبدلي
٢٩	ملوك المسلمين ـ القاهرة	أمين سعيد
٣٠	خمسون عاما في بلاد العرب	حافظ وهبة
٣١	مملكة الامام يحيى	سلفاتور أبونتي ـ ترجمة طه فوزي القاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م
٣٢	الاسلام والحبشة	فتحي غيث ـ مكتبة النهضة المصرية
٣٣	مصر وشرق أفريقيا	د . محمد صبري
٣٤	شرح البسامة (مخطوط)	الزحيف اليمني
٣٥	قرة العيون في أخبار اليمن الميمون (مخطوط)	ابن خرداذبه
٣٦	الموسوعة العربية الميسرة	لجنة الباحثين العرب برئاسة محمد شفيق غربال
٣٧	دائرة المعارف الإسلامية	
٣٨	فيصل ملك الجزيرة العربية	قدري قلعجي

من أعمال المؤلف

م	عنوان الكتاب	موضــــــــوعه	تاريخ النشر	ملاحظات
١	المخلاف السليماني جـ ١	تاريخ منطقة جازان وجنوب الجزيرة	١٣٧٨هـ	ط ٢ في ١٤٠٢هـ
٢	المخلاف السليماني جـ ٢	تاريخ منطقة جازان وجنوب الجزيرة	١٣٨٠هـ	ط ٣ في ١٤١٠هـ
٣	الشاعر الجازاني «ابن هتيمل»	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٨٠هـ	ط ٢ في ١٤٠٩هـ
٤	الشاعر الجازاني «ابن شاجر»	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٨٥هـ	
٥	ديوان السلطانين	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٧٤هـ	ط ٢ في ١٤٠٣هـ
٦	التصوف في تهامة	دراسة عميقة عن الصوفية والمتصوفة	١٣٨٩هـ	ط ٢ في ١٤٠٣هـ
٧	الأنغام المضيئة	ديوان شـــعر	١٣٩٢هـ	
٨	الأدب الشعبي في الجنوب جـ١	دراسة موسعة عن الشعر الشعبي	١٣٩٢هـ	ط ٢
٩	الأدب الشعبي في الجنوب جـ٢	دراسة ونصوص	١٣٨٩هـ	ط ٣ في ١٤١٠هـ
١٠	المعجم الجغرافي عن منطقة جازان	جغرافيا المنطقة	١٣٨٩هـ	ط ٢ في ١٣٩٩هـ
١١	أضواء على الأدب والأدباء	دراسة وتراجم عن أدباء جازان	١٤٠٠هـ	
١٢	محاضرات في الجامعة والمؤتمرات	محاضرات في الجامعات السعودية	١٤٠٠هـ	
١٣	الآثار التاريخية في منطقة جازان	عن آثار المنطقة محلى بالصور	١٣٩٩هـ	
١٤	نفح العـــود	تحقيق ودراسة	١٤٠٢هـ	ط ٢ في ١٤٠٦هـ
١٥	أفاويق الغمـــام	ديوان شعر	١٤٠٢هـ	
١٦	سوق عكاظ في التاريخ	دراسة عن سوق عكاظ	١٤٠٤هـ	
١٧	الشيخ محمد بن عبدالوهاب	حياته العلمية والعملية	١٤٠٤هـ	
١٨	مذكرات سليمان شفيق باشا	دراسة وتحقيق	١٤٠٤هـ	
١٩	من أدب جنوب الجزيرة جـ١	دراسة عن أدب وأدباء جنوب الجزيرة	١٤٠٤هـ	
٢٠	نجران في أطوار التاريخ		١٤٠٥هـ	
٢١	معجم اللهجات المحلية	دراسة لغوية مقارنة	١٤٠٣هـ	ط ٢ في ١٤١٠هـ
٢٢	المعجم النباتي	عن النباتات في منطقة جازان	١٤٠٥هـ	
٢٣	شعراء الجنوب	ديوان شعر (مشترك)	١٣٧٠هـ	
٢٤	العقد المفصل للبهكلي	دراسة وتحقيق	١٤٠٧هـ	
٢٥	عسير في أطوار التاريخ		١٤١١هـ	
٢٦	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ١		١٤١١هـ	
٢٧	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ٢			تحت الطبع

م	عنوان الكتاب	موضوعه	تاريخ النشر	ملاحظات
٢٨	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ٣			تحت الطبع
٢٩	أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث	عن تاريخ الجزيرة		١٤١٢هـ
٣٠	رأد الضحى	ديوان شعر		مهيأ للطبع
٣١	المجموعة الكاملة لأشعار العقيلي	ديوان شعر		مهيأ للطبع
٣٢	ديوان الشاعر الجازاني الجراح ابن شاجر	دراسة وتحليل وتحقيق		مهيأ للطبع
٣٣	العقد الثمين للحسن بن عبدالله	دراسة وتحقيق		مهيأ للطبع
٣٤	العقيق اليماني لعبدالله النعمان	دراسة وتحقيق		مهيأ للطبع





طباعة دار العلم للطباعة والنشر . جدة
ص.ب : ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية